



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه  
صباح  
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

# الأمم

في تفسيرين كما جلا الله المنزلة

العلامة الفقيه المفسر

الشيخ كاظم حكايم الشيرازي

٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الامثل فى تفسير كتاب الله المنزل

كاتب:

آيت الله ناصر مكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابي طالب ( عليه السلام )

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

|    |  |
|----|--|
| ٥  | الفهرس                                       |
| ٣١ | الامثل فى تفسير كتاب الله المنزل المجلد ٩    |
| ٣١ | اشاره  |
| ٣٢ | اشاره  |
| ٣٦ | [اتمه سورة الاسراء]                          |
| ٣٦ | اشاره  |
| ٣٦ | الآيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤١ الى ٤٤] |
| ٣٦ | اشاره  |
| ٣٦ | التفسير                                      |
| ٣٦ | اشاره  |
| ٣٦ | كيف يفزون من الحق؟                           |
| ٣٨ | دليل التمانع:                                |
| ٤٠ | تسبيح الكائنات:                              |
| ٤٢ | الجواب على سؤال:                             |
| ٤٤ | جانب من روايات العتره الطاهره:               |
| ٤٧ | الآيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤٥ الى ٤٨] |
| ٤٧ | اشاره  |
| ٤٧ | سبب النزول                                   |
| ٤٨ | التفسير                                      |
| ٤٨ | اشاره  |
| ٤٨ | المغرورون و موانع المعرفه:                   |
| ٥٠ | بحوث   |
| ٥٠ | اشاره  |
| ٥٠ | ١-خلاصه عامه للآيات                          |

- ٥١ ..... ٢- لماذا تنسب الحجب للخالق؟
- ٥١ ..... ٣- ما معنى الحجاب المستور؟! .....
- ٥٢ ..... ٤- «أكتنه» و«وقر» ماذا يعنيان؟ .....
- ٥٣ ..... ٥- تفسير جمله بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ .....
- ٥٣ ..... ٦- لماذا اتهموا النبي بأنه مسحور؟ .....
- ٥٤ ..... ٧- تخوّف المشركين من نداء التوحيد .....
- ٥٥ ..... الآيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤٩ الى ٥٢] .....
- ٥٥ ..... اشاره .....
- ٥٥ ..... التفسير .....
- ٥٥ ..... اشاره .....
- ٥٥ ..... حتميه البعث و يوم الحساب .....
- ٦٠ ..... الآيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٥٣ الى ٥٧] .....
- ٦٠ ..... اشاره .....
- ٦٠ ..... التفسير .....
- ٦٠ ..... اشاره .....
- ٦٠ ..... التعامل المنطقي مع المعارضين: .....
- ٦٧ ..... ما هي الوسيله؟ .....
- ٦٩ ..... الآيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٥٨ الى ٦٠] .....
- ٦٩ ..... اشاره .....
- ٦٩ ..... التفسير .....
- ٧٢ ..... بحوث .....
- ٧٢ ..... اشاره .....
- ٧٢ ..... ١- رؤيا النبي صلى الله عليه و آله و سلم و الشجره الملعونه .....
- ٧٦ ..... ٢- أعدار منكرى الإعجاز .....
- ٧٨ ..... ٣- ما علاقه بين المنكرين سابقا و المنكرين لا حقا؟ .....
- ٧٩ ..... الآيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٦١ الى ٦٥] .....

- ٧٩ ..... اشارة
- ٧٩ ..... التفسير
- ٧٩ ..... اشارة
- ٧٩ ..... مكر إبليس:
- ٨٢ ..... بحوث
- ٨٢ ..... اشارة
- ٨٢ ..... ١- فى معانى الكلمات
- ٨٣ ..... ٢- وسائل الشيطان المختلفه فى الوسوسه و الإغواء
- ٨٧ ..... الآيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٦٦ الى ٦٩]
- ٨٧ ..... اشارة
- ٨٧ ..... التفسير
- ٨٧ ..... اشارة
- ٨٧ ..... لماذا الكفران مع كل هذه النعم؟
- ٩٠ ..... بحوث
- ٩٠ ..... اشارة
- ٩٠ ..... ١- الشخصيه المتقلبه
- ٩١ ..... ٢- لا يمكن الهروب من حكمه الله
- ٩٢ ..... ثالثا:معانى الكلمات
- ٩٤ ..... الآيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٠ الى ٧٢]
- ٩٤ ..... اشارة
- ٩٤ ..... التفسير
- ٩٤ ..... اشارة
- ٩٤ ..... الإنسان سيّد الموجودات:
- ٩٥ ..... بحوث
- ٩٥ ..... اشارة
- ٩٥ ..... أولاً:وسيله النقل أول نعمه للإنسان

- ٩٥ ..... ثانياً: تكريم الإنسان من قبل الخالق
- ٩٦ ..... ثالثاً: الفرق بين (كزمتنا) و(فضلنا)
- ٩٧ ..... رابعاً: ما معنى كلمه (كثير) فى الآيه؟
- ٩٧ ..... خامساً: لماذا كان الإنسان أفضل المخلوقات؟
- ١٠٠ ..... بحوث
- ١٠٠ ..... اشاره
- ١٠٠ ..... ١- دور القيادة فى حياه البشر
- ١٠١ ..... ٢- تكريم بنى آدم
- ١٠٢ ..... ٣- دور القيادة فى الإسلام
- ١٠٣ ..... ٤- عميان القلوب
- ١٠٥ ..... الآيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٣ الى ٧٥]
- ١٠٥ ..... اشاره
- ١٠٥ ..... سبب النزول
- ١٠٧ ..... التفسير
- ١٠٨ ..... بحوث
- ١٠٨ ..... اشاره
- ١٠٨ ..... ١- هل أبدى الرسول ليوئه إزاء المشركين؟
- ١٠٩ ..... ٢- لماذا العذاب المضاعف؟
- ١١٠ ..... ٣- معنى (الضعف)
- ١١١ ..... ٤- تفسير جمله إذا لَاتَّخَذُواْ كَلِيلاً
- ١١٢ ..... ٥- إلهى لا تكلىنى إلى نفسى
- ١١٣ ..... الآيتان [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٦ الى ٧٧]
- ١١٣ ..... اشاره
- ١١٣ ..... أسباب النزول
- ١١٤ ..... التفسير
- ١١٤ ..... اشاره



- مؤامره خبيثه أخرى: ..... ١١٤
- الآيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٨ الى ٨١] ..... ١١٦
- اشاره ..... ١١٦
- التفسير ..... ١١٦
- اشاره ..... ١١٦
- الفناء نهايه الباطل: ..... ١١٦
- بحوث ..... ١٢٢
- اشاره ..... ١٢٢
- ١-صلاه الليل عباده روحيه عظيمه ..... ١٢٢
- ٢-ما هو المقام المحمود؟ ..... ١٢٧
- ٣-العوامل الثلاثه للانتصار ..... ١٢٨
- ٤-حتميه انتصار الحق و هزيمة الباطل ..... ١٢٩
- ٥-آيه جاء الحق...و قيام المهدي عليه السلام ..... ١٣٠
- الآيه [سوره الإسراء (١٧): آيه ٨٢] ..... ١٣٢
- اشاره ..... ١٣٢
- التفسير ..... ١٣٢
- اشاره ..... ١٣٢
- القرآن و صفه للشفاء ..... ١٣٢
- بحوث ..... ١٣٢
- اشاره ..... ١٣٢
- ١-مفهوم كلمه (من)فى مِن الْقُرْآن ..... ١٣٢
- ٢-الفرق بين الشفاء و الزحمه ..... ١٣٣
- ٣-الظالمون و نصيبهم من القرآن ..... ١٣٣
- ٤-القرآن دواء ناجع لكل الأمراض الاجتماعيه و الأخلاقيه ..... ١٣٤
- الآيتان [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٨٣ الى ٨٤] ..... ١٣٨
- اشاره ..... ١٣٨

التفسير ..... ١٣٨

اشاره ..... ١٣٨

كل يتصرف وفق فطرته: ..... ١٣٨

بحوث ..... ١٣٩

اشاره ..... ١٣٩

١- الغرور و اليأس ..... ١٣٩

٢- ما معنى (شاكله)؟ ..... ١٤١

الآيه [سوره الإسراء (١٧): آيه ٨٥] ..... ١٤٤

اشاره ..... ١٤٤

التفسير ..... ١٤٤

اشاره ..... ١٤٤

ما هي الزوج؟ ..... ١٤٤

أصالة و استقلال الزوج: ..... ١٤٧

دلائل الماديين على عدم استقلال الروح ..... ١٥١

نقد هذه النظرية: ..... ١٥٣

أدله استقلال الروح ..... ١٥٥

اشاره ..... ١٥٥

أولاً: ادراك الواقع الخارجى ..... ١٥٥

ثانياً: وحده الشخصيه ..... ١٥٧

الحذر من هذا الاشتباه! ..... ١٥٩

ثالثاً: عدم تطابق الكبير مع الصغير ..... ١٥٩

سؤال مهم: ..... ١٦١

رابعاً: عدم تشابه الظواهر الروحيه مع الأوضاع الماديه ..... ١٦٢

الآيتان [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٨٦ الى ٨٧] ..... ١٦٤

اشاره ..... ١٦٤

التفسير ..... ١٦٤

١٦٤ ..... اشاره

١٦٤ ..... ما عندك هو من رحمته و بركنه:

١٦٦ ..... الأيتان [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٨٨ الى ٨٩]

١٦٦ ..... اشاره

١٦٦ ..... التفسير

١٦٦ ..... اشاره

١٦٦ ..... معجزه القرآن:

١٦٧ ..... و نلاحظ في هذه الآية عدّه نقاط ملفته للنظر:

١٧١ ..... الأيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٩٠ الى ٩٣]

١٧١ ..... اشاره

١٧١ ..... سبب النزول

١٧٣ ..... التفسير

١٧٣ ..... اشاره

١٧٣ ..... أعمار و ذرائع مختلفه:

١٧٥ ..... بحوث

١٧٥ ..... اشاره

١٧٥ ..... ١-جواب الرسول للمتذرعين

١٧٦ ..... ٢-الأفكار المحدوده و الطلبات غير المعقوله

١٧٧ ..... ٣-ذريعه أخرى لنفى الإعجاز

١٨٠ ..... الأيتان [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٩٤ الى ٩٥]

١٨٠ ..... اشاره

١٨٠ ..... التفسير

١٨٠ ..... اشاره

١٨٠ ..... ذريعه عامه:

١٨٢ ..... ملاحظات

١٨٤ ..... الأيتان [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٩٦ الى ٩٧]

١٨٤ ..... اشارة

١٨٤ ..... التفسير

١٨٤ ..... اشارة

١٨٤ ..... المهتدون الحقيقيون:

١٨٨ ..... الآيات [سورة الإسراء (١٧): الآيات ٩٨ الى ١٠٠]

١٨٨ ..... اشارة

١٨٨ ..... التفسير

١٨٨ ..... اشارة

١٨٨ ..... كيف يكون المعاد ممكناً؟

١٨٩ ..... ملاحظات

١٨٩ ..... اشارة

١٨٩ ..... ١- المعاد الجسماني

١٩٠ ..... ٢- أتي الآيات؟

١٩٠ ..... ٣- ما هو الغرض من «مثلهم»؟

١٩١ ..... ٤- ما هو (الأجل)؟

١٩٢ ..... ٥- الترابط بين الآيات

١٩٣ ..... ٦- هل أن جميع البشر بخلاء؟

١٩٣ ..... ٧- استخدام تعبير خَشِيَهُ الْإِنْفَاقِ

١٩٤ ..... الآيات [سورة الإسراء (١٧): الآيات ١٠١ الى ١٠٤]

١٩٤ ..... اشارة

١٩٤ ..... التفسير

١٩٤ ..... اشارة

١٩٤ ..... لم يؤمنوا رغم الآيات:

١٩٤ ..... بحوث

١٩٤ ..... اشارة

١٩٤ ..... ١- المقصود من الآيات التسع

- ٢- هل أنّ السائل هو الرسول نفسه؟ ..... ٢٠٠
- ٣- ما المراد ب(الأرض) المذكوره في الآيات؟ ..... ٢٠٠
- ٤- هل تعنى كلمه(وعد الآخره)يوم البعث و الآخره؟ ..... ٢٠١
- الآيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ١٠٥ الى ١٠٩] ..... ٢٠٢
- اشاره ..... ٢٠٢
- التفسير ..... ٢٠٢
- اشاره ..... ٢٠٢
- عشاق الحق ..... ٢٠٢
- ملاحظات ..... ٢٠٦
- اشاره ..... ٢٠٦
- في هذه الآيه ينبغي الالتفات إلى الملاحظات الآتيه: ..... ٢٠٦
- بحثان: ..... ٢٠٨
- اشاره ..... ٢٠٨
- ١- التخطيط للتربيه و التعلم ..... ٢٠٨
- ٢- علاقه العلم بالإيمان ..... ٢٠٩
- الآيتان [سوره الإسراء (١٧): الآيات ١١٠ الى ١١١] ..... ٢١٠
- اشاره ..... ٢١٠
- سبب النزول ..... ٢١٠
- التفسير ..... ٢١١
- اشاره ..... ٢١١
- آخر الذرائع و الأعداء ..... ٢١١
- ملاحظه ..... ٢١٤
- و نلاحظ في هذه الآيه عدّه أمور: ..... ٢١٥
- اشاره ..... ٢١٥
- ١- تناسب الصفات الثلاثيه ..... ٢١٥
- ٢- ما هو التكبير؟ ..... ٢١٦

- ٢١٧ ..... ٣-الإجابة على هذا السؤال
- ٢١٩ ..... سورة الكهف
- ٢١٩ ..... اشاره
- ٢٢١ ..... فضيله سورة الكهف
- ٢٢٢ ..... محتوى سورة الكهف
- ٢٢٥ ..... الآيات [سورة الكهف (١٨): الآيات ١ الى ٥]
- ٢٢٥ ..... اشاره
- ٢٢٥ ..... التفسير
- ٢٢٥ ..... اشاره
- ٢٢٥ ..... البدايه باسم الله و القرآن:
- ٢٢٦ ..... بحوث
- ٢٢٦ ..... اشاره
- ٢٢٦ ..... ١-افتتاح السوره بحمد الله سبحانه و تعالى
- ٢٢٧ ..... ٢-القرآن كتاب ثابت و مستقيم و حافظ
- ٢٢٨ ..... ٣-انذارين شديدين عام و خاص:
- ٢٢٩ ..... ٤-الادعاء الفارغ
- ٢٢٩ ..... ٥-العمل الصالح برنامج مستمر
- ٢٣٠ ..... ٦-صفه العبد أرقى و سام للإنسان
- ٢٣١ ..... الآيات [سورة الكهف (١٨): الآيات ٦ الى ٨]
- ٢٣١ ..... اشاره
- ٢٣١ ..... التفسير
- ٢٣١ ..... اشاره
- ٢٣١ ..... العالم ساحه اختيار:
- ٢٣٥ ..... الآيات [سورة الكهف (١٨): الآيات ٩ الى ١٢]
- ٢٣٥ ..... اشاره
- ٢٣٥ ..... أسباب النزول

٢٣٧ .....التفسير

٢٣٧ .....اشاره

٢٣٧ .....بدايه قصه أصحاب الكهف

٢٣٩ .....ملاحظات

٢٤١ .....الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ١٣ الى ١٦]

٢٤١ .....اشاره

٢٤١ .....التفسير

٢٤١ .....اشاره

٢٤١ .....القصه المفضله لأصحاب الكهف:

٢٤٤ .....ملاحظات

٢٤٤ .....اشاره

٢٤٤ .....١-الفتوه و الإيمان

٢٤٤ .....٢-الإيمان و الإمداد الإلهي

٢٤٥ .....٣-ملجأ باسم الغار

٢٤٧ .....الآيتان [سوره الكهف (١٨): الآيات ١٧ الى ١٨]

٢٤٧ .....اشاره

٢٤٧ .....التفسير

٢٤٧ .....اشاره

٢٤٧ .....مكان أصحاب الكهف:

٢٥٢ .....الآيتان [سوره الكهف (١٨): الآيات ١٩ الى ٢٠]

٢٥٢ .....اشاره

٢٥٢ .....التفسير

٢٥٢ .....اشاره

٢٥٢ .....اليقظه بعد نوم طويل:

٢٥٤ .....بحوث

٢٥٤ .....اشاره

٢٥٤ ..... ١- أركى الطعام

٢٥٤ ..... اشاره

٢٥٥ ..... ثانياً: التقية البناء

٢٥٥ ..... ثالثاً: اللطف مركز القرآن

٢٥٧ ..... الآيات [سورة الكهف (١٨): الآيات ٢١ إلى ٢٤]

٢٥٧ ..... اشاره

٢٥٧ ..... التفسير

٢٥٧ ..... اشاره

٢٥٧ ..... نهاية قصة أصحاب الكهف:

٢٦٣ ..... بحوث

٢٦٣ ..... اشاره

٢٦٣ ..... ١- قوله تعالى: رَجُمًا بِالْغَيْبِ

٢٦٣ ..... ٢- الواو في قوله: وَتَأْمِنُهُمُ كَلِيمُهُمُ

٢٦٥ ..... ٣- المسجد إلى جوار المقبره

٢٦٦ ..... ٤- كل شيء يعتمد على مشيئته تعالى

٢٦٦ ..... ٥- الإجابة على سؤال

٢٦٨ ..... الآيات [سورة الكهف (١٨): الآيات ٢٥ إلى ٢٧]

٢٦٨ ..... اشاره

٢٦٨ ..... التفسير

٢٦٨ ..... اشاره

٢٦٨ ..... نوم أصحاب الكهف:

٢٧١ ..... بحوث

٢٧١ ..... اشاره

٢٧١ ..... ١- قصة أصحاب الكهف في الروايات الإسلامية

٢٧٤ ..... ٢- أين كان الكهف؟

٢٧٤ ..... ٣- الجوانب التربوية لقصة أهل الكهف



- ٢٧٩ ..... هل أن قصة أصحاب الكهف علميه؟
- ٢٨٢ ..... حاله السبات:
- ٢٨٤ ..... نموذج آخر: دفن المرتاضين
- ٢٨٤ ..... تجميد جسم الإنسان و هو حي:
- ٢٨٨ ..... الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٢٨ الى ٣١]
- ٢٨٨ ..... اشاره
- ٢٨٩ ..... سبب النزول
- ٢٨٩ ..... التفسير
- ٢٨٩ ..... اشاره
- ٢٨٩ ..... الحفاه الأطهار!
- ٢٩٣ ..... بحوث
- ٢٩٣ ..... اشاره
- ٢٩٣ ..... ١-الزوح الطبقيه مشكله اجتماعيه كبيره
- ٢٩٤ ..... ٢-المقارنه بين الحياه فى هذا العالم و عالم الآخره:
- ٢٩٧ ..... ٣-العلاقه بين عباده الهوى و الغفله عن الله
- ٢٩٨ ..... ٤-ملابس الزينه فى العالم الآخر
- ٢٩٩ ..... ٥-الاقتراب من الأثرياء بسبب ثروتهم:
- ٣٠٠ ..... الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٣٢ الى ٣٦]
- ٣٠٠ ..... اشاره
- ٣٠٠ ..... التفسير
- ٣٠٠ ..... اشاره
- ٣٠٠ ..... تجسيد لموقف المستكبرين من المستضعفين:
- ٣٠٣ ..... الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٣٧ الى ٤١]
- ٣٠٣ ..... اشاره
- ٣٠٣ ..... التفسير
- ٣٠٣ ..... اشاره

جواب المؤمن: ..... ٣٠٣

الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٤٢ الى ٤٤] ..... ٣٠٨

اشاره ..... ٣٠٨

التفسير ..... ٣٠٨

اشاره ..... ٣٠٨

العاقبه السوداء: ..... ٣٠٨

بحثنان ..... ٣١١

اشاره ..... ٣١١

١-غرور الثروه ..... ٣١١

دروس و عبر ..... ٣١٢

الآيتان [سوره الكهف (١٨): الآيات ٤٥ الى ٤٦] ..... ٣١٥

اشاره ..... ٣١٥

التفسير ..... ٣١٥

اشاره ..... ٣١٥

بدايه و نهايه الحياه فى لوحه حته: ..... ٣١٥

بحوث ..... ٣١٨

اشاره ..... ٣١٨

١-المغريات ..... ٣١٨

٢-عوامل تحطيم الغرور ..... ٣١٩

الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٤٧ الى ٤٩] ..... ٣٢١

اشاره ..... ٣٢١

التفسير ..... ٣٢١

اشاره ..... ٣٢١

يا ويلتاه من هذا الكتاب! ..... ٣٢١

بحوث ..... ٣٢٤

اشاره ..... ٣٢٤

- ٣٢٤ ..... ١-سر انهدام الجبال
- ٣٢٥ ..... ٢-صحيفه الأعمال
- ٣٢٧ ..... ٣-الإيمان بالمعاد و دوره فى تربيته الناس
- ٣٢٩ ..... الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٥٠ الى ٥٣]
- ٣٢٩ ..... اشاره
- ٣٢٩ ..... التفسير
- ٣٢٩ ..... اشاره
- ٣٢٩ ..... لا تتخذوا الشياطين أولياء:
- ٣٣٣ ..... بحثان
- ٣٣٣ ..... اشاره
- ٣٣٣ ..... ١-هل كان الشيطان ملكاً؟
- ٣٣٥ ..... ٢-لا تستعينوا بالضالين
- ٣٣٧ ..... الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٥٤ الى ٥٦]
- ٣٣٧ ..... اشاره
- ٣٣٧ ..... التفسير
- ٣٣٧ ..... اشاره
- ٣٣٧ ..... فى انتظار العقاب:
- ٣٤١ ..... الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٥٧ الى ٥٩]
- ٣٤١ ..... اشاره
- ٣٤١ ..... التفسير
- ٣٤١ ..... اشاره
- ٣٤١ ..... لا استعجال فى العقاب الإلهى:
- ٣٤٥ ..... الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٦٠ الى ٦٤]
- ٣٤٥ ..... اشاره
- ٣٤٥ ..... التفسير
- ٣٤٥ ..... اشاره

- ٣٤٥ ..... لقاء موسى و الخضر عليهما السلام:
- ٣٥١ ..... الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٦٥ الى ٧٠] .....
- ٣٥١ ..... اشاره .....
- ٣٥١ ..... التفسير .....
- ٣٥١ ..... اشاره .....
- ٣٥١ ..... رؤيه المعلم الكبير: .....
- ٣٥٤ ..... الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٧١ الى ٧٨] .....
- ٣٥٤ ..... اشاره .....
- ٣٥٥ ..... التفسير .....
- ٣٥٥ ..... اشاره .....
- ٣٥٥ ..... المعلم الإلهي و الأفعال المنكره!! .....
- ٣٦١ ..... الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٧٩ الى ٨٢] .....
- ٣٦١ ..... اشاره .....
- ٣٦١ ..... التفسير .....
- ٣٦١ ..... اشاره .....
- ٣٦١ ..... الأسرار الداخليه لهذه الحوادث: .....
- ٣٦٥ ..... بحوث .....
- ٣٦٥ ..... اشاره .....
- ٣٦٥ ..... ١-هل كانت مهمته الخضر فى اطار النظام التشريعى أم التكوينى؟! .....
- ٣٦٩ ..... ٢-من هو الخضر؟ .....
- ٣٧٢ ..... ٣-الأساطير الموضوعه .....
- ٣٧٣ ..... ٤-هل يمكن أن يصاب الأنبياء بالنسيان؟ .....
- ٣٧٤ ..... ٥-لماذا ذهب موسى لرؤيه الخضر؟ .....
- ٣٧٦ ..... ٦-ماذا كان الكنز؟ .....
- ٣٧٧ ..... ٧-دروس هذه القصه .....
- ٣٨٣ ..... الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٨٣ الى ٩١] .....

٣٨٣ ..... اشارة

٣٨٣ ..... التفسير

٣٨٣ ..... اشارة

٣٨٣ ..... قصة «ذو القرنين» العجيبه:

٣٨٩ ..... الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٩٢ الى ٩٨]

٣٨٩ ..... اشارة

٣٨٩ ..... التفسير

٣٨٩ ..... اشارة

٣٨٩ ..... كيف تم بناء سد ذى القرنين؟

٣٩٣ ..... بحوث

٣٩٣ ..... اشارة

٣٩٣ ..... أولا-الملاحظات التربويه فى هذه القصة التاريخيه

٣٩٧ ..... ثانيا:من هو ذو القرنين؟

٤٠٤ ..... ثالثاً: أين يقع سد ذى القرنين؟

٤٠٥ ..... رابعاً: من هم يأجوج و مأجوج؟

٤٠٧ ..... الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٩٩ الى ١٠٢]

٤٠٧ ..... اشارة

٤٠٧ ..... التفسير

٤٠٧ ..... اشارة

٤٠٧ ..... عاقبه الكافرين:

٤١١ ..... الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ١٠٣ الى ١٠٨]

٤١١ ..... اشارة

٤١١ ..... التفسير

٤١١ ..... اشارة

٤١١ ..... أخسر الناس:

٤١٥ ..... بحوث

٤١٥ ..... اشارة

٤١٥ ..... ١-من هم الأخرسون أعمالاً؟

٤١٧ ..... ٢-ماذا يعنى لقاء الله؟

٤١٨ ..... ٣-وزن الأعمال

٤١٩ ..... ٤-تفسير قوله تعالى: لَا يَبْتَغُونَ عَنْهَا جُورًا

٤٢٠ ..... ٥-الفردوس لمن؟

٤٢٢ ..... الأيتان [سوره الكهف (١٨): الآيات ١٠٩ الى ١١٠]

٤٢٢ ..... اشارة

٤٢٢ ..... سبب النزول

٤٢٣ ..... التفسير

٤٢٣ ..... اشارة

٤٢٣ ..... الذين يأملون لقاء الله:

٤٢٥ ..... توضيح لمفهوم اللانهايه:

٤٢٩ ..... الإخلاص أو روح العمل الصالح:

٤٣٠ ..... دعاء الختام:

٤٣٢ ..... سوره مريم

٤٣٢ ..... اشارة

٤٣٤ ..... محتوى السوره:

٤٣٤ ..... فضل السوره:

٤٣٤ ..... الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ١ الى ٦]

٤٣٤ ..... اشارة

٤٣٤ ..... التفسير

٤٣٤ ..... اشارة

٤٣٤ ..... دعاء زكريا المستجاب:

٤٣٨ ..... بحوث

٤٣٨ ..... اشارة

- ٤٣٨ ..... ١- المراد من الإرث .....
- ٤٤٢ ..... ٢- ماذا تعنى كلمه «نادى»؟ .....
- ٤٤٢ ..... ٣- وَ يَرْثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ .....
- ٤٤٣ ..... الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٧ الى ١١] .....
- ٤٤٣ ..... اشاره .....
- ٤٤٣ ..... التفسير .....
- ٤٤٣ ..... اشاره .....
- ٤٤٣ ..... بلوغ زكريا أمهه: .....
- ٤٤٤ ..... بحثان .....
- ٤٤٤ ..... اشاره .....
- ٤٤٤ ..... ١- يحيى عليه السلام التى المتأله الروع .....
- ٤٤٨ ..... ٢- ما معنى كلمه «المحراب»؟ .....
- ٤٥٠ ..... الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ١٢ الى ١٥] .....
- ٤٥٠ ..... اشاره .....
- ٤٥٠ ..... التفسير .....
- ٤٥٠ ..... اشاره .....
- ٤٥٠ ..... صفات يحيى عليه السلام البارزه: .....
- ٤٥١ ..... يحيى و صفاته العشره: .....
- ٤٥٢ ..... بحوث .....
- ٤٥٢ ..... اشاره .....
- ٤٥٢ ..... ١- خذ الكتاب السماوى بقوه و اقتدار! .....
- ٤٥٣ ..... ٢- ثلاثه أيام صعبه فى مصير الإنسان .....
- ٤٥٤ ..... ٣- النبوه فى الطفوله .....
- ٤٥٥ ..... ٤- شهاده يحيى .....
- ٤٥٧ ..... الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ١٦ الى ٢١] .....
- ٤٥٧ ..... اشاره .....

٤٥٧ ..... التفسير

٤٥٧ ..... اشاره

٤٥٧ ..... ولاده عيسى عليه السلام: ..

٤٦٠ ..... بحثان

٤٦٠ ..... اشاره

٤٦٠ ..... ١- ما هو المراد من روح الله؟

٤٦١ ..... ٢- ما هو التمثل؟

٤٦٢ ..... الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٢٢ الى ٢٦]

٤٦٢ ..... اشاره

٤٦٢ ..... التفسير

٤٦٢ ..... اشاره

٤٦٢ ..... مريم فى عاصفه: ..

٤٦٥ ..... بحوث

٤٦٥ ..... اشاره

٤٦٥ ..... ١- ازدياد قوه مريم عند تراكم المشاكل

٤٦٦ ..... ٢- لماذا طلبت مريم الموت من الله؟

٤٦٧ ..... ٣- سؤال و جواب

٤٦٧ ..... ٤- صوم الصمت

٤٦٨ ..... ٥- غذاء مولد للطاقيه

٤٧٠ ..... الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٢٧ الى ٣٣]

٤٧٠ ..... اشاره

٤٧٠ ..... التفسير

٤٧٠ ..... اشاره

٤٧٠ ..... المسيح يتكلم فى المهدي:

٤٧٤ ..... بحوث

٤٧٤ ..... اشاره



١- أوضح تصوير عن ولاده عيسى عليه السلام ..... ٤٧٤

٢- منزله الأم ..... ٤٧٥

٣- إنجاب البكر ..... ٤٧٦

٤- كيف يتكلم الصبي؟ ..... ٤٧٧

الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٣٤ الى ٣٥] ..... ٤٧٩

اشاره ..... ٤٧٩

التفسير ..... ٤٧٩

اشاره ..... ٤٧٩

أ يمكن أن يكون لله ولدا؟! ..... ٤٧٩

نفي الولد يعنى نفي الاحتياج عن الله: ..... ٤٨١

ملاحظه تاريخيه هامه حول الهجره الأولى ..... ٤٨١

الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ٤٨٥

اشاره ..... ٤٨٥

التفسير ..... ٤٨٥

اشاره ..... ٤٨٥

يوم القيامة..يوم الحسره و الأسف: ..... ٤٨٥

الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ٤٩٠

اشاره ..... ٤٩٠

التفسير ..... ٤٩٠

اشاره ..... ٤٩٠

إبراهيم و منطقته المؤثر و القاطع: ..... ٤٩٠

بحوث ..... ٤٩٣

اشاره ..... ٤٩٣

١- طريق النفوذ إلى الآخرين ..... ٤٩٣

٢- دليل اتباع العالم ..... ٤٩٣

٣- سوره الرحمه و التذكير ..... ٤٩٤

الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ..... ٤٩٥

اشاره ..... ٤٩٥

التفسير ..... ٤٩٥

اشاره ..... ٤٩٥

نتيجه البعد عن الشرك و المشركين: ..... ٤٩٥

الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٥١ الى ٥٣] ..... ٥٠٠

اشاره ..... ٥٠٠

التفسير ..... ٥٠٠

اشاره ..... ٥٠٠

موسى التبي المخلص: ..... ٥٠٠

بحثان ..... ٥٠٢

اشاره ..... ٥٠٢

١-من هو المخلص؟ ..... ٥٠٢

٢-الفرق بين الرسول و التبي ..... ٥٠٢

الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٥٤ الى ٥٥] ..... ٥٠٤

اشاره ..... ٥٠٤

التفسير ..... ٥٠٤

اشاره ..... ٥٠٤

إسماعيل نبى صادق الوعد: ..... ٥٠٤

الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ٥٠٧

اشاره ..... ٥٠٧

التفسير ..... ٥٠٧

اشاره ..... ٥٠٧

هؤلاء أنبياء الله، ولكن... ..... ٥٠٧

بحثان ..... ٥١١

اشاره ..... ٥١١

٥١١ ..... ١- من هو إدريس؟

٥١١ ..... ٢- من هم الذين أضاعوا الصلاة؟

٥١٢ ..... الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٦١ إلى ٦٣]

٥١٢ ..... اشاره

٥١٢ ..... التفسير

٥١٢ ..... اشاره

٥١٢ ..... بعض صفات الجنة:

٥١٧ ..... الأيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٦٤ إلى ٦٥]

٥١٧ ..... اشاره

٥١٧ ..... سبب النزول

٥١٧ ..... التفسير

٥١٧ ..... اشاره

٥١٧ ..... الطاعة التامة:

٥١٩ ..... الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٦٦ إلى ٧٠]

٥١٩ ..... اشاره

٥١٩ ..... سبب النزول

٥٢٠ ..... التفسير

٥٢٠ ..... اشاره

٥٢٠ ..... حال أهل النار:

٥٢٣ ..... الأيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٧١ إلى ٧٢]

٥٢٣ ..... اشاره

٥٢٣ ..... التفسير

٥٢٣ ..... اشاره

٥٢٣ ..... الجميع يردون جهنم!

٥٢٥ ..... جواب عن سؤال:

٥٢٧ ..... الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٧٣ إلى ٧٤]

٥٢٧ ..... اشاره

٥٢٧ ..... التفسير

٥٣٢ ..... الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٧٧ الى ٨٢]

٥٣٢ ..... اشاره

٥٣٢ ..... التفسير

٥٣٢ ..... اشاره

٥٣٢ ..... تفكير خرافى و منحرف:

٥٣٦ ..... الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٨٣ الى ٨٧]

٥٣٦ ..... اشاره

٥٣٦ ..... التفسير

٥٣٦ ..... اشاره

٥٣٦ ..... من هم الذين لهم أهليه الشفاعه؟

٥٣٩ ..... ما معنى العهد؟

٥٤٢ ..... الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٨٨ الى ٩٥]

٥٤٢ ..... اشاره

٥٤٢ ..... التفسير

٥٤٤ ..... ملاحظتان

٥٤٤ ..... اشاره

٥٤٤ ..... ١- إلى الآن يظنون أنه ابن الله!

٥٤٥ ..... ٢- كيف تفنى السماوات و تتلاشى؟

٥٤٦ ..... الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٩٦ الى ٩٨]

٥٤٦ ..... اشاره

٥٤٦ ..... التفسير

٥٤٦ ..... اشاره

٥٤٦ ..... الإيمان و المحبوبيه:

٥٤٩ ..... بحثان

٥٤٩ ..... اشارة

٥٤٩ ..... ١-محبتة على عليه السلام فى قلوب المؤمنين -

٥٥١ ..... ٢-تفسير جملة: يَشْرَتَاهُ بِسَلَايِكَ .

٥٥٦ ..... «سوره طه»

٥٥٦ ..... اشارة

٥٥٦ ..... فضل سوره طه

٥٥٧ ..... محتوى السوره

٥٥٨ ..... الآيات [سوره طه (٢٠): الآيات ١ الى ٨]

٥٥٨ ..... اشارة

٥٥٨ ..... سبب النزول

٥٥٩ ..... التفسير

٥٥٩ ..... اشارة

٥٥٩ ..... لا تجهد نفسك إلى هذا الحد:

٥٦٥ ..... الآيات [سوره طه (٢٠): الآيات ٩ الى ١٦]

٥٦٥ ..... اشارة

٥٦٥ ..... التفسير

٥٦٥ ..... اشارة

٥٦٥ ..... نار فى الجانب الآخر من الصحراء!

٥٧١ ..... بحوث

٥٧١ ..... اشارة

٥٧١ ..... ١-المراد من قوله تعالى: فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ

٥٧٢ ..... ٢-جواب عن سؤال،

٥٧٢ ..... ٣-الصلاه أفضل وسيله لذكر الله

٥٧٤ ..... الآيات [سوره طه (٢٠): الآيات ١٧ الى ٢٣]

٥٧٤ ..... اشارة

٥٧٤ ..... التفسير

٥٧٤ ..... اشارة

٥٧٤ ..... عصا موسى و اليد البيضاء:

٥٧٧ ..... بحوث

٥٧٧ ..... اشارة

٥٧٧ ..... ١-معجزتان كبيرتان

٥٧٩ ..... ٢-قابليات الأشياء الخارقة

٥٧٩ ..... ٣-ماذا تقول التوراه حول هذا الموضوع؟

٥٨٠ ..... الآيات [سوره طه (٢٠): الآيات ٢٤ الى ٣٦]

٥٨٠ ..... اشارة

٥٨٠ ..... التفسير

٥٨٠ ..... اشارة

٥٨٠ ..... موسى و طلباته القيمه:

٥٨٤ ..... بحوث

٥٨٤ ..... اشارة

٥٨٤ ..... ١-شروط قياده الثوره

٥٨٥ ..... ٢-مقارعه الطغاه

٥٨٦ ..... ٣-كل عمل يحتاج إلى تخطيط و وسائل

٥٨٦ ..... ٤-التسبيح و الذكر

٥٨٦ ..... ٥-الرسول الأعظم يكرر مطالب موسى

٥٨٩ ..... الآيات [سوره طه (٢٠): الآيات ٣٧ الى ٤١]

٥٨٩ ..... اشارة

٥٨٩ ..... التفسير

٥٨٩ ..... اشارة

٥٨٩ ..... الربّ الرحيم:

٦١٢ ..... تعريف مركز

سرشناسه: مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پدیدآور: الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل / تالیف ناصر مکارم شیرازی؛ [با همکاری جمعی از فضلا]

وضعیت ویراست: [ویرایش ۲]

مشخصات نشر: قم: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری: ج ۲۰

شابک: ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۳-X(دوره)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۹-۱(ج.۱)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۳-۲(ج.۲)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۸-۳(ج.۳)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۲-۴(ج.۴)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۷-۵(ج.۵)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۱-۶(ج.۶)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۶-۷(ج.۷)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۰-۸(ج.۸)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۵-۹(ج.۹)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۴-۱۰(ج.۱۰)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۲-۱۱(ج.۱۱)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۷-۱۲(ج.۱۲)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۱-۱۳(ج.۱۳)؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۰-۱۵(ج.۱۵)

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی

یادداشت: کتاب حاضر ترجمه و تلخیص "تفسیر نمونه" است

یادداشت: کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است

یادداشت: کتابنامه

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)

رده بندی کنگره: BP۹۸/م ۷ ۷۰۴۴۷ ۱۳۷۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی: م ۷۹-۱۰۳۹۱











اشاره

الآيات [سورة الإسراء (١٧): الآيات ٤١ الى ٤٤]

اشاره

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)

التفسير

اشاره

كيف يفرون من الحق؟

كان الحديث في الآيات السابقة يتعلق بقصيتي التوحيد و الشرك، لذا فإن هذه الآيات تتابع هذا الموضوع بوضوح و قاطعيه أكبر. ففي البدايه تتحدث عن لجاجه بعض المشركين و عنادهم في قبال أدله التوحيد فتقول: وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا .

«صَرَّفَ» مشتقّه من «تصريف» و هي تعنى التغيير و التحويل، و كونها على وزن «تفعيل» يؤكد معنى الكثره. و لأنّ القرآن يستخدم تعابير متنوعه و فنونا كلاميه مختلفه من أجل تنبيه المشركين، إذ يستخدم الاستدلال العقلى المنطقى

و الفطرى أو التهديد و الترغيب،لذا فإنّ كلمه «صرّفنا»تناسب هذا التنوّع فى هذا المقام.

القرآن الكريم يريد أن يقول:إنّنا سلكنّا مختلف الطرق،و فتحنا مختلف الأبواب من أجل أن ننير قلوب هؤلاء العميان بضياء التوحيد،و لكن مجموعه من هؤلاء وصل بهم التعصب و العناد و اللجاجه إلى درجه أنّ كل هذه الوسائل لم تؤثر فى جذبهم إلى الحقيقه،بل إنّها زادت فى ابتعادهم و نفورهم.

و هنا قد يطرح هذا السؤال:إذا ما الفائدة من ذكر كلّ ذلك،إذا كانت النتائج.

معكوسه؟ إنّ جواب هذا السؤال واضح،إذ أنّ القرآن لم ينزل لفرد أو لمجموعه خاصه، و لكنّه للمجتمع كآفه،و طبيعى أن جميع الناس ليسوا على منوال المعاندين،إذ هناك الكثير ممن يتبع طريق الحق إذا استبان له أدلته من هذا النوع من الأدلّه القرآنيه،بالرغم من أنّها تؤدى بمجموعه أخرى من فاقدى بصيره القلب إلى المزيد من العناد.

إضافه إلى أنّ وجود هؤلاء المعاندين مفيد للمجموعه الأخرى التى تقبل الحق و تنصاع إليه،إذ يستبين من ينصاع للحق طريقه من خلال النظر إلى سلوك المعاندين إذ أنّ تقابل الظلمه و النور يوضح قيمه النور أكثر(الأشياء تعرف بأضدادها)كما أن تعلم الأخلاق و الآداب يمكن أن يتمّ-أحيانا-بتوسط عديمى الأدب و الخلق.

و هذا فى الواقع درس مفيد فى القضايا التربويه و التبليغيه،إذ يمكن أن نستفيد من هذه الآيه ضروره سلوك طرق مختلفه و وسائل متعدده لتحقيق الأهداف التربويه المنشوده،حيث أنّ الاقتصار على طريق واحد يخالف التنوع الكبير فى أذواق الناس و مؤهلاتهم،و بالتالى يجافى الطريق الصحيح الذى ينبغى أن يتّبع.

الآية التي بعدها تشير إلى واحد من أدله التوحيد و الذي يعرف بين العلماء و الفلاسفه بعنوان «دليل التمانع» إذ الآية تقول للنبي صلى الله عليه و آله و سلم: قل لهم: قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا .

و بالرغم من أن جملة إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا تفيد أنهم لا بد أن يجدوا طريقا يؤدي بهم إلى صاحب العرش، و لكن طبيعه الكلام توضح بأن الهدف هو العثور على سبيل للانتصار عليه (على ذى العرش) خاصه و أن كلمه ذى العرش التى استخدمت بدلا من «الله» تشير إلى هذا الموضوع و تؤكد. إذ تعنى أنهم أرادوا أن يكونوا مالكي العرش و حكمومه عالم الوجود، لذلك فإنهم سيحاولون منازلته ذى العرش.

و من الطبيعى هنا أن كل صاحب قدره يسعى لمدّ قدرته و تكميلها، لذا فإن وجود عدّه آلهه يؤدي إلى التنازع و التمانع فيما بينهم حول الحكم و السلطه فى عالم الوجود. (١)

هنا قد يقال: إن من الممكن تصوّر وجود عدّه آلهه يحكمون العالم من خلال التعاون و التنسيق فيما بينهم، لذلك فليس ثمّه من سبب للتنازع بينهم؟! فى الإجابة على هذا السؤال نقول: بصرف النظر عن أن كل موجود يسعى نحو توسيع قدرته بشكل طبيعى، و بصرف النظر أيضا عن الآلهه التى يعتقد بها المشركون تحمل العديد من الصفات البشريه، و التى تعتبر أوضحها جميعا هى الرغبه فى السيطرة و الحكم و توسيع نطاق القدره... بغض النظر عن كل ذلك نقول: إن اللازمه الضروريه لتعدّد الوجود هى الاختلاف، و حيث لا يوجد

ص: ٧

١ - ١) بعض المفسّرين قال: إن هذا الجزء من الآية يعنى أن هناك آلهه أخرى تحاول أن تقرب نفسها إلى الله. و هذا يعنى أن هذه الآلهه (الأصنام و غيرها) الوهميه عند ما لا تستطيع أن تقرب نفسها لله فكيف تستطيع أن تقربكم أنتم؟ و لكن سياق هذه الآية التى بعدها لا يتواءم مع هذا التفسير.

اختلاف بين وجودين إطلاقاً، فلا معنى لوجود التعدد!! (دقق جيداً).

و نظير هذا البحث ورد في الآية (٢٢) من سورة الأنبياء حيث قوله تعالى لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا . و منعاً للالتباس ينبغي أن نقول: هناك اختلاف بين الدليلين بالرغم من التشابه بينهما:

الأول يدل على فساد العالم و نظام الوجود بسبب تعدد الآلهة.

أما الثاني فيتحدث -بغض النظر عن النظم في عالم الوجود- عن حاله التنازع و التمانع التي سوف تقوم بين الآلهة المتعددة. (سوف نبحت هذه الأمور مفصلاً أثناء تفسير الآية (٢٢) من سورة الأنبياء).

و بما أن كلام المشركين و عباراتهم توحى بأنهم نزلوا في إدراكهم لله عزّ و جل إلى مستوى أن يكون طرفاً للتنازع، لذا فإنّ الآية تقول بعد ذلك مباشرة: سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

في الواقع إنّ هذا التعبير القرآني القصير، يوضح -من خلال أربعة تعابير- علو الكبرياء الإلهية و نزاهتها عن مثل هذه التخيلات، إذ تقول:

١- استخدام كلمه سُبْحَانَهُ بمعنى التنزيه للذات الإلهية.

٢- ثمّ تعبير وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ .

٣- ثمّ استخدام عُلُوًّا و هي مفعول مطلق يفيد التأكيد.

٤- أخيراً، جاءت كلمه كَبِيرًا للتأكيد مجدداً على معاني التنزيه و العلو.

و بعد ذلك فإنّ جملة عَمَّا يُقُولُونَ لها معنى واسع حيث أنّها تنفي كل أشكال التهم الباطله و لوازمها.

ثمّ لأجل إثبات عظمه الخالق و أنّه منزّه عن خيالات و اعتقادات و أوهام المشركين، تتحدث الآية التالية عن تسييح كائنات الوجود لذاته المقدسه إذ تقول: تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ . ثمّ تتطرق الآية إلى أنّ التسييح لا يقتصر على ما هو موجود في السماوات و الأرض، و إنّما ليس هناك

موجود إلا و يسبح و يحمد الله، و لكن لا تدركون تسيحهم: و إن من شئ إلا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسيحهم. و مع ذلك: إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا .

أى لا يؤاخذكم و لا يعاقبكم بسبب كفركم و شرككم مباشرة، و لكن يمهلكم بالقدر الكافى، و يفتح لكم أبواب التوبه و يتركها مفتوحه لإتمام الحجه.

بتعبير آخر: إنكم تملكون القدره على إدراك تسيح ذرات الوجود و الكائنات جميعا لله القادر المتعال، و تدركون وجوده عزّ و جلّ، و لكنكم مع ذلك تقصّرون، و الله سبحانه و تعالى لا يؤاخذكم مباشرة على هذا التقصير، و لا يجازيكم به فورا و لكن يعطيكم الفرصه الكافيه لمعرفة التوحيد و ترك الشرك.

### تسيح الكائنات:

تذكر الآيات القرآنيه المختلفه تسيح و حمد جميع موجودات عالم الوجود لله تعالى، و إن أكثر الآيات صراحه بهذا الخصوص هى الآيه التى نبحثها و التى تذكر لنا-بدون استثناء- أن جميع الموجودات فى العالم، الأرض و السماء، النجوم و الفضاء، الأناس و الحيوانات و أوراق الشجر، و حتى الذرات الصغيره، تشترك جميعا فى هذا التسيح و الحمد العام.

يبين القرآن الكريم أن عالم الوجود قطعه واحده من التسيح و الحمد، و أن كل موجود يؤدى هذا التسيح و يقوم به بشكل معين و يثنى على البارى عزّ و جلّ، و أن أزيز هذا التسيح و الحمد يملأ-عالم الوجود المترامى الأطراف، و لكن الجهلاء لا يستطيعون سماع هذا الأزيز، بعكس المستبصرين المتأملين و العلماء الذين أضاء الله قلوبهم و أرواحهم بنور الإيمان، فإن هؤلاء يسمعون هذا الصوت من جميع الجهات بشكل جيّد.

هناك كلام كثير بين العلماء و المفسّرين و الفلاسفه حول تفسير حقيقه هذا الحمد و التسيح، فبعضهم اعتبر الحمد و التسيح (حالا) و البعض الآخر (قولا)،



أما خلاصه أقوالهم فهي:

١- البعض يعتقد أنّ جميع ذرات الوجود في هذا العالم لها نوع من الإدراك و الشعور، سواء كانت هذه الموجودات عاقله أو غير عاقله. و هي تقوم بالتسييح و الحمد في نطاق عالمها الخاص، بالرغم من أننا لا نستطيع إدراك ذلك أو الإحساس بهذا الحمد و التسييح و سماعه. آيات كثيرة تؤكد هذا المعنى منها الآية رقم (٧٤) من سورة البقره واصفه الحجاره أو نوع منها: **وَإِنَّ مِنْهَا لَمَنْ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**. ثم قوله تعالى في الآية (١١) من سورة فصلت: **فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انثينا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**.

٢- الكثير يعتقد أنّ هذا التسييح و الحمد هو على شاكلة ما نسميه ب«لسان الحال» و هو حقيقي غير مجازي إلا أنه بلسان الحال و ليس بالقول. (تأمل ذلك).

و لتوضيح ذلك تقول: قد يحدث أن نشاهد آثار عدم الارتياح و الألم، و عدم النوم في وجه أو عيني شخص ما و نقول له: بالرغم من أنك لم تتحدث عن شيء من هذا القبيل، إلا- أن عينيك تقولان بأنك لم تنم الليلة الماضيه، و وجهك يؤكد بأنك غير مرتاح و متألم! و قد يكون لسان الحال من الوضوح بدرجه بحيث أنه يغطي على لسان القول لو حاول التستر عليها قولاً.

و هذا هو المعنى الذي صرح به

أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام بقوله:

«ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه و صفحات وجهه» (١).

من جانب آخر هل يمكن التصديق بأنّ لوحه فنيه جميله للغاية تدل على ذوق و مهاره رسامها، لا تمدحه أو تشني عليه؟ و هل يمكن انكار ثناء دواوين أشعار أساطين الشعر و الأدب و تمجيدها لقرائهم و اذواقهم الرفيعه؟ أو يمكن انكار أن بناء عظيم أو مصنعا كبيرا أو عقولا الكترونيه معقده أو أمثالها، أنّها تمدح صانعيها و مبتكريها بلسان حالها غير الناطق؟

ص: ١٠

لذا يجب التصديق و التسليم بأنّ عالم الوجود العجيب ذا الأسرار المتعدّده و العظمه الكبيره، و الجزئيات العديده المحيّره، يقوم بتسييح و حمد الخالق عزّ و جلّ، و إلاّ فهل «التسييح» سوى التنزيه عن جميع العيوب؟ فنظام عالم الوجود ناطق بأنّ خالقه ليس فيه أى نقص أو عيب:

ثم هل «الحمد» سوى بيان الصفات الكماليه؟ فنظام الخلق و الوجود كلّه يتحدث عن الصفات الكماليه للخالق و علمه و قدرته اللامتناهيه و حكمته الوسيعه.

خاصّه و أنّ تقدم العلوم البشريه و كشف بعض أسرار و خفايا هذا العالم الواسع، توضح هذا الحمد و التسييح العام بصوره أجلى. فاليوم مثلا أُلّف علماء النبات المؤلفات العديده عن أوراق الأشجار، و خلايا هذه الأوراق، و الطبقات السبع الداخلة فى تكوينها، و الجهاز التنفسى لها، و طريقه التغذية و سائر الأمور الأخرى التى تتصل بهذا العالم.

لذلك، فإنّ كل ورقه توحده الله ليلا- و نهارا، و ينتشر صوت تسييحها فى البساتين و الغابات، و فوق الجبال و فى الوديان، إلاّ أنّ الجهلاء لا يفقهون ذلك، و يعتبرونها جامده لا تنطق.

إنّ هذا المعنى للتسييح و الحمد السارى فى جميع الكائنات يمكن دركه تماما، و ليست هناك حاجه لأن نعتقد بوجود إدراك و شعور لكل ذرات الوجود، لأنّه لا- يوجد دليل قاطع على ذلك، و الآيات السابقه يحتمل أن يكون مقصودها التسييح و الحمد بلسان الحال.

### الجواب على سؤال:

يبقى سؤال واحد، و هو إذا كان الغرض من الحمد و التسييح هو تعبير نظام الكون عن نزاهه و عظمه و قدره الخالق عزّ و جلّ، و تبيان الصفات السليبه

و الثبوتيه، فلما ذا يقول القرآن: لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْبَعْضُ لَا يَفْقَهُهُ، فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ يَفْقَهُونَ وَيَعْلَمُونَ؟.

هناك جوابان على هذا السؤال هما:

الأول: إِنَّ الْآيَةَ تُوَجَّهُ خَطَابُهَا إِلَى الْأَكْثَرِيَةِ الْجَاهِلَةِ مِنْ عَمُومِ النَّاسِ، خُصُوصًا إِلَى الْمُشْرِكِينَ، حَيْثُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الْمُؤْمِنِينَ قَلَّةٌ وَ هُمْ مُسْتَثْنَوْنَ مِنْ هَذَا التَّعْمِيمِ، وَفَقًا لِقَاعِدِهِ مَا مِنْ عَامٍ إِلَّا وَ فِيهِ اسْتِثْنَاءٌ.

الثاني: هُوَ أَنَّ مَا نَعْلَمُهُ مِنْ أَسْرَارٍ وَ خَفَايَا الْعَالَمِ فِي مَقَابِلِ مَا لَا نَعْلَمُهُ كَالْقَطْرَةِ فِي قِبَالِ الْبَحْرِ، وَ كَالذَّرَّةِ فِي قِبَالِ الْجِبَلِ الْعَظِيمِ. وَ إِذَا فَكَّرْنَا بِشَكْلِ صَحِيحٍ فَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْمِيَ الَّذِي نَعْرِفُهُ بِأَنَّهُ (عِلْمٌ). إِنَّمَا فِي الْوَاقِعِ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْمَعَ تَسْبِيحَ وَ حَمْدَ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الْكُونِيَّةِ مَهْمَا أَوْتِينَا مِنَ الْعِلْمِ، لِأَنَّ مَا نَسْمَعُهُ هُوَ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ!! وَ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ تَسْتَطِيعُ الْآيَةُ أَنْ تَخَاطَبَ الْعَالَمَ بِأَجْمَعِهِ وَ تَقُولَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَ وَ حَمْدَ الْمَوْجُودَاتِ بِلِسَانِ حَالِهَا، أَمَّا الشَّيْءُ الَّذِي تَفْقَهُوه فَهُوَ لَا يَسَاوِي شَيْئًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا تَجْهَلُونَ.

٣- بعض المفسرين يحتمل أن الحمد و التسبيح هو تركيب من لسان:

«الحال» و «القول». و بعبارة أخرى: يعتقدون بأنه تسبيح تكويني و تشريعي، لأن أكثر البشر و كل الملائكة يحمدون الله عن إدراك و شعور؛ و كل ذرات الوجود تتحدث عن عظمه الخالق بلسان حالها. و بالرغم من أن هذين النوعين من الحمد و التسبيح مختلفين، إلا أنهما يشتركان في المفهوم الواسع لكلمتي الحمد و التسبيح.

و لكن التفسير الثاني -حسب الظاهر- أكثر قبولاً للنفس من التفسيرين الآخرين.

هناك تعابير لطيفه في هذا المجال وردت في أحاديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أهل البيت عليهم السلام، منها:

\*

□  
أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام يقول: سألت الإمام عن تفسير قوله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فقال عليه السلام: «كل شيء يسبح بحمده و إنما لئرى أن ينقض الجدار و هو تسبيحها» (١).

\*و

عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام قال: «نهى رسول الله أن توسم البهائم في وجوهها، و أن تضرب وجوهها لأنها تسبح بحمد ربّها» (٢).

\*و

عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «ما من طير يصاد في بر و لا بحر، و لا شيء يصاد من الوحش إلا بتضييعه التسبيح» (٣).

\* أمّا الإمام الباقر عليه السلام، فعند ما سمع يوماً صوت عصفور،

فقال لأبى حمزه الثمالى -و كان من خاصّه أصحابه-: «يسبحن ربهنّ عزّ و جلّ و يسألن قوت يومهن» (٤).

\*و

في حديث آخر نقرأ أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أتى إلى عائشه، و قال لها:

«اغسلى هذين الثوبين» فقالت: يا رسول الله، لقد غسلتهما أمس، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أمّا علمت أنّ الثوب يسبح فإذا اتسخ انقطع عن تسبيحه» (٥).

\*

في حديث آخر عن الإمام الصادق نقرأ قوله عليه السلام: «للدابه على صاحبها سته حقوق: لا يحملها فوق طاقتها، و لا يتخذ ظهرها مجلساً يتحدث عليها، و يبدأ بعلفها إذا نزل، و لا يسمها في وجهها، و لا يضربها فإنّها تسبح، و يعرض عليها الماء

ص: ١٣

١- ١) -نور الثقلين، المجلد الثالث، صفحہ (١٦٨).

٢- ٢) -نور الثقلين، المجلد الثالث، صفحہ (١٦٨).

٣-٣ - المصدر السابق.

٤-٤ - عن أبو نعيم الإصفهاني في حليه الأولياء (نقلا عن تفسير الميزان).

٥-٥ - المصدر السابق.

إذا مرّ بها» (١).

إنّ هذه المجموعه من الأحاديث و الروايات و التي لبعضها معانى دقيقه، تظهر أنّ التسييح العام للموجودات يشمل كل شىء بدون استثناء، و كل هذا يتطابق مع ما ذكرناه فى التفسير الثانى (أى إن التسييح هو تسييح تكوينى أو تسييح بلسان الحال).

أمّا ما قرأناه فى هذه الأحاديث من أنّ اللباس إذا توسخ ينقطع تسييحه، فهو كناية عن أنّ المخلوقات إذا كانت محافظه على نظافتها الطبيعیه فسوف تذكّر الإنسان بخالقه، أمّا إذا فقدت نظافتها الطبيعیه فسوف لا تقوم بالتذكير.

ص: ١٤

---

(١ - ١) - عن «الكافى» طبقاً لما ذكره صاحب الميزان.

إشاره

وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحِيدَهُ وَلَوْ أَعْلَمَ أَذْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧) أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨)

سبب النزول

تحدّث مجموعه من المفسّرين مثل الطبرسى في «مجمع البيان» و الفخر الرازى في «التفسير الكبير» و آخرون، في شأن نزول هذه الآيات، فقالوا: إنّها نزلت في مجموعه من المشركين كانوا يؤذون النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم بالليل إذا تلا القرآن و صلّى عند الكعبة، و كانوا يرمونه بالحجاره و يمنعونه عن دعوه الناس إلى الدين، فحال الله سبحانه بينه و بينهم حتى لا يؤذوه.

وقد احتمل الطبرسى أن يكون الله منع المشركين عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن طريق إلقاء الخوف والرعب فى قلوبهم (١).

أمّا الرازى فيقول فى ذلك: «إنّ هذه الآيه نزلت فى قوم كانوا يؤذون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا قرأ القرآن على الناس.

روى أنّه عليه الصلاه والسلام كان كلّما قرأ القرآن قام عن يمينه رجلاً و عن يساره آخران من ولد قصي يصفقون و يصفرون و يخلطون عليه بالأشعار».

ثمّ أضاف: «و روى عن ابن عباس، أنّ أبا سفيان و النضر بن الحرث و أبا جهل و غيرهم كانوا يجالسون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و يستمعون إلى حديثه، فقال النضر يوماً: ما أدري ما يقول محمد غير أنّى أرى شفّته تتحرك بشيء. و قال أبو سفيان: إنّى لأرى بعض ما يقوله حقاً، و قال أبو جهل: هو مجنون. و قال أبو لهب: هو كاهن. (!!!) و قال حويطب بن عبد العزى: هو شاعر، فنزلت الآيه أعلاه:

وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ...

(٢)

التفسير

أشاره

المغرورون و موانع المعرفة:

بعد الآيات السابقه قد يطرح الكثيرون هذا السؤال: رغم وضوح قضيه التوحيد بحيث أنّ جميع مخلوقات العالم تشهد بذلك؛ فلما ذا-أذن-لا-يقبل المشركون هذه الحقيقه و لا ينصاعون للآيات القرآنيه بالرغم من سماعهم لها؟ الآيات التى نبحتها يمكن أن تكون جوابا على هذا السؤال، إذ تقول الآيه الأولى فيها: وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّشْتُورًا. و هذا الحجاب و الساتر هو نفسه التعصّب و اللجاجه و الغرور

ص: ١٦

١-١) -مجمع البيان، المجلد الثالث، صفحہ ٤١٨.

٢-٢) -التفسير الكبير، المجلد ٢٠، صفحہ ٢٢٠-٢٢١.



و الجهل، حيث تقوم هذه الصفات بصد حقائق القرآن عن أفكارهم و عقولهم و لا تسمح لهم بدرك الحقائق الواضحة مثل التوحيد و المعاد و صدق الرسول في دعوته و غير ذلك.

و فيما يخص كلمه «مستور» هل أنّها صفة للحجاب، أو لشخص الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو للحقائق القرآنيه؟ فإنّ البحث عن ذلك سنشير إليه في البحوث.

و سنتناول في البحوث-أيضا- كيفيه نسبه الحجاب للخالق جَلَّ و علا.

أمّا الآيه التي بعدها فتقول: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا أَي أَنَّنَا غَطَّيْنَا قُلُوبَهُمْ بِأَسْتَارٍ لِكَيْ لَا يَفْهَمُوا مَعْنَاهُ، وَجَعَلْنَا فِي آذَانِهِمْ ثِقْلًا، لِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَيَّ آذَانَهُمْ نُفُورًا .

حقًا ما أعجب الهروب من الحق؛ الهرب من السعادة و النجاه، من النصر و الفهم! إنّ شبيه هذا المعنى نجده-أيضا- في الآيه (٥٠)- (٥١) من سوره المدثر:

كَانْتَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ أَي كالحمير الهاربه من الأسد.

ثمّ يضيف الله تبارك و تعالى مرّه أخرى: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ الْغَرَضَ مِنْ اسْتِمَاعِهِمْ لِكَلَامِكَ وَ حُضُورِهِمْ فِي مَجْلِسِكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوَى يَتَشَاوَرُونَ وَ يَتَنَاجَوْنَ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْجُورًا . إذ-في الحقيقة-إنهم لا-يأتون إليك من أجل سماع كلامك بقلوبهم و أرواحهم، بل هدفهم هو التخريب، و تصيّد الأخطاء (بزعمهم و دعواهم) حتى يحرفوا المؤمنين عن طريقهم إذا استطاعوا. و عادة يكون مثل هؤلاء الأشخاص و بمثل نواياهم، قلوبهم موصده، و في آذانهم وقر، لذلك لا يجالسون رجال الحق إلا لتحقيق أهداف شيطانيه.

الآيه الأخيره خطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و بالرغم من أنّ عباره الآيه قصيره، إلا أنّها كانت قاضيّه بالنسبه لهذه المجموعه حيث قالت: أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا . و الآيه لا تعنى أنّ الطريق غير واضح و الحق

خاف، بل على أبصارهم غشاوه، وقلوبهم مغلقة دون الاستجابة للحق، وعقولهم معطّلة عن الهدى بسبب الجهل و الحقد و التعصب و العناد.

بحوث

أشاره

## ١- خلاصه عامه للآيات

الآيات الآنفه ترسم لنا بدقه أحوال الضالين و الموانع التى تحول دون معرفتهم للهدى، و بشكل عام تقول الآيات: إنَّ ثمه ثلاثه موانع لمعرفة هؤلاء للحق، بالرغم من سهوله رؤيه طريق الحق، هذه الموانع هى:

أ- وجود الحجاب بينك و بينهم، و هذا الحجاب فى حقيقته إن هو إلا أحقادهم و حسدهم و بغضهم و العداوه التى يضمرونها نحوك، فهذا الحجاب بمكوناته هو الذى يمنعهم من النظر إلى شخصيتك الرساليه، أو أن يدركوا كلامك، حتى أن الحسنات تتحول فى نظرهم إلى سيئات.

ب- سيطره الجهل و التقليد الأعمى على قلوبهم بحيث أنهم غير مستعدين لسماع كلمه الحق من أى شخص كان.

ج- إنَّ حواس المعرفه لدى هؤلاء، كالأذن-مثلا- تنفر من كلام الحق، و تكون كأنها صمّاء، أمّا الكلام الباطل فإنهم يتذوقونه و يفرحون به، و ينفذ إلى أعماقهم بسرعه، خاصّه و أن التجربه أثبتت أن الإنسان إذا لم يكن راغبا بشىء فسوف لا يسمعه بسهوله. أمّا إذا كان راغبا فيه، فإنّه سيدركه بسرعه، و هذا يدل على أن الإحساسات الداخليه لها تأثيرها على الحواس الظاهره، بل و تستطيع أن تطبعها بالشكل الذى تريده.

أمّا نتيجته هذه الموانع الثلاثه فهى:

أولاً: الهروب من سماع الحق، خاص عند ما يكون الحديث عن وحدانيه الخالق، لأنّ هذه الوحدانيه تتناقض مع أصول اعتقادات المشركين.

ص: ١٨

ثانياً: اللجوء إلى توجيهات خاطئه لتبرير انحرافهم، حيث كانوا يصفون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتهم مختلفه كالساحر و الشاعر و المجنون. و بذلك تكون عاقبه كل أعداء الحق أنّ أعمالهم الرذيله تكون حجاباً لهم دون الحق و الهدى.

و هنا ينبغي القول بأنّ من يريد أن يسلك الصراط المستقيم و أن يأمن من الانحراف يجب عليه أولاً و قبل كل شيء إصلاح نفسه. يجب تطهير القلب من البغض و الحسد و العناد، و تطهير الروح من التكبر و الغرور، و بشكل عام تطهير النفس من جميع الصفات الرذيله، لأنّ القلب إذا تطهر من هذه الرذائل و أصبح نظيفاً نقيّاً، فسوف يدرك جميع الحقائق. لهذا السبب نرى أنّ الأميين و أصحاب القلوب النقيه يدركون الحقائق أسرع من العالم الذي لم يقدّم بتهديب نفسه.

## ٢- لماذا تنسب الحجب للخالق؟

الآيات تنسب الحجب إلى الخالق، حيث قوله تعالى: **وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**. كذلك هناك آيات قرآنيه أخرى بنفس المضمون. و هذه التعابير قد يستشم منها رائحه «الجبر» في حين أنها لم تكن سوى صدى لأعمالهم. و لكن هذه الحجب في الواقع -هي بسبب الذنوب و الصفات الرذيله لنفس الإنسان، و إن هي إلا آثار الأعمال. و نسبه هذه الأمور إلى الخالق يعود إلى أنّه سبحانه و تعالى هو الذي خلق خواص الأمور، فإنّ تلك الأعمال الرذيله و الصفات القبيحه لها هذه الخواص. و قد تحدّثنا عن هذه الفكره في البحوث السابقه مستفيدين من الشواهد القرآنيه الكثيره.

## ٣- ما معنى الحجاب المستور؟!

هناك آراء كثيره للمفسرين حول الحجاب المستور، منها:

أ- (مستور) صفه للحجاب، و نستفيد من ظاهر التعبير القرآني أنّ هذا

الحجاب مخفى عن الأنظار. و فى الواقع إنَّ حجاب الحقد و العداوه و الحسد لا يمكن رؤيته بالعين، لأنها فى نفس الوقت تضع حجاباً سميكاً بين الإنسان و الشخص الذى يقوم بحسده و الحقد عليه.

ب- البعض الآخر فسّر (مستور) بمعنى «الساتر» (لأنَّ اسم المفعول قد يأتى بمعنى الفاعل كما فسّر بعض المفسرين كلمه «مسحور» فى هذه الآيات بمعنى الساحر) (١).

ج- القسم الثالث من المفسرين اعتبر (مستور) وصفاً مجازياً، أى أنه لا يعنى أنَّ الحجاب مستور، بل إنَّ الحقائق الموجوده خلف هذا الحجاب هى المستوره (مثل شخصيه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم) و صدق دعوته و عظمه أحاديثه).

و عند التدقيق فى هذه التفاسير الثلاثة يظهر أنَّ التفسير الأول يتلائم أكثر مع ظاهر الآية.

و فى بعض الروايات نقرأ أنَّ أعداء الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كانوا يأتونه و هو مع أصحابه يتلو القرآن، إلاَّ أنَّهم لم يكونوا يرونه، و كأنَّ عظمه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم تمنعهم من رؤيته و معرفته، و بذلك يكون بعيداً عن أذاهم.

#### ٤- «أكنه» و «وقر» ماذا يعينان؟

(أكنه) جمع «كنان» و هى على وزن «لسان» و فى الأصل تعنى أى غطاء يمكن أن يستر شيئاً ما، أمّا «كن» على وزن «جن» فتعنى الوعاء الذى يمكن أن نحفظ فى داخله شيئاً ما. أمّا جمع «كن» فهو «أكنان» و قد توسع هذا المعنى ليشمل أى شىء يؤدى إلى التستر، كالأستار و البيت و الأجسام التى يتستر الإنسان خلفها.

ص: ٢٠

١- ١) - نقل عن الأ-خفش، أنَّ اسم المفعول قد يأتى فى بعض الأحيان بمعنى اسم الفاعل مثل ميمون بمعنى يامن، و مشئوم بمعنى شائم.

أما «وقر» على وزن «جبر» فتعنى ثقل السمع، و«وقر» على وزن «رزق» تعنى الحمل الثقيل.

#### ٥- تفسير جملة **بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ**

فى معنى هذه الجملة ذكر تفسيرين:

الأول: الذى يذهب إليه العلامة الطبرسى فى مجمع البيان، و الرازى فى التفسير الكبير، إذ قالاً بأنها تعنى «غرض الاستماع» يعنى نحن نعلم الغرض من استماعهم لك، فهو ليس لسماع الحق، بل للاستهزاء و إصاق التهم و تضليل الآخرين.

أما الثانى: (كما ذهب إليه العلامة الطباطبائى فى تفسير الميزان) فقد اعتبرها «وسيله الاستماع» بمعنى نحن نعلم بأى مسمع و أذن يستمعون إليك، و نعلم ما فى قلوبهم و نعلم نجواهم. (و يظهر أنّ التفسير الأول أقرب).

#### ٦- لماذا اتهموا النبى بأنه مسحور؟

إنّ اتّهام النبى العظيم صلّى الله عليه و آله و سلّم من قبل المشركين بأنّه (مسحور) لأنّهم أرادوا رميه بالجنون، و أنّ السحرة أثروا على عقله و فكره بحيث أصيب فى حواسه، و أخذ يظهر ما يظهر -العياذ بالله!! بعض المفسّرين احتملوا أن تكون كلمه (مسحور) بمعنى الساحر (لأنّه - كما أشرنا قبلا- فإنّ اسم المفعول قد يأتى فى بعض الأحيان بمعنى اسم الفاعل) و بهذا الأسلوب أرادوا إعطاء صفه السحر لكلام الرّسول حتى يحولوا دون تأثيره فى النفوس و القلوب. و هذا الاتهام بحدّ ذاته يعتبر اعترافا ضمنيا على مدى تأثير دعوه الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و أقواله على الناس.

## ٧- تخوف المشركين من نداء التوحيد

فى الآيات السابقة عرفنا كيف أنّ المشركين كانوا يتخوفون من نداء التوحيد و كانوا يفرون منه، لأنّ أساس حياتهم قائم على الشرك و عباده الأصنام، و كل النظم التى كانت تحكم مجتمعاتهم كانت تقوم على أساس قواعد الشرك و أصوله.

إذن، فالتوحيد لا ينسف عقائدهم المذهبية و حسب، بل يهدم نظامهم الاجتماعى و الاقتصادى و السياسى و الثقافى الذى يقوم على أساس الشرك.

فالحكومة مثلا ستكون بيد المستضعفين، و ستسقط حكمه المستكبرين، و سينتهى التقسيم الطبقي، و الاستغلال و غيرها من الظواهر السلبية التى تعتبر بأجمعها نتائج للأنظمة الكافرة. لذا فإنّ زعماء الشرك كانوا يحاولون -بقوه- ألا يصل صوت التوحيد إلى آذان الآخرين، و لكنهم -كما تشير الآيات القرآنية- كانوا يظلمون المستضعفين و كانوا يظلمون أنفسهم أيضا، لأنّ أى ظالم و منحرف إنّما يحفر قبره بيده.

و الطّريف أن القرآن يقول: إنّ هؤلاء المشركين، و لأجل تبرير فجورهم و استمرار كفرهم كانوا يسألون دوما عن موعد يوم القيامة متى تقوم: **بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَهُ أَمَامَهُ يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (١)** و هذه إشاره إلى تهربهم من تحمّل المسؤولية.

ص: ٢٢

إشاره

وَ قَالُوا أَ إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤْسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢)

التفسير

إشاره

حتميه البعث و يوم الحساب

الآيات السابقه تحدثت عن التوحيد و حاربت الشرك، أمّا الآيات التي نبحثها الآن فتتحدثت عن المعاد و الذي يعتبر مكملا للتوحيد.

لقد قلنا سابقا: إنّ أهم العقائد الإسلاميه تتمثل في الاعتقاد بالمبدأ و المعاد، و الإعتقاد بهذين الأصلين يربطان الإنسان عمليا و أخلاقيا، و يصدّانه عن الذنوب و يدعوانه لأداء مسؤولياته و يرشدانه إلى طريق التكامل.

الآيات التي نحن بصددھا أجابت على ثلاثه أسئله-أو شكوك- يثيرھا

منكر و المعاد، ففي البدايه تحكى الآيات على لسان المنكرين استفهامهم: قَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أإِنَّا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (١). يقول هؤلاء: هل يمكن أن تجتمع هذه العظام المتلاشيه الدائره المتناثره فى كل مكان؟ و هل يمكن أن تعاد لها الحياه مره أخرى؟! ثم أين هذه العظام النخره المتناثره فى كل حدب و صوب من هذا الإنسان الحى القوى العاقل؟ إن التعبير القرآنى فى هذه الآيه الكريمه يدل على أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يبين فى دعوته (المعاد الجسمانى) بعد موت الإنسان، إذ لو كان الكلام عن معاد الروح فقط، لم يكن ثمه سبب لإيراد مثل هذه الإشكالات من قبل المعارضين و المنكرين.

القرآن فى إجابته على هؤلاء يبين أن قضيه بعث عظام الإنسان سهله و ممكنه، بل و أكثر من ذلك، فحتى لو كنتم حجاره أو حديدا: قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا و حتى لو كنتم أشد من الحجر و الحديد و أبعد منهما من الحياه: أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَإِنَّ الْبَعْثَ سَيَكُونُ مَصِيرَكُمْ.

من الواضح أن العظام بعد أن تندثر و تتلاشى تتحول إلى تراب، و التراب فيه دائما آثار الحياه، إذ النباتات تنمو فى التربيه، و الأحياء تنمو فى التراب، و أصل خلقه الإنسان هى من التراب، و هذا كلام مختصر على أن التراب هو أساس الحياه.

أما الحجاره أو الحديد أو ما هو أكبر منهما تحدى به القرآن منكرى المعاد، فإن كل هذه أمور بينها و بين الحياه بون شاسع، إذ لا يمكن للنبات مثلا أن ينبت فى الحديد أو الصخور أما القرآن فيبين أن لا فرق عند الخالق جلّ و علا، من أى ماده كنتم، إذ أن عودتكم إلى الحياه بعد الموت تبقى ممكنه، بل و هى المصير الذى لا بدّ و أن تنتهون إليه.

ص: ٢٤



إن الأحجار تتلاشى و تتحول إلى تراب، و أصل الحياه ينبع من هذا التراب.

الحديد هو الآخر يتلاشى و يتفاعل مع باقى الموجودات على الكره الأرضيه ليدخل فى أصل مادتها و فى تركيبها الترابى الذى هو أيضا أصل الحياه الذى تنبع من داخله و من مادته الموجودات الحيه. و هكذا تحتوى جميع موجودات الكره الأرضيه بما فيها الإنسان، فى بنائها و تركيبها على خليط من الفلزات و اللافلزات. و هذا التحوّل و التغيّر فى حركه الموجودات، دليل على أنّ جميع مخلوقات عالم الوجود لها قابليه التحوّل إلى موجود حىّ باختلاف واحد يقع فى الدرجه و المرحله، إذ بعضها يكون فى مرتبه أقرب إلى الحياه مثل التراب، بينما بعضها الآخر يكون فى مرتبه أبعد مثل الحجاره و الحديد.

السؤال التشكيكى الآخر الذى يثيره منكر و المعاد هو: إذا سلّمنا بأنّ هذه العظام المنذرته المتلاشيه يمكن أن تعود إلى الحياه، فمن يستطيع أن يقوم بهذا الأمر؛ و من الذى له قدره القيام بهذه العمليه المعقّده للغاية؟ هذا السؤال تصوغه الآيه بالقول على لسان المنكرين: فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا الْقُرْآنَ يَجِيبُ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ حَيْثُ يَقُولُ: قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

إذا كان شككم فى (القابليه) فقد كنتم ترابا فى أول الأمر، فما المانع أن تصيرون ترابا، ثم يعيدكم مرّه أخرى إلى الحياه من نفس التراب؟! و إذا كان شككم فى (الفاعليه) فإنّ الخالق الذى خلقكم فى البدايه من تراب يستطيع مرّه أخرى أن يكرّر هذا العمل لأنّ: «حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز سواء».

بعد الانتهاء من الشك الأول و الثّانى الذى يطلقه المنكرون للمعاد، تنتقل الآيات إلى الشك الثّالث الذى تصوغه على لسانهم بهذا السؤال: فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتَى هُوَ .

«سينغضون» مشتقّه من ماده «انغاض» بمعنى مدّ الرأس نحو الطرف المقابل

بسبب التعجب.

ما يقصده هؤلاء من سؤالهم- فى الواقع- هو قولهم: لو اعترفنا بقدره الخالق على إعادته بعث الإنسان من التراب من جديد، فإنّ هذا يبقى مجرد وعد لا- ندرى متى يتحقق، إذا كان سيحصل هذا فى آلاف أو ملايين السنين القادمه فما تأثيره فى يومنا هذا... إنّ المهم أن نتحدّث عن الحاضر لا عن المستقبل!! و يجب القرآن بقوله: قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا إِنْ يَوْمَ الْمَعَادِ-طبعاً- قريب، لأنّ عمر العالم و الحياه على الأرض، مهما طال، فإنّها فى قبال الحياه الأبدية تعتبر لا شىء، إذ هى مجرد لحظات سريعه و عابره و سرعان ما تنتهى.

إضافه إلى ذلك، فإنّ القيامة إذا كانت فى تصوراتنا المحدوده بعيده فإنّ مقدمه القيامة و التى هى الموت، تعتبر قريبه منّا جميعاً، لأنّ الموت هو القيامة الصغرى (إذا مات الإنسان قامت قيامته)، صحيح أنّ الموت لا يمثل القيامة الكبرى، و لكنّه علامه عليها و مذكّر بها.

كما إنّ استخدام كلمه «عسى» فى الآيه الشريفه هو إشاره إلى أنّ لا أحد يعرف- و بدقه- متى تقوم القيامة؟ حتى شخص الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، و هذا الأمر هو من أسرار الكون و الخليفه التى لا يعلمها سوى الله تبارك و تعالى.

فى الآيه التى بعدها إشاره إلى بعض خصوصيات القيامة فى قوله تعالى:

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ

أى إن بعثكم يكون يوم يدعوكم من القبور فتمثلون لأمره طوعاً أو كرهاً، و الآيه- بالطبع- تتحدّث عن خصوصيه يوم القيامة لا عن موعد القيامة.

□  
فى ذلك اليوم ستظنون أنّكم لبثتم قليلاً- فى عالم ما بعد الموت (البرزخ) و هو قوله تعالى: وَ تَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا إِنَّ هَذَا الإحساس سيظغى على الإنسان فى يوم القيامة، و هو يظن أنّه لم يلبث فى عالم البرزخ إلا قليلاً، بالرغم من طول الفتره التى قضاها هناك، و هذه إشاره إلى أنّ حياه البرزخ لا تعتبر فى مدتها شيئاً

ص: ٢٦

فى قبال عالم الخلود الاخرى.

بعض المفسرين يحتمل أن الغرض من الآيه هو الإشاره إلى حياه الإنسان فى الدنيا، والمعنى أن الإنسان سيدرك فى يوم القيامة أن الحياه الدنيويه لم تكن إلا وقفه، أو يوم، بل و ساعات قصار سريعه الزوال فى مقابل الحياه الآخر الأبدية.

ص: ٢٧

اشاره

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ  
يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأُ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرَسْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (٥٤) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ  
النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (٥٥) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦)  
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)

التفسير

اشاره

التعامل المنطقي مع المعارضين:

الآيات السابقة عرضت لقضيه المبدأ و المعاد، أمّا الآيات التي نحن بصددھا فهي توضح أسلوب المحادثه و الاستدلال مع المعارضين و خصوصا المشركين،

لأنه مهما كان المذهب على المستوى، والمنطق قويا، فإن ذلك لا تأثير له ما دام لا يتزامن مع أسلوب صحيح للبحث و المجادله مرفقا بالمحبه بدلا من الخشونه.

لذا فإن أول آيه من هذه المجموعه تقول: وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .

الأحسن من حيث المحتوى و البيان، والأحسن من حيث التلازم بين الدليل و مكارم الأخلاق و الأساليب الإنسانيه، و لكن لماذا يستعمل هذا الأسلوب مع المعارضين؟ الجواب: إذا ترك الناس القول الأحسن و اتبعوا الخشونه في الكلام و المجادله ف إن الشيطان ينزغ بينهم و يثير بينهم الفتنة و الفساد، فلا تنسوا: إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا .

أما من هم (العباد) المقصودون في هذه الآيه؟ في صدد الجواب هناك رأيان مختلفان بين المفسرين، و كل رأى مدعم بالقرآئن التي تؤيده؛ هذان الرأيان هما:

أولاً: المقصود من (عبادي) هم عبيده المشركون، إذ بالرغم من أنهم سلكوا طريقا خاطئا، إلا أن الله تبارك و تعالى يناديهم (عبادي) و ذلك من أجل إثارة عواطفهم الإنسانيه، و يدعوهم إلى (القول الأحسن) و يعنى هنا كلمه التوحيد و ترك الشرك و مراقبه أنفسهم من وسواس الشيطان، و هكذا يكون الهدف من هذه الآيات -بعد ذكر أدله التوحيد و المعاد- هو النفوذ إلى قلوب المشركين حتى يستيقظ ذوى الاستعداد منهم.

الآيات التي تلى هذه الآيه -كما سيأتى- تناسب هذا المعنى، و كون هذه السوره مكيه يرجح هذا الرأى، إذ لم يكن الجهاد قد فرض بعد و كانت الدعوه بالمنطق و الأسلوب الحسن فقط هى المأمور بها.

ثانيا: كلمه (عبادي) خطاب للمؤمنين، حيث تعلمهم الآيه أسلوب النقاش مع الأعداء، فقد يحدث في بعض الأحيان أن يتعامل المؤمنون الجدد بخشونه مع

معارضى عقيدتهم و يقولون لهم بأنهم من أهل النار و العذاب، و أنهم ضالون، و يعتبرون أنفسهم من الناجين، قد يكون هذا الموقف سببا فى أن يقف المعارضون موقفا سلبيا إزاء دعوه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.

اضافه لذلك، فإنّ الاتهامات التى يطلقها المشركون ضدّ شخص رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و يتهمونه فيها بالسحر و الجنون و الكهانه و الشعر، قد تكون سببا فى أن يفقد المؤمنون السيطره على أنفسهم و يبدأوا بالتشاجر مع المشركين و يستخدموا الألفاظ الخشنه ضدّهم... القرآن يمنع المؤمنين من هذا العمل و يدعوهم إلى التزام اللين و التلطف بالكلام و اختيار أفضل الكلمات فى أسلوب التخاطب، حتى يأمنوا من إفساد الشيطان.

كلمه (بينهم) وفقا لهذا الرأى توضح أنّ الشيطان يحاول زرع الفساد بين المؤمنين و من يخالفهم؛ أو أنّه يحاول النفوذ إلى قلوب المؤمنين لإفسادها «ينزغ» مشتقه من «نزغ» و تعنى الدخول إلى عمل بيته الإفساد.

بملاحظه مجموع هذه القرائن يتبيّن لنا أنّ التفسير الثانى ينطبق مع ظاهر الآيه الكريمه أكثر من التفسير الأوّل، لأنّ كلمه (عبادى) فى القرآن تستخدم عادة لمخاطبه المؤمنين، إضافة إلى أنّ سبب نزول الآيه يؤيد هذا المعنى و يدعم هذا التفسير، إذ ينقل بعض المفسّرين أنّ المشركين كانوا يؤذون أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فى مكّه و يضيّقون عليهم، و فى أثناء ذلك كان بعضهم يأتى إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يستأذنه و يلح عليه فى مواجهه المشركين بالمثل (على الأقل الرد عليهم بألفاظ شديد تناسب ألفاظ المشركين) و البعض يطلب الإذن بالجهاد، و لكن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كان يبيّن لهم بأنّه لم يؤذن له بعد القيام بهذه الأعمال. و فى هذه الأثناء نزلت الآيات أعلاه تؤكّد بأن التكليف ما زال يتمثل فى استمرار الدعوه بالكلام، و المجادله باللطف و بالتى هى أحسن (1).

ص: ٣٠٠

---

١-١) - إلى هذا الرأى يذهب الشيخ الطبرسى فى مجمع البيان، و القرطبى فى تفسيره. يراجع تفسيرهما للآيه الكريمه.

الآيه التي بعدها تضيف: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمْ أَوْ إِنَّ يَشَاءُ يُعَذِّبْكُمْ. بناء على الرأيين السابقين فى تفسير من المخاطب فى تعبير (عبادى) فإن هذه الآيه أيضا- و تبعا لما سبق-تحتمل تفسيرين هما:

الأول: أيها المشركون؛ إن ربكم ذو رحمه واسع، و ذو عقاب اليم، و سيشملكم منهما ما يلائم أعمالكم، و لكن الأفضل أن تتوسلوا برحمته الواسع و تحذروا عذابه.

الثانى: لا تظنوا أيها المؤمنون بأنكم وحدكم الناجون، و أن غيركم سيكون مصيره النار، فالله أعلم بأعمالكم و نواياكم، و لو أراد عزّ و جلّ لأخذكم بذنوبكم، و لو شاء لشملمكم برحمته، ففكروا قليلا- فى أنفسكم و ليكن حكمكم على أنفسكم و الآخرين بالانصاف.

و فى آخر الآيه مواساة للرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم الذى كان يتأذى و يتألم من عدم إيمان المشركين، إذ يقول تعالى: وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا. إِنَّ مَسْئَلِيكَ-يا رسول الله-هى الإبلاغ الواضح، و الدعوه الحثيثه نحو الحق، فإذ آمنوا فهو الأفضل، أما إن لم يؤمنوا فسوف لن يصيبك ضرر، لأنك أنجزت مسئوليتك و قمت بواجبك.

و بالرغم من أن المخاطب فى الآيه هو الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، إلا أنّ من غير المستبعد أن يكون هدف الخطاب جميع المؤمنين. و هذا دليل آخر على التفسير الثانى للمعنى من خطاب (عبادى)، إذ يقول القرآن للمؤمنين: إنّ مسئوليتكم هى الدعوه سواء آمنوا أم لم يؤمنوا. لذا لا داعى لعدم ارتياحكم الذى قد يؤدى بكم إلى اتباع الخشونه مع غير المؤمنين، و الخروج بالتالى عن طريق التى هى أحسن، ممّا يؤدى إلى نزع الشيطان.

الآيه التّاليه ذهبت أكثر من الآيه السابقيه فى التعبير عن إحاطه الله تبارك و تعالى و علمه بأعمال و نيات عباده، فقالت: وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

. ثُمَّ أَضَافَتْ: وَ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا .

هذا التعبير القرآني جواب على أحد أسئلة المشركين و شكوكهم، حيث كانوا يقولون-بأسلوب استهزائي-لماذا انتخب الله للتبوه محمداً اليتيم، ثم ما الذي حصل حتى أصبح هذا اليتيم ليس نبياً و حسب، و إنما خاتم الأنبياء؟ القرآن يقول لهؤلاء: لا تعجبوا من ذلك، لأن الله عليم بقيمة كل إنسان، و هو سبحانه و تعالى ينتخب أنبياءه من بين عامه الناس، و يفضل بعضهم على بعض، إذ جعل أحدهم (خليل الله) و الآخر (كليم الله) و الثالث (روح الله)، أما نبينا فقد انتخبه بعنوان (حبيب الله). و باختصار: لقد فضل الله بعض النبيين على بعض لموازنين يعلمها هو و تختص بها حكمته جل و علا.

أما لماذا اختار تبارك و تعالى (داود) من بين جميع الأنبياء، و ذكر (الزبور) من دون الكتب السماوية الأخرى؟... قد يكون السبب ما يلي:

أولاً: يختص زبور داود عليه السلام من بين جميع كتب الأنبياء بأن جميعه على شكل مناجاه و دعاء، و ذكره هنا يتلائم أكثر مع موقع هذه الآيات و حديثها عن القول الحسن و الكلام الجميل.

ثانياً: في زبور داود إخبار عن حكمه الصالحين الذين هم ظاهراً أناس فقراء و يتامى. و هذا الإخبار يتناسب مع دعوه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و المؤمنين الذين يكونوا عادة في زمرة الفقراء، و هو رد على إشكال المشركين و أسألتهم و شكوكهم (١).

ثالثاً: بالرغم من أن داود عليه السلام كان له حكم عظيم و دوله كبيره و ملك واسع، إلا

١- ١) في كتاب مزامير داود (الزبور) و الذي بين أيدينا الآن، نقرأ في الزبور (٢٧): «لأن الشريرين سوف ينقطعون، أما المتوكلون على الله فسيرثون الأرض، و بعد مدّه سوف لا يكون هناك شريرين، أما الحكماء و الصالحون فسيرثون الأرض». و في المزمور في الجملة (٢٢) و (٢٩) نقرأ تعابير مشابهه. و هذا ينطبق مع ما جاء في القرآن الكريم في الآية (١٠٥) من سوره الأنبياء: وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ .



أنَّ الله سبحانه لم يجعل هذه الأمور سبباً لافتخاره، بل اعتبر كتاب الزبور فخراً، حتى يدرك المشركون أنَّ عظمه الإنسان، ليس لها علاقة بالمال و الثروة و وجود الحكومه و السلطه، كما أنَّ اليتيم و الفقر ليس مدعاه للذل أو دليلاً على الحقاره.

رابعاً: بعض اليهود قالوا: لا يمكن نزول كتاب سماوى آخر بعد موسى عليه السلام، و القرآن يقول لهم: إِنَّا أُعْطِينَا دَاوُدَ زَبُورًا، فلما ذا تتعجبون من نزول القرآن؟ (بالطبع كتاب داود كان كتاباً للأخلاق و ليس للأحكام، و لكنّه نزل من الله سبحانه و تعالى بعد التوراه).

فى كل الأحوال، ليس هناك من مانع أن تكون النقاط الأربع أعلاه سبباً لانتخاب داود و زبوره من بين جميع الأنبياء، و جميع الكتب السماويه.

الآيه التى تليها تستمر فى اتجاه الآيات السابقه، إذ تقول للرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أن يخاطب المشركين بقوله تعالى: قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لَا تَحْوِيلاً .

إنّ هذه الآيه- فى الحقيقة، كما فى آيات أخرى كثيره- تبطل منطق المشركين و تضرب، صميم عقيدتهم من هذا الطريق، و هو أنّ عباده الآلهه من دون الله، إمّا بسبب جلب المنفعه أو دفع الضرر، فى حين أنّ الآلهه التى يعبدونها ليس لها القدره على حل مشكله معينه أو حتى تحريكها؛ أى نقل المشكله من مستوى معين إلى مستوى أقل.

لذا فإنّ ذكر جملة وَ لَا تَحْوِيلاً بعد قوله فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ هَؤُلَاءَ لَيْسَتْ لَهُمُ الْقُدْرَةُ لِلتَّأْثِيرِ الْكَامِلِ فِي حَلِّ الْمَشَاكِلِ بِشَكْلِ نَهَائِيٍّ، و لا القدره للتأثير الناقص فى تغيير هذه المشاكل و حلّها بشكل جزئى.

«زعمتم» مأخوذه من «زعم» و هى عاده ما تعنى المعنى الناقص، لذا نقل عن ابن عباس أنّه متى ما جاءت كلمه (زعم) فى القرآن فإنّها تعنى الكذب و العقائد الباطله.

أما الراغب الأصفهاني في كتاب المفردات فيقول: «الزعم حكاية قول يكون مظهره للكذب». لذا فإن هذه الكلمة وردت مذمومه في جميع الموارد التي ذكرت في القرآن الكريم.

أما كلمة (كشف) ففي الأصل تعني إبعاد الستار أو اللباس أو ما شابهه عن شيء معين. وإذا استخدمت في تعبير (كشف الضر) فتعني إبعاد الحزن و الغم و المرض؛ و السبب في ذلك أنّ هذه الأمور تعتبر كالستار التي يغطي وجه الإنسان و جسمه، إذ تغطي الوجه الحقيقي الذي هو عبارته عن السلامة و الراحة و الهدوء، لذلك فإنّ إزالة هذا الغم و الحزن يعتبر (كشفاً للضر).

من الضروري أيضا الالتفات هنا إلى ملاحظته مهمّة هي أنّ استخدام تعبير «الذين» في هذه الآية لا يشمل جميع المعبودات التي يشركها الإنسان مع الله (كالأصنام و غيرها) بل يشمل الملائكة و المسيح و أمثالهم، لأنّ (الذين) في اللغة العربية هي اسم إشارة يستخدم عادة للعاقل.

بعد ذلك تؤكد الآية التالية على ما ذكرناه في الآية السابقة، فتقول: هل تعلمون لماذا لا يستطيع الذين تدعونهم من دون الله أن يحلّوا مشاكلكم، أو أن يجيبوا لكم طلباتكم بدون إذن الله سبحانه و تعالى؟ الآية تجيب على ذلك بأنّ هؤلاء أنفسهم يذهبون إلى بيت الله، و يلجأون للتقرب من الذات الإلهية المقدّسه لقضاء حوائجهم و حل مشاكلهم و تحقيق ما يريدونه: **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا.**

في تفسير قوله تعالى **أَيُّهُمْ أَقْرَبُ** لمفسري القرآن العظيم آراء مختلفة في ذلك، نحاول استعراضها فيما يلي:

ذهب بعض كبار مفسري الإسلام إلى: أنّ التعبير القرآني يشير إلى أنّ أولياء الله يذهبون إلى الملائكة و الأنبياء (الذين يعبدهم المشركون من دون الله)، أيهم

أقرب إلى الله فيقربون إليه أكثر. وهؤلاء لا يملكون شيئاً من عندهم، بل كل ما يملكونه هو من الله، وكلما يرتفعون في المقام تزداد طاعتهم وعبوديتهم (١).

البعض الآخر من المفسرين يعتقد بأن مفهوم التعبير القرآني هو أنهم يحاولون التسابق في التقرب من الخالق، ففي طريق طاعه الله والتقرب من ذاته المقدسه اشترك هؤلاء في مسابقه معنويه، حيث يحاول كل واحد منهم أن يتقدم على الآخر في الميدان.

والآيه-بعد ذلك- تقول:الذين يتصفون بهذه الصفات هل يمكن عبادتهم من دون الله، و هل هم مستقلون (٢)؟ أما التفسير الذى يقول:إنهم يسلكون أى وسيله تقربهم من الله، فاحتماله بعيد جداً، لأن ضمير(هم) فى «أيهم» و الذى يستخدم لجمع المذكر، لا يتلائم مع هذا المعنى، بل كان يجب أن يكون «أيها» ليستقيم الرأى و بالإضافة إلى ذلك فإن جملة أيهم أقرب تقع على شكل مبتدأ و خبر، فى حين أنها وفقاً لهذا المعنى يجب أن تكون على شكل مفعول أو بدلا عن المفعول.

### ما هى الوسيله؟

هذه الكلمه استخدمت فى موضعين فى القرآن الكريم،الموضع الأول فى هذه الآيه، و الآخر فى الآيه (٣٥) من سوره المائده فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَاجْهَدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. و قد قلنا هناك: إن (الوسيله) تعنى (التقرب) أو الشئ الذى يبعث على التقرب (أو النتيجة التى يمكن الحصول عليها من التقرب).

ص: ٣٥

١- ١) - وفقاً لهذا التفسير تكون «أيهم» بدل من ضمير «يبتغون»، أو مبتدأ لخبر محذوف، و فى التقدير تكون الآيه: أَيُّهُمْ أَقْرَبُ أَيُّهُمْ أكثر دعاء و ابتغاء للوسيله.

٢- ٢) - فى هذه الحاله «أيهم» من حيث التركيب النحوى يمكن أن تكون-فقط- بدلا من ضمير (يبتغون).

على هذا الأساس فإنّ هناك مفهومًا واسعًا جدًا لكلمه (الوسيله) يشمل كل عمل جميل و لائق، و تدخل في مفهومها كل صفه بارزه أخرى، لأنّ كل هذه الأمور تكون سببا في التقرب من الله.

و نقرأ

في الكلمات الحكيمه للإمام على عليه السّلام في الخطبه (١١٠) من نهج البلاغه قوله عليه السّلام: «إنّ أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه و تعالى، الإيمان به و برسوله، و الجهاد في سبيله، و أقام الصلاه، و إيتاء الزكاه، و صوم شهر رمضان، و حج البيت و اعتماره، و وصله الرحم، و صدقه السر، و صدقه العلانيه، و صنائع المعروف فإنّها تقى مصارع الهوان» (١).

شفاعه الأنبياء و الصالحين و المقربين التي تكون مقبوله في حضره الله تبارك و تعالى، كما تصرّح بذلك الآيات القرآنيه، تعتبر أيضا من وسائل التقرب.

و ينبغي هنا عدم التباس الأمور، إذ أنّ التوسل بالمقربين من الله تعالى لا يعنى أنّ الإنسان يريد شيئا من النّبي أو الإمام بشكل مستقل، أو أنّهم يقومون بحل مشاكله بشكل مستقل عن الله، بل الهدف هو أن يضع الإنسان نفسه في خطّهم و يطبق برامجهم، ثم يطلب من الله بحقهم، حتى يعطى الله إذن الشفاعة لهم. (لمزيد من التفاصيل يراجع التفسير الأمثل، الآيه (٥٣) من سوره المائده).

ص: ٣٦

---

١-١) -ملخص من الخطبه (١١٠) من نهج البلاغه. و قد شرحنا هذه الخطبه في تفسيرنا هذا، ذيل الآيه (١٣) من سوره المائده.

إشاره

وَإِنْ مِنْ قَوْمٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩) وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ الْأَخِاطُ بِالنَّاسِ وَالْمَاجِدُونَ الرَّؤُوبَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)

التفسير

بعد أن تحدثت الآيات السابقة مع المشركين في قضايا التوحيد و المعاد، تبدأ أول آية من هذه الآيات بكلام على شكل نصيحة لتوعيتهم، حيث تجسّم هذه الآيه النهائيه الفانيه لهذه الدنيا أمام عقولهم حتى يعرفوا أن هذه الدنيا دار زوال و أن البقاء الأبدى فى مكان آخر، لذلك ما عليهم إلا تهيئه أنفسهم لمواجهه نتائج أعمالهم، حيث تقول الآيه: وَإِنْ مِنْ قَوْمٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ

فالطغاه و الظالمون نبيدهم بواسطه العذاب، أما الآخرون فيهلكون بالموت أو الحوادث الطبيعیه.

و أخيراً، فإنّ هذه الدنيا زائله و الكل يسلك طريق الفناء كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا. و الكتاب هنا هو نفس اللوح المحفوظ و هو العلم اللامتناهی للخالق جلا و علا، و مجموعه القوانين الإلهیه التي لا يمكن التخلف عنها في عالم الوجود هذا.

و نظرا لهذا القانون الحتمی الذي لا يمكن تغييره يجب على المشركين و الظالمين و المنحرفين-من الآن-أن يحاسبوا أنفسهم لأنهم حتى لو بقوا أحياء حتى نهايه هذه الدنيا، فإنّ عاقبتهم ستكون الفناء ثم الحساب و الجزاء.

و هنا قد يقول المشركون: نحن لا-مانع لدينا من الإيمان و لكن بشرط أن يقوم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بجميع المعجزات التي نقتربها عليه، أي أن يستسلم لحججنا.

القرآن يجب أمثال هؤلاء بقوله تعالى: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ .

الآيه تشير إلى أنّ الله تبارك أرسل معجزات كثيره و كافيه لدلاله على صدق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أمّا ما تقترحونه من معجزات فهي غير مقبوله، لأنكم بعد وقوعها و مشاهدتها سوف لا-تؤمنون، بدليل أنّ الأمم السابقيه و التي كانت أوضاعها و حالاتها مماثله لأوضاعكم و حالاتكم، اقترحت نفس الاقتراحات ثم لم تؤمن بعد ذلك.

تشير الآيه بعد ذلك إلى نموذج واضح لهذه الحاله فتقول: وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً لَقَدْ طَلَبَ قَوْمٌ صَالِحٍ النَّاقَةَ فَأَخْرَجَهَا اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْجَبَلِ، و أجيب بذلك المعجزه التي طلبوها، و قد كانت معجزه واضحه و موضّحه! و لكن بالرغم من كل ذلك فَظَلَّمُوا بِهَا .

و عاده فإنه ليس من مقتضيات البرنامج الإلهي أن يستجيب لأى معجزه يقترحها إنسان، أو أن ينصاع إلى تنفيذها الرسول، ولكن الهدف هو: وَمَا نُزِّلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا . إِنَّ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ لَيُسَوُّونَ خَارِقِي الْعَادَةِ حَتَّى يَجْلِسُوا وَيَنْفَعُوا أَى اقترح عليهم و إنما مسئوليتهم إبلاغ دعوه الله و التعليم و الترييه و إقامة الحكومه العادله، إلا أنهم يظهرن المعجزات من أجل إثبات علاقتهم بالخالق جل و علا، و بالقدر الذى يناسب هذا الإثبات ليس أكثر.

ثم يواسى الله تبارك و تعالى نبيه صلى الله عليه و آله و سلم فى مقابل عناد المشركين و إلحاحهم بالباطل، إذ يبين له أن ليس هذا بالشىء الجديد: وَإِذْ قُلْنَا لِمَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحْسَبُ النَّاسِ . ففى قبال دعوه الأنبياء عليهم السلام هناك دائما مجموعه مؤمنه نظيفه القلب نقيه السريره، صافيه الفطره، فى مقابل مجموعه أخرى معانده مكابره لجوجه تتحجج و تجد لنفسها المعاذير فى معاداه الدعوات و إيذاء الأنبياء. و هكذا يتشابه الحال بين الأمس و اليوم.

ثم يضيف تعالى: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَامْتِحَانًا لَهُمْ، وكذلك الشجره الملعونه هى أيضا امتحان و فتنه للناس: وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ .

فيما يخص المقصود من (الرؤيا) و(الشجره الملعونه) فسنبحث ذلك فى مجموعه الملاحظات التى ستأتى بعد قليل إن شاء الله.

و فى الختام يأتى قوله تعالى: وَ نُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا .

لماذا؟ لأنه ما دام قلب الإنسان غير مستعد لقبول الحق و التسليم له، فإن الكلام ليس لا- يؤثر فيه و حسب، بل إن له آثارا معكوسه، حيث يزيد فى ضلال هؤلاء و عنادهم بسبب تعصبهم و مقاومتهم السليبيه و انغلاق نفوسهم عن الحق. (تأمل ذلك).

## ١- رؤيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم والشجرة الملعونه

كثرت الكلام بين المفسرين عن المقصود بالرؤيا ونجمل هذه الأقوال بما يلي:

أ: بعض المفسرين قالوا: إن هذه الرؤيا لا تعنى رؤيا المنام، بل تعنى المشاهده الحيه الحقيقيه للعين، ويعتبرونها (أى الرؤيا) إشارة إلى قصه المعراج التي ورد ذكرها في بدايه هذه السوره.

فالقرآن ووفقا لهذا التفسير يقول: إن حادثه المعراج هي بمثابة اختبار للناس، لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما إن شرع بذكر قصه المعراج والإخبار عنها، حتى ارتفعت أصوات الناس، بأراء مختلفه حولها، فالأعداء استهزؤا بها، و ضعيفو الإيمان نظروا إليها بشيء من التردد والشك، أما المؤمنون الحقيقيون فقد صدقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخبر، واعتقدوا بالمعراج بشكل كامل، لأن مثل هذه الأمور تعتبر بسيطه في مقابل القدره المطلقه للخالق جلّ و علا.

الملاحظه الوحيده التي يمكن درجها على هذا التفسير، هي أنّ الرؤيا عاده ما تطلق على رؤيا المنام، لا الرؤيا في اليقظه.

ب: نقل عن ابن عباس، أنّ المقصود بالرؤيا، هي الرؤيا التي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السنه السادسه من الهجره المباركه (أى عام الحديبيه) في المدينه، و بشرّ بها الناس أنّهم سينتصرون على قريش قريبا و سيدخلون المسجد الحرام آمنين.

و من المعلوم أنّ هذه الرؤيا لم تتحقق في تلك السنه، بل تحققت بعد سنتين أى في عام فتح مكّه. و هذا المقدار من التأخير جعل أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقعون في بوتقه الاختبار، إذ أصيب ضعيفو الإيمان بالشك و الريبه من رؤيا الرسول و قوله، في حين أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين لهم -بصراحه- بأننى لم أقل لكم



بأننا سنذهب إلى مكة هذا العام، بل في المستقبل القريب. (و هذا ما حصل بالفعل).

الاعتراض الذي يمكن أن يرد على هذا التفسير، هو أنّ سورة بنى إسرائيل من السور المكيه، بينما حادثه الحديبيه وقعت في العام السادس للهجره المباركه!! ج:مجموعه من المفسرين الشيعة و السنه، نقلوا أنّ هذه الرؤيا إشاره للحادثه المعروفه و التي رأى فيها النبي صلى الله عليه و آله و سلم في المنام أن عددا من القروود تصعد منبره و تنزل منه (تنزو على منبره صلى الله عليه و آله و سلم)، و قد حزن صلى الله عليه و آله و سلم كثيرا لهذا الأمر بحيث لم ير ضاحكا من بعدها إلا قليلا (و قد تمّ تفسير هذه القروود التي تنزو على منبر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بنى أميه الذين جلسوا مكان النبي صلى الله عليه و آله و سلم الواحد تلو الآخر، يقلّد بعضهم بعضا، و كانوا ممسوخى الشخصيه، و قد جلبوا الفساد للحكومه الإسلاميه، و خلافه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم).

و نقل هذه الروايه (الفخر الرازى) في التفسير الكبير، و (القرطبي) في تفسيره الجامع و (الطبرسى) في مجمع البيان، و غيرهم.

و يقول الفيض الكاشانى في تفسير الصافى، بأنّ هذه الروايه من الروايات المعروفه في أوساط العامه و الخاصه.

ثمّه إشاره نلاحظ فيها، إنّ التفاسير الثلاثه هذه في «الرؤيا» من الممكن أن تشترك جميعا في تفسير الآيه، و لكن التفسير الثانى كما أشرنا- لا ينطبق مع مكيه السوره. و بالنسبه للمقصود من الشجره الملعونه فقد واجهتنا أيضا مجموعه من التفاسير التي يمكن أن نجمل القول بها في الآراء الآتيه:

أ: الشجره الملعونه التي ورد ذكرها في القرآن هي (شجره الزقوم) و هي الشجره التي تنمو في الجحيم طبقا للآيه (٦٤) من سوره الصافات في قوله تعالى إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ و لهذه الشجره طعم مج و مؤذ، و ثمارها طعام

للمذنبين طبقا للآيات ٤٣-٤٦ من سورة الدخان إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ، طَعَامُ الْأَثِيمِ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ و طعامها ليس كطعام الدنيا بل يشبه المعدن المذاب بالحراره و الذى يغلى فى الأحشاء. و سيرد تفسيرها بشكل كامل فى تفسير الآيات من سورة الدخان إن شاء الله.

إن شجرة الزقوم- بدون شك- لا تشبه أشجار الدنيا أبدا، و لهذا السبب فإنها تنمو فى النار، و طبيعى أننا لا ندرك هذه الأمور المتعلقة بالعالم الآخر إلا على شكل أشباح و تصورات ذهنيه.

لقد استهزأ المشركون بهذه التعابير و الأوصاف القرآنيه بسبب من جهلهم و عدم معرفتهم و عنادهم، فأبو جهل- مثلا- كان يقول: إن محمدا يهددكم بنار تحرق الأحجار، ثم يقول بعد ذلك بأن فى النار أشجارا تنمو! و ينقل عن أبى جهل- أيضا- أنه كان يهيب التمر و السمن و يأكل منه ثم يقول لأصحابه: كلوا من هذا فإنه الزقوم. (نقلا عن روح المعانى فى تفسير الآيه).

لهذا السبب فإن القرآن يعتبر الشجره الملعونه فى الآيات التى نبحتها، و سيله لاختبار الناس، إذ كان المشركون يستهزئون بها، بينما استيقنها المؤمنون الحقيقون الذين كانوا يؤمنون بها.

و يمكن أن يطرح على هذا التفسير السؤال الآتى: إن شجرة الزقوم لم تطرح فى القرآن بعنوان الشجره الملعونه؟ فى الإجابة على ذلك نقول: يمكن أن يكون المقصود هو اللعن آكلها.

بالإضافه إلى ذلك إنه ما من شىء بعد رحمه الله سوى اللعن، و طبيعى جدا أن مثل هذه الشجره بعيده جدا عن رحمه الله.

ب: الشجره الملعونه، هم اليهود البغاه، إذ أنهم يشبهون الشجره ذات الفروع و الأوراق الكثيره، و لكنهم مطرودون من مقام الرحمه الإلهيه.

ج: جاء فى الكثير من تفاسير الشيعه و السنه أن الشجره الملعونه هم بنو

ينقل الفخر الرازي في تفسيره روايه في هذا المجال عن ابن عباس الذي أدرك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و اشتهر في التاريخ الإسلامي بكونه مفسرا للقرآن الكريم.

هذا التفسير يتلاءم من جهة مع الروايه التي ذكرناها أعلاه بخصوص رؤيا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو أيضا يتلاءم مع الحديث المنقول عن عائشه و التي التفتت فيه إلى مروان و قالت له: «لعن الله أباك و أنت في صلبه، فأنت بعض من لعنه الله» (١).

و لكن مرّه أخرى يطرح هذا السؤال: في أي مكان من القرآن تمّ لعن بنى أميه باعتبارهم الشجره الخبيثه؟ في الجواب نقول: لقد تمّ ذلك في الآية (٢٦) من سوره إبراهيم عند الحديث عن الشجره الخبيثه وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ لَمَّا رُزِقَ مِنْهَا فَبَاقِوهُ فَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهَا لَأَنْجُسٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. و ذلك للمفهوم الواسع للشجره الخبيثه، و لما ورد من روايات في تفسيرها بأنّ المقصود منها هم بنو أميه، ثمّ إنّ (الخبيثه) تقترن من حيث المعنى ب (الملعونه) (٢).

و جدير بالذكر هنا، أنّ الكثير من هذه التفسيرات أو كلها لا تتعارض فيما بينها، و من الممكن أن تكون (الشجره الملعونه) في القرآن إشاره إلى أي مجموعه منافقه و خبيثه و مطروده من رحمه الله تعالى و مقام الربوبيه، خصوصا تلك المجاميع مثل بنى أميه و اليهود قساه القلب، و المعاندين و كل الذين يسرون على خطاهم. و شجره الزقوم في القيامه تمثل الأشجار الخبيثه في العالم الآخر، و كل هذه الأشجار الخبيثه (المجاميع المعنيه) هي لاختبار و تمحيص المؤمنين الصادقين في الحياه الدنيا.

إنّ اليهود الذين سيطروا اليوم-زورا و غصبا- على المقدسات الإسلاميه

١-١) -تفسير القرطبي، المجلد السادس، ص ٣٩٠٢؛ و تفسير الفخر الرازي، المجلد ٢٠، ص ٢٣٧.

٢-٢) -يراجع تفسير نور الثقلين، المجلد الثاني، ص ٥٣٨.

و الذين يشعلون نار الفتنة و الحرب فى كل زاويه من زوايا العالم، و يفتعلون العديد من الجرائم و المظالم بحق الشعوب، إضافة إلى المنافقين الذين يتعاملون معهم تعاملًا سياسيًا و غير سياسيًا، و كذلك كل المتسلطين الذين يسيرون على خطى بنى أمية فى البلاد الإسلامية، و يقفون ضد الإسلام، و يبعدون المخلصين و المؤمنين من حركة المجتمع، و يقومون بتسليط المجرمين و الخبثاء على رقاب الناس، و يقتلون أهل الحق و المجاهدين، و يفتحون المجال لبقايا الجاهلية فى استلام الأمور و التحكم بالمقدرات... إن هؤلاء جميعًا هم فروع و أغصان و أوراق هذه الشجرة الخبيثة المعلونه، و هم علامات اختبار و مواقع امتحان للمؤمنين و لعامة الناس فى هذه الحياه الدنيا.

## ٢- أَعْذَارُ مَنْكِرِ الْإِعْجَازِ

إنَّ بعضَ الجهله و الغافلين فى عصرنا الحاضر، يقولون: إنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لم تكن لديه من معجزه سوى القرآن الكريم، و يقدمون مختلف الحجج من أجل إثبات أقوالهم و دعاواهم، و ممَّا يحتجون به قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ ﴾ حيث يعتبرونها دليلًا على أنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لم يأت بمعجزه، بخلاف باقى الأنبياء السابقين.

و لكن العجيب فى أمر هؤلاء أنَّهم التزموا بأول الآيه و تركوا آخرها، حيث تقول نهايه الآيه ﴿ مَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ هذا التعبير القرآنى يوضح أنَّ المعجزات تقع على نوعين:

القسم الأول: المعجزات التى لها ضروره لإثبات صدق دعوه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و تشوق المؤمنين، و تخوف المنكرين للنبوه.

القسم الثانى: المعجزات التى لها جانب اقتراحى، أى إنَّها تصدر من اقتراحات المعاندين و تنطلق من أمزجه ذوى الأعدار، و فى تاريخ الأنبياء

نماذج عديده لهذه المعجزات،التي وقع بعضها فعلا-إلا- أنّ المنكرين و الذين سبق لهم اقتراح هذه المعجزات كشرط لإيمانهم،بقوا على إنكارهم و لم يؤمنوا بعد وقوع المعجزه،لذلك أصيبوا بالبلاء و العذاب الإلهي.(لأنه وقعت المعجزه المقترحه و لم يؤمن بها من اقترحها و طلبها فإنه سيستحق العقاب الإلهي السريع).

بناء على ذلك،فما نشاهده فى الآيه أعلاه و التى تخص الرسول صلى الله عليه و آله و سلم إنما هى نفي للنوع الثانى من المعجزات،و ليس للنوع الأول،الذى يعتبر ملازما للنبوه و ضروريا لها.

صحيح أنّ القرآن يعتبر لوحده معجزه خالده،و يمكنه لوحده اثبات دعوى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم (إذا لم تكن معه معجزه أخرى)،و لكن-بدون شك-فإنّ القرآن يعتبر معجزه معنويه،و هو أفضل شاهد بالنسبه لأهل الفكر،و لكن لا يمكن إنكار أهميه أن تكون مع هذه المعجزه،معجزات ماديه محسوسه بالنسبه للأفراد العاديين و عموم الناس،خاصه و أنّ القرآن يتحدث مرارا عن مثل هذه المعجزات التى وقعت للأنبياء السابقين،و هذا الحديث يعتبر-بحد ذاته-سببا فى أن يطالب الناس رسول الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم بتقديم المعجزات التى تقع على منوال معجزات الأنبياء السابقين،خصوصا و أنّ الناس كانوا يقولون لرسول الإسلام:كيف تدعى بأنك أفضل الأنبياء و خاتمهم و لا تستطيع أن تقدم لنا أصغر معجزه من معجزاتهم.(!!!)؟ إنّ أفضل جواب لهذا التساؤل هو مجيء رسول الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم بنماذج من معجزات الأنبياء السابقين،و التواريخ الإسلاميه المتواتره تؤكّد بأنّ الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قد جاء بمثل هذه المعجزات.

ففى القرآن تواجهنا نماذج لهذه المعجزات،مثل التنبؤ بحوادث مختلفه،أو نصره الملائكه لجيش الإسلام على الأعداء،و أمور خارقه أخرى لا سيما ما كان يقع فى الحروب الإسلاميه.

قد يطرح أحيانا هذا السؤال حيث يبين القرآن- فى الآيات أعلاه- أنّ السابقين اقترحوا معجزات معيّنه ثمّ لم يؤمنوا بعد وقوعها، بل استمروا فى تكذيبهم و إنكارهم و عنادهم، لذا فقد أصبح هذا سببا لعدم إجابته مقترحاتكم.

و السؤال هنا: هل أنّ تكذيب السابقين يكون سببا لحرمان الأجيال اللاحقه، أى كيف يؤخذ هؤلاء بجريره أولئك؟ الجواب على هذا السؤال واضح من خلال ما ذكرناه أعلاه، حيث يسود هذا التعبير و يروج فى أوساطنا، إذ نقول- مثلا- لأحدكم: لا نستطيع أن نسلم بحججك، فإذا سأل الطرف الآخر: لماذا؟ فإننا نقول له: إنّ هناك سوابق كثيره لهذا العمل، فهناك من قدّم اقتراحات إلا أنّهم لم يستسلموا للحق لما جاءهم، لذا فإنّ وضعكم و ظروفكم تشابه أولئك. إضافة لذلك، فإنّكم توافقون أولئك الأقوام على أساليبهم، بل و تدعمونها، و أثبتتم عمليا أنّكم لا ترغبون فى البحث عن الحق و الحقيقه، بل إنّ هدفكم هو مجرّد العناد و التحجج و البقاء فى طور المعاذير، ثمّ تتبعون ذلك كلّ بالعناد و المكابره و الإنكار، لذا فإنّ الرضوخ إلى مقترحاتكم و إجابتها لا معنى له.

فهؤلاء القوم- مثلا- عند ما أخبرهم الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم بأنّ أهل النار يأكلون من شجره تسمى (زقوم) و تخرج فى أصل الجحيم و لها أوصاف معينه، بدأوا بالسخرية و الاستهزاء- كما ذكرنا سابقا- فالبعض منهم كان يقول: إنّ الزقوم هو التمر و السمن، و بعض كان يقول: كيف تنمو الأشجار فى الجحيم المستعر من الحجاره؟ فى حين أن المعنى واضح و لا يحتاج إلى مثل هذه المكابره و العناد، إذ أنّ الشجره المقصوده لا تشبه أشجار هذه الدنيا.

إشارة

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ إِذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْرِقْ مَنْ أَسَيْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِزَّهُمْ وَمَا يَعْبُدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)

التفسير

إشارة

مكر إبليس:

هذه الآيات تشير إلى قضية امتناع إبليس عن إطاعة أمر الله في السجود لآدم عليه السلام، والعاقبة السيئة التي انتهى إليها.

إنّ طرح هذه القضية بعد ما ذكر عن المشركين المعاندين هو إشارة في

الواقع - إلى أن الشيطان يعتبر نموذجا كاملا - للاستكبار و الكفر و العصيان. ثم انظروا إلى أين وصلت عاقبته، لذا فإن من يتبعه سيصير إلى نفس العاقبه.

إضافه إلى ذلك، فإن إصرار الضالين عميان القلوب على مخالفه الحق، لا يعتبر مدعاه للعجب و الدهشه، لأن الشيطان استطاع - وفقا لما يستفاد من هذه الآيات - أن يغويهم بواسطه عدّه طرق، و في الواقع حقق فيهم قولته لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ .

الآيه تقول: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ . لقد قلنا سابقا في نهايه الآيات الخاصه بخلق آدم عليه السلام: إِنَّ هَذِهِ السَّجْدَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ نَوْعٌ مِنَ الْخُضُوعِ وَ التَّوَاضُعِ بِسَبَبِ عَظَمَةِ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ تَمِيْزِهِ عَنِ سَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ، أَوْ هِيَ سَجُودٌ لِلخَالِقِ جَلٍّ وَ عِلَا فِي قِبَالِ خَلْقِهِ لِهَذَا الْمَخْلُوقِ الْمُتَمَيِّزِ .

و قلنا هناك أيضا: إِنَّ إبليس و برغم ذكره هنا - استثناء - مع الملائكة، إلا أنه - بشهاده القرآن - لم يكن من الملائكة، بل كان مخلوقا ماديا و من الجن، و قد أصبح في صف الملائكة بسبب عبادته لله.

على كل حال، فقد سيطر الكبر و الغرور على إبليس و تحكمت الأنانيه في عقله، ظنا منه بأن التراب و الطين اللذان يعتبران مصدرا لكل الخيرات و منبعا للحياه أقل شأنًا و أهميه عن النار، لذا اعترض على الخالق جلّ و علا و قال: قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا .

و لكنّه عند ما طرد - إلى الأبد - من حضره الساحة الإلهيه بسبب استكباره و طغيانه في مقابل أمر الله له، قال: قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَنَا عَلَى لَيْسَ أَنْزَلْتَنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا . (١)

ص: ٤٨

(١ - ١) - ذهب المفسرين إلى إنّ حرف الكاف في كلمه (أ رأيتك) زائد، أو هو حرف للخطاب و قد جاء للتأكيد، و جملة



«أحتكن» مشتقّه من «احتناك» و هي تعنى قطع جذور شىء ما، لذا فعند ما يأكل الجراد المزروعات تقول العرب: احتنك الجراد الزرع، لذا فإنّ هذا القول يشير إلى أن إبليس سيحرف كل بنى آدم عن طريق الله و طاعته، إلا القليل منهم.

و يحتمل أن تكون كلمه (احتكن) مشتقه من (حنك) و هي المنطقه التى تحت البلعوم، فعند ما يوضع الحبل فى رقبه الحيوان تقول العرب (احتنك الدابه)، و فى الواقع، فإنّ الشيطان يريد أن يقول بأنّه سيضع جبل الوسوسه فى أعناق الناس و يجرحهم إلى طريق الغوايه و الضلال.

و هكذا كان، فقد أعطى الشيطان إمكانيه البقاء و الفعاليه حتى يتحقق الاختبار للجميع، و يكون وجوده سببا لتمحيص و اختبار المؤمنين الحقيقيين لأنّ الإنسان يشترّد عزمه عند ما تهاجمه الحوادث و يقوى عوده فى مواجهه الأعداء، لذلك قالت الآية: <sup>□</sup> قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا . و بهذه الوسيله للاختبار ينكشف الفاشل من الناجح فى الامتحان الإلهى الكبير.

ثمّ ذكرت الآيات بعد ذلك - بأسلوب جميل - الطرق التى ينفذ منها الشيطان و الأساليب التى يستخدمها فى الوسوسه و الإغواء فقالت:

وَ اسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ...

وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ ...

وَ شَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ ..

وَ عِدْهُمْ ...

ثمّ يجىء التحذير الإلهى: <sup>□</sup> وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ...

(١)

(أ رأيتك) بمعنى (أخبرنى) جوابها محذوف و تقديرها (أخبرنى عن هذا الذى كرمته علىّ، لم كرمته علىّ و قد خلقتنى من نار؟). و لكن هناك احتمال آخر، و هو أنّ (أ رأيت) هى فى نفس معناها الأصلي و لا يوجد محذوف فى الجملة، و بشكل عام تعطى هذا المعنى: هل لاحظت هذا الموجود الذى فضلته علىّ، فإذا أبقيتني على قيد الحياه سترى بأننى سأضل أكثر أبنائه. (احتمال الثّانى أوفق فى تركيب الآية و معناها).

ثم اعلم أيها الشيطان: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ... وَ كَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا .

بحوث

أشاره

### ١- في معاني الكلمات

«استفزز» مشتقه من «استفزاز» و هي تعنى الإثارة؛ الإثارة السريعه و العاديه، و لكنّ الكلمه فى الأصل تعنى قطع شىء ما، فالعرب تقول «تفزز الثوب» إذا تقطّع أو انفصلت منه قطعه.

و استعمال هذه الكلمه هنا للدلاله على تحريك الشخص و إثارته لينقطع عن الحق يتوجه نحو الباطل.

«اجلب» مأخوذ من «إجلاب» و فى الأصل من «جلبه» و هى تعنى الصرخه الشديده، و الإجلاب تعنى الطرد مع الأصوات و الصرخات. و أمّا النهى عن «الجلب» الوارد فى الروايات فهو إمّا أن يعنى أنّ الذى يذهب إلى المزارع لجمع الزكاه يجب عليه أن لا يصيح و يصرخ بحيث يخيف الأحياء، أو أنه يعنى أنّ على المتسابقين عند سباق الخيل أن لا يصرخوا فى وجوه الخيل الأخرى لتكون لهم الأسبقية.

«خيل» لها معنيان، فهى تعنى «الخيول» و أيضا تعنى (الخياله)، أمّا فى هذه الآيه فقد وردت للتدليل على المعنى الثانى.

أمّا «رجل» فهى تعنى معكوس (الخياله) أى (جيش الرجاله و المشاه) و بهذا يتكون جيش الشيطان من (الخياله و الرجاله) من جنسه أو من غير جنسه، و هذا يعنى أنّ البعض يتأثر بسرعه بغوايه الشيطان و يصبح من أعوانه و مساعديه

ص : ٥٠

فهؤلاء كالخيتاله. أما البعض الآخر فيتأثر ببطء و على مهل كالمشاه و الرجاله (١)!

## ٢- وسائل الشيطان المختلفه فى الوسوسه و الإغواء

بالرغم من أنّ المخاطب فى الآيات أعلاه هو الشيطان، و أنّ الله جلّ جلاله يتوعده و يقول له: افعل كل ما تريده فى سبيل غوايه الناس، و استخدم كل طرقك فى ذلك، إلا أنّ هذا الوعيد- فى الواقع- هو تهديد و تنبيه لنا نحن بنى الإنسان حتى نعرف الطرق التى ينفذ منها الشيطان و الوسائل التى يستخدمها فى وساوسه و إغوائه.

الطريف فى الأمر أنّ الآيات القرآنيه أعلاه تشير إلى أربعة طرق و أساليب مهمّيه و أساسيه من أساليب الشيطان، و تقول للإنسان: عليك بمراقبه نفسك من خلال الجوانب الأربعة هذه:

أ: البرامج التبليغيه التى تجد دلالتها فى التعبير القرآنى وَ اسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتِطْعَتِ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ حيث اعتبر بعض المفسرين أنّها تعنى فقط- أنغام الموسيقى الشهوانيه المثيره، و الأغاني المبتذله، و لكن هذا المعنى يتسع حتى يشمل جميع البرامج الدعائيه التى تقود للانحراف و التى تستخدم- عاده- الأجهزة الصوتيه و السمعيه.

لهذا فإنّ أوّل برامج الشيطان هو الاستفاده من هذه الأجهزة. هذه القضيه تتوضح فى زماننا هذا أكثر، لأنّ عالمنا اليوم هو عالم الأمواج الراديويه، و عالم الدعايه و التبليغ الواسع، سواء كان على الصعيد السمعى أو البصرى. حيث أنّ الشياطين و أحزابهم فى الشرق و الغرب يعتمدون على هذه الأجهزة و يخصصون قسما كبيرا من ميزانيتهم للصرف فى هذا الطريق حتى يستعمروا عبيد الله، و يحرفوهم عن طريق الحق و الاستقلال، و يزيغوا بهم عن طريق الهدايه و الإيمان

ص: ٥١

١- ١) - فى معانى المفردات تراجع مفردات الراغب، و مجمع البيان.

و التقوى، و يجعلون منهم عبيدا تابعين لا حول لهم و لا قوه.

ب: الاستفاده من القوه العسكريه: و هذا لا يخص زماننا حيث أنّ الشياطين يستخدمون القوه العسكريه لأجل الحصول على مناطق للنفوذ. إنّ الأداة العسكريه تعتبر أداة خطره لكل الظالمين و المستكبرين فى العالم. فهؤلاء و فى لحظه واحده يصرخون فى قواتهم العسكريه و يرسلونها إلى المناطق التى تحاول الحصول على حريتها و استقلالها و تسعى إلى الاعتماد بقوات على قدراتها الخاصه.

و فى عصرنا الحاضر نرى أنّهم نظّموا ما يسمونه بقوات (التدخل السريع) و الذى هو نفس مفهوم (الإجلاّب) القرآنى، و هذا يعنى أنّهم جعلوا جزءا من قواتهم العسكريه على شكل قوات خاصه كى يستطيعوا إرسالها فى أسرع وقت إلى أى منطقه من مناطق العالم تتعرض فيها مصالحهم غير المشروعه للخطر، لكى يقضوا بواسطه هذه القوات على أى حركه تطالب بالحق و تنادى بالاستقلال.

و قبل أن تصل القوات السريعه الخاصه هذه، يكون هؤلاء قد هياؤا الأرضيه بواسطه جواسيسهم الماهرين، و الذين هم فى الواقع كنايه عن جيش المشاه (الرجاله).

إنّ هؤلاء فى مخططاتهم هذه قد غفلوا عن أنّ الله سبحانه و تعالى قد وعد أولياءه الحقيقين فى نفس هذه الآيات - بأنّ الشيطان و جيشه لا يستطيع أن يسيطر عليهم.

ج: البرامج الاقتصاديه ذات الظاهر الإنسانى: من أساليب الشيطان الأخرى المؤثره فى النفوذ و الغوايه، هى المشاركه فى الأموال و الأنفس، و هنا نرى أيضا:

أنّ بعض المفسرين يخصص هذه المشاركه ب (الربا). أمّا المشاركه فى الأولاد فيحصر معناها ب «الأولاد غير الشرعيين» (١).

ص: ٥٢

١ - ١) - وردت روايات متعدده فى أنّ مشاركه الشيطان فى الأولاد تعنى الأبناء غير الشرعيين، أو المنعقد نطفتهم من مال حرام، أو انعقاد النطفه فى لحظه غفله الوالدين عن الخالق، و لكن - كما قلنا مرّات - إنّ هذه التفاسير تبين جانبا من المصداق الواضح و هى ليست دليلا على حصر المعنى. (راجع تفسير نور الثقلين، المجلد الثالث، صفحه ١٨٤).

فى حىن أنّ هاتىن الكلمتىن لهما معانى أوسع، إذ تشمل جمىع الأموال المستحصله عن طرىق الحرام، و الأبناء غير الشرعىن و غيرهم. فمثلا فى زماننا الحاضر نشاهد أنّ الشىاطىن المستكبرىن يقترحون دائما استثمار و تأسيس الشركات، و إىجاد مآكلف المصانع و المصالح الاقصادىه فى الدول الضعىفه، و تحت غطاء هذه الشركات تتم مآكلف أشكال النشاطات الخطره و الضارّه بالبلد المستضعف، حىث ىرسل الشىاطىن جواسىسهم تحت عنوان خىراء فنىبن أو مستشارىن اقصادىبن أو مهندسىن تقنىبن، و ىقوم هؤلاء جمىعا بامآصاص خىرات البلد الذىن هم فىه بأبرع الحىل و أظرفها، و ىقفون حائلا- بىن البلد و بىن تحقىقه لاستقلاله الاقصادى على بىنه اقصادىه تحتىه حقىقه.

و عن طرىق تأسيس المدارس و الجامعات و المكآبات و المستشفىات و المراكز السىاحىه، فإنهم ىشاركون هذه الدول الضعىفه فى أبنائها حىث ىحاولون أن ىستملوا هؤلاء نحوهم، و أآىانا عن طرىق توفىر (المنح الدراسىه) لشباب، فإنهم ىقومون (بآلبهم) نحو ثقافتهم و ىشاركونهم فى أفكارهم، و ما ىترتب على ذلك من فساد العقىده.

و من الأسالىب الرائجه و المآربه لهؤلاء الشىاطىن إىجاد مراكز الفساد تحت غطاء الفنادق العالمىه و إىجاد المناطق الترفىهىه و دور السىنما و الافلام المبتذله و أمآال ذلك، حىث لا تكون هذه الوسائل أدوات لتروىج الفحشاء و زىاده أولاد الزنا فحسب، بل تؤدى إلى انحراف جىل الشباب و تمىعهم و تغربهم، و تصنع منهم أشآاصا فاقدىن للإراداه. و كلما أمعنا النظر فى دسائسهم و مآرهم تكشفت لنا الأخطار الكبىره الكامنه فى هذه الوسوس الشىطانىه.

د: برامج التآرىب النفسى: من البرامج الأآرى التى ىتبعها الشىاطىن،

الاستفاده من الوعود و الأمنيات الكاذبه التي يطلقونها بمختلف الحيل،فهؤلاء الشياطين يعدّون مجموعه ماهره و متمكنه من علماء النفس لغوايه الناس البسطاء منهم و الأذكياء،كلا- بما يناسب وضعه،ففى بعض الأحيان يصورون لهم حالهم بأنهم سيصبحون قريباً من الدول المتمدنه و الكبيره،أو أنّ شبابهم لا مثيل له،و يستطيع الشباب فى بلدانهم أن يصل من خلال إتباعه برامجهم إلى أوج العظمه،و هكذا فى بلدانهم يغرقوهم فى هذه الخيالات الواهيه التي تتلخّص فى جملة وَ عِدْهُمْ .

فى أحيان أخرى يسلك الشياطين طريقاً معكوسه، إذ يصوّرون للبلد بأنّه لا يستطيع مطلقاً مواجهه القوى الكبرى،و أنّهم متأخرون عن هذه القوى بمائه عام أو أكثر،و بهذا الأسلوب تزرع المبررات النفسيه لاستمرار التخلف و عدم انطلاق جهود البلد الضعيف نحو العمل و البناء الحقيقى.

بالطبع هذه القصّه لها بدايات بعيده،و طرق نفوذ الشيطان فيها لا تنحصر بواحد أو اثنتين.

و لكنّ (عباد الله)الحقيقيين و المخلصين،و بالاتكاء على الوعد القرآنى القاطع بالنصر،و الذى تضمنته هذه الآيات،سيقومون بمحاربه الشياطين و لا يسمحون بالتردد يساور أنفسهم،و هم يعلمون-برغم الأصوات الكثيره للشياطين-أنّهم سينتصرون،و إنّهم بصبرهم و صمودهم و بإيمانهم و توكلهم على الله سوف يفشلون الخطط الشيطانيه،و ذلك قوله تعالى: وَ كَفَىٰ بِرَبِّكَ وَ كَيْلًا .

٣-أمّا لماذا خلق الله الشيطان؟فقد بحثنا ذلك فى الآيه(٣٩)من سوره البقره.و فيما يخص وساوس الشيطان و أشكالها و لبوساتها،و معنى الشيطان فى القرآن،فقد بحثنا كل ذلك فى ذيل الآيه(١٣)من سوره الأعراف.و الآيه(٣٩) من سوره البقره من هذا التفسير.

اشاره

رُبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلُكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٧) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُزِيلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (٦٨) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا مِنْ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩)

التفسير

اشاره

لماذا الكفران مع كل هذه النعم؟

هذه الآيات تابعت البحوث السابقة في مجال التوحيد و محاربه الشرك، و دخلت في البحث من خلال طريقين مختلفين،هما: طريق الاستدلال و البرهان،و طريق الوجدان و مخاطبه الإنسان من الداخل.

ففي البدايه تشير الآيه إلى التوحيد الاستدلالي فتقول: رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي

طبعاً هناك أنظمه لأجل حركة الفلك في البحار، فمن جانب ينبغي وجود الماء بشكل يصلح لمسير السفن، ومن جانب آخر لا بد من توفر بعض الأشياء التي تكون أخف من الماء كي يمكن لها أن تطفو على سطحه، وإذا كانت أثقل فيمكن صنعها بشكل بحيث تكون أخف من الماء و تستطيع أن تتحمل وزن الأحمال الثقيله و الأعداد الكثيره من البشر. و من جانب ثالث يلزم وجود القوه المحركه و التي كان الهواء يمثلها في السابق، حيث كان البخار يستفيدون من حركة التيارات الهوائيه فوق المحيطات و البحار لتحديد أوقات و سرعه و اتجاه السفن، و اليوم يستفاد من طاقه البخار و أشكال الطاقه الأخرى في حركة السفن.

من جانب آخر ينبغي وجود أسلوب لتحديد الطرق، و هذا الأسلوب كان سابقاً يعتمد على الشمس و النجوم في السماء، أما اليوم فإن السفن تستفيد من البوصلات و الخرائط و الإحداثيات الدقيقه. على أي حال، إذا لم تتوافر هذه الشروط الأربعة و لم يكن ثمة تنسيق بينها فإن حركة السفن تصبح أمراً مستحيلاً، و لا يكون الإنسان قادراً على الاستفادة من هذه الوسيله المهمه.

تعلمون-طبعاً- بأن السفن تعتبر أضخم وسيله لحمل الإنسان، و اليوم فإن هناك من السفن العملاقه ما يكون بعضها بمساحه مدينه صغيره.

ثم يضيف تعالى: لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ . حتى تساعدكم في أسفاركم و نقل أموالكم و تجارتكم و تعينكم في كل ما يخص أمور دنياكم و دينكم. أما لماذا؟ فلأن الله تبارك و تعالى إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً .

من هذا التوحيد الاستدلالي و الذي يعكس جانبا صغيرا من نظام الخلق، و علم و قدره و حكمه الخالق جلّ و علا، تنتقل الآيه إلى أسلوب الاستدلال الفطري فتقول: لا تنسوا وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا .

أن يضل أي شيء من دون الله، لأنّ ضرر البحر إذا وقع، كالطوفان و غيره



يذهب بكل الحواجز و أستار التقليد و التعصّب اللاصقه على صفاء الفطره الإنسانيه، لينكشف نور الفطره الذى هو نور التوحيد و الإيمان و العبوديه لله دون غيره.

نعم فى هذه اللحظات، فى لحظات الضّرّ ينقطع الإنسان عن جميع المعبودات التصوريه و الوهميه و الخياليه التى سبق و أن أعطاها قوّه بسبب أوهامه، و تمحى من ذهنه فاعليتها و وجودها و تتلاشى و تذوب تماما كما يذوب الجليد فى شمس الصيف و لا يبقى حين ذاك سوى نور الأنوار... نور الله جلّ جلاله.

إنّ الآيه تعتبر عن قانون عام، عرفه كلّ من جرّب ذلك، حيث تؤدى المشاكل و الصعوبات الحاده التى يمرّ بها الإنسان- و يصل السكين العظم- إلى الغاء كل الأسباب الظاهريه التى كان يتعلّق بها الإنسان، و تنعدم فاعليه العلل الماديه التى كان يتشبث بها، و تنقطع كل الأسباب، إلّا السبب الذى يصل الإنسان بمصدر العلم و القدره المطلقتين، و الذى هو- لوحده سبحانه و تعالى- قادر على حال أعقد المشكلات... ليس مهمّا هنا ما الذى نسمّى فيه هذه الحاله، و إنّما المهم أنّ نعلم أنّ قلب الإنسان فى هذه الحاله يفتح على الأمل بالخلاص، و تغمر القلب بنور خاص لطيف. و هذه المنعطفات هى واحده من أقرب الطرق إلى الله، إنّها طريق ينبع من داخل الروح و من سويداء القلب. (١)

ثمّ تضيف الآيه: فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا .

مرّه أخرى تغطى حجب الغرور و الغفله و التعصّب هذا النور الإلهي، و يغطى غبار العصيان و الذنوب و ملامهى الحياه الماديه فطره الإنسان و وجدانه.

و لكن هل تظنون أنّ الله لا يستطيع أن ينزل بكم عقابه الشديد و أنتم على

ص: ٥٧

---

١ - ١) طالع الشّرح الكامل للتوحيد الفطريّ فى كتاب (خالق العالم)، و لا حظّه أيضا فى نهايه الآيه (١٤) من سوره النحل حيث أشرنا إلى هذه المسأله.

اليابسه و فى قلب الحصارى و البرارى؟ لذلك تقول الآيه أ فأمنتُمْ أنْ يخسفَ بكمْ جانبَ البرِّ ثم أضافت: أو يُرسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا، حيث تغشيكم عاصفه محمله بالحصى و الحجاره و تدفنكم تحتها و لا تجدون من ينقذكم منها(و فى ذلك من العذاب ما هو أشدّ من الغرق فى البحر).

إنّ المتجولين فى الصحارى و أهل البوادي يدركون أكثر من غيرهم رهبه هذا التهديد الرّبانى و الوعيد القرآنى، إذ يعرفون كيف تؤدى ثوره الكثبان الرملية فى الصحراء إلى دفع الرمال و الأحجار إلى غير مواقعها لتشكّل تلالا تدفن فى ثناياها و بطونها قوافل الجمال و من عليها.

بعد ذلك تضيف الآيه مذّكره أمثال هؤلاء بأنكم هل تظنون أنّ هذه هى المرّه الأخيره التى تحتاجون فيها إلى السفر فى البحر: أم أمنتُمْ أنْ يُعيدَكم فيه تارَهُ أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلِيْنَا بِهِ تَبِيعًا، أى لا أحد حينئذ يطالب بدمكم و يثار لكم منّا.

## بحوث

## اشاره

### ١- الشّخصيه المتقلبه

إنّ الكثير من الناس لا- يذكرون الله إلا- عند بروز المشاكل. و ينسونه فى الرخاء، إن نسيان الله فى حياه هؤلاء هو القاعده و الأصل، أى أنّه صار طبيعه، ثانيه لهؤلاء، لذا فإنّ ذكر الله بالنسبه لهؤلاء و الالتفات إلى وقائع الحياه الحقه تعتبر حاله استثنائيه فى وجودهم، تحتاج فى حضورها إلى عوامل إضافيه، فما دامت هذه العوامل الإضافيه موجوده فهم يذكرون الله، أمّا إذا زالت فسوف يرجعون إلى طبيعتهم المنحرفه و ينسون الله.

و الخلاصه، أننا لا نجد من الناس بصوره عامه من لا يلجأ إلى الله و لا يخضع له عند ما تضغطه المشاكل الحادّه و الصعبه، و لكن ينبغي أن نعرف أن الوعي و ذكر الله تعالى في مثل هذه الظروف في مثل هذه و الذي نستطيع أن نصفه بالوعي الإجباري، هو وعي عديم الفائدة.

إنّ المؤمنين و المسلمين الحقيقيين، يذكرون الله في الراحه و البلاء و السلامه و المرض و الفقر و الغنى، في السجن و على كرسى الحكم، و في أى وضع كان. إنّ تغيير الأوضاع و تبدل الحالات لا- يغيّر هؤلاء. إنّ أرواحهم كبيره بحيث تستوعب كل هذه الأمور، مثلهم في ذلك على بن أبى طالب عليه السّلام، حيث كانت عبادته و زهده و متابعتة لأمر الفقراء لا تختلف عند وجوده في السلطه، أو عند ما كان جليس بيته.

أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام- يقول في وصف المتقين: «نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتى نزلت في الرخاء» (١).

و خلاصه القول: إنّ الإيمان و الارتباط بالله و عبادته و التوسل به و التوبه إليه و التسليم له سبحانه و تعالى، كل هذه الأمور تكون مهمه و ثمينه و ذات أثر عند ما تكون دائميّه و ثابتة، أمّا الإيمان الموسمي و التوبه و العبادات الموسميّه، و التى تفرضها حالات خاصه يمرّ بها الإنسان و يبغى من خلالها جلب بعض المنافع له، فليس لها أثر و لا- قيمه. و الآيات القرآنيه توبخ أمثال هؤلاء الأشخاص دائماً.

## ٢- لا يمكن الهروب من حكمه الله

البعض يتوجه إلى الله (مثل عبده الأصنام في الجاهليه) عند ما يكون في وسط البحر أو عند ما يكون على هاويه السقوط و الخطر أو في حال مرض

ص: ٥٩

شديد، في حين أننا إذا فكّرنا بشكل صحيح نرى أنّ الإنسان معرض للخطر و الضرر في كل الأزمنة و الحالات و الأوقات، فالبحر و البر و الصحراء و المرض و الهاويه و غيرها، هي في الواقع متساويه الخطوره. إنّ هزه أرضيه واحده يمكنها أن تدمّر بيتنا الآمن الهادىء، و إنّ تخترا بسيطا في الدم يمكنه أن يغلق مسير الدم في الشريان الأبهري فيؤثر على القلب أو على الدماغ فتحدث السكتة القلبيه أو الدماغيه، و بعد ثانيه واحده يكون الموت هو المصير المحتوم. مع وجود كل هذه الأمور نعلم أنّ الغفله عن الله تعالى كم هي مجانيه للصواب!! قد يقوم هنا أنصار نظريه تعليل الإيمان- و الدين بشكل عام- على أساس الخوف، بتبرير هذه الحاله بقولهم: طالما أنّ الخوف في الإنسان غريزي و فطري، فإنّ خوفه من العوامل الطبيعیه يجعل الإنسان يتوجه نحو الخالق. و مثل هذه الحالات و الأوضاع التي تحدثت عنها الآيات تدعم هذا التصوّر و تعضده.

الآيات القرآنيه أجابت على هذه الأوهام، إذ أبانت أنّ القرآن لم يجعل- أبدا - معرفه الخالق قائمه على هذه الأمور، بل إنّ الأساس هو قراءه في نظام الكون و الوجود و معرفه الله تعالى من خلال هذا الخلق. و حتى في الآيات أعلاه نرى أنّها ذكرت أولا الإيمان الاستدلالي قبل ذكر التوحيد و الإيمان الفطري، و في الواقع فإنّها تعتبر هذه الحوادث بمثابة تذكير بالخالق لا من أجل معرفته، إذ أنّ معرفته لطلاب الحق تتوضح من خلال أسلوب الاستدلال و عن طريق الفطره.

### ثالثا: معانى الكلمات

«يزجى» مأخوذه من «إزجاء» و هي تعنى تحريك شىء ما بشكل مستمر.

«حاصب» تعنى الهواء الذى يحرك معه الأحجار الصغيره ثم تضرب الواحده بعد الأخرى مكانا معيناً، و هي مشتقه أصلا من (حصباء) التي تعنى الأحجار

الصغيره (الحصى).

«قاصف» بمعنى المحطّم، وهى هنا تشير إلى العاصفه الشديده التى تقلع كل شىء من مكانه.

«تبيع» بمعنى تابع، وهى تشير هنا إلى الشخص الذى ينهض للمطالبه بالدم، و ثمن الدم و الثأر و يستمر فى ذلك.

ص: ٦١

إشاره

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَمِينًا فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَمَنْ كَان فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)

التفسير

إشاره

الإنسان سيد الموجودات:

إن واحده من أبرز طرق الهدايه و التريبه، هي التثويه بشخصيه الإنسان و مكانته و مواهبه، لذا فإن القرآن الكريم و بعد بحوثه عن المشركين و المنحرفين في الآيات السابقه، يقوم هنا بتبيان الشخصيه الممتازه للإنسان و المواهب التي منحها إياها رب العالمين، لكي لا يلوث الإنسان جوهره الثمين، و لا يبيع نفسه بثمان بخس، حيث يقول تعالى و لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ .

ثم تشير الآيات القرآنيه إلى ثلاثه أقسام من المواهب الإلهيه التي حباها الله لبنى البشر، هذه المواهب هي أولا: و حَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

ثم قوله تعالى: وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَمَعَ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى سَعَةِ مَفْهُومِ (الطيب) الذي يشمل كل موجود طيب و طاهر تتضح عظمه و شموليه هذه النعمه الإلهيه الكبيره.

أما القسم الثالث من المواهب فينص عليه قوله تعالى: وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَيَّ كَثِيرًا مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا .

## بحوث

## إشارة

### أولاً: وسيلة النقل أول نعمه للإنسان

الملاحة-حظه التي تلفت النظر هنا، هي: لماذا اختار الله قضيته الحركة على اليابسه و فى البحار، و أشار إليها أولاً- من بين جميع المواهب الأخرى التي وهبها للإنسان؟ قد يكون ذلك بسبب أن الاستفاده من الطيبات و أنواع الأرزاق لا- يحدث بدون الحركة، حيث أن حركة الإنسان على سطح الكره الأرضيه تحتاج إلى وسيلة نقل، إذ أن الحركة هي مقدمه لأي برکه.

أو أن السبب قد يكون لإظهار سلطه الإنسان على الكره الأرضيه الواسعه بما فى ذلك البحار و الصحارى. إذ أن لكل نوع من أنواع الموجودات سلطه على جزء محدود من الأرض، أما الإنسان فإنه يحكم الكره الأرضيه ببحارها و صحاريها و هوائها.

### ثانياً، تكريم الإنسان من قبل الخالق

بأى شىء كرم الله الإنسان؟ الآيه تقول بشكل مجمل وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ .

بين المفسرين كلام كثير عن مصداق هذا التكريم، فالبعض يعز و السبب لقوه

العقل و المنطق و الاستعدادات المختلفه و حريه الإراده. أمّا البعض الآخر فيعز و ذلك إلى الجسم المترن و الجسد العمودى، و البعض يربط ذلك بالأصابع التى يستطيع الإنسان القيام بواسطتها بمختلف الأعمال الدقيقه، و أيضا تمنحه القدره على الكتابه.

و البعض يعتقد أنّ التكريم يعود إلى أنّ الإنسان هو الكائن الوحيد الذى يأكل طعامه بيده.

و هناك من يقول: إنّ السبب يعود إلى سلطه الإنسان على جميع الكائنات الأرضيه.

و هناك من المفسرين من يعزو التكريم إلى قدره الإنسان على معرفه الله، و القدره أيضا على إطاعه أوامره.

لكن من الواضح أنّ جميع هذه المواهب موجوده فى الإنسان و لا يوجد تضاد بينها، لذا فإنّ تكريم الخالق لهذا المخلوق الكريم يتجلّى من خلال جميع هذه المواهب و غيرها.

خلاصه القول: إنّ الإنسان له امتيازات كثيره على باقى المخلوقات، و هذه الامتيازات الواحده منها أعظم من الأخرى، فمضافا إلى الامتيازات الجسميه، فإنّ روح الإنسان لها مجموعه واسعه من الاستعدادات و القدرات الكبيره التى توهله لطفى مسيره التكامل بشكل غير محدود.

### **ثالثا: الفرق بين (كّرمنّا) و(فضّلنا)**

هناك آراء كثيره حول التفاوت بين (كّرمنّا) و(فضّلنا) فالبعض يقول: إنّ (كّرمنّا) هى إشاره إلى المواهب التى أعطاهها الله ذاتا للإنسان، بينما(فضّلنا) إشاره إلى الفضائل التى اكتسبها الإنسان بسبب توفيق الله.

هناك احتمال قوى بأنّ (كّرمنّا) إشاره إلى الجوانب الماديه، أمّا(فضّلنا) فهى



إشاره إلى المواهب المعنويه، لأنّ كلمه (فضّلنا) غالبا ما تأتي في القرآن بهذا المعنى.

#### رابعاً: ما معنى كلمه (كثير) في الآيه؟

بعض المفسّرين يعتبرون الآيه الآنفه دليلاً على أفضليه الملائكه على بنى الإنسان، فالقرآن يقول بأنّ الإنسان مفضّل على أكثر المخلوقات، و تبقى مجموعه لا يكون الإنسان أفضل منها، وهذه المجموعه ليست سوى الملائكه.

و لكن بملاحظه آيات خلق آدم و سجود الملائكه و تعليمهم (الأسماء) من قبل آدم، لا يبقى شك في أنّ الإنسان أفضل من الملائكه.

لذا فإنّ كلمه (كثير) تعنى هنا (جميع). و كما يقول المفسّر الكبير الشيخ الطبرسى في مجمع البيان، فإنّ استخدام كلمه (كثير) بمعنى (جميع) يعتبر عادياً و وارد في القرآن الكريم و في لغه العرب.

و هكذا يكون معنى الجملة حسب تفسير الطبرسى لها هو: «إنّا فضلناهم على من خلقناهم، و هم كثير».

فالقرآن يقول عن الشياطين في الآيه (٢٢٣) من سوره الشعراء: وَ أَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ بينما من البديهي أنّ كل الشياطين كاذبين و ليس أكثرهم، و إنّما استخدمت الآيه (كثير) بمعنى (الجميع).

على أى حال، إذا اعتبرنا المعنى خلافاً للظاهر، فإنّ آيات خلق الإنسان ستكون قرينه واضحه لذلك.

#### خامساً: لماذا كان الإنسان أفضل المخلوقات؟

لا يعد الجواب على هذا السؤال معقداً، إذ أنّنا نعلم أنّ الإنسان هو الكائن الوحيد الذى يتكون من قوى مختلفه، ماديه و معنويه، جسميه و روحيه، و ينمو

وسط المتضادات، و له استعدادات غير محدوده للتكامل و التقدم.

و هناك حديث معروف للإمام على عليه السلام و هو شاهد على ما نقول، إذ

يقول فيه عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ رَكَّبَ فِي الْمَلَائِكَةِ عَقْلاً بِلَا شَهْوَةٍ، وَ رَكَّبَ فِي الْبَهَائِمِ شَهْوَةً بِلَا عَقْلِ، وَ رَكَّبَ فِي بَنِي آدَمَ كِلْتَيْهِمَا، فَمَنْ غَلَبَ عَقْلَهُ شَهْوَتُهُ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَ مَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلَهُ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْبَهَائِمِ» (١).

و هنا يبقى سؤال واحد: هل أن جميع البشر أفضل من الملائكة، في حين يوجد بين البشر الكفار و المجرمون و الظالمون، و هؤلاء يعتبرون من أسوأ خلق الله... بعبارة أخرى: هل أن كلمة (بني آدم) في الآية تنطبق على جميع البشر أم على قسم منهم؟ يمكن تلخيص الإجابة على هذا السؤال في جملة واحدة هي: نعم جميع البشر أفضل، و لكن بالقوه و الاستعداد، يعني أن الجميع يملك الأرضية ليكون أفضل، و لكنهم إذا لم يستفيدوا من هذه الأرضية و القابلية المودعه فيهم، و سقطوا في الهاوية، فإن ذلك يكون بسببهم و يعود عليهم فقط.

و بالرغم من أن أفضلية الإنسان هي في المجالات المعنوية و الإنسانية، و لكن بعض العلماء ذكر أن الإنسان قد يكون أقوى من سائر الإحياء حتى من جهة القوه الجسميه بالرغم من أنه يعتبر ضعيفا في مناحي أخرى.

«الكسيس كاريل» مؤلف كتاب (الإنسان ذلك المجهول) يقول في كتابه واصفا قدرات الإنسان: «أن جسم الإنسان من المتانه و الإحكام و الدقه بحيث أنه يقاوم كل أشكال التعب و العقبات التي يتعرض لها الوجود الإنساني من قله غذاء، و سهر و تعب، و هموم زائده، و أشكال المرض و الألم و المعاناه، و هو في ثباته و مقاومته للأشكال الآنفه يبدى استعدادا استثنائيا يبعث على الحيره و العجب، حتى أننا نستطيع أن نقول: إن الوجود الإنساني في تكوينه الروحي

ص: ٦٦

و الجسدی هو أثبت الموجودات من ذوی الأرواح و أكثرها نشاطا و استعدادا في مضمار الفاعليه الفكریه و الجسدیه التي يتضمّنها و التي أدت إلى تشييد المدنيه الراهنه بكل مظاهرها» (١).

الآیه التي بعدها تشير إلى موهبه أخرى من المواهب الإلهيه التي حباها الله للإنسان، و رتبت عليه المسؤوليات الثقيله بسبب هذه المواهب.

ففي البدايه تشير الآیه إلى قضيه القيادة و دورها في مستقبل البشر فتقول:

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ

يعنى أنّ الذين اعتقدوا بقياده الأنبياء و أوصيائهم و من ينوب عنهم في كل زمان و عصر، سوف يكونون مع قادتهم و يحشرون معهم، أمّا الذين انتخبوا الشيطان و أئمه الضلال و الظالمين و المستكبرين قاده لهم، فإنهم سيكونون معهم و يحشرون معهم.

خلاصه القول: إنّ الارتباط بين القيادة و الأتباع في هذا العالم سوف ينعكس بشكل كامل في العالم الآخر، و طبقا لهذا الأمر سيتم تحديد الفرق الناجيه، و الأخرى التي تستحق العذاب.

بالرغم من أنّ بعض المفسّرين قد حصر كلمه (إمام) ب(الأنبياء) و البعض الآخر حصرها بمعنى (الكتب السماويه) و البعض الثالث ب(العلماء)، إلّا أنّ من الواضح أنّ كلمه (إمام) في هذا المكان لها معنى أوسع، و تشمل أيه قياده سواء تمثّلت بالأنبياء أو أئمه الهدى أو العلماء أو الكتاب و السنه. و يدخل في معنى الكلمه أيضا أئمه الكفر و الضلال، و بهذا الترتيب فإنّ كل إنسان سيسلك في الاخره مسار القائد الذي انتخبه لنفسه في الدنيا اماما و قائدا.

هذا التعبير و الإشاره إلى دور الإمامه و كونها من أسباب تكامل الإنسان، يعتبر في نفس الوقت تحذيرا لكل البشريه كي تدقق في انتخاب قياده، و لا تعطى أزمه وجودها الفكرى و الحياتى بيد أى شخص كان.

ص: ٦٧

ثم تقسم الآيه الناس يوم القيامة إلى قسمين: فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (١). أما القسم الآخر فهو: من كان في الدنيا أعمى القلب: وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ. وطبيعي أن يكون هؤلاء العميان القلب أضل من جميع المخلوقات وَأَضَلُّ سَبِيلًا فَهَؤُلَاءِ لَا يُوَفَّقُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِسُلُوكِ طَرِيقِ الْهُدَايَةِ، ولا هم في الآخرة من أصحاب الجنة والسعادة، لأنهم أغمضوا عيونهم عن جميع الحقائق وحرّموا أنفسهم من رؤيه الحق وآيات الله و كل ما يؤدي إلى هدايتهم، و يقود إلى خلاصهم من المواهب العظيمة التي أعطاهم الله إياها، ولأن الآخرة هي صورته منعكسه لوجود الإنسان في هذه الدنيا، إذن ليس ثمّة من عجب في أن يحشر هؤلاء العميان بنفس الصوره في يوم الحشر والقيامة.

## بحوث

## إشارة

### ١- دور القيادة في حياة البشر

الحياة الاجتماعية للبشر في الدنيا لا يمكن أن تنفصل عن القيادة أو أن تستغنى عنها، لأنّ تحديد مسير مجموعته معينه يحتاج دائما إلى قياده، وعاده لا يمكن سلوك طريق التكامل بدون وجود قياده، وهذا هو سر إرسال الأنبياء وانتخاب الأوصياء لهم.

وفي علوم العقائد والكلام، يستفاد أيضا من (قاعده اللطف) في إثبات لزوم بعث الأنبياء ولزوم وجود الإمام في كل زمان، وذلك لأهميه دور القائد في تنظيم المجتمع، ومنع الانحرافات، و بنفس المقدار الذي يقوم به القائد الإلهي والعالم

ص: ٦٨

١ - ١) - (فتيل) تعني الخيط الرقيق الموجود في شق نوى التمر، وفي المقابل فإن (نقير) تعني مؤخره نوى التمر، بينما تعني (قطمير) الطبقة الرقيقه التي تغطي نوى التمر. وكل هذه التعبيرات كناية عن الشيء الصغير جدًا والحقير.

و الصالح بإيصال الإنسان إلى هدفه النهائي بشكل سهل و سريع، فإنَّ التسليم لقياده أئمه الكفر و الضلال و الانقياد لهم يؤديان بالإنسان إلى الهاويه و الشقاء.

و في تفسير هذه الآية تتضمّن المصادر الإسلاميه أحاديث متعدّده توضح مفهومها و تبين الغرض من الإمامه.

ففي حديث تنقله الشيعة و السنه عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بأسناد صحيحه أنّه نقل عن آبائه عن جدّه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، حول تفسير هذه الآية قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «يدعى كل أناس بإمام زمانهم و كتاب ربّهم و سنه نبيّهم». (١)

و نقرأ

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قوله: «ألا تحمدون الله! إذا كان يوم القيامة فدعى كل قوم إلى من يتولونه و دعينا إلى رسول الله و فرعتم إلينا فإلى أين ترون يذهب بكم؟! إلى الجنّه و ربّ الكعبه-قالها ثلاثا». (٢)

## ٢- تكريم بنى آدم

(بنى آدم) وردت في القرآن الكريم كعنوان للإنسان مقرونه بالمدح و الاحترام، في حين أنّ كلمه (إنسان) ذكرت مع صفات مثل: ظلوم، جهول، هلوع، ضعيف، طاغى، و ما شابهها من الأوصاف. و هذا يدل على أن بنى آدم صفة للإنسان المتربى، أو على الأقل الذى له استعدادات إيجابيه (إن افتخار آدم و تفضيله على الملائكه يؤيد هذا المعنى لبنى آدم). في حين أنّ كلمه (إنسان) وردت بشكل مطلق، و أحيانا تشير إلى الصفات السلبيه.

لذا فإنّ الآيات التى نبحتها استخدمت كلمه (بنى آدم) لأنّ الحديث فيها هو عن الكرامه و أفضليه الإنسان. (هناك بحث مفصل حول معنى الإنسان في القرآن الكريم يمكن مراجعته في تفسيرنا هذا ذيل الآية ١١ من سوره يونس).

ص: ٦٩

١-١) -مجمع البيان عند تفسير الآية.

٢-٢) -المصدر السابق.

في الحديث المعروف عن الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام ينقل أنه عند ما كان يتحدث عن الأركان الأساسية في الإسلام ذكر (الولاية) كخامس وأهم ركن، في حين الصلاة التي توضح العلاقة بين الخالق و الخلق، و الصيام الذي هو رمز محاربه الشهوات، و الزكاه التي تحدّد العلاقة بين الخلق و الخالق، و الحج الذي يكشف الجانب الاجتماعي في الإسلام، اعتبرت الأركان الأربعة الأساسية الأخرى. ثم يضيف

الإمام الباقر عليه السلام «و لم يناد بشيء كما نودى بالولاية» لماذا؟ لأنّ تنفيذ الأركان الأخرى لن يتحقق إلا في ظل هذا الأصل، أي في ظل الولاية (١).

ولهذا السبب بالذات روى عن الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم قوله «من مات بغير إمام مات ميتة الجاهلية» (٢).

التاريخ يشهد أنّ بعض الأمم تكون في الصف الأول بين دول العالم و أممها بسبب قيادتها العظيمة و الكفوءة، و لكن نفس الأمم تنهار و تسقط في الهاوية، برغم امتلاكها لنفس القوى البشرية و المصادر الأخرى، إذا كانت قيادتها ضعيفة و غير كفوءة.

ثم ألم يكن عرب الجاهلية غارقين في جهلهم و فسادهم و ذلتهم و انحطاطهم، و كانوا نهشه الأكل، بسبب عدم امتلاكهم لقائد كفوء، و لكن ما إن ظهرت القيادة الإلهية الرّبانية المتمثلة بالهادى محمد صلى الله عليه و آله و سلم حتى سلك نفس القوم طريق العظمة و التكامل بسرعه كبيره بحيث أدهش العالم، و هذا يكشف عن دور القائد في ذلك الزمان و هذا الزمان و في كل زمان.

ص: ٧٠

---

١- ١) - قال الباقر عليه السلام «بنى الإسلام على خمس، على الصلاة، و الزكاه، و الصوم، و الحج، و الولاية، و لم يناد بشيء كما نودى بالولاية» عن أصول الكافي، ج ٢، ص ١٥.

٢- ٢) - عن نور الثقلين، المجلد الثالث، صفحته ١٩٤، و كذلك مصادر أخرى.

طبعاً لقد جعل الله للبشريه قائداً لإنقاذ و هدايه البشر فى كل عصر و زمان، حيث تقتضى حكمته أن لا تطبق السعاده إلا مع وجود ضامن تنفيذى لها. و المهم أن تتعرف المجتمعات على قيادتها و أن لا يقعوا فى شباك القاده الضالين و الفاسدين، حيث تكون النجاه من مخالبتهم أمراً صعباً للغاية.

و هذه هى فلسفه عقيدته الشيعه بضروره وجود إمام معصوم فى كل زمان، كما

يقول الإمام على عليه السلام: «اللهم بلى لا- تخلوا الأرض من قائم لله بحججه، إمياً ظاهراً مشهوراً و إمياً خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله و بيناته» (١).

و هناك بحث فى نهايه الآيه (١٢٤) من سوره البقره، حول معنى الإمامه و أهميتها فى دنيا الإنسان.

#### ٤- عميان القلوب

فى القرآن الكريم تعابير لطيفه فى وصف المشركين و الظالمين، حيث يصفهم هنا ب(الأعمى) و هذا الوصف كناية عن الحقيقه التى تقول بأن الحق يكون واضحاً دوماً و فى متناول البصر إذا كانت هناك عين بصيره تنظر، العين التى تشاهد آيات الله فى هذا العالم الواسع، العين التى تعتبر الدروس المكتوبه على صفحات التاريخ؛ العين التى تشاهد عاقبه الظالمين و المستكبرين، العين التى تنظر الحق دون غيره.

أمياً عند ما تكون هناك ستائر و حجب الجهل و الغرور و التعصب و العناد و الشهوه أمام هذه العين، فإنها لا تستطيع مشاهدته جمال الحق بالرغم من أنه غير محجوب بستار.

و

فى حديث عن الإمام الباقر عليه السلام فى تفسير الآيه نقرأ: «من لم يدله خلق السماوات و الأرض، و اختلاف الليل و النهار، و دوران الفلك و الشمس و القمر

ص: ٧١

و الآيات العجيبات، على أن وراء ذلك أمر أعظم منه، فهو في الآخرة أعمى و أضل سيلاً» (١).

و جاء في روايات مختلفه في تفسير هذه الآيه أنها تعنى الشخص الذى يكون مستطيعا للحج و لكنّه لا يؤديه حتى نهايه عمره (٢).

و بدون شك فإنّ هذا المعنى هو أحد مصاديق الآيه و ليس كلّها. و قد يكون ذكر هذا المصداق و التأكيد عليه من زاويه دفع المسلمين للمشاركة فيه لمشاهده هذا الاجتماع الإسلامى العظيم، بما يحويه من أسرار عباديه و مصالح سياسيه تتجلى لعين الإنسان يحضر الموسم، و يتعلم الحقائق الكثيره و المتعدده منه.

و

في روايات أخرى ورد أنّ «شّر العمى عمى القلب» (٣).

على أى حال- كما قلنا سابقا- فإنّ عالم القيامة، هو انعكاس لهذا العالم فى كل ما يحويه وجودنا من أفكار و مواقف و مشاعر و أعمال. لذلك نقرأ فى الآيات ١٢٤-١٢٦ من سوره طه، قوله تعالى: وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيرًا.

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى .

ص: ٧٢

١-١) -تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ١٩٦.

٢-٢) -تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ١٩٦-١٩٧.

٣-٣) -المصدر السابق.



إشاره

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيتَ إِلَيْكَ لَيَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا (٧٤) إِذَا لَأَذْفَنَّاكَ لَاجِبًا وَأَكْبَهُ وَضَعَفَ الْمِمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)

سبب النزول

لقد ذكرت أسباب مختلفه لنزول هذه الآيات، إلا أن بعض هذه الأسباب لا يتلائم مع تأريخ النزول، و بما أن أسباب النزول هذه قد أفاد منها بعض المنحرفين لأغراض خاصه، لذلك سوف نقوم هنا بذكرها جميعا:

ذكر العلامة الطبرسي في (مجمع البيان) خمسة آراء في هذا المجال، وهي:

الرأى الأول: قالت قريش للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: لا ندعك تلمس الحجر الأسود حتى تحترم آلهتنا، وقال الرسول في قلبه: إن الله يعلم نفرتي من أصنامهم و إنكارى لها، فما المانع من أن أنظر إلى هذه الآله باحترام ظاهرا حتى يسمحوا لى باستلام الحجر الأسود. و هنا أنزل الله تبارك و تعالى الآيات أعلاه التى نهت الرسول عن هذا الأمر.

الرأى الثانى: اقترحت قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك الاستهانه بألهتهم والاستخفاف بعقولهم، وأن يبعد عنه العبيد من أصحابه وذوى الأصول المتواضعه، والرأى الكريهه، لكى تحضر قريش مجلسه صلى الله عليه وآله وسلم ويستمعون إليه، فطمع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى إسلامهم، فنزلت الآيات أعلاه تحذّر من هذا الأمر.

الرأى الثالث: عند ما حطّم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأصنام التى كانت موجوده فى المسجد الحرام، اقترحت قريش عليه أن يبقى الصنم الموضوع على جبل المروه قرب بيت الله، فوافق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى البدايه على هذه الاقتراح لكى يحقق من خلاله بعض مصالح الدعوه، إلاّ أنّه بعد ذلك عدل عن هذا الأمر وأعطى أوامره صلى الله عليه وآله وسلم بتحطيم هذا الصنم، وعند ما نزلت الآيات أعلاه.

الرأى الرابع: إنّ مجموعته من قبيله (ثقيف) وفدت على النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعرضت عليه ثلاثه شروط لمبايعته، وكان شرطهم، الأول: أن لا يركعوا ولا يسجدوا عند الصلاه، و ثانيا: أن لا يحطموا أصنامهم بأيديهم بل يقوم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بذلك. أمّا الشرط الثالث: فقد طلبوا فيه من رسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يسمح لهم ببقاء صنم (اللات) بينهم لمده سنه.

وقد أجابهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا فائده فى دين لا ركوع ولا سجود فيه، وأمّا تحطيم الأصنام فإذا كنتم ترغبون فى القيام بذلك فافعلوا، وإلاّ فنحن نقوم به، أمّا الاستمرار فى عباده اللات لسنه أخرى، فلا أسمح بذلك.

بعد ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتوضأ، فالتفت عمر بن الخطاب وقال: ما بالكم آذيتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّه لا يدع الأصنام فى أرض العرب. إلاّ أنّ ثقيف أصرت على مطالبها، حتى نزلت الآيات الآنفه.

الرأى الخامس: إنّ وفد ثقيف طلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يمهلهم سنه حتى يستلموا الهدايا المرسله إلى الأصنام، وبعد ذلك يكسرون الأصنام ويسلمون، فهّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإمهالهم وإجابتهم إلى ما أرادوا لو لا نزول الآيات أعلاه التى نهت عن إجابته طلبهم بشده.

و هناك أسباب أخرى للنزول تشبه الآراء التي ذكرناها.

أقول: لا حاجة لبيان ضعف هذه الآراء إذ أنّ بطلان أكثر هذه الآراء كامن فيها، لأنّ مجيء وفود القبائل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و طلباتهم و تحطيم الأصنام، كل هذه الأمور إنّما تمت بعد فتح مكّة في العام الثامن للهجرة، في حين أنّ هذه السورة نزلت قبل هجره الرسول، و في وقت لم يكن فيه صلى الله عليه وآله و سلم يمتلك القدره الظاهريه التي تفرض على المشركين التواضع لمقامه، و سوف نقوم بتوضيح أكثر لا حقاً.

## التفسير

بما أنّ الآيات السابقه كانت تبحث حول الشرك و المشركين، لذا فإنّ الآيات التي نبثها تحدّر الرسول صلى الله عليه وآله و سلم من وساوس و إغواءات هذه المجموعه، حيث لا يجوز أن يبدى أدنى ضعف في محاربه الشرك و عباده الأصنام، بل يجب الاستمرار بصلابه أكبر.

في البدايه تقول الآيه أنّ وساوس المشركين كادت أن تؤثر فيك: **وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتتخذوك خليلاً .**

ثمّ بعد ذلك تضيف أنّه لو لا نور العصمه و أنّ الله تعالى ثبتك على الحق:

**وَلَوْ لَا أَنْ جَبْتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَوَكَّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا .**

و أخيراً لو أنّك ركنت إليهم فسوف يكون جزاءك ضعف عذاب المشركين في الحياه الدنيا، و ضعف عذابهم في الآخره: **إِذَا لَأَذْفَنَّاكَ فِي الضَّعْفِ الْحَيَاهِ وَ الضَّعْفِ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا .**

## ١- هل أبدى الرسول ليونه إزاء المشركين؟

بالرغم من أنّ بعض السطحيين أرادوا الاستفادة من هذه الآيات لنفى العصمة عن الأنبياء، وقالوا أنّه طبقاً للآيات أعلاه وأسباب النزول المرتبطة بها إنّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أبدى ليونه إزاء عبده الأصنام، وأنّ الله عاتبه على ذلك. إلا أنّ هذه الآيات صريحة في افهام مقصودها بحيث لا تحتاج إلى شواهد أخرى على بطلان هذا النوع من التفكير، لأنّ الآية الثانية تقول و بصراحه: **وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتِنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا**. ومفهوم التثبيت الإلهي (و الذي نعتبره بأنّه العصمة) أنّه منع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من التوجه إلى مزلق عبده الأصنام، ولا يعنى ظاهر الآية-في حال- أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم مال إلى المشركين، ثمّ نهى عن ذلك بوحي من الله تعالى.

و توضيح ذلك، إنّ الآية الأولى والثانية هما في الحقيقة إشارة إلى حالتين مختلفتين للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، الحالة الأولى هي الحالة البشرية والإنسانية والتي تجلّت بشكل واضح في الآية الأولى، و بمقتضى هذه الحالة يمكن تأثير وساوس الأعداء في الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم خاصّه إذا كانت ثمّة مرجحات في إظهار الليونه والتوجه إليهم، من قبيل رغبته صلّى الله عليه وآله وسلّم في أن يسلم زعماء الشرك بعد إظهار الليونه، أو أن يمنع بذلك سفك الدماء، والآية تكشف عن احتمال وقوع الإنسان العادي ومهما كان قويا تحت تأثير الأعداء.

أمّا الآية الثانية فهي ذات طبيعه معنويه، إذ هي تبين العصمة الإلهيه ولطفه الخاص سبحانه وتعالى الذي يشمل به الأنبياء خصوصا نبي الإسلام صلّى الله عليه وآله وسلّم حينما يمر بمنعطفات ومزلق دقيقه.

و النتيجة أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بالطبع البشرى قد وصل إلى حافه القبول ببعض وساوس الأعداء، إلا أنّ التأيد الإلهي (العصمه) ثبته وحفظه وأنقذه من الانزلاق.



الوعى العلم و المعرفة، و طبعا سيكون ثوابها أكثر، لذا فإننا نقرأ فى بعض الروايات: (إن الثواب على قدر العقل) (١).

أمّا الثواب و العقاب فسوف يزداد تبعا لهذه النسبه، فإذا ارتكب إنسان أمى و ضعيف الإيمان ذنبا كبيرا، فهذا ليس بالأمر العجيب، و لهذا السبب سيكون جزاؤه أخف، أما إذا قام عالم مؤمن بارتكاب ذنب صغير فإنّ جزاءه فى مقابل ذلك سيكون أشد من جزاء الأمى فى قبال ذنبه الكبير.

لهذا السبب بالذات نقرأ فى الآيتين (٣٠-٣١) من سورة الأحزاب خطابا بهذا المضمون إلى نساء النبي صلى الله عليه و آله و سلم حيث يقول تعالى: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِنَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا .

و

فى الروايات نقرأ هذا المفهوم: «يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد» (٢).

هذه الآيات تشير إلى هذه الحقيقة، فهى تقول للرسول صلى الله عليه و آله و سلم: إذا أظهرت ميلا- (و حاشاه) نحو الشرك و المشركين فإنّ عقابك سيتضاعف فى هذه الدنيا و فى الآخرة.

### ٣- معنى (الضعف)

يجب الانتباه إلى هذه الملاحظة، و هى أن كلمة (ضعف) فى اللغة العربية ليس المقصود بها مرتين فقط، بل مرتان و عدّه مرّات أيضا.

يقول الفيروز آبادى، (العالم اللغوى المعروف فى القرن الثامن الهجرى) فى

ص: ٧٨

١-١) - أصول الكافى، ج ١، كتاب العقل و الجهل، ص ٩، حديث ٨.

٢-٢) - أصول الكافى، ج ١، ص ٣٧.

القاموس: يقال فى بعض الأحيان «ضعف شىء معين» وهى تعنى المرّتين و الثلاث مرّات و ما شابهها، لأنّ هذه الكلمه تعنى الإضايفه غير المحدوده.

الدليل على هذا القول، أنّ الآيات القرآنيه-و فى خصوص الحسنات- تقول: **إِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا (١)** و فى موقع آخر تقول: **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا (٢)**.

و

فى الرّوايات الإسلاميه ورد عن الإمام جعفر الصّادق عليه السّلام قوله فى تفسير الآيه (٢٦١) من سوره البقره: «إذا أحسن المؤمن عمله ضاعف الله عمله بكل حسنه سبعمائه ضعف، و ذلك قول الله وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ (٣).

و لكن هذا الكلام لا يمنع من أن تطلق هذه الكلمه على «التثنيه» بمعنى الضعفين. أو عند ما تذكر على شكل مضاف فإنّها تعنى ثلاثه أضعاف مثلا نقول:

ضعف الواحد.

#### ٤- تفسير جملة إِذَا لَاتَّخَذُوا كَخَلِيلًا

المشهور بين المفسّرين أنّ القرآن يعنى بالآيه هذه أنّك إذا أظهرت توجهها للمشرّكين فسوف يعتبرونك صديقا لهم. إلا أنّ بعض المفسّرين يعتبر أنّ معنى الجملة، أن المشرّكين سيُعتبرونك-يا رسول الله-فقيرا لهم و محتاجا إليهم. إذ فى المعنى الأوّل (خليل) مأخوذه من (خلّه) على وزن (قلّه) و تعنى الصداقه. أمّا فى المعنى الثّانى فإنّ (خلّه) على وزن (غلّه) و تعنى العوز و الفقر و الحاجه. لكن من الواضح أنّ الصحيح هو المعنى الأوّل.

ص: ٧٩

١-١) -النساء، ٤٠.

٢-٢) -الأنعام، ١٦٠.

٣-٣) -تفسير العياشى وفقا لما نقله صاحب الميزان، ج ٢، ص ٤٢٤.

## ٥- إلهى لا تكنلى إلى نفسى

فى المصادر الإسلاميه نقرأ

أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ما نزلت هذه الآيات قرأ هذا الدعاء «اللهم لا تكنلى إلى نفسى طرفه عين أبدا».

و هذا الدعاء المهم لرسول الهدى صلى الله عليه وآله وسلم يعطينا درسا مهما، وهو أنه يجب أن نذكر الله دائما و نلتجئ إليه، و نعتمد على لطفه، حيث أن الأنبياء المعصومين لم يسلموا من المزلق بدون نصره الله و تثبته لهم، إذن فكيف بنا نحن مع كل ما يحيطنا من أشكال الوسوسة و الإغواء الشيطاني!!

ص : ٨٠



إشارة

وَإِنْ كَادُوا لَيْسَ بِتَفْزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سِينَهُ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَ  
لَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧)

أسباب النزول

المشهور أنّ هذه الآيات نزلت في أهل مكة بعد أن قرروا إخراج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منها. ثمّ بدّلوا رأيهم بعد ذلك وقرروا قتله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فحاصروا بيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و لكنّ الله أنجاه من هذه المكيده بشكل إعجازي و استطاع أن يهاجر إلى المدينة المنورة.

البعض يرى أنّ هذه الآيات نزلت بشأن اقتراح يهود المدينة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أن يخرج منها إلى بلاد الشام باعتبار أنّ المدينة ليست أرض الأنبياء، بل إنّ أرض الأنبياء هي الشام، لذلك قال اليهود لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إذا كنت ترغب بانتشار دعوتك فهاجر إلى هناك، إلى بلاد الشام.

و لكن لما كانت هذه السورة مكيه فيتّضح عدم صحّحه هذا السبب للنزول، فضلا عن أنّنا سوف نرى أثناء الحديث عن الآيات أنّها-أيضا-لا تتوافق مع السبب المذكور.

## مؤامره خبيثه أخرى:

فى الآيات السابقة رأينا كيف أنّ المشركين أرادوا من خلال مكائدهم المختلفه أن يحرفوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الطريق المستقيم، لكن الله أنجاه بلطفه له و رعايته إياه، و بذلك فشلت خطط المشركين.

بعد تلك الأحداث، و طبقاً للآيات التى بين أيدينا، و وضع المشركون خطه أخرى للقضاء على دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، و هذه الخطه تقضى بإبعاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن مسقط رأسه (مكة) إلى مكان آخر قد يكون مجهولاً و بعيداً عن الأنظار. إلا أنّ هذه الخطه فشلت أيضاً بلطف الله أيضاً.

الآية الأولى تقول: وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا بِخَطِّهِ دَقِيقِهِ.

و بما أنّ كلمه «يستفزونك» مشتقه من «استفزاز» التى تأتى فى بعض الأحيان بمعنى قطع الجذور، و فى أحيان أخرى بمعنى الإثارة مع السرعة و المهارة، فإننا نفهم من ذلك أنّ المشركين وضعوا خطه محكمه تجعل الوسط المحيط بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم غير مناسب له، و تثير عامه الناس ضده كى يخرجوه بسهولة من مكة. لكن هؤلاء لا يعرفون أنّ هناك قوه أعظم من قوتهم، و هى قوه الخالق الكبير حيث تتلاشى إرادتهم دون إرادته عزّ و جلّ.

ثمّ يحذّرهم القرآن بعد ذلك بقوله: وَإِذَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا قَلِيلًا فَهَؤُلَاءِ سَيَّادُونَ بِسْرَعِهِ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمُ الْعَظِيمِ فِى إِخْرَاجِ الْقَائِدِ الْكُفُوءِ-الذى تذهب نفسه حسرات على العباد-من البلد، إذ يعتبر ذلك أوضح مداليل كفران النعمه، و مثل هؤلاء القوم لا يستحقون الحياه و يستحقون العذاب الإلهي.

إنّ هذا الأمر لا يخص مشركى العرب و حسب، بل هو سئنه من قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَ لَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا. و هذه السنه تنبع من منطق واضح،

حيث أنّ هؤلاء القوم لا يشكرون النعم، و يحطمون مصباح هدايتهم و منيع النور إليهم بأيديهم، إنّ مثل هؤلاء الأقسام لا يستحقون رحمه الخالق، و إنّ العقاب سيشملهم. و نعلم هنا أنّ الله تبارك و تعالى لا يفرق بين عباده، و بذلك فإنّ الأعمال المتشابهة في الظروف المتشابهة لها عقاب متشابه، و هذا هو معنى عدم اختلاف سنن الخالق جلّ و علا.

إنّ السنن الإلهية هي عكس السنن و القوانين التي يضعها البشر حيث تقضى مصالحهم في يوم أن تكون هناك سنه أو قانون معين، و في يوم آخر يمكن أن تنقلب هذه السنه أو القانون إلى عكسه تماما.

و نعرف هنا أنّ اختلاف السنن و القوانين البشرية إمّا أن يعود إلى عدم وضوح الأمور، و التي عادة ما تتوضح بمرور الزمن، و تنكشف للإنسان اشتباهاً و أخطاؤه، أو أنّ السبب في ذلك يعود إلى مقتضيات المصالح الخاصه و شروط الحياه التي تتحوّل و تتغير في كل وقت. و لما كانت هذه الأمور لا تؤثر على الإرادة الإلهية، فإنّ ما يصدر عن الحكمة الإلهية من سنن تكون ثابتة في جميع الحالات و الشرائط.

إشاره

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِـدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠) وَقُلْ لَجَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)

التفسير

إشاره

الفناء نهايه الباطل:

بعد سلسله الآيات التي تحدثت عن التوحيد و الشرك و عن مكائد المشركين و مؤامراتهم، تبحث هذه الآيات عن الصلاة و الدعاء و الارتباط بالله و التي تعتبر عوامل مؤثرة في مجاهده الشرك، و وسيله لطرده إغواءات الشيطان من قلب و روح الإنسان، إذ تقول الآيات في البدايه أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل و قرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً .

«دلوك الشمس» يعني زوال الشمس من دائره نصف النهار و التي يتحدّد معها

وقت الظهر. و في الأصل فإنّ (دلوک) مأخوذه من (دلک) حيث أنّ الإنسان يقوم بدلك عينيه في ذلك الوقت لشده ضوء لشمس. أو أنّ كلمه (دلک) تعنى (الميل) حيث أنّ الشمس تميل من دائره نصف النهار من طرف المغرب. أو أنّها تعنى أنّ الإنسان يضع يده في قبال الشمس حيث يقال بأنّ الشخص يمنع النور عن عينيه و يميله عنه.

على أى حال، في الزوايه التي وصلتنا عن أهل البيت عليهم السّلام توضح لنا أنّ معنى (دلوک) هو زوال الشمس.

فقد روى العاملی في (وسائل الشيعه) أنّ عبيد بن زرارہ سأل الإمام الصادق عليه السّلام عن تفسير الآيه فقال عليه السّلام: «إنّ الله افترض أربع صلوات أوّل وقتها زوال الشمس إلى انتصاف الليل، منها صلاتان أوّل وقتها من عند زوال الشمس إلى غروب الشمس، إلاّ أنّ هذه قبل هذه، و منها صلاتان أوّل وقتها من غروب الشمس إلى انتصاف الليل إلاّ أنّ هذه قبل هذه» (١).

و

في روايه أخرى رواها المحدث الكبير (زراره بن أعين) عن الإمام الباقر عليه السّلام، في تفسير الآيه قال عليه السّلام: «دلوکها زوالها، و غسق الليل إلى نصف الليل، ذلك أربع صلوات وضعهنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و وقتهنّ للناس، و قرآن الفجر صلاه الغداه» (٢).

لكن وضع بعض المفسّرين احتمالات أخرى لمعنى (دلوک) إلاّ أنّنا آثرنا تركها لأنّها لا تستحقّ الذكر.

و أمّا (غسق الليل) فإنّها تعنى منتصف الليل، حيث أنّ (غسق) تعنى الظلمه الشديده، و أكثر ما يكون الليل ظلّمه في منتصفه.

أمّا (قرآن) فهي تعنى كلاما يقرأ. و (قرآن الفجر) هنا تعنى صلاه الفجر.

و بهذا الدليل تعتبر هذه الآيه من الآيات التي تشير بشكل إجمالي إلى أوقات

ص: ٨٥

١-١) - وسائل الشيعه، ج ٣، ص ١١٥.

٢-٢) - نور الثقلين، ج ٣، ص ٢٠٥.

الصلوات الخمس. و مع أخذ الآيات القرآنيه الأخرى بنظر الإعتبار فى مجال وقت الصلوات و الروايات الكثيره الوارده فى هذا الشأن، يمكن تحديد أوقات الصلوات الخمس بشكل دقيق.

و يجب الانتباه هنا إلى أنّ بعض الآيات تشير إلى صلاه واحده فقط، كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ (١). حيث (الصلاه الوسطى) وفقا لأصح التفاسير هى صلاه الظهر.

و فى بعض الأحيان تشير الآيه إلى ثلاث صلوات من الصلوات الخمس كما فى الآيه (١١٤) من سوره هود، فى قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾. حيث يشير تعبير طَرَفَى النَّهَارِ إلى صلاتى الصبح و المغرب، و أمّا زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ فهى إشاره إلى صلاه العشاء.

و فى بعض الأحيان تشير الآيه إلى الصلوات الخمس بشكل إجمالى، كما فى الآيه التى نبحثها (راجع للمزيد من التوضيح نهايه تفسير الآيه (١١٤) من سوره هود).

على أى حال، لا- يوجد ثمه شك فى أنّ هذه الآيات لم توضح جزئيات أوقات الصلاه، بل تشير إلى الكليات و الخطوط العامه، مثلها مثل الكثير من الأحكام الإسلاميه الأخرى، أمّا التفاصيل فإنّها وردت فى سنه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و الأئمه الصادقين من أهل بيته عليهم السلام.

الآيه بعد ذلك تقول: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ و هنا يطرح سؤال حول هويه الذى يقوم بالمشاهده، من هو يا ترى؟ الروايات الوارده فى تفسير هذه الآيه تقول إنّ ملائكه الليل و النهار هى التى تشهد، لأنه فى بدايه الصباح تأتي ملائكه النهار لتحل محل ملائكه الليل التى كانت تراقب العباد، و حيث أنّ صلاه الصبح هى فى أول وقت الطلوع، لذلك فإنّ المجموعتين من الملائكه تشاهدها

ص: ٨٦

و تشهد عليها.

و الروايات فى هذه المجال نقلها علماء الشيعة و السنّه.

فمثلا ينقل أحمد و النسائى و ابن ماجه و الترمذى و الحاكم عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم، وفقا لما نقله عنهم صاحب تفسير (روح المعانى) أثناء تفسير الآيه قولهم

عنه صلى الله عليه و آله و سلم: «تشهده ملائكه الليل و ملائكه النهار» (١).

أمّا البخارى و مسلم فقد نقلوا نفس هذا المعنى فى صحيحيهما وفقا لما نقله عنهم صاحب تفسير (روح المعانى) فى المجلد الخامس عشر، صفحته (١٢٦) من تفسيره.

و لمزيد الاطلاع على الأحاديث المرويه عن أهل البيت عليهم السلام فى هذا المورد يمكن مراجعته المجلد الثالث من تفسير (نور الثقلين) فى نهايه حديثه عن الآيه الكريمه.

و من هنا يتضح أنّ أفضل وقت لأداء صلاه الصبح هى اللحظات الأولى لطلوع الفجر.

و بعد أن تذكر الآيه أوقات الصلوات الخمس تنتقل الآيه التى بعدها إلى قوله تعالى: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ» (٢) المفسرون الإسلاميون المعروفون يعتبرون هذا التعبير إشاره إلى نافله الليل التى وردت روايات عديده فى فضيلتها، وبالرغم من أنّ الآيه لا تصرّح بهذا الأمر، إلاّ أن هناك قرائن مختلفه ترجح هذا التفسير.

ثمّ تقول الآيه «نَافِلَةٌ لَكَ» أى برنامج إضافى علاوه على الفرائض اليوميه.

و هذا التعبير اعتبره الكثير بأنّه دليل على وجوب صلاه الليل على الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، حيث أنّ هذه (النافله) و التى هى بمعنى (زياده فى الفريضة)

ص: ٨٧

١-١) - روح المعانى، ج ١٥، ص ١٢٦.

٢-٢) - «تهجّد» مأخوذه من (هجوذ) و هى تعنى فى الأصل: النوم، حسبما يقول الراغب فى المفردات. و لكن عند ما تكون على وزن (تفعل) فإنّها تعنى إزالة النوم و الانتقال إلى حاله اليقظه. أمّا الضمير فى كلمه «تهجّد به» فإنّه يدل على القرآن. و لكن هذه الكلمه استخدمت عند أهل الشرع بمعنى صلاه الليل. و يقال للذى يصلى الليل (المتهجّد).

تخصك أنت دون غيرك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أمّا البعض الآخر فيعتقد بأنّ صلاه الليل كانت بالأصل واجبه على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقرينه آيات سوره المزمل، إلا أنّ هذه الآيه نسخت الوجوب و أبدلته بالاستحباب.

و لكن هذا التفسير ضعيف، لأنّ النافله لم تكن تعنى (الصلاه المستحبّه) كما نسميها اليوم، بل تعنى الزيادة و الإضافه، و نعلم أنّ صلاه الليل كانت واجبه على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك فهي إضافيه على الفرائض اليوميّه.

على أيه حال في ختام الآيه تتوضح نتیجه هذا البرنامج الإلهي الروحاني الرفيع حيث تقول: **عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**

و لا- ريب فإنّ المقام المحمود هو مقام مرتفع جدّا يستشير الحمد، حيث أن (محمود) مأخوذه من (الحمد). و بما أنّ هذه الكلمه وردت بشكل مطلق، لذا فقد تكون إشاره إلى أنّ حمد الأولين و الآخرين يشملك.

الروايات الإسلاميه الوارده عن طريق أهل البيت عليهم السّلام أو عن طريق أهل السنه، تشير إلى أنّ المقام المحمود هو مقام الشفاعه الكبرى. فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أكبر الشفعاء في ذلك العالم، و شفاعته تشمل الذين يستحقونها.

أمّا الآيه التي بعدها فإنّها تشير إلى أحد التعاليم الإسلاميه الأساسيه و الذي ينبع من روح التوحيد و الإيمان: **وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ (١)**. فأى عمل فردى أو اجتماعى لا أبدؤه إلا بالصدق و لا أنهيه إلا بالصدق، فالصدق و الإخلاص و الأمانه هي الخط الأساس لبدايه و نهايه مسيرتى.

بعض المفسرين أراد تحديد المعنى الواسع لهذه الآيه في مصداق أو مصاديق معنيه، فمثلا قال بعضهم: إنّ الآيه تعنى الدخول إلى المدينه و الخروج

ص: ٨٨

---

١- ١) - (مدخل) و (مخرج) هي تعنى الإدخال و الإخراج، تؤدى هنا المعنى المصدرى.



منها إلى مكّه المكرّمه، أو الدخول إلى القبر و الخروج منه يوم البعث، و أمثال هذه الأمور، و لكن من الواضح جدا أنّ التعبير القرآنى الجامع فى الآيه الكريمة لا يمكن تحديده، فهو طلب فى الدخول و الخروج الصادق من جميع الأمور و فى كل الأعمال و المواقف و البرامج.

و فى الحقيقة فإنّ سر الإنتصار يكمن هنا، و هذا هو طريق الأنبياء و الأولياء الزبانيين حيث كانوا يتجنّبون كل غش و خداع و حيله فى أفكارهم و أقوالهم و أعمالهم و كل ما يتعارض مع الصدق.

و عاده فإنّ المصائب التى نشاهدها اليوم و التى تصيب الأفراد و المجتمعات و الأقوام و الشعوب، إنّما هى بسبب الانحرافات عن هذا الأساس، ففى بعض الأحيان يكون أساس علمهم قائما على الكذب و الغش و الحيله، و فى بعض الأحيان يدخلون إلى عمل معين بصدق و لكنهم لا يستمرون على صدقهم حتى النهاية. و هذا هو سبب الفشل و الهزيمة.

أمّا الأصل الثانى الذى يعتبر من ناحيه ثمره لشجره التوحيد، و من ناحيه أخرى نتيجته للدخول و الخروج الصادق فى الأعمال، فهو ما ذكرته الآيه فى نهايتها: وَ اجْعَلْ لى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَصِيرًا لماذا؟ لأننى وحيد، و الإنسان الوحيد لا يستطيع أن ينجز عملا، و لا يستطيع أن ينتصر فى مقابل جميع هذه المشاكل فيما إذا اعتمد على قوته وحدها، لذلك فسؤاله من الله تبارك و تعالى، هو انصرنى و اجعل لى نصيرا.

أعطنى يا إلهى، لسانا ناطقا، و أدله قويه فى مقابل الأعداء، و أتباعا يضحّون بأنفسهم، و إرادته قويه، و فكرا و ضاء، و عقلا واسعاً بحيث تقوم كل هذه الأمور بنصرتى، فغيرك لا يستطيع إعطائى هذه الأشياء كلها.

و بعد أن ذكرت الآيات (الصدق) و (التوكل) جاء بعدها الأمل بالنصر النهائى، و الذى يعتبر بحدّ ذاته عاملا للتوفيق فى الأعمال، إذ خاطبت الآيه

الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى: وَقُلْ لِّجَاءِ الْحَقِّ وَزَهَقِ الْبَاطِلِ (١)، لأنَّ طبيعته الباطل الفناء و الدمار: إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا. فللباطل جوله، إلاَّ أنه لا يدوم و العاقبه تكون لانتصار الحق و أصحابه و أنصاره.

بحوث

أشاره

## ١- صلاة الليل عباده روحه عظيمه

إنَّ التأثيرات المختلفه لضوضاء الحياه اليوميه تؤثر على الإنسان و على أفكاره و تجرّه إلى وديان مختلفه بحيث يصعب معها تهدئه الخاطر، و صفاء الذهن، و الحضور الكامل للقلب في مثل هذا الوضع. أمّا في منتصف الليل و عند السحر عند ما تهدأ هذه ضوضاء حياثيه الماديه، و يرتاح جسم الإنسان، و تهدأ روحه بعد فتره من النوم، فإنَّ حاله من التوجّه و النشاط الخاص تخالغ الإنسان، في مثل هذا المحيط الهادىء و البعيد عن كل أنواع الرياء، مع حضور القلب، يعيش الإنسان حاله خاصّه قادره على تربيته و تكامل روحه.

لهذا السبب نرى أن عباد الله و محبيه يتوقون إلى التعيّد منتصف الليل، لأنّه يزكى أرواحهم، و يحيى قلوبهم، و يقوى إرادتهم، و يكمل إخلاصهم.

و فى بدايه عصر الإسلام كان الرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يستفيد من هذا البرنامج الروحى فى تربيه المسلمين، و كانت بينى شخصياتهم بحيث كانوا يتغيرون تماما عمّا كانوا عليه فى السابق، يعنى أنّه صلى الله عليه و آله و سلم كان يجعل منهم شخصيات جديده ذات إراده قويه و شجاعه، و مؤمنين ذوى إخلاص و نقاء.

و قد يكون (المقام المحمود) الذى ورد ذكره فى الآيات أعلاه نتيجته لصلاه

ص: ٩٠

١-١) - (زهق) من ماده «زهوق» بمعنى الاضمحلال و الهلاك و الإباده، و (زهوق) على وزن «قبول» صيغه مبالغه و هى تعنى الشىء الذى تمت إبادته بالكامل.

الليل، إشاره لهذه الحقيقه.

و عند ما نبحت الروايات الوارده فى المصادر الإسلاميه عن فضيله صلاه الليل، نرى أنّها توضح هذه الحقيقه. و على سبيل المثال يمكن أن نقف مع هذه النماذج:

١-

عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قال: «خيركم من أطاب الكلام و أظعم الطعام و صلى بالليل و الناس نيام» (١).

٢-

عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب، أنّه عليه السّلام قال: «قيام الليل مصححه للبدن، و مرضاه للربّ عزّ و جلّ، و تعرّض للرحمه، و تمسك بأخلاق النّبيين» (٢).

٣-

عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه أوصى أحد أصحابه بقوله: «لا تدع قيام الليل فإنّ المغبون من حرم قيام الليل» (٣).

٤-

عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار» (٤).

و نقرأ فى بعض الروايات أنّ هذه العباده (صلاه الليل) على قدر من الأهميه بحيث أنّ غير الطاهرين و المحسنين لا يوفقون إليها.

٥-

جاء رجل إلى أمير المؤمنين على عليه السّلام و قال له: إني محروم من صلاه الليل، فأجابه عليه السّلام: «أنت رجل قد قيدتك ذنوبك» (٥).

٦-

فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «إنّ الرجل ليكذب الكذبه و يحرم بها صلاه الليل، فإذا حرم بها صلاه الليل حرم بها الرزق» (٦).

٧- وبالرغم من أننا نعلم أن شخصا مثل على بن أبى طالب لا يترك صلاه

- ١-١) -بحار الأنوار، ج ٨٧ ص ١٤٢-١٤٨.
- ٢-٢) -المصدر السابق.
- ٣-٣) -المصدر السابق.
- ٤-٤) -المصدر السابق.
- ٥-٥) -بحار الأنوار، ج ٨٧ ص ١٤٢-١٤٨.
- ٦-٦) -المصدر السابق.

الليل أبداً، ونظراً لأهميته هذه الصلاة نرى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أوصاه بها في جملة من وصاياه له، إذ

قال له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها، ثم قال: اللهم أعنه... و عليك بصلاة الليل، و عليك بصلاة الليل، و عليك بصلاة الليل!» (١).

٨-و

عن الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَجَبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَظَنِي، فَقَالَ جَبْرَائِيلُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يَا مُحَمَّدُ، عَشَ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحَبُّ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَلَاقِيهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزَّهُ كَفَّهُ عَنِ اعْرَاضِ النَّاسِ» (٢).

إنَّ هذه الوصايا الملكوتية لجبرائيل تدل على أَنَّ صلاة الليل تضيء على الإنسان من الإيمان و الروحانيه و قوه الشخصيه ما يكون سببا في شرفه كما أن كَفَّهُ الأذى عن الآخرين يكون سببا في عزته.

٩-

عن الإمام الصادق عليه السَّلام قال: «ثلاثة هنَّ فخر المؤمن و زينه في الدنيا و الآخرة، الصَّلاه في آخر الليل و يأسه ممَّا في ايدي الناس و والآيه الإمام من آل محمَّد».

١٠-

عن الإمام الصادق عليه السَّلام قوله: «ما من عمل حسن يعمله العبد إلا و له ثواب في القرآن إلا صلاة الليل، فإنَّ الله لم يبيِّن ثوابها لعظيم خطرها عنده فقال:

تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا و طمعا و ممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ\* فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣).

و لصلاة الليل -بالطبع- آداب كثيرة، و لكن لا بأس أن نذكر هنا أبسط شكل لها، حتى يستطيع عشاق و محبّو هذه العبادة الروحية بها و الاستفادة منها:

و إنَّ صلاة الليل تتكون بأبسط صورها من (٨٥) ركعة، و هي مقسمة إلى ثلاثة أقسام هي:

أ- أربع صلوات، ذات ركعتين، يكون مجموعها ثماني ركعات و تسمّى

ص: ٩٢

٢-٢) - وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٢٦٩.

٣-٣) - بحار الأنوار، ج ٨٧، ص ١٤٠.

(نافله الليل).

ب-صلاه واحده ذات ركعتين، و تسمى ب(الشفع).

ج-صلاه واحده ذات ركعه واحده، و تسمى ب(الوتر).

أما طريقه أداء هذه الصلاه فهي لا تختلف عن صلاه الصبح، إلا أنها لا تحتوى على الأذان و الإقامه، و الأفضل إطاله قنوت ركعه الوتر (١).

## ٢- ما هو المقام المحمود؟

المقام المحمود- كما هو واضح من اسمه- له معنى واسع بحيث يشمل كل مقام يستحق الحمد، و لكن من المسلم بأن المقصود به هنا، هو الإشاره إلى المقام الممتاز و الخاص الذى اختص به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و بسبب عباداته الليله و دعائه فى وقت السحر.

و المعروف بين المفسرين- كما قلنا سابقا- أن هذا المقام هو مقام الشفاعه الكبرى للرسول صلى الله عليه و آله و سلم. و هذا التفسير ورد فى روايات متعدده، فى تفسير العياشى عن الإمام الصادق أو الباقر عليهما السلام، نقرأ فى تفسير قوله تعالى: عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا أَنَّهُ قَالَ: «هى الشفاعه».

و قد حاول بعض المفسرين الوصول إلى هذه الحقيقه من مفهوم الآيه نفسها، فهم يعتقدون أن جملة عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ دليل على أن الله سوف يعطيك هذا المقام فى المستقبل. المقام الذى سوف يحمده الجميع، لأن فائدته سوف تنال الجميع (لأن محمود فى الجملة أعلاه جاءت مطلقه غير مقيدة بشرط). إضافة إلى ذلك فإن الحمد فى مقابل عمل معين هو أمر اختياري، و الشىء الذى يحتوى على جميع هذه الصفات لا يمكن أن يكون سوى الشفاعه الكبرى و العامه

ص: ٩٣

(١-١) - بعض الفقهاء يحتاطون بعدم قراءه القنوت فى ركعتى الشفع أو قراءتها بأمل الرجاء.

لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (١).

و هناك احتمال أن يكون المقام المحمود هو أقصى القرب من الخالق عزّ و جلّ، و الذى تكون إحدى آثاره هى الشفاعة الكبرى. (فتأمل ذلك).

و بالرغم من أنّ المخاطب فى هذه الآية-ظاهرا- هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إلاّ أنّه يمكن تعميم الحكم و القول بأنّ جميع الأشخاص المؤمنين الذين يقومون ببرنامج التلاوة و صلاة الليل لهم نصيب فى هذا المقام المحمود، و سوف يقتربون من الساحة الإلهية بمقدار إيمانهم و عملهم، و بنفس المقدار سوف يقيمون بالشفاعة للآخرين.

إنّنا نعلم أنّ أى مؤمن و بمقدار إيمانه له نصيب من مقام الشفاعة، إلاّ أنّ المصداق الأتمّ و الأكمل لهذه الآية هو شخص الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

### ٣-العوامل الثلاثة للانتصار

فى ميادين الصراع بين الحق و الباطل يكون جيش الباطل-عاده- ذا عدّه و عدد أكثر، إلاّ أن جيش الحق-بالرغم من قلّه أفراده و وسائله الظاهرية- يحصل على انتصارات عظيمة. و يمكن مشاهدته نماذج من ذلك فى غزوات بدر و الأحزاب و حنين، و فى عصرنا الحاضر يمكن مشاهدته ذلك فى الثورات المنتصرة للأمم المستضعفه فى مقابل الدول المستكبره.

و هذا الأمر يكون سبب تحلّى أنصار الحق بقوّه معنويه خاصّه بحيث تصنع من (الإنسان) أمّه. و فى الآيات أعلاه تمت الإشارة إلى ثلاثه عوامل للانتصار، العوامل التى ابتعد عنها مسلمو اليوم، و لهذا السبب نرى هزائمهم المتكرّره فى مقابل الأعداء و المستكبرين.

و العوامل الثلاثه هى: الدخول الصادق و الخالص فى الأعمال، و الاستمرار

ص: ٩٤



على هذه الحالة الصادقه حتى النهايه رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ. ثم الاعتماد على قدره الخالق جلّ و علا، و الاعتماد على النفس، و ترك أى اعتماد أو تبعيه للأجانب وَ اجْعَلْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا .

و بهذا الشكل فليست هناك أى سياسيه تؤثر فى الإنتصار كما فى الصدق و الإخلاص، ليس هناك أى اعتماد أفضل من الاعتماد على الخالق و الاستقلال و عدم التبعيه.

كيف يريد المسلمون أن ينتصروا على الأعداء الذين قاموا بغضب أراضيههم و صادروا مصادرهم الحياتيه فى حين أنهم مرتبطون بأعدائهم فى المجالات السياسيه و العسكريه و الاقتصاديه؟ هل نستطيع أن نتصر على العدو بواسطه السلاح الذى نشتره منه؟

#### ٤- حتميه انتصار الحق و هزيمه الباطل

نواجه فى الآيات أعلاه أصلا تاما، و أساسا آخر، و سنه إلهيه خالده تزرع الأمل فى قلوب أنصار الحق، هذا الأصل هو أن عاقبه الحق الإنتصار، و عاقبه الباطل الاندحار، و أن للباطل صوله و برق و رعد، و له كر و فر، إلا أن عمره قصير، و فى النهايه يكون مآله السقوط و الزوال.. الباطل كما يقول القرآن: فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَ أَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ (١).

و الدليل على هذا الموضوع كامن فى باطن كلمه الباطل، حيث أنه لا يتفق مع القوانين العامه للوجود، و ليس له من رصيد من الواقعيه و الحقيقه.

إن الباطل شىء مصنوع و مزور، ليست له جذور، أجوف، و الأشياء التى لها صفات كهذه-عاده-لا يمكنها البقاء طويلا.

أما الحق فله أبعاد و جذور متناسقه مع قوانين الخلق و الوجود، و مثله ينبغى

ص: ٩٥

أن يبقى.

أنصار الحق يعتمدون سلاح الإيمان، منطقتهم الوفاء بالعهد، وصدق الكلام، و التضحيه، و هم مستعدون أن يضحوا بأنفسهم و الاستشهاد فى سبيل الله، قلوبهم متوره بنور المعرفه، لا يخافون أحدا سوى الله، و لا يعتمدون إلا عليه، و هذا هو سر انتصارهم.

## ٥- آيه جاء الحق... و قيام المهدي عليه السلام

فى بعض الروايات تم تفسير قوله **جاء الحق و زهق الباطل** بقيام دوله المهدي عليه السلام، فالإمام الباقر يبين أن مفهوم الكلام الإلهي هو:

«إذا قام القائم ذهب دوله الباطل» (١).

و فى روايه أخرى نقرأ أنه حينما ولد المهدي عليه السلام كان مكتوبا على عضده قوله تعالى **جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** (٢).

إن مفهوم هذه الأحاديث لا يحصر المعنى الواسع للآيه بهذا المصداق، بل إن ثوره المهدي عليه السلام و نهضته هى من أوضح المصاديق حيث تكون نتيجتها الإنتصار النهائى للحق على الباطل فى كل العالم.

و بالنسبه للرسول صلى الله عليه و آله و سلم نقرأ أنه صلى الله عليه و آله و سلم دخل فى يوم فتح مكه، المسجد الحرام و حطم (٣٦٠) صنما كانت لقبائل العرب، و كانت موضوعه حول فناء الكعبه، و كان صلى الله عليه و آله و سلم يحطمها الواحد تلو الآخر بعصاه، و هو يقول: **جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً**.

و خلاصه القول: إن حقيقه انتصار الحق و انهزام الباطل هى تعبير عن قانون عام يجرى فى مختلف العصور، و انتصار الرسول صلى الله عليه و آله و سلم على الشرك و الأصنام،

ص: ٩٦

١-١) -نور الثقلين، ج ٣، ص ٢١٢ و ٢١٣.

٢-٢) -المصدر السابق.

و نهضه المهدي عليه السلام الموعوده و انتصاره على الظالمين فى العالم،هما من أوضح المصاديق لهذا القانون العام.  
و هذا القانون يبعث الأمل فى نفوس أهل الحق،و يعطيهم القوه على مواجهه مشاكل الطريق فى عملهم و مسيرهم الإسلامى.

ص: ٩٧

اشاره

وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)

التفسير

اشاره

القرآن و صفه للشفاء

الآيه التي نبحثها الآن تشير إلى التأثير الكبير للقرآن الكريم و دوره البناء في هذا المجال حيث تقول: وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ أَمَا الظالمون فإنهم بدلا من أن يستفيدوا من هذا الكتاب العظيم، فإنهم يتمسكون بما لا ينتج لهم سوى الذل و الهوان و لا يزيد الظالمين إلا خسارا .

بحوث

اشاره

١- مفهوم كلمه (من) في من القرآن

نعرف أن كلمه (من) في مثل هذه الموارد تأتي للتبعيض، إلا- أن الشفاء و الرحمه لا تخص قسما من القرآن، بل هي صفه لكل آياته، لذا فإن كبار المفسرين يميلون إلى اعتبار (من) هنا بيانيه. و لكن البعض احتمل أن تكون

تبعيضه كذلك، و هي بذلك تشير إلى النزول التدريجي للقرآن-خاصه و أنّ (نزل) فعل مضارع-لذا فإنّ معنى الجملة يكون: (إننا ننزل القرآن و كل قسم ينزل منه، هو بحدّ ذاته و لوحده يعتبر شفاء و رحمه) (فتدبرّ جيداً).

## ٢- الفرق بين الشفاء و الرحمه

إنّ (الشفاء) هو فى مقابل الأمراض و العيوب و النواقص، لذا فإنّ أوّل عمل يقوم به القرآن فى وجود الإنسان هو تطهيره من أنواع الأمراض الفكرية و الأخلاقية الفردية منها و الجماعية.

ثمّ تأتي بعدها مرحله (الرحمه) و هي مرحله التخلّق بأخلاق الله، و تفتّح براعم الفضائل الإنسانية فى أعماق الأفراد الذين يخضعون للتربيه القرآنيه.

بعبارة أخرى: إنّ الشفاء إشاره إلى (التطهير) و (الرحمه) إشاره إلى (البناء الجديد). أو بتعبير الفلاسفه و العارفين، فإنّ الأولى تشير إلى مقام (التخليه) بينما الثانية تشير إلى مقام (التحليه).

## ٣- الظالمون و نصيبهم من القرآن

ليس فى هذه الآيه القرآنيه و حسب، بل فى الكثير من الآيات الأخرى، نقرأ أنّ الظالمين يزداد جهلهم و يؤس حالهم، بدل الاستفاده من نور الآيات الإلهيه!! إنّ ذلك يعود إلى أنّ وجودهم قائم بالأساس على قواعد الكفر و الظلم و النفاق، لذلك فإنّهم أين ما يجدون الحق يحاربونه، و هذه الحرب للحق و أهله تزيد فى يؤسهم و تقوى روح الطغيان و التمرد عندهم.

فإذا أعطينا-مثلاً- ووجهه طعام متكامله لعالم مجاهد، فإنّه سيستفيد من تلك الطاقه لأجل التربيه و التعليم و الجهاد فى طريق الحق، أمّا إذا أعطينا نفس وجهه الطعام هذه إلى شخص ظالم، فإنّه سيستفيد من هذه الطاقه فى تموين قدره الظلم

لديه أكثر، وهذا المثل يكشف عن أنه لا يوجد اختلاف في المادة الإلهية نفسها (المعنى هنا القرآن الكريم) بل الاختلاف في أمرجه و أفكار و استعداد الإنسان المتلقى.

فآيات القرآنيه طبقا للمثال، هي كقطرات الماء التي تكون سببا في إنبات الورود في البساتين، بينما تنبت الأشواك في الأرض السبخه.

و لهذا السبب ينبغي أن تنهيا مسبقا الأرضيه حتى تتم الاستفاده من القرآن، إضافة إلى أنّ فاعليه الفاعل يشترط فيها قابليه المحل كما يصطلح.

و هنا تتضح الإجابة على السؤال الذي يقول: كيف لا يهدى القرآن أمثال هؤلاء الأشخاص في حين أنه كتاب هدايه؟ إذ لا ريب أنّ القرآن قادر على هدايه الضالين، و لكن بشرط أن يبحث هؤلاء عن الحق، و يكونوا في مستوى قبوله و الإذعان له. أمّا واقع المعاندين و أعداء الحق فإنّه يكشف عن تعامل هؤلاء سلبيا مع القرآن، و لذلك لا يستفيدون من القرآن، بل يزداد عنادهم و كفرهم، لأنّ تكرار الذنب يكرس في روح الإنسان حاله الكفر و العناد.

#### ٤- القرآن دواء ناجع لكل الأمراض الاجتماعيه و الأخلاقيه

إنّ الأمراض الروحيه و الأخلاقيه لها شبه كبير بالأمراض الجسميه للإنسان، فالإثنان يقتلان، و الاثنان يحتاجان إلى طبيب و علاج و وقايه، و الاثنان قد يسريان للآخرين، و يجب في كل منهما معرفه الأسباب الرئيسه ثم معالجتها.

و في كل منهما قد يصل الحال بالمصاب الى عدم امكانيه العلاج، و لكن في أكثر الأحيان يتم علاجها و الشفاء منها، إلا أنّ العلاج قد لا ينفع في أحيان أخرى.

إنّه شبه جميل و ذو معاني متعدده؛ فالقرآن يعتبر و صفه شفاء للذين يريدون محاربه الجهل و الكبر و الغرور و الحسد و النفاق... القرآن و صفه شفاء لمعالجه الضعف و الدّله و الخوف و الاختلاف و الفرقه. و كتاب الله الأعظم و صفه شفاء

للذين يثنون من مرض حب الدنيا و الارتباط بالماده و الشهوه. و القرآن و صفه شفاء لهذه الدنيا التي تشتعل فيها النيران في كل زاويه، و تثن من وطأه السباق في تطوير الأسلحه المدمره و خزنها، حيث وضعت رأس مالها الاقتصادي و الإنساني في خدمه الحرب و تجاره السلاح.

و أخيرا فإن كتاب الله و صفه شفاء لإزاله حجب الشهوات المظلمه التي تمنع من التقرب نحو الخالق عزّ و جلّ.

نقرأ في الآيه (٥٧) من سوره يونس قوله تعالى: قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ .

و في الآيه (٤٤) من سوره فصلت قوله تعالى: قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَ شِفَاءٌ .

و لإمام المتقين على بن أبي طالب عليه السلام قول جامع في هذا المجال، حيث

يقول عليه السلام في نهج البلاغه: «فاستشفوه من أدوائكم و استعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء، و هو الكفر و النفاق و الغي و الضلال» (١).

و

في مكان آخر نقرأ لإمام المتقين على عليه السلام قوله واصفا كتاب الله: «ألا إن فيه علم ما يأتي و الحديث عن الماضي و دواء دائكم و نظم ما بينكم» (٢).

و في مقطع آخر يضمه نهج على عليه السلام، نقرأ وصفا لكتاب الله

يقول فيه عليه السلام:

«و عليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين، و النور المبين، و الشفاء النافع، و الرى النافع، و العصمه للمتمسك، و النجاه للمتعلق، لا يعوج فيقام، و لا يزيغ فيستعتب، و لا تخلقه كثره الرد و ولوج السمع، من قال به صدق، و من عمل به سبق» (٣).

هذه التعابير العظيمة و البليغه، و التي نجد لها أشباها كثيره في أقوال النبي الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم و في كلمات الإمام على عليه السلام الأخرى و الأئمه الصادقين عليهم السلام، هي دليل يثبت بدقه و وضوح أن القرآن و صفه لمعالجه كل المشاكل و الصعوبات

ص: ١٠١

١- ١) - نهج البلاغه، الخطبه ١٧٦.

٢- ٢) - نهج البلاغه، الخطبه رقم ١٥٨.

٣- ٣) - نهج البلاغه، الخطبه رقم ١٥٨.

و الأمراض، و لشفاء الفرد و المجتمع من أشكال الأمراض الأخلاقية و الاجتماعية.

إنّ أفضل دليل لإثبات هذه الحقيقة هي مقايسه وضع العرب في الجاهلية مع وضع الذين تربوا في مدرسة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم في مطلع الإسلام. إنّ المقايسه بين الوضعين ترينا كيف أنّ أولئك القوم المتعطشون للدماء، و المصابون بأنواع الأمراض الاجتماعية و الأخلاقية، قد تمّ شفاؤهم ممّا هم فيه بالهداية القرآنية، و أصبحوا برحمه كتاب الله من القوّه و العظمه بحيث أنّ القوى السياسيه المستكبره آنذاك خضعت لهم أعتتها، و ذلت لهم رقابها.

و هذه هي نفس الحقيقه التي تناسها مسلمو اليوم، و أصبحوا على ما هم عليه من واقع بائس مرير غارق بالأمراض و المشاكل... إنّ الفرقه قد اشتدت بينهم، و الناهيين سيطروا على مقدراتهم و ثرواتهم، مستقبلهم أصبح رهينه بيد الآخرين بعد أن أصيبوا بالضعف و الهوان بسبب الارتباط بالقوى الدوليه و التبعية الذليله لها.

و هذه هي عاقبه من يستجدي دواء علته من الآخرين الذين هم اسوأ حالا منه، في حين أن الآخرين، ليأخذ منهم علاج الدواء حاضر بين يديه و موجود في منزله! القرآن لا يشفى من الأمراض و حسب، بل إنّّه يساعد المرضى على تجاوز دور النقاهه إلى مرحله القوّه و النشاط و الانطلاق، حيث تكون (الرحمه) مرحله لا حقه لمرحله (الشفاء).

الظريف في الأمر أنّ الأدوية التي تستخدم لشفاء الإنسان لها نتائج و تأثيرات عرضيه حتميه لا يمكن توقيها أو الفرار منها، حتى

أنّ الحديث المأثور يقول: «ما من دواء إلاّ و يهيج داء» (١).

ص: ١٠٢



أمّا هذا الدواء الشافى، كتاب الله الأعظم، فليست له أى آثار عرضيه على الروح و الأفكار الإنسانيه، بل على عكس ذلك كله خير و بركه و رحمه.

و فى واحده من عبارات نهج البلاغه نقرأ فى وصف هذا المعنى

قول على عليه السلام: «شفاء لا تخشى أسقامه» واصفا بذلك القرآن الكريم (١).

يكفى أن نتعهد باتباع هذه الوصفه لمده شهر، نطيع الأوامر فى مجالات العلم و الوعى و العدل و التقوى و الصدق و بذل النفس و الجهاد...عندها سنرى كيف ستحل مشاكلنا بسرعه.

و أخيرا ينبغى القول: إن الوصفه القرآنيه حالها حال الوصفات الأخرى، لا يمكن أن تعطى ثمارها و أكلها من دون أن نعمل بها و نلتزمها بدقه، و إلا فإنّ قراءه و صفه الدواء مائه مرّه لا تغنى عن العمل بها شيئاً!!

ص: ١٠٣

---

(١-١) نهج البلاغه، الخطبه رقم ١٩٨.

إشاره

وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوسُا (٨٣) قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٤)

التفسير

إشاره

كل يتصرف وفق فطرته:

بعد أن تحدّثت الآيه السابقه عن شفاء القرآن، تشير الآيه التي بين أيدينا إلى أحد أكثر الأمراض تجذرا فنقول: وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ. و لكن عند ما نسلب منه النعمه و يتضرر من ذلك و لو قليلا: وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوسُا .

(أعرض) مشتقه من (إعراض) و هي تعنى عدم الالتفات، و المقصود منها هنا هو عدم الالتفات للخالق عزّ و جلّ، و إعراض الوجه عنه و عن الحق.

(نأى) مشتقه من (نأى) و هي على وزن (رأى) و هي بمعنى الابتعاد، و عند إضافه كلمه (بجانبه) إليها يكون المعنى التكبر و الغرور و التزام المواقف المعاديه.

و يمكن الاستفاده من مجموع هذه الجمله الأشخاص الدينويين يصابون بالغرور

عند مجيء النعم، بحيث أنهم ينسون واهب و معطى هذه النعم، و لا- يقتصر الأمر على النسيان و حسب، بل ينتقل إلى الاعتراض التكبر و عدم الالتفات للخالق.

جملة مَسَّهُ الشَّرُّ تشير إلى أدنى سوء يصيب الإنسان. و المعنى أنّ هؤلاء من الضعف و عدم التحمّل بحيث أنهم ينسون أنفسهم و يغرقون في دوامة اليأس بمجرد أن تصيبهم أبسط مشكله.

الآية الثانية تخاطب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فتقول: قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَيَّ شَاكِلَتِهِ .

فالمؤمنون يطلبون الرحمة و الشفاء من آيات القرآن الكريم، و الظالمون لا يستفيدون من القرآن سوى مزيد من الخسران، أما الأفراد الضعفاء فيصابون بالغرور في حال النعمة. و يصابون باليأس في حال ظهور المشاكل... هؤلاء جميعا يتصرفون وفق أمزجتهم، هذه الأمزجة التي تتغير وفق التربيه و التعليم و الأعمال المتكرره للإنسان نفسه.

و في هذه الأحوال جميعا فإنّ هناك علم الله الشاهد و المحيط بالجميع و خاصّه بالأشخاص المهتمدين: فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا .

**بحوث**

**اشاره**

## **١- الغرور و اليأس**

يتداول على ألسنتنا أنّ فلانا أصبح بعيدا عن الله، أو أنّه نسي الله بعد أن تحسنت أموره. و رأينا أنّ أمثال هؤلاء الأشخاص الذين نسوا الله كيف يصابون باليأس الذله و الهلع عند ما تنزل بهم أبسط الشدائد، بحيث لا نكاد نصدّق بأنهم سبق و أن كانوا على غير هذه الحال! أجل، هكذا حال هؤلاء الجماعه من ضيقى التفكير و ضعيفى الإيمان، و على العكس من ذلك حال أولياء الله، حيث تكون نفوسهم واسعه و أرواحهم وضاءه

ص: ١٠٥

تيره إزاء المؤثرات التي تحيط بهم و لو بلغت في عتوها و ضغطها مبلغا شديدا، إنهم كالجبال في مقابل الصعوبات و الشدائد، إذا وهبتهم الدنيا فلا يؤثر ذلك فيهم، و إذا أخذت منهم العالم أجمع لا يتأثرون.

و العجيب في الأمر أنّ هؤلاء القوم الذى يخسرون أنفسهم و الذين تذكرهم السور القرآنيه فى آيات متعدده(مثل يونس-آيه ١٢، لقمان-آيه ٣٢، الفجر- آيه ١٥،١٤، فصلت-الآيه ٤٩،٤٨)هم أنفسهم يعودون إلى الله، و يستجيبون لنداء الفطره عند ما تنزل بهم النوازل و تقع بساحتهم الشدائد، و لكنهم عند ما تهدأ أمواج الحوادث و الضواغط يتغيرون، أو فى الواقع يعودون إلى ما كانوا عليه سابقا و يكون مثلهم كمن لم يسمع بالله الذى خلقه و أنقذه! إنّ العلاج الوحيد لهذا المرض هو رفع مستوى الفكر فى ظل العلم و الإيمان، و ترك العبوديه لما هو دون الله و سواه، و فك الارتباط مع الشهوه و الماده، و العيش فى إطار من القناعه و الزهد البناء.

و مِمَّا ذكرنا تظهر الإجابه على سؤال، و هو: إنّ الآيات التى نبحتها تصف حال مثل هؤلاء الأشخاص عند الصعوبات و الشدائد ب«يؤوس» فى حين أنّ آيات أخرى مثل الآيه (٦٥) من سوره العنكبوت تصفهم بأنهم مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ و هى دلالة على غايه التوجه نحو الخالق عزّ و جلّ؟ فى الواقع ليس ثمّه من تضاد بين هاتين الحالتين، بل إنّ إحداهما هى بمثابة مقدمه للأخرى، فهؤلاء الأشخاص عند ما تصادفهم المشكلات يأسون من الحياه، و هذا اليأس يكون سببا لأنّ تزول الحجب عن فطرتهم و يلتفتون لخالقهم العظيم.

إنّ هذا التوجه الاضطرارى إلى الخالق عزّ و جلّ-طبعاً-ليس فخرا لأمثال هؤلاء و ليس دليلا على يقظتهم، لأنهم بمجرد انصراف المشاكل عنهم يعودون إلى حالتهم السابقه.

أمّا أولياء الحق و عباد الله المخلصون الحقيقيون فلا يأسون عند ما يقعون فى المشاكل و المحن، بل تزيدهم الصعوبات استقامه و صلابه على طريق الهدى، و بسبب اعتمادهم على الله و على أنفسهم فإنهم يتمتعون بقوه لمواجهه المشاكل و لا معنى لليأس فى وجودهم.

إنّ هؤلاء ليسوا على صله بالخالق فى أوقات المشكلات و حسب، و إنّما فى اتصال دائم معه فى كل الحالات إذ يستمدون العون منه تعالى، و تكون قلوبهم منيره برحمته و هدايته.

## ٢- ما معنى (شاكله)؟

«شاكله» فى الأصل مشتقه من (شكل) و هى تعنى وضع الزمام و الرباط للحيوان. و (شكال) تقال لنفس الزمام؛ بما أنّ طبائع و عادات كل إنسان تقيده بصفات معينه لذا يقال لذلك «شاكله». أمّا كلمه «إشكال» فتقال للاستفسار و السؤال و سائر الأمور التى تحدّد الإنسان نوعاً ما (١).

لهذا فإنّ مفهوم الشاكله لا يختص بالطبيعه الإنسانيه، لذلك ذكر العلامه الطبرسى فى مجمع البيان لهذه الكلمه معنيين، هما: الطبيعه و الخلقه، ثمّ الطريقه و المذهب و السنّه، على اعتبار أنّ كل واحده من هذه الأمور تحدّد الإنسان من حيث العمل.

و من هنا يتّضح خطأ أولئك الذين اعتبروا الآيه أعلاه دليلاً على إلزاميه الصفات الذاتيه للإنسان بشكل يخرج عن إرادته، و هو دليلهم على عقيدته الجبر، و إذ أنكروا قيمه التريبيه و التركيه.

هذا النوع من التفكير الذى يخضع فى أسبابه إلى عوامل سياسيه و اجتماعيه و نفسيه-و التى ذكرناها فى بحوثنا عن الجبر و الإختيار-له هيمنه على ثقافه

ص: ١٠٧

و أدب الكثير من المجتمعات و النظم، حيث تستخدم هذه الثقافه لتبرير النواقص.

إنّ هذه الثقافه تعتبر من أخطر الإعتقادات التى يمكن أن تجر المجتمع سنين بل قرون إلى الذله و التأخر.

بناء على ما ذكرنا نعتقد أن عقيدته الجبر هى دوما ذريعه للتسلط الاستعمارى،لكى تبقى القوّه المسيطره فى ظل ثقافه الجبر بمنأى عن ردود الفعل المقاومه للسيطره و التى يمكن أن تنطلق من صفوف المسحوقين المستضعفين.

و التعبير المشهور هنا، يوضح هذه الحقيقه بشكل دقيق، إذ يقول:«الجبر و التشبيه أمويان و العدل و التوحيد علويان».

و خلاصه القول هنا: إنّ الشاكلة لا- تعنى أبدا الطبيعه الذاتيه، بل هى تطلق على كلّ عاده و طريقه و مذهب و أسلوب يعطى للإنسان اتجاها معيناً.

لذا فإنّ العادات و الصفات التى يكتسبها الإنسان بتكرار الأعمال اختياريا و إراديا،و كذلك الإعتقادات التى يقتنع بها و يعتمدها بسبب الاستدلال أو التعصب لرأى معين يطلق عليها كلّها كلمه «شاكلة».

و عاده ما تكون الملكات الإنسانيه لها صفه اختياريه، لأنّ الإنسان عند ما يكرّر عملا ما فى البدايه يقال له (حاله) ثمّ تتحوّل حاله إلى (عاده) و العاده إلى (ملكه) و هذه الملكات نفسها تعطى شكلا معيناً لأعمال الإنسان و تحدّد خطّه فى الحياه، و هى عاده ما تظهر بفعل العوامل الاختياريه و الإراديه.

و فى بعض الروايات تمّ تفسير «الشاكلة» بأنّها النيه،

فقد ورد فى أصول الكافى عن الإمام الصادق عليه السّلام، قوله: «النيه أفضل من العمل، ألا و إنّ النيه هى العمل، ثمّ تلا قوله عزّ و جلّ: قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ، يعنى على نيته» (١).

هذا التفسير ينطوى على ملاحظه لطيفه، و هى أنّ الإنسان و التى تنبع من

ص: ١٠٨

اعتقاداته تغطى شكلا لعمله، وعاده فإنّ التّيه هي نوع من الشاكلة، بمعنى الأمر المقيّد. لذا تفسّر التّيه أحيانا بأنّها نفس العمل. وفي أحيان أخرى بأنّها أفضل من العمل، لأنّه- في كل الأحوال- يكون خط العمل و اتجاهه ناتجا عن خط التّيه و اتجاهها.

و

في روايه «من لا- يحضره الفقيه» عن صالح بن الحكم، قال: سئل الصادق عليه السّلام عن الصلاه في البيع و الكنائس، فقال عليه السّلام: «صلّ فيها» قلت: أصلى فيها و إن كانوا يصلون فيها؟ قال: «نعم. أمّا تقرأ القرآن»: قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَيَّ شَاكِلَتِهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا صَلَّ عَلَى الْقَبْلَةِ وَ دَعَهُمْ» (١).

ص: ١٠٩

---

١-١) -نور الثقلين، ج ٣، ص ٢١٤.

إشاره

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)

التفسير

إشاره

ما هي الروح؟

تبدأ هذه الآيه في الإجابة علي بعض الأسئلة المهمه للمشر كين ولأهل الكتاب، إذ تقول: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا .

مفسر و الإسلام الكبار-السابقون منهم و اللا-حقون-لهم كلام كثير عن الروح و معناها، و نحن في البدايه سنشير إلى معنى كلمه (روح) في اللغة، ثم موارد استعمالها في القرآن، و أخيرا تفسير الآيه و الروايات الوارده في هذا المجال.

و في هذا الصدد يمكن ملاحظه النقاط الآتيه:

١- (الروح) في الأصل اللغوى تعنى (النفس) و البعض يرى بأن (الروح) و (الريح) مشتقتان من معنى واحد، و إذ تم تسميه روح الإنسان-التي هي جوهره مستقلة- بهذا الاسم فذلك لأنها تشبه النفس و الريح من حيث الحركة و الحياه،



و كونها غير مرئيه مثل النفس و الريح.

٢- استخدمت كلمه (الرّوح) فى القرآن الكريم فى موارد و معانى متعدده، فهى فى بعض الأحيان تعنى الروح المقدسه التى تساعد الأنبياء على أداء رسالتهم كما فى الآيه (٢٥٣) من سوره البقره و التى تقول: وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ .

و فى بعض الأحيان تطلق على القوّه الإلهيه المعنويه التى تقوى المؤمنين و تدفعهم، كما فى قوله تعالى فى الآيه (٢٢) من سوره المجادله: أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ .

و فى موارد أخرى تأتى للدلاله على (الملك الخاص بالوحى) و يوصف ب(الأمين)، كما فى الآيه (١٩٣) من سوره الشعراء: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ .

و فى مكان آخر وردت بمعنى (الملك الكبير) من ملائكه الله الخاصين، أو مخلوق أفضل من الملائكه كما فى الآيه (٤) من سوره القدر: نَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ وَ الرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . و فى الآيه (٣٨) من سوره النبأ: يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا .

و وردت- أيضا- بمعنى القرآن أو الوحى السماوى، كما فى الآيه (٥٢) من سوره الشورى فى قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا .

و أخيرا وردت الروح فى القرآن الكريم بمعنى الروح الإنسانيه، كما فى آيات خلق آدم: ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ (١) . و كذلك قوله تعالى فى الآيه (٢٩) من سوره الحجر: فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢) .

ص: ١١١

١- ١) -السجده، ٩.

٢- ٢) -قلنا سابقا: إنَّ إضافه (روح) إلى الله هى إضافه تشريفيه، و الهدف هو الروح الكبيره التى و هبها الله تبارك و تعالى

٣-والآن لنر من خلال هذه النقطة ما هو المقصود بالروح فى الآيه التى نببحثها؟ ما هى الرّوح التى سأل عنها جماعه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فأجابهم بقوله تعالى:

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

؟ يمكن أن نستفيد من مجموع القرائن الموجوده فى الآيه أنّ المستفسرين سألوا عن حقيقة الروح الإنسانيه، هذه الروح العظيمه التى تميّز الإنسان عن الحيوان، وقد شرفتنا بأفضل الشرف، حيث تنبع كل نشاطاتنا وفعاليتنا منها، و بمساعدتها نجول فى الأرض و نتأمل السماء، نكتشف أسرار العلوم، و نتوغل فى أعماق الموجودات إنهم أرادوا معرفه حقيقه أعجوبه عالم الخلق!! ولأنّ الروح لها بناء يختلف عن بناء الماده، و لها أصول تحكمها تختلف عن الأصول التى تحكم الماده فى خواصها الفيزيائيه و الكيميائيه، لذا فقد صدر الأمر إلى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهؤلاء فى جملة قصيره قاطعه: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي. و لكى لا يتعجب هؤلاء أو يندموا من هذا الجواب فقد أضافت الآيه:

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

حيث لا مجال للعجب بسبب عدم معرفتكم بأسرار الروح بالرغم من أنّها أقرب شىء إليكم.

و

فى تفسير العياشى نقل الإمام الباقر و الصادق عليهما السلام أنّهما قالا فى تفسير آيه يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ما نصّه: «إنّما الروح خلق من خلقه، له بصر و قوّه و تأييد، يجعله فى قلوب الرسل و المؤمنين» (١).

و

فى حديث آخر عن الإمامين الباقر و الصادق أنّهما عليهما السلام قالا: «هى من الملكوت، من القدره» (٢).

(٢)

للآدميين.

ص: ١١٢

١-١) -نور الثقلين، ج ٣، ص ٢١٦.

٢-٢) -المصدر السابق.

و فى الرّوايات المتعدّده التى بين أيدينا من طرق الشيعة و أهل السنّه نقرأ أنّ هذا السؤال عن الروح أخذه المشركون من علماء أهل الكتاب الذين يعيشون مع قريش، كى يختبروا به رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، إذ قالوا لهم: إذا أعطاكم الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم معلومات كثيره عن الروح فهذا دليل على عدم صدقه، لذلك نراهم قد تعجبوا من إجابته الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم المليئه بالمعانى رغم قصرها و قلّه كلماتها.

و لكن نقرأ فى بعض الرّوايات الوارده عن أهل البيت عليهم السّلام، فى تفسير هذه الآيه، أنّ الروح مخلوق أفضل من جبرائيل و ميكائيل، و كان هذا المخلوق برفقه النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم و برفقه الأئمّه الصادقين عليهم السّلام من أهل بيته من بعده، حيث كان يعصمهم من أى انحراف أو زلل خلال مسيرتهم (١).

إنّ هذه الرّوايات لا تعارض التّفسير الذى قلناه، بل هى متناسقه معه و داعمه له، لأنّ الروح الإنسانيه لها مراتب و درجات، فتلك المرتبه من الروح الموجوده عند الأنبياء و الأئمّه عليهم السّلام، هى فى مرتبه و درجه عاليه جدّاً، و من آثارها العصمه من الخطأ و الذنب و كذلك يترتب عليها العلم الخارق. و بالطبع فإنّ روحاً مثل هذه هى أفضل من الملائكه بما فى ذلك جبرئيل و ميكائيل. (فتدبّر)

### أصالة و استقلال الرّوح:

يظهر تأريخ العلم و المعرفه الإنسانيه أنّ قضيه الروح و أسرارها الخاصّه كانت محط توجّه العلماء، حيث حاول كل عالم الوصول إلى محيط الروح السرى. و لهذا السبب ذكر العلماء آراء مختلفه و كثيره حول الروح.

و من الممكن أن تكون علومنا و معارفنا اليوم- و كذلك فى المستقبل- قاصره عن التعرف على جميع أسرار الروح و الإحاطه بتفصيلاتها، بالرغم من أنّ روحنا هى أقرب شىء لدينا من جميع ما حولنا. و بسبب الفوارق التى تفصل بين

ص: ١١٣

جوهره الروح و بين ما نأنس به من عوالم الماده، فإننا لن نحيط بأسرار و كنه الروح، أعجوبه الخلق، و المخلوق الذى يتسامى على الماده.

و لكن كل هذا لا يمنعنا من رؤيه أبعاد الروح بعين العقل، و أن نتعرف على النظم و الأصول العامه الحاكمه عليها.

إن أهم أصل يجب أن نعرفه هو قضيه أصاله و استقلال الروح، فى مقابل آراء المذاهب الوضعيه التى تذهب إلى ماديه الروح، و أنها من افرازات الذهن و الخلايا العصبية و لا شىء غير ذلك! و سنبحث هذا الموضوع هنا و نتوسع فيه، لأنّ مسأله (بقاء الروح) و قضيه (التجرد المطلق أو عالم البرزخ) يعتمدان على هذا الأمر.

و لكن قبل الورود فى البحث لا بدّ من ذكر ملا-حظه هامه، و هى أن تعلق الروح بجسم الإنسان ليست- و كما يظن البعض- من نوع الحلول، و إنّما هى نوع من الارتباط و العلاقه القائمه على أساس حاكميه الروح على الجسم و تصرفها و تحكمها به، حيث يشبهها البعض بعلاقه تعلق المعنى و ارتباطه باللفظ.

هذه المسأله- طبعاً- ستتوضح أكثر ضمن حديثنا عن استقلال الروح.

و الآن لنرجع إلى أصل الموضوع.

لا يشك أحد فى أنّ الإنسان يختلف عن الحجاره و الخشب، لأننا نشعر- بشكل جيّد- بأننا نختلف عن الجمادات، بل و حتى عن النباتات، فنحن نفهم و نتصوّر و نصمّم، و نريد، و نحب، و نكره، و... الخ.

إلا- أنّ الجمادات و النباتات ليس لها أى من هذه الإحساسات، لذلك فثمّه فرق أساسى بيننا و بينها و يتمثل فى امتلاكنا للروح الإنسانيه.

ثمّ إنّّه لا- الماديون و لا- أى مجموعته فكريه مذهبيه أخرى تنكر أصل وجود الروح، و لذلك يعتبرون علومنا مثل علم النفس (سيكولوجيا)، و علم العلاج النفسى (بسيكنااليزم) من العلوم المفيده و الواقعيه، و هذين العلمين بالرغم من

أنهما يعيشان مراحل طفولتهما بلحاظ بعض العوامل و القضايا، ولكنهما مع ذلك يدخلان اليوم ضمن المناهج الدراسيه فى الجامعات، حيث يقوم أساتذه كبار بالبحث و التحقيق فيهما، و كما سنلاحظ، فإنّ النفس و الروح ليستا حقيقتين منفصلتين، بل هما مراحل مختلفه لحقيقه واحده.

و إنّنا هنا سنطلق كلمه (النفس) عند ما يتعلق الحديث بالارتباط بين الروح و الجسم و التأثير المتبادل لكل منهما على الآخر. أمّا عند ما يكون الحديث عن الظواهر الروحيه مع غض النظر عن البدن فإنّنا سنطلق عليها كلمه (الروح).

و خلاصه القول: أنّه أحد يستطيع أن ينكر حقيقه وجود الروح و النفس عندنا.

و الآن ينبغى أن نتفحص مجالات السجال و الحرب بين المذاهب الماديه من جهه، و بين مجموع هذه المذاهب و تيارات و مذاهب الفلاسفه الروحيين و الميتافيزيقيين من جهه أخرى.

إنّ العلماء الإلهيين و الفلاسفه الروحيين يعتقدون بأنّ الإنسان و بالإضافة إلى المواد التى تدخل فى تشكيل جسمه، ينطوى وجوده على حقيقه جوهريه أخرى لا تتجلى فيها صفات الماده، و إن جسم الإنسان يخضع لتأثيرها بشكل مباشر و فاعل.

و بعباره أخرى، فإنّ الروح هى حقيقه من حقائق ما وراء الطبيعه (أى ميتافيزيقيه) حيث أنّ تركيبها و فعاليتها تختلف عن تركيب و فاعليه عالم الماده؛ صحيح أنّها مرتبطه مع عالم الماده، إلاّ أنّها ليست ماده و لا تملك خواص الماده.

فى المقابل هناك الفلاسفه الماديون الذين يقولون: إنّنا لا نعرف موجودا مستقلا عن الماده يسمى بالروح، أو أى اسم آخر، و إنّ كل ما موجود هو هذه الماده الجسميه و آثارها الفيزيائيه أو الكيميائيه.

إنّنا نملك جهازا يسمّى (الذهن و الأعصاب) و هو يقوم بقسم مهم من أعمالنا

الحياتيه، و هو مثل باقى الأجهزه الماديه حيث يخضع فى نشاطه لقوانين الماده.

إننا نملك غددا تحت اللسان تسمى الغدد اللعابيه و التى تقوم بفاعليه فيزيائيه و كيميائيه، فعند ما يدخل الطعام إلى الفم تقوم هذه الغدد بالعمل بشكل أوتوماتيكي حيث تقوم بإفراز السائل بالمقدار الذى يحتاجه الطعام حتى يلين و يمضغ بشكل جيّد، فهناك -أطعمه تحتوى على سوائل و هناك أطعمه قليله السوائل أو جافه، و كل نوع من هذه الأطعمه يحتاج إلى مقدار معين من هذه السوائل (اللعاب).

المواد الحامضيه تزيد من عمل هذه الغدد، خاصه عند ما تكون كثافه الطعام كبيره، حتى يحصل الطعام على كميّه أكبر من السوائل ليلين، و من ثمّ لا تصاب جدران المعده بضرر.

عند ما نبلع الطعام ينتهى عمل هذه الغدد و القنوات. و خلاصه القول: إن هناك نظاما عجيبا يتحكم بهذه الغدد و القنوات بحيث أنّها إذا فقدت تعادلها لمده ساعه، فإنّما أن يسيل اللعاب بشكل دائم عبر الشفتين، أو أن يكون الفم جافا بحيث لا يمكن ابتلاع الطعام. هذا هو العمل الفيزيائى لللعاب، إلا أنّنا نعلم أنّ العمل الأهم لللعاب هو عمله الكيماوى، فهناك مواد متنوعه متداخله معه حيث تتفاعل مع الطعام و تقلل من تعب المعده.

الماديون يقولون: إن عقلنا و أعصابنا يشبهان عمل الغدد اللعابيه و ما شابهها من أجهزه الجسم من حيث العمل الفيزيائى و الكيمائى (حيث يسمّى المجموع فيزيو كيميائى) و هذا العمل الفيزيو كيميائى نحن نسميه ب«الظواهر الرّوحيه أو «الرّوح».

الماديون يقولون: عند ما نفكرّ تصدر سلسله من الأمواج الكهربائيه من عقلنا، هذه الأمواج يمكن التقاطها اليوم بواسطه أجهزه خاصه و تدوينها على الأوراق و دراستها، خاصه فى مستشفيات الأعصاب، حيث يتمّ تشخيص

الأمراض العصبية و معالجتها، و هذه هي الفعاليه الفيزيائيه لعقلنا.

إضافه إلى هذا، فإنّ خلايا العقل عند التفكير، و كذلك عند النشاطات العصبية المختلفه، تقوم بمجموعه من الأفعال و الانفعالات الكيمياويه.

لذلك فإنّ الروح و الصفات الروحيه ليست سوى الخواص الفيزيائيه و الأفعال الكيمياءيه للخلايا العقليه و العصبية.

إنّ الماديين يستفيدون من كل هذا العرض لبلوره النتائج التاليه:

١- بما أنّ نشاط الغدد اللعابيه و آثارها المختلفه لم تكن موجوده قبل وجود جسم الإنسان، بل إنّها وجدت بعد وجوده، لذا فإنّ النشاطات الروحيه تظهر بعد ظهور الدماغ و الجهاز العصبى، و تموت هذه الفعاليات بموت الإنسان.

٢- الروح من خواص الجسم، إذن فهي ماديه و ليس لها أى صفات ميتافيزيقيه.

٣- الروح خاضعه لجميع القوانين التى تحكم جسم الإنسان.

٤- ليس هناك وجود مستقل للروح بدون جسم، و لا يمكن أن يكون ذلك.

### دلائل الماديين على عدم استقلال الروح

لقد أورد الماديون شواهد لإثبات دعواهم بأنّ الروح و الفكر و سائر الظواهر الروحيه هي قضايا ماديه، أى تكون انعكاسا للخواص الفيزيائيه و الكيمياءيه للخلايا العصبية و الدماغيه، و نستطيع أن نشير هنا إلى هذه الشواهد من خلال هذه النقاط:

١- «يمكن الإشاره و بسهوله إلى تعطّل قسم من الأغراض الروحيه عند عطل أو إصابه قسم من المراكز العصبية أو سلسله من الأعصاب» (١).

فمثلا تمّ اختبار حاله رفع فيها قسم من دماغ الطير، و لم يؤد ذلك إلى موته،

ص: ١١٧

بل إنه فقد قسما كبيرا من معلوماته، مثلا يفقد شهيته للطعام فإذا أعطيناها طعاما فإنه يأكله و يهضمه، و لكننا إذا لم نعطه و وضعنا الحب أمامه فإنه لا يأكل و سيموت من الجوع.

كما شوهد أنّ إصابه دماغ الإنسان نتيجة للحوادث أو الأمراض ببعض الضربات أو الصدمات، يؤدي إلى فقدان الدماغ لجزء كبير من نشاطه، حيث ينسى الإنسان جانبا من معلوماته.

و قد قرأنا قبل فتره في الصحف أنّ شابا مثقفا من مدينه (الأهواز) الايرانيه تعرض لضربه على دماغه في حادثه، فنسى جميع أحداث حياته الماضيه حتى أنه نسي أمه و أخته و نسي نفسه و عند ما جاؤوا به إلى بيته و المكان الذي ولد و ترعرع فيه، فإنه لم يعرف هذا المكان و بدا فيه غريبا.

إنّ هذه الأمور و ما شابهها تثبت وجود علاقه قريبه بين نشاطات الخلايا الدماغيه و الظواهر الروحيه.

٢- «عند ما نفكر تكثر التغييرات الماديه على سطح الدماغ..الدماغ يحتاج إلى طعام أكثر، و يطرح مواد فسفوريه أكثر. و لكن عند النوم فإنّ الدماغ لا- يقوم بالتفكير، لذا فإنه يحتاج إلى طعام قليل، و هذا يعتبر دليلا على أنّ الآثار الفكرية للإنسان تترشح من فعاليات ماديه» (١).

٣- تظهر التجارب أنّ وزن أدمغه المفكرين هي أكثر من الحد المتوسط (الحد المتوسط لدماغ الرجل في حدود (١٤٠٠) غرام، و الحد المتوسط لدماغ المرأه أقل من هذا بقليل)، و هذا دليل آخر- بزعم الماديين- على ماديه الروح.

٤- إذا كانت قوه التفكير و الظواهر الروحيه دليلا- على الوجود المستقل للروح، فيجب أن نقبل ذلك أيضا في الحيوانات، لأنها تملك قدره الإدراك.

و الخلاصه: إنّ الماديين في أدلتهم بأننا ندرك و نحس بأنّ روحنا ليست

ص: ١١٨

١- (١) -البشر في النظره الماديه، دكتور آرانى، ص ٢.



موجودا مستقلا، و التطورات المتعلقة بمعرفة الإنسان و دراسته تؤيد هذه الحقيقه.

و من مجموع هذه الاستدلالات، يستنتج هؤلاء أنّ التقدم الفيزيولوجى الإنسانى و الحيوانى يوضحان يوما بعد آخر حقيقه وجود العلاقه القريبه بين الظواهر الروحيه و الخلايا الدماغيه.

### نقد هذه النظرية:

الخطأ الكبير الذى وقع فيه الماديون فى أدلتهم و استنتاجاتهم، أنّهم خلطوا بين (وسائل العمل) و (القائم بالعمل).

و لأجل معرفه هذا الخلط نذكر هنا مثلا للتوضيح نرجو أن يدقق فيه القارئ الكريم جيدا:

منذ زمان غاليلو و حتى يومنا الحاضر، حصل تحوّل كبير فى دراسه حركه الأفلاك و الأجرام السماويه، فغاليلو الإيطالى استطاع و بمعونه أحد صانعى العوينات الزجاجيه من صناعه مجهر صغير، فطار غاليلو به فرحا، بحيث أنّه شرع عند المساء بدراسه نجوم السماء بواسطه مجهره الذى أظهر له أوضاعا عجيبيه إذ أنّه شاهد عالم لم يستطيع أى إنسان مشاهدته حتى ذلك اليوم. لقد فهم غاليلو أنّه توصل إلى اكتشاف مهم، و منذ ذلك اليوم أصبحت دراسه أسرار العالم الأعلى فى متناول الإنسان.

لقد كان الإنسان حتى ذلك اليوم مثل الفراشه التى لم تكن ترى من حولها سوى بعض سيقان الشجر، أمّا عند ما صنع الإنسان التلسكوب فإنّه استطاع أن يشاهد من حوله مقدارا من أشجار الغابه الكبيره.

لقد تطور العمل فى التلسكوب حتى وصل إلى وضعه الراهن حيث بنيت مختبرات كبيره و مرصد جباره يبلغ قطر عدساتها عدّه امتار لقد نصبت هذه

المراسد فى أعالى الجبال المرتفعه حيث يتميز الأفق بصفاء خاص مّما يسهل على الفلكيين دراسه النجوم، و بواسطه هذه المراسد الجباره استطاع الإنسان أن يشاهد عوالم أخرى كان عاجزا عن مشاهدتها بالعين المجرّده قبل ذلك.

و الآن لتتصوّر أن الإنسان يكون بمقدوره مستقبلا أن يتوصل إلى صناعه مرصد بقطر (١٠٠) متر بحيث يكون حجم الأ-جهزه المستخدمه فيه بحجم مدينه بكاملها، فما هى يا ترى العوالم التى سوف تنكشف له بواسطه ذلك؟ و الآن نطرح هذا السؤال: لو أخذت مّنا هذه المجاهر و العدسات، أفلا- يتعطل قسم من معلوماتنا و معارفنا حول السماوات... و هل الناظر الأصلى نحن أم التلسكوب و المجهر؟ هل المجهر و التلسكوب و سيله نستطيع بواسطتها الرؤيا و المشاهده، أم أنّها هى التى تقوم بالعمل و النظر الحقيقى؟ و فيما يخص الدماغ لا يستطيع أى شخص أن ينكر أنه بدون الخلايا الدماغيه لا يمكن أن تتمّ عمليه التفكير، و لكن هل الدماغ هو و سيله عمل للروح، أم أنّه هو الروح؟ و خلاصه القول: إنّ جميع الأدله التى ذكرها الماديون تثبت وجود الارتباط بين خلايا العقل و الدماغ و بين إدراكاتنا، إلا أنّ أيا منها لا يثبت أنّ الدماغ يقوم بالإدراك، بل أنّه مجرد و سيله لذلك.

و هنا يتّضح لماذا لا يفهم الموتى شيئا، إذ أنّهم و بسبب عدم وجود الارتباط بين الروح و البدن يعجزون عن ذلك، و بالتالى فإنّ الموت لا- يعنى فناء الروح و انعدامها، و مثل الميت مثل السفينه أو الطائره التى عطلّ فيها جهاز اتصالها (اللاسلكى) فالسفينه و الطائره بمن فيهما موجودون إلا أنّ اتصالهم مع الساحل أو المطار مقطوع بسبب فقدانهم لوسيله الارتباط و الاتصال.

كان الكلام حتى الآن عن الماديين الذين يصرون على أنّ الظواهر الروحية هي إفرازات لخلايا الدماغ، ويعتبرون الفكر والإبداع والحب والتفرد والغضب وجميع العلوم، مثل القضايا المادية التي تخضع لأسلوب العمل المختبري و تشملها قوانين المادة، إلا أنّ الفلاسفة الذي يعتقدون باستقلاليه الروح ذكروا أدله قاطعه على نفى هذه العقيدة، منها:

### أولاً: ادراك الواقع الخارجى

إنّ أول سؤال يمكن أن نطرحه على الماديين، هو أنّه إذا كانت الأفكار والظواهر الروحية هي نفسها الخواص (الفيزيكيائية) للدماغ، ففي مثل هذه الحالة ينبغي أن تنعدم الخلافات والفروق بين عمل الدماغ وبين عمل المعدة أو الكليه أو الكبد، حيث أنّ عمل المعدة هو التركيب الأساس و مجموعه من الفعاليات الفيزيائية و الكيمائية، إذ بواسطه نشاط معين و إفرازات حامضيه تتم عمليه هضم الطعام و يصبح جاهزا للامتصاص من قبل الجسم. و إذا كان إفراز اللعاب عملا فيزيائيا و كيميائيا في آن واحد، فإننا نرى أنّ العمل الروحي يختلف عن هذه الأعمال.

إن كل أعمال أجهزه الجسم لها تشابه بدرجه معينه مع بعضها البعض، ما عدا (الدماغ) الذي له وضع استثنائي، إنّ أجهزه الجسم مرتبطه جميعا بجوانب داخلية، في حين أنّ الظواهر الروحية لها جهه خارجيه و تخبرنا عن الواقع الخارجى المحيط بنا.

و لأجل توضيح هذا الكلام يجب ذكر بعض الملاحظات:

الملاحظه الأولى: هل هناك عالم خارج وجودنا؟ من البديهى وجود مثل هذا العالم، أمّا المثاليين الذين ينكرون وجود العالم

الخارجى و يقولون بأن كل ما وجود هو (نحن) و(تصوراتنا) و يعتبرون العالم الخارجى مجموعه من التصورات و الأحلام التى تشاهد فى النوم، فهؤلاء على خطأ، و قد أثبتنا خطأهم هذا فى أحد الأبحاث، و أثبتنا أنه كيف يتحول هؤلاء المثاليون إلى واقعيين فى العمل، إذ أن ما يفكرون به فى محيط مكتباتهم ينسونه عند ما يتجولون فى الشارع و ينتقلون من مكان إلى آخر.

الملاحظه الثانيه: هل ندرك و نعلم بوجود العالم الخارجى، أم لا؟ بالطبع الجواب على هذا السؤال بالإيجاب، لأننا نملك معرفه كبيره عن العالم الخارجى، و عندنا معلومات كثيره عن الموجودات المحيطه بنا.

و الآن نصل إلى هذا السؤال: هل هناك وجود للعالم الخارجى فى داخل وجودنا؟ طبعا لا، و لكن ارتساماته و صورته منعكسه فى أذهاننا حيث نستفيد من خاصيه (انعكاس الواقع الخارجى) لإدراك العالم الخارجى.

هذا الإدراك الذهنى للعالم الخارجى - فى الحقيقه - ليس من الخواص الفيزيكيمايئه للدماغ لوحدها، إذ أن هذه الخواص وليده إحساسنا و تأثرنا بالعالم الخارجى، و فى الاصطلاح: فإنها معلوله لها. و نفس الشيء يقال بالنسبه لتأثير الطعام على معدتنا، فهل تأثير الطعام على معدتنا و النشاطات الفيزيائيه و الكيمايئه تكون سببا لمعرفه المعده بالأطعمه؟ إذن كيف يستطيع الدماغ أن يتعرف على عالمه الخارجى؟ بعبارة أخرى نقول: فى التعرف على الموجودات الخارجيه هناك حاجه إلى نوع من الإحاطه بها، و هذه الإحاطه ليست من عمل الخلايا الدماغيه، إذ الخلايا الدماغيه تتأثر بالخارج فقط، و هذا التأثير مثله كمثل سائر أجهزه الجسم، و هذا الموضوع ندركه نحن بشكل جيد.

و إذا كان مجرد التأثير بالخارج دليلا على إدراكنا و معرفتنا بالواقع الموضوعى الخارجى، فيجب أن تتساوى فى ذلك معدتنا و لساننا و أن يكون لها

نفس قابليه الفهم، في حين أننا نعرف أنّ واقع الحال ليس كذلك. و خلاصه القول:

إنّ الوضع الاستثنائي لإدراكنا دليل على أنّ هناك حقيقه أخرى كامنه فيها، بحيث أنّ نظامها و القوانين المتحكمه فيه تختلف عن القوانين و النظم الفيزيائيه و الكيميائيه. (فتدبر ذلك).

## ثانيا: وحده الشخصيه

الدليل الآخر على استقلال الروح و تمايزها هو مسأله وحده الشخصيه في طول عمر الإنسان.

إذا أردنا نشك في كل شيء، فإننا لا نستطيع أن نشك في موضوع وجودنا (أي مقوله: أنا موجود) و ليس ثمه شك في وجودي و في علمي بوجودي أو ما يصطلح عليه ب«العلم الحضورى» و ليس «العلم الحصولي» أي أنني موجود عند نفسي و غير منفصل عنها.

على أي حال إنّ معرفتنا بأنفسنا من أوضح معلوماتنا، و لا تحتاج إلى استدلال و إثبات.

أمّا بالنسبه للاستدلال المشهور الذي استدللّ به الفيلسوف الفرنسي ديكارت حول وجوده، و الذي يقول فيه (بما أنني أفكر فأذن أنا موجود) فهو استدلال زائد و غير صحيح، لأنّه قبل أن يثبت وجوده اعترف مرّتين بوجوده (الممرّه الأولى عند ما يقول: إنني، و الثانيه عند ما يقول: أنا) هذا من جانب.

و من جانب ثان فإنّ (إنني) هذه منذ بدايه العمر حتى نهايته واحده ف (إنني اليوم) هي نفسها (إنني بالأمس) و هي نفسها (إنني منذ عشرين عاما) ف (أنا) منذ الطفوله و حتى الآن تعبير عن شخص واحد لا أكثر، إنني نفس ذلك الشخص الذي كنت و سأبقى إلى آخر عمري نفس ذلك الشخص، و ليس شخصا آخر، طبعا خلال هذه الفتره يكون الإنسان قد درس و تعلم و وصل إلى مراحل عاليه

فى العلم، و لكن فى جمىع الأحوال ببقى هو هو، و لا- بصبىح إنسانا آخرو، و هكذا فى تعامل الآخرفن معه فىث بعبتره الآخرون شخصفه واحده منذ أوّل حفاة و إلى آخرف لحظه فىها باسم واحد و جنسفه معفنه.

و الآن لئرى ما هو هذا الكائن المئوغل فى اعماقنا؟ فهل هو ذراف و خلافا جسدنا و مجموعه الخلايا الدماغفه و تأفثرافها؟ إن كل هذه الأمور قد ءعبثرف على مءى عمرنا عءه مراف، ءقرفبا فى كل سبف سنواف مره واحده، فىث نعرف أنه فى كل فوم ءموف ملافن الخلايا فى جسدنا لئحل محلها ملافن آخرف جءفده، و مئلها فى ذلك مئل البناء الذى فتم إءراج الطابوق القءفم منه و وء طابوق جءفء فى مكانه فلو اسءمر ءعمفر فى هذا البناء فإنّ البنفه الأساسفه لن ءءفر، و لكن ببقى البفء هو نفس ذاك البفء برغم أنّ الناس السطحنفن لا فلفءون لذلك. و مئل خلافا الجسم ءفى ءموف و ءحفا كمئل المسبىح الكبفر الذى فءخله الماء ببء و فءرف من طرف آخرف. طبعف أنّ ماء هذا المسبىح سففءفر بعء مءه بشكل كامل بالرغم من عءم ءفءاف الناس إلى ذلك، فذ فظنون أنّ ماء المسبىح ما زال على حاله لم فءعبثرف.

و بشكل عام، إن كل موجود فحصل على الطعام و من جانب ءان فستهلك هذا الطعام، فإنّ فى الواقع فءجءء و فءعبثرف بالءءرفب.

لذا فإنّ إنسانا فى السبفن من عمره لا ببعد أن فكون جسمه قد ءعبثرف عشر مراف، و فذا كان الأمر كما فقول المافون، من أنّ الإنسان هو نفس جسمه و أجهءفه الدماغفه و العصبفه و خواصه الففزفائفه و الكفمفائفه، ففى هذه الحاله فبب أن فكون ال(أنا) قد ءعبثرف عشر مراف ءلال هذه السنواف السبفن! و لهذا فكون هذا الإنسان لفس الإنسان السابق، إلا أنّ هذا الكلام لا فقبله أى وءدان.

و من هنا فءصء أن ءمه حقفه واحده ءابءه على طول العمر، فهى رفر الأءزاء الماففه، هذه الحقفه لا ءءعبثرف كالأءزاء الماففه، و فهى أساس وءونا و ءءكم فى حفاانا و فهى سبب وءه شخصففنا.

## الحذر من هذا الاشتباه!

البعض يتصوّر أن الخلايا الدماغية لا تتغيّر، ويقولون: لقد قرأنا في الكتب الفسيولوجية أنّ عدد الخلايا الدماغية واحد و ثابت منذ البدايه و حتى نهايه العمر، و هي لا- تزيد و لا- تنقص و إنّما تكبر. لذلك إذا أصيبت بخلل فلن تكون قابله للعلاج. و على هذا الأساس فإننا نملك وحده ثابتة في مجموع بدننا، هذه الوحده هي الخلايا الدماغية التي تحفظ لنا وحده شخصيتنا.

إنّ هذا الكلام- في الواقع- يمثل اشتباها كبيرا، فهو خلط بين مسألتين، إذ أن ما أثبتته العلم من ثبات عدد الخلايا الدماغية منذ البدايه حتى النهايه و أنّها غير قابله للزيادة و النقصان، لا يعنى أنّ الذرات المكوّنه لهذه الخلايا لا تتغيّر، فكما قلنا: إنّ خلايا الجسم التي تأخذ الطعام و تطرد الذرات القديمه بالتدرّيج تكون خاضعه للتغيير، مثلها في ذلك مثل ذلك الشخص الذي يأخذ المال من طرف و ينفقه من طرف آخر، فهذا الشخص سيغيّر رأس ماله بالتدرّيج، بالرغم من أن مقدار رأس المال لم يتغيّر. و كذلك يمكن أن نذكر بمثال ماء المسيح.

لذلك، يتبيّن أنّ الخلايا الدماغية ليست ثابتة، بل متغيّره مثل سائر خلايا الجسم.

## ثالثا: عدم تطابق الكبير مع الصغير

افترضوا أنّنا جلسنا على ساحل البحر، و شاهدنا أماننا عددا من الزوارق مع باخره كبيره، ثمّ نظرنا إلى جانب الشمس فرأيناها تميل للغروب، بينما القمر بدأ يبرز من الجانب الآخر. و على الشاطئ هناك صفوف من طيور الماء الجميله و قد اقترب بعضها نحو الماء. و نشاهد على الطرف الآخر جبلا عظيما تناطح قمته السماء علوا. و الآن، إزاء هذا المنظر، لنغمض عيوننا برهه من الزمن و نتخيل ما شاهدناه: جبل عظيم، بحر واسع، سفينه كبيره، كل هذه الأمور ترتسم في مخيلتنا

كاللوحه الكبيره للغايه فى مقابل روحنا،أو فى داخل روحنا.

و السؤال هنا: أين مكان هذا المخطط فى وجودنا...هل تستطيع الخلايا الدماغيه الصغيره و المحدوده للغايه أن تستوعب حجم اللوحه الكبيره و المخطط الكبير؟الإجابـه-طبعا-هى النفى،و لذلك لا بدّ أنّنا نمتلك قسما آخر فى وجودنا يكون فوق الماده الجسميه،و هو من السعه بمقدار بحيث يستوعب كل هذه المناظر و المخططات و اللوحات.

و إلّا- فهل نستطيع تنفيذ مخطط لبنايه ذات مساحه(٥٠٠)متر على قطعه أرض ذات مساحه بضعه ميلى مترات؟ الجواب-طبعا- سيكون بالنفى،لأنّ موجودا أكبر لا- يمكنه الانطباق على موجود أصغر مع احتفاظه بكبره وسعته،إذ من ضرورات الانطباق أن يكونا متساويين،أو أن يكون أحدهما أصغر من الثّانى،فيمكن حينذاك تنفيذ الصغير على الكبير.

مع هذا الوضع كيف يمكن لخلايا دماغنا الصغيره استيعاب الصور الذهنيه الكبيره؟ إنّنا نستطيع تصوّر الكره الأرضيه بحزامها الذى يبلغ أربعين مليون متر فى أذهاننا،و نستطيع أن نتصوّر ذهنا كره الشمس التى تكبر الأرض بمقدار مليون و مائتى ألف مرّه، و كذلك يمكننا تصوّر المجرات و التى هى أكبر من الشمس بملايين المرّات.و لكن كل هذه الصور لا يمكن ارتسامها عمليا فى خلايا الدماغ الصغيره،و ذلك وفقا لقاعده عدم انطباق الكبير على الصغير.

إذن يجب أن نعترف و نقرّ بوجود كامن فىنا هو أكبر من جسمنا فى قدره استيعابه و إحاطته بالأشياء و المخطوطات و الموجودات الكبيره:



يمكن أن يقول البعض: إن تصوراتنا الذهنية هي مثل المايكرو فيلم أو الخرائط الجغرافية التي تحتوى على مقياس للرسم مثل  $1/1000000$  أو  $1/1000000$  حيث يرمز هذا المقياس إلى مقدار التصغير و كذلك كثيرا ما يحدث لادراك عظمه باخره كبيره جدا و تصوير حجمها أن أحد الأشخاص يقف على عرشتها و يؤخذ لهما صوره لكى يعرف الناظر لها عظمه حجمها من خلال رويه الشخص الواقف عليها.

و تصوراتنا الذهنية على منوال الصور المصغره و ذات مقاييس رسم معينه، و عند ما نكبرها بنفس المقدار فإننا نحصل على المخطط أو الحجم الصحيح و الواقعى. و بالطبع فإن المخططات و الأحجام الصغيره يمكن أن تستوعبها الخلايا الدماغيه.

فى الجواب نقول: إن المايكرو فيلم يتم تكبيره بواسطه (البرجكتر و الشاشه الكبيره التى تنعكس عليها الصور) كما أن الخرائط الجغرافيه نستطيع التعرف على ما تطويه من أحجام حقيقيه بواسطه الأرقام الموجوده تحت الخرائط، فعند ما نضرب المساحات بهذا الرقم نحصل على الخريطه الكبيره الواقعيه مجسمه فى أذهاننا.

و الآن نطرح هذا السؤال: أين هي هذه الشاشه أو الصفحه العظيمه التى ينعكس عليها مايكرو فيلم الذهن؟ هل تمثل الخلايا الدماغيه الصفحه أو الشاشه المعنيه؟ بالطبع لا، لأن الخريطه الجغرافيه الصغيره التى نضربها بمقياس الرسم لتتحول إلى حجمها الحقيقى، لا يمكن أن يكون مكانها الخلايا الدماغيه الصغيره فى حجمها.

و بعباره أوضح نقول: بالنسبه إلى المايكرو فيلم و الخارطه الجغرافيه، فإننا

نرى أنّ الشئ الموجود فى الخارج هو الفيلم و الخارطة الصغيره، إلاّ- أنّه فى صورنا و إدراكنا الذهنيه تكون الصور بمقدار وجودها الخارجى، و لا- بدّ بالتالى من مكان يستوعبها، فهل يمكن للخلايا الدماغيه و هى بمساحتها و حجمها المعروف أنّ تستوعب كل هذه الأحجام العظيمه؟ و خلاصه القول: إنّنا نتصوّر الصور الذهنيه للأشياء بنفس أحجامها وسعتها فى موضوعاتها الخارجيه، و هذا التصوّر العظيم لا يمكن أن ينعكس فى الخلايا الدماغيه، لذلك فهى تحتاج إلى مكان و محل خاص، و هكذا ندرك أنّ فينا وجودا حقيقيا أكبر من هذه الخلايا و فوقها جميعا.

### رابعاً: عدم تشابه الظواهر الروحيه مع الأوضاع الماديه

هناك دليل آخر على استقلال الروح و عدم ماديتها، ففى الظواهر الروحيه نشاهد خواصا و أوضاعا معينه تختلف عن الخواص و الأوضاع الماديه، و ليس ثمّه تشابه بينهما. و مثال ذلك ما يلى:

١- الموجودات الماديه تحتاج إلى الزمان و لها بعد تدريجى.

٢- بمرور الزمن تبلى هذه الموجودات الماديه.

٣- من صفاتها أنّها قابله للتقسيم إلى أجزاء متعدده.

و لكن الظواهر الذهنيه ليست لها هذه الآثار و الخواص، حيث أنّنا نستطيع أن نتصوّر عالما كعالمنا الحالى فى ذهننا دون الحاجه إلى مرور الزمن و التدرّج.

و إضافه إلى ذلك، فإنّ اللقطات الموجوده فى الذهن منذ عهد الطفوله لا تصبح قديمه و لا تستهلك أو تبلى بمرور الزمن، بل تحتفظ بنفس شكلها، و يمكن أن يستهلك دماغ الإنسان، إلاّ أنّ صورته البيت المتجسّد فى الدماغ منذ عشرين عامًا ثابتة فيه لا تتغير و لا تستهلك و لها نوع من الثبات الذى هو صفه عالم ما وراء الطبيعه.

إن روحنا تظهر خلاقية عجيبة اتجاه الصور، و في لحظه واحده و بدون أى مقدمه يمكن رسم صور معينه فى أذهاننا كالكرات السماويه و المجرات و الكائنات الأرضيه و الجبال و ما شابهها. إن هذه الخاصيه ليست لكائن مادي، بل هى دليل لكائن ما فوق الماده.

إضافه إلى ذلك فإننا لا نشك فى أن  $(2+2=4)$  حيث يمكن تجزئه طرفى المعادله، مثلا- تجزئه الرقم  $(2)$  أو الرقم  $(4)$  إلا أن هذا مفهوم التساوى هذا لا- يمكن تجزئته، فنقول مثلا: إن التساوى له نصفان و كل نصف هو غير النصف الآخر، فالتساوى مفهوم لا يقبل التجزئه، فإمّا أن يكون موجود أو غير موجود، إذ لا يمكن تنصيفه أبدا.

لذا فإنّ هذا النوع من المفاهيم الذهنيه غير قابل للتقسيم، و لهذا السبب فهى ليست ماديه، إذ لو كانت ماديه لكان يمكن تجزئتها، و لهذا السبب فإنّ روحنا التى هى مركز للمفاهيم غير الماديه لا يمكن أن تكون ماديه، لذا فإنّها فوق الماده.

(فدقق فى ذلك) (1)

ص: ١٢٩

---

١-١) - عرض و تلخيص عن كتاب: المعاد و عالم ما بعد الموت، الفصل المتعلق باستقلال الروح.

إشاره

وَ لَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧)

التفسير

إشاره

ما عندك هو من رحمته وبركته:

تحدثت الآيات السابقه عن القرآن، أما الآيتان اللتان نبخثهما الآن فهما أيضا ينصبان في نفس الاتجاه.

ففي البدايه تقول الآيه: وَ لَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ. و بعد ذلك:

ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا

إننا نحن الذين أعطيناك هذه العلوم حتى تكون قائدا و هاديا للناس، و نحن الذين إذا شئنا استرجعناها منك، و ليس لأحد أن يعترض على ذلك.

و عند ربط هذه الآيات بالآيه السابقه التي كانت تقول: وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا فَإِنَّا نَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ إِذَا شَاءَ يَأْخُذُ حَتَّى هَذَا الْعِلْمَ الَّذِي أَعْطَاهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ.

الآيه التي بعدها جاءت لتستثنى، فهي تبين أننا إذا لم نأخذ ما أعطيناك، فليس ذلك سوى رحمه من عندنا، حيث يقول تعالى: إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ هَذِهِ

الرحمة لأجل هدايتك و إنقاذك، و كذلك لهدايه و إنقاذ العالم البشرى، و هذه الرحمة-فى الواقع-مكمله لرحمه الخلق.

إنَّ الله الذى خلق البشر بمقتضى رحمته الخاصه و العامه، و ألبسهم لباس الوجود الذى هو أفضل الألبسه، هو نفسه الذى بعث إليهم قاده و أعين معصومين و حريصين رؤوفين..ذوى استقامه و قدره لهدايه الناس، لأنَّ من مقتضيات رحمه الله أن لا تخلو الأرض من حجه له عزّ و جلّ.

و فى نهايه الآيه و لأجل تأكيد المعنى السابق جاء قوله تعالى: **إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا**.

إنَّ وجود القابليه لهذا الفضل فى قلبك الكبير بجهدك و عبادتك من جهه، و حاجه العباد إلى مثل قيادتك من جهه أخرى، جعلنا- فضل الله عليك كبيرا للغايه فقد فتح الله أمامك أبواب العلم، و أنبأك بأسرار هدايه الإنسان، و عصمك من الخطأ، حتى تكون أسوه و قدره لجميع الناس إلى نهايه هذا العالم.

كما أنه ينبغى أن نشير إلى أنّ الجملة الاستثنائية الوارده هنا ترتبط مع الآيه السابقه، و مفهوم المستثنى و المستثنى منه هو هكذا: إذا أردنا فإنا نستطيع أن نمنع عنك هذا الوحي الذى أرسلناه لك، إلا أننا لا نفعل، لأنَّ الرحمه الإلهيه شملتكم و تشمل جميع الناس (١).

و من الواضح أنّ هذا الاستثناء لا يعنى أنّ الله يحجب فى يوم من الأيام رحمته عن نبيه صلى الله عليه و آله و سلم، بل هو دليل على أنّ الرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا يملك شيئا من عنده، فعلمه و وحيه السماوى هو من الله و مرتبط بمشيئته و إرادته.

ص: ١٣١

---

(١- ١) - فى الحقيقه إنّ مفهوم الجملة هو هكذا: «و لكن لا نشاء أن نذهب بالذى أوحينا إليك رحمه من ربك».

إشاره

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (٨٨) وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً (٨٩)

التفسير

إشاره

معجزه القرآن:

الآيات التي بين أيدينا تتحدث عن إعجاز القرآن، ولأن الآيات اللاحقه تتحدّث عن حجج المشركين في مجال المعجزات، فإن الآيه التي بين أيدينا-في الحقيقة-مقدمه للبحث القادم حول المعجزات.

إنّ أهم وأقوى دليل ومعجزه لرسول الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والتي هي معجزته الدائمه على طول التاريخ، هو القرآن الكريم الذي بوجوده تبطل حجج المشركين.

بعض المفسرين أراد أن يؤكد ارتباط هذه الآيه بالآيات السابقه من خلال

مجهوليه الروح و أسرارها و قياسها بمجهوليه القرآن و أسراره. و لكن العلاقه التي أشرنا إليها آنفا تبدو أكثر من هذا الربط (١).

على أية حال فإنّ الله يخاطب رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و يقول له: قُلْ لِيُنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا .

إنّ هذه الآيه دعت-بصراحه-العالمين جميعهم، صغارا و كبارا، عربا و غير عرب، الإنسان أو أى كائن عاقل آخر، العلماء و الفلاسفه و الأدباء و المؤرخين و النوابغ و غيرهم...لقد دعتهم جميعا لمواجهة القرآن، و تحدّيه الكبير لهم، و قالت لهم: إذا كنتم تظنون أنّ هذا الكلام ليس من الخالق و أنّه من صنع الإنسان، فأنتم أيضا بشر، فأتوا إذا بمثله، و إذا لم تستطيعوا ذلك بأجمعكم، فهذا العجز أفضل دليل على إعجاز القرآن.

إنّ هذه الدّعوه للمقابله و التي يصطلح عليها علماء العقائد ب«التحدّي» هي أحد أركان المعجزه، و عند ما يرد هذا التعبير فى أى مكان، نفهم بوضوح أنّ هذا الموضوع هو من المعجزات.

### و نلاحظ فى هذه الآيه عدّه نقاط ملفته للنظر:

١-عموميه دعوه التحدّي و التي تشمل كل البشر و الموجودات العاقله الأخرى.

٢-خلود دعوه التحدّي و استمرارها، إذ هي غير مقّيده بزمان، و على هذا الأساس فإنّ هذا التحدّي اليوم جار مثلما كان فى أيام النّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و سيبقى كذلك

ص: ١٣٣

فى المستقبل.

٣- استخدام كلمه «اجتمعت» إشاره لأشكال التعاون و التعاضد و التساند الفكرى و العملى، الذى يضاعف حتما من نتائج أعمال الأفراد مئات، بل آلاف المرات.

٤- إن تعبير وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا تأكيد مجدّد على قضيه التعاون و التعاضد، و هى أيضا إشاره ضمنيه إلى قيمه هذا العمل و تأثيره على صعيد تحقق الأهداف و تنجزها.

٥- إن تعبير بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ دلالة على الشمول و العموم، و هو يعنى (المثل) فى جميع النواحي و الأمور، من حيث الفصاحة و البلاغه و المحتوى، و من حيث تربيته الإنسان، و البحوث العلميه و القوانين الاجتماعيه، و عرض التأريخ، و التنبؤات الغيبيه المرتبطه بالمستقبل... إلى آخر ما فى القرآن من أمور.

٦- إنّ دعوه جميع الناس للتحدى دليل على أنّ الإعجاز لا ينحصر فى ألفاظ القرآن و فصاحته و بلاغته و حسب، و إلا لو كان كذلك، لكانت دعوه غير العرب عديمه الفائدة.

٧- المعجزه تكون قويه عند ما يقوم صاحب المعجزه بإثاره و تحدى أعدائه و مخالفيه، و بتعبيرنا تقول: يستفزهم، ثمّ تظهر عظمه الإعجاز عند ما يظهر عجز أولئك و فشلهم.

و فى الآيه التى نبحتها يتجلى هذا الأمر واضحاً، فمن جانب دعت جميع الناس، و من جانب آخر تستفزهم بصراحه فى قولها لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ثُمَّ تَحْرِضُهُمْ لِلتَّحْدِي بِالْقَوْلِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا .

الآيه التى بعدها- فى الواقع- توضيح لجانب من جوانب الإعجاز القرآنى، متمثلاً فى شموليته و إحاطته بكل شىء، إذ يقول تعالى:  
وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي

ص: ١٣٤



لَهُذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ

و لكن بالرغم من ذلك: فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا .

«صِرْفَنَا» من «تصريف» بمعنى التغيير أو التبديل.

أما «كفوراً» فتعني إنكار الحق.

حقاً إنّ التنوع الذى يتضمّنه القرآن الكريم تنوع عجيب، خاصّه و أنّه صدر من شخص لا- يعرف القراءه و الكتابه، ففى هذا الكتاب وردت الأدله العقلية بجزئياتها الخاصّه حول قضايا العقائد، و ذكرت- أيضاً- الأحكام المتعلقة بحاجات البشر فى المجالات كافه. و تعرّض القرآن- أيضاً- إلى قضايا و أحداث تاريخيه تعتبر فريده فى نوعها و مثيره فى بابها، و خاليه من الخرافات.

و تعرض إلى البحوث الأخلاقيه التى تؤثّر فى القلوب المستعدّه كتأثير المطر فى الأرض الميتة.

القضايا العلميه ورد ذكرها فى القرآن الكريم، إذ ذكرت بعض الحقائق التى لم تكن تعرف فى ذلك الزمان من قبل أى عالم.

و الخلاصه: إنّ القرآن سلك كل واد و تناول فى آياته أفضل النماذج.

و إذا توجهنا إلى حقيقه محدوديه معلومات الإنسان كائنا من كان (كما تشير إلى ذلك أيضاً الآيات القرآنيه) و أنّ رسول الإسلام صلّى الله عليه و آله و سلّم قد ترعرع فى بيئه محدوده فى القضايا العلميه و المعرفيه حتى أنّها لم تبلغ من معلومات و معارف الإنسان فى زمانها إلا مبلغاً يكاد لا يذكر... و وسط كل ذلك، ألا يعتبر التنوع فى القرآن فى قضايا التوحيد و الأخلاق و الاجتماع و السياسه و الأمور العسكريه و غيرها، دليلاً على أنّ هذا القرآن ليس من صنع عقل بشرى، بل من الخالق جلّ و علا؟ و لهذا السبب إذا اجتمعت الجن و الإنس على أن يأتوا بمثله فلا يستطيعون و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

لنفترض أنّ جميع العلماء و المتخصصين يجتمعون اليوم لتأليف دائره معارف، و ينظموها بأفضل ما لديهم من خبرات فيه و معرفيه، فإنّ النتيجة ستكون عملا يلقي صدها الحسن في مجتمع اليوم، أمّا بعد خمسين عاما فسيعتبر هذا العمل ناقصا و قديما.

أمّا القرآن ففي أي عصر و زمان يقرأ، و خاصّه في زماننا الحاضر، فإنّه يبدو كأنه نزل ليومنا هذا، و لا يوجد فيه أي أثر يدل على أنّه قديم.

ص: ١٣٦

إشاره

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتَمَجَّرُ الْأَنْهَارُ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (٩١)  
أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَ  
لَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣)

سبب النزول

لقد ذكر المفسرون استنادا للروايات الواردة أسبابا عديده لنزول هذه الآيات، وفيما يلي سنتعرض بشكل موجز إلى هذه الأسباب معتمدين بشكل مباشر على تفسير مجمع البيان الذي قال:

إن جماعه من وجهاء قريش - وفيهم الوليد بن المغيرة و أبو جهل - اجتمعوا عند الكعبه، وقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه و خاصموه. فبعثوا إليه:

إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك. فبادر صلى الله عليه و آله و سلم إليهم ظنًا منه، أنهم بدا لهم في أمره، و كان حريصا على رشدهم، فجلس إليهم، فقالوا: يا محمد إنا دعوناك لنعذر إليك،

فلا نعلم أحدا أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، شتمت الآلهة، وعبت الدين و سفهت الأحكام، و فرقت الجماعة، فإن كنت جئت بهذا لتطلب مالا أعطيناك، و إن كنت تطلب الشرف سؤدناك علينا، و إن كانت عله غلبت عليك طلبنا لك الأطباء.

فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «ليس شيء من ذلك، بل بعثني الله إليكم رسولا، و أنزل كتابا، فإن قبلتم ما جئت به فهو حظكم في الدنيا و الآخرة، و إن تردوه أصبر حتى يحكم الله بيننا».

قالوا: فإذا ن ليس أحد أضيقت بلدا منّا فاسأل ربك أن يسير هذه الجبال، و يجرى لنا أنهارا كأنهار الشام و العراق، و أن يبعث لنا من مضى و ليكن فيهم قصصى فإنه شيخ صدوق لنسألهم عما تقول أحق أم باطل.

فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «ما بهذا بعثت».

قالوا: فإن لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكا يصدقك و يجعل لنا جنات و كنوزا و قصورا من ذهب.

فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «ما بهذا بعثت، و قد جئتم بما بعثني الله به، فإن قبلتم و إلا فهو يحكم بيني و بينكم».

قالوا: فأسقط علينا السماء كما زعمت، إن ربك إن شاء فعل ذلك.

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «ذاك إلى الله إن شاء فعل».

و قال قائل منهم: لا تؤمن حتى تأتي بالله و الملائكة قبيلا.

فقام النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قام معه عبد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله، ثم سألوك لأنفسهم أمورا فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به فلم تفعل، فوالله لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ سلما إلى السماء ثم ترقى فيه و أنا أنظر، و يأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك، و كتاب يشهد لك.

و قال أبو جهل: إنَّه أبى إلاَّ سبَّ الآلهه و شتم الآباء، و أنا أعاهد الله لأحملن حجرا فإذا سجد ضربت به رأسه.  
فانصرف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ حزينا لما رأى من قوله، فأُنزل اللهُ سبحانه الآيات أعلاه (١).

## التفسير

### إشارة

### أعذار و ذرائع مختلفة:

بعد الآيات السابقة التى تحدثت عن عظمه و إعجاز القرآن، جاءت هذه الآيات تشير إلى ذرائع المشركين، هذه الذرائع تثبت أن مواقف هؤلاء المشركين إزاء دعوه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ التى جاءت أصلا لإحيائهم، لم تكن إلاَّ للعدا و المكابره، حيث أنهم كانوا يطالبون بأشياء غير معقوله فى مقابل اقتراح الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ المنطقى و إعجاز القوى.

هذه الطلبات وردت على ستة أقسام هى:

١- فى البدايه يقولون: وَ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا .

«فجور و تفجير» بمعنى الشق. و هى عامه، سواء كان شق الأرض بواسطة العيون أو شق الأفق بواسطة نور الصباح (مع الأخذ بنظر الإعتبار أن تفجير هى صيغه مبالغه لفجور).

«ينبوع» مأخوذه من «نبع» و هو محل فوران الماء، و البعض قالوا بأن ينبوع هى عين الماء التى لا تنتهى أبدا.

ص: ١٣٩

١-١) -يراجع تفسير مجمع البيان أثناء تفسير الآيات. و كذلك جاء مثله مع تفاوت فى الدر المنثور للسيوطى أثناء تفسير الآيات.

٢- قولهم كما فى الآيه: أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا .

٣- أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كِسْفًا .

٤- أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا .

«قبيل» تعنى فى بعض الأحيان «الكفيل و الضامن» و تعنى فى أحيان أخرى-الشيء الذى يوضع قبال الإنسان و فى مواجهته، و قال بعضهم بأنّها جمع (قبيله) أى الجماعه من الناس.

و طبقا للمعنى الأوّل يكون معنى الآيه أن تأتى بالله و الملائكه كضامين على صدقك! و أما طبقا للمعنى الثانى فيكون المعنى أن تأتى بالله و الملائكه و تضعهما فى مقابلنا! و أما طبقا للمعنى الثالث فيكون معنى الآيه أن تأتى بالله و الملائكه على شكل مجموعه مجموعه! و يجب الانتباه إلى أنّ هذه المفاهيم الثلاثه لا- تتعارض فيما بينها، و يمكن أن تكون مجتمعه فى مفهوم الآيه، لأنّ استخدام كلمه واحده لأكثر من معنى ممكن عندنا.

٥- أَوْ يَكُونُ لَكَ يَبِيتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ .

«زخرف» فى الأصل تعنى (الزينه)، و يقال للذهب «زخرف» لأنّه من الفلزات المعروفة و المستخدمه لأغراض الزينه، و يقال للبيوت المزيّنه و الملونه أنّها (مزخرفه)، كما يقال للكلام المزوّق و المخادع بأنّه «كلام مزخرف».

٦- أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزَيْكِكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ .

ثمّ يصدر الأمر من الخالق جلّ و علا لرسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم أن يقول لهؤلاء فى مقابل اقتراحاتهم هذه: قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا .

## ١- جواب الرسول للمتذرعين

لقد تبين من خلال الآيات أعلاه و الحديث الوارد فى أسباب النزول، أنّ طلبات المشركين العجيبه و الغريبه لم تكن تنع من روح نشدان الحقيقه، بل كان هدفهم البقاء على الشرك و عباده الأصنام لأنه كان يمثل الدعامة الأساسيه و القوه الماديه لزعماء مكّه، و كذلك منع النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم من الاستمرار فى طريق الدعوه الى التوحيد بأى صورته ممكنه.

إلا أنّ الرسول الهادى صلّى الله عليه و آله و سلّم أجابهم بجوابين منطقيين و فى جملة واحده و قصيره:

الجواب الأول: إنّ الخالق جلّ و علا- منزّه عن هذه الأمور، منزّه التأثير بهذا و ذاك، و منزّه من أن يستسلم للاقتراحات الباطله و الواهيه لأصحاب العقول السخيفه: **سُبْحَانَ رَبِّي** .

الجواب الثانى: بغض النظر عمّا مضى فإنّ الإتيان بالمعجزات ليس من عملى، فأنا بشر مثلكم، إلا أنّى رسول الله، و القيام بالمعجز من عمل الخالق و بإرادته تتم، و بأمره تنجز، فأنا لا أستطيع أن أطلب مثل هذه الأمور من الخالق و لا يحق لى أن أتدخل فى مثل الأمور، فمتى شاء سبحانه فسيعث بالمعجزات الإثبات صدق دعوه رسوله: **هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا** .

صحيح أنّ هناك ترابط بين هذين الجوابين، إلا أنّهما يعتبران جوابين منفصلين، فأحدهما يثبت ضعف البشر فى مقابل هذه الأمور، و الثانى تنزيه ربّ البشر عن القبول بهذه المعجزات المقترحه.

و عاده فإنّ الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم ليس إنسانا استثنائيا يجلس فى مكان معين، و يأتى الأشخاص يقترحون عليه المعجزات كيفما يشاءون، و يتلاعبون بقوانين و سنن الخلق و الوجود، و إذا لم تعجبهم معجزه معينه يطلبون غيرها... و هكذا.

إنّ مسئولية الرّسول صلّى الله عليه وآله و سلّم هي إثبات ارتباطه بالخالق عن طريق المعجزة، و عند ما يأتي بالقدر الكافي من المعاجز، فليست عليه أية مسئولية أخرى.

إنّه صلّى الله عليه وآله و سلّم قد لا يعرف بزمان نزول المعجزات، و قد يطلب المعجزة من ربّه عند ما يعلم بأنّ الإتيان بها يرضى الله تعالى.

## ٢- الأفكار المحدوده و الطلبات غير المعقوله

كل إنسان يتكلم بحدود فكره، و لهذا السبب فإنّ حديث أى شخص هو دليل على مقدار عمق أفكاره.

الأفراد الذى لا يفكرون إلا بالمال و الجاه يتصورون أنّ كل من يتحدث عن شيء إنّما يقصد هذا المجال.

لهذا السبب كان مشركو مكّه يقترحون-بسبب قصور تفكيرهم-على رسول الله اقتراحات تتصل بالمال و قضاياه، يطلبون منه أن يترك دعوته مقابل المال، إنهم يقيسون الروح الواسعه لرسول الهدى صلّى الله عليه وآله و سلّم بضيق أفكارهم.

إنّ هؤلاء كانوا يعتقدون بأنّ من لا يجاهد فى سبيل المال أو المقام مجنون حتما، و مثلهم كمثل المسجون فى غرفه صغيره لا يرى السماء الواسعه و الشمس العظيمة و الجبال الشامخه و البحار الواسعه و لا يحس بعظمه عالم الوجود. لقد أرادوا مقايسه الروح السمحه العظيمة لرسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم بمقاييسهم.

إضافه لذلك، لمر ما هي الأشياء التى أرادوها من الرّسول صلّى الله عليه وآله و سلّم و لم تكن موجوده فى الإسلام، لقد أرادوا الأراضى المزروعه و العيون المتفجره، و بساتين النخيل و الأعناب، و البيوت المزخرفه. و نحن نعلم أنّ الإسلام قد فتح أبواب التقدّم و التكنولوجيا بحيث يمكن فى ظل التقدّم الاقتصادى تحقيق الكثير من هذه الأمور، بل و نلاحظ بأنّ المسلمين فى ظل البرامج القرآنيه و صلوا إلى تحقيق تقدّم أكثر ممّا كان يدور فى عقول المشركين ذوى الأفق الضيق.



فهؤلاء لو كانوا ينظرون بعين الحقيقه لكانوا قد شاهدوا هذا التطور المعنوي العظيم في هذا الدين، وكذلك الانتصارات الماديه المنظوره حيث يضمن القرآن سعادته الإنسان في المجالين الدنيوي والأخروي.

بالإضافه إلى ذلك، فإن اقتراحاتهم السفيفه الأخرى تدل على مدى التكبر و الغرور و الجهل المسيطر على عقولهم..كقولهم:أو تسقط السماء علينا..

و قولهم:أن تضع سلما و تصعد الى السماء.

و قولهم:أن تحضر أمامنا الله و الملائكه!!حتى أنهم لم يطلبوا منه أن يأخذهم الى الله تعالى..فما اشدّ هذا الجهل و الغرور و التكبر!!

### ٣-ذريعه أخرى لنفى الإعجاز

بالرغم من وضوح الآيات أعلاه،و أنها غير معقده،و أنّ طلبات المشركين من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم واضح،و كذلك سبب تعامل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم السلبي مع هؤلاء معلوم أيضا،إلا أنّ الآيات أصبحت ذريعه بيد بعض المتذرعين في عصرنا الذين يصرون على نفي أى معجزه لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و هؤلاء يعتبرون هذه الآيات من أوضح الأدله على نفي الإعجاز عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حيث طلب المشركون منه صلى الله عليه و آله و سلم أن يأتي سته أنواع من المعاجز سواء من الأرض أو السماء و سواء كانت مفيده لهم أو قاضيه بموتهم،إلا أنه صلى الله عليه و آله و سلم لم يستطيع تنفيذ أى منها،جوابه الوحيد لهم كان سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا .

نحن نقول:إذا لم يكن متذرعو اليوم كأسلافهم،فإنّ ما ورد في الآيات يكفيهم جوابا على ما أوردوا،إذ ينبغي أن نلاحظ ما يلي:

١-البعض من الطلبات الهزيله، كمثل طلبهم إحضار الخالق جلّ و علا و الملائكه،أو المجيء برسالة من السماء فيها أسماؤهم و عناوينهم!البعض

الآخر مما طلبوا، فيها أجابهم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم إليه، سوف لن يبقى أثر لهم، و بالتالى لن تكون قضيه المعجزه ذات أثر فى إيمانهم أو عدمه، مثل قولهم أن يسقط عليهم كسفا من السماء، أى أن تنزل عليهم صخور من السماء.

أما بقية الطالبات المقترحه فتشمل الحصول على المزيد من وسائل الحياه المرفهه و الأموال و الثروات الكبيره، فى حين أنّ الأنبياء لم يأتوا لتحقيق هذه الأمور.

و إذا افترضنا خلو ما اقترحه المشركون من المآخذ، فإننا نعلم - كما تخبر بذلك الآيات - أنّ ما طلبوه كان من نمط التحجيج و التذرع أمام دعوه الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم ليس من مسئوليهِ رسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم أن يجيهم إلى ذرائعهم و تحججاتهم هذه، بل إنه صَلَّى الله عليه وآله وسلم يقدم المعجزه بمقدار ما يثبت صدق دعوته، و لا شىء أكثر من ذلك.

٢- بعض تعابير هذه الآيات توضح بنفسها - بصراحه شديده - مدى عناد و تذرع هؤلاء بمثل هذه الطالبات، فمثلا هم يقترحون على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم الصعود الى السماء، و لكنهم يقولون له، بأننا لا نصدق صعودك إن لم تأتنا برسالة من السماء.

إذا كان هؤلاء طلاب معجزه - فقط - فلما ذا لا يفيهم صعود الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم السماء، ثم هل هناك دليل أوضح من هذا على عدم واقعيه هؤلاء القوم و عدم منطقيهِ عروضاتهم؟ ٣- إضافة إلى كل ما مر، فإننا نعلم أنّ المعجزه من عمل الخالق جلّ و علا و ليست من عمل الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم، فى حين يظهر واضحا من كلامهم أنّهم كانوا يعتبرون المعجزه من فعله صَلَّى الله عليه وآله وسلم، لذا كانوا ينسبون جميع الأعمال إليه مثل قولهم:

تَفْجُرْ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا...

أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا، أَوْ تَأْتِنِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ

و ما إلى ذلك من طلبات.

الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم كان يعتقد بأنّ عليه أن يزيل هذه الأوهام من عقولهم، و يثبت

لهم بأنه ليس هو الله ولا هو شريكه، والمعجزه من الله دون سواه، فأنا بشر مثلكم، و الفارق أنّ الوحي ينزل عليّ، و بمقدار ما يلزم الأمر فإنّ الله ينزل المعاجز على يدي، و لا أستطيع أن أفعل أكثر من هذا، و قوله سُبْحَانَ رَبِّيَ شاهد على هذا المعنى، إذا أنّ الخالق منزّه عن أى شريك و شبهه.

و بالرغم من أنّ القرآن ذكر معاجز متعدّده لعيسى عليه السّلام مثل إحياء الموتى و شفاء المرضى و غير ذلك، إلا أنّ هذه المعجزات جميعا كانت ملحقه بكلمه «بإذنى» أو «بإذن الله» أى إنّها تتم فقط-بإذن الخالق، و أجريت على يد المسيح عليه السّلام (١).

٤-أىّ إنسان يصدّق بأنّ إنسانا يدعى النبوه، بل يعتبر نفسه خاتم النبيين، و يذكر فى كتابه المعاجز الكثيره للأنبياء السابقين، إلاّ أنّه نفسه لا يستطيع أن يأتى بمعجزه؟! ثمّ إنّ الناس على هذا الفرض، ألاّ يعترضون على مثل هذا النبى و يقولون له:

كيف تكون نبياّ فى حين أنّك تعجز عن القيام بمعاجز مثل معاجز الأنبياء الآخرين...فإن كنت تدعى أنّك أفضل منهم جميعا و خاتمهم، فكيف إذن تستقيم الدعوه مع عدم الإتيان بالمعجزات؟ إنّ هذا الواقع-بحدّ ذاته-دليل على أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قد جاء-عند الضروره و اللزوم-بالمعجزات، و من هنا يتّضح أن عدم استسلام رسول الهدى صلّى الله عليه و آله و سلّم لطلبات المشركين الآنفه إنّما يعود لعلمه صلّى الله عليه و آله و سلّم بعدم جدواها فى إثبات ما يلزم من نبوته، و أنّها انطلقت-فقط-على سبيل التحجيج و التذرّع من قبل عتاه قريش و كبرائها، لذلك أهمل صلّى الله عليه و آله و سلّم هذا الكلام و لم يستجب لاقتراحاتهم غير المنطقيه و غير المعقوله.

ص: ١٤٥

---

١-١) -يمكن فى هذا الصدد مراجعه الآيات (١١٠) من سوره المائده، و(٤٩) من سوره آل عمران.

اشاره

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا- (٩٤) قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (٩٥)

التفسير

اشاره

ذريعه عامه:

الآيات السابقه تحدثت عن تدرع المشركين-أو قسم منهم-في قضيه التوحيد، أمّا الآيات التي نبحتها فإنها تشير إلى ذريعه عامه في مقابل دعوه الأنبياء، حيث تقول: وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا .

هل يمكن التصديق بأن هذه المهمه و المنزله الرفيعه تقع على عاتق الإنسان...ثم و الكلام للمشركين-ألم يكن الأولى و الأجدر أن تقع هذه المهمه-و هذه المسؤوليه-على عاتق مخلوق أفضل كالملائكه-مثلا-كى يستطيعوا أداء هذه المهمه بجداره...إذ أين الإنسان الترابى و رساله الإلهيه؟! إن هذا المنطق الواهى الذى تحكيه الآيه على لسان المشركين لا يخص

مجموعه أو مجموعتين من الناس، بل إن أكثر الناس و في امتداد تاريخ النبوات قد تذرّعوا به في مقابل الأنبياء و الرّسل.

قوم نوح عليه السّلام-مثلا- كانوا يعارضون نبيهم بمثل هذا المنطق و يصيرون: **مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ** كما حكت ذلك الآيه (٢٤) من سوره المؤمنون.

أمّا قوم هود فقد كانوا يواجهون نبيهم بالقول: **مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ** كما ورد في الآيه (٣٣) من سوره المؤمنون. ثمّ أضافت الآيه (٣٤) من نفس السوره قولهم: **وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ**.

نفس هذه الذريعه تمسك بها المشركون ضد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و أمام دعوه الإسلام التي جاء بها، إذ قالوا: **مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا (١)**.

القرآن الكريم أجاب هؤلاء جميعا في جمله قصيره واحده مليئه بالمعاني و الدلالات، قال تعالى: **قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا**.

يعنى أنّ القائد يجب أن يكون من سنخ من بعث إليه، و من جنس أتباعه، فالإنسان لجماعه البشر، و الملك لجماعه الملائكه.

و دليل هذا التجانس و التطابق بين القائد و أتباعه واضح؛ فمن جانب يعتبر التبليغ العملي أهم وظيفه في عمل القائد من خلال كونه قدوه و أسوه، و هذا لا يتم إلا- أن يكون القائد من جنسهم، يمتلك نفس الغرائز و الأحاسيس، و نفس مكونات البناء الجسمي و الروحي الذي يملكه كل فرد من أفراد جماعته، فلو كان الرّسول إلى البشر من جنس الملائكه الذين لا يملكون الشهوه و لا يحتاجون إلى الطعام و المسكن و الملبس، فلا يستطيع أن يتمثل معنى الأسوه و القدوه لمن

ص: ١٤٧

بعث إليهم، بل إنَّ الناس سوف يقولون: إنَّ هذا النَّبي المرسل لا يعرف ما في قلوبنا و ضمائرنا، و لا يدرك ما تنطوى عليه أرواحنا من عوامل الشهوه و الغضب و ما إلى ذلك، إنَّ مثل هذا الرَّسول سوف يتحدث إلى نفسه فقط، إذ لو كان مثلنا يملك نفس أحاسيسنا و مشاعرنا لكان مثل حالنا أو أسوأ، لذا لا اعتبار لكلامه.

أمَّا عند ما يكون القائد مثل

أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام الذي يقول:

«إنَّما هي نفسى أروضها بالتقوى لتأتى آمنه يوم الخوف الأكبر» (١). فإنَّ مثله يصلح أن يكون الأسوه و القدوه لمن يقودهم.

من جانب آخر ينبغي للقائد أن يدرك جميع احتياجات و مشاكل أتباعه كي يكون قادرا على علاجهم، و الإجابة على أسئلتهم، لهذا السبب نرى أنَّ الأنبياء برزوا من بين عامَّة الناس، و عانوا في حياتهم كما يعانى الناس، و ذاقوا جميع مرارات الحياه، و لمسوا الحقائق المؤلمه بأنفسهم و هياؤا أنفسهم لمعالجتها و مصابره مشكلات الحياه.

## ملاحظات

١- قوله تعالى: **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ... يُعْنَى** إن سبب عدم إيمانهم هو هذا التذرُّع، إلا أنَّ هذا التعبير ليس دليلا على الحصر، بل هو للتأكيد و بيان أهميه الموضوع.

٢- عبارته: **مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ** موضع اختلاف فى أقوال و آراء المفسِّرين، فالبعض يعتبرها إشارة إلى قول عرب الجاهليه الذين كانوا يقولون بأننا كنَّا نعيش فى هذه الجزيره حياه هادئه، و قد جاء محمَّد ليُجلب الفوضى و القلق، إلا أنَّهم جوبهوا بقول القرآن لهم بأنَّه حتى لو كانت الملائكه تسكن

ص: ١٤٨

الأرض و كانوا يعيشون حياه هادئه- كما تدعون-فإننا كنا سنرسل لهم رسولا من جنسهم و صنفهم.

البعض الآخر من المفسرين فسرها بأنها«اطمئنان إلى الدنيا و لذاتها و الابتعاد عن أى مذهب و دين».

و أخيرا فسرها بعضهم بمعنى(السكن و التوطن)فى الأرض.

لكن الاحتمال الأقوى هو أن يكون هدف الآيه:لو كانت الملائكه ساكنه فى الأرض،و كانوا يعيشون حياه هادئه و خاليه من الصراع و النزاع،فرغم ذلك كانوا سيشعرون بالحاجه إلى قائد من جنسهم،حيث أنّ الهدف من إرسال الأنبياء و بعثهم ليس لإنهاء الصراع و النزاع و إيجاد أسباب الحياه الماديه الهادئه و حسب، بل إنّ هذه الأمور هى مقدمه لطفى سبيل التكامل و الترييه فى المجالات المعنويه و الإنسانيه،و مثل هذا الهدف يحتاج إلى قائد إلهى.

٣-يستفيد العلامه الطباطبائى فى تفسير الميزان من كلمه«أرض»فى الآيه أعلاه،أنّ طبيعه الحياه الماديه على الأرض تحتاج إلى نبى،و بدونه لا يمكن الحياه.

إضافه الى ذلك فإنه يرى أنّ هذه الكلمه إشاره لطيفه إلى جاذبيه الأرض حيث أنّ التحرك بهدوء و اطمئنان بدون وجود الجاذبيه يعتبر أمرا محالا.

إشارة

قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِيًا وَجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧)

التفسير

إشارة

المهتدون الحقيقيون:

بعد أن قطعت الآيات السابقة أسواطاً في مجال التوحيد و النبوه و عرض حديث المعارضين و المشركين، فإن هذه الآيات عباره عن خاتمه المطاف في هذا الحديث، إذ تضع النتيجة الأخرى لكل ذلك. ففي البدايه تقول الآيه إذا لم يقبل أولئك أدلتك الواضحه حول التوحيد و النبوه و المعاد فقل لهم: قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١).

إن هذه الآيه تستهدف أمرين فهي أولاً: تهدد المعارضين المتعصين

ص: ١٥٠

١- ١) - من حيث التركيب: إن «الباء» في كَفَىٰ بِاللَّهِ زائده، و«اللّه» فاعل «كفى» و«شهيدا» تمييز، أو حال كما يقول البعض.



و المعاندين، بأنَّ الله خبير و بصير و يشهد أعمالنا و أعمالكم، فلا تظنوا بأنكم خارجون عن محيط قدرته أو أنَّ شيئاً من أعمالكم خاف عنه.

الأمر الثاني: هو أنَّ الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم أظهر إيمانه القاطع بما قال، حيث أنَّ إيمان المتحدّث القوى بما يقول له أثر نفسى عميق فى المستمع، و عسى أن يكون هذا التعبير القاطع و الحاسم المقرون بنوع من التهديد مؤثراً فيهم، و يهز وجودهم، و يوقظ فكّرهم و وجدانهم و يهديهم إلى الطريق الصحيح.

الآية التالية تؤكد على أن الشخص المهتدى هو الذى قذف الله تعالى بنور الإيمان فى قلبه: <sup>□</sup> وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ أَمَا مِنْ أَظْلَمَ اللَّهُ بِسوء أعماله:

وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ

فالطريق الوحيد هو أن يرجعوا إليه و يطلبوا نور الهدايه منه.

هاتان الجملتان تثبتان أنَّ الدليل القوى و القاطع لا يكفى للإيمان، فما لم يكن هناك توفيق إلهى لا يستقر الإيمان أبداً.

هذا التعبير يشبه دعوتنا لمجموعه لأن تفعل الخير بعد أن نشرح لهم أهميه الموضوع بواسطه الأدله المختلفه، إلا أنَّ الحصيله العمليه ستكون موافقه البعض، و امتناع البعض الآخر عن فعل الخير برغم صحه الأدله. و بذلك لا يكون كل واحد لائقاً لفعل الخير.

و هذه حقيقه فليس كل قلب يليق لأن ينال نور الحق، إضافة إلى أنَّ الكلام يثير المستمع، و قد يحدث أن يترك الشخص بتأثير هذا الكلام عناده و لجاجته ليثبت لياقته للحق و يستسلم له.

و قلنا مراراً: إنَّ الهدايه و الضلاله الإلهيتين ليستا شيئين جريين، بل تخضعان للأثر المباشر لأعمال الإنسان و صفاته، فالأشخاص الذين جاهدوا أنفسهم و سعوا بجديه فى طريق القرب الإلهى، فمن البديهي أن الله سيوفّقهم

و يهديهم: وَ الَّذِينَ لِّجَاهِدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (١) .

أما أولئك الذين يسلكون طريق العناد و المكابره و تلوّث فطرتهم و قلوبهم بأنواع الذنوب و المفسد و المظالم، فإنهم قد قضاوا على أى استعداد أو حذاره لديهم فى قبول الحق بالتالى مستحق للضلاله: وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ (٢) . وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٣) . كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٤) .

أمّا عن سبب مجيء «أولياء» بصيغته الجمع، فقد يعود ذلك للإشاره إلى تعدّد الآلهه الوهميه أو تنوع الوسائل التى يلجأون إليها، فيكون المقصود أنّ جميع هذه الوسائل و جميع البشر و غير البشر، و كل ما تؤلّهون من آلهه من دون الله، لا يستطيع أن ينقذكم من الضلاله و سوء العاقبه.

ثم تذكر الآيات-بصيغته التهديد القاطع-جانبا من مصيرهم بسبب أعمالهم فى يوم القيامه فتقول: وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ فبدلا من الدخول بشكل عادى و بقامه منتصبه، فإنّ الملائكه الموكلين بهم يسحبونهم إلى جهنم على وجوههم تعذيبا لهم.

البعض يعتقد أنّ هؤلاء يسحبون يوم القيامه بسبب عجزهم فى ذلك اليوم عن المشى، لذلك فإنهم يزحفون كالزواحف على وجوههم و صدورهم بشكل ذليل و مؤلم.

نعم، فأولئك محرومون من نعمه كبيره، هى نعمه المشى على الأرجل، لأنّهم لم يستفيدوا من هذه الوسيله فى هذه الدنيا فى سلوك طريق السعاده و الهدايه، بل خصصوها لسلوك طرق الذنوب و المعاصى.

ثم هم يحشرون: عُمِيًّا وَ بُكْمًا وَ صُمًّا . و هنا قد يطرح هذا السؤال، و هو: إنّ

ص: ١٥٢

١-١) -العنكبوت، ٦٩.

٢-٢) -إبراهيم، ٢٧.

٣-٣) -البقره، ٢٦.

٤-٤) -غافر، ٣٤.

المجرمين و أهل الجحيم ينظرون و يسمعون و يتكلمون، فكيف تقول هذه الآية عُمياً وَ بُكْمًا وَ صُمًّا (١)؟ للمفسرين أقوال متعدده في الإجابة على هذا السؤال، إلا أن أفضلها جوابان نستطيع إجمالهما فيما يلي:

أولاً: إن مراحل و مواقف يوم القيامة متعدده، ففي بعض المراحل و المواقف يكون هؤلاء صما و بكما و عميا، و هذا نوع من العقاب لهم، لأنهم لم يستفيدوا من هذه النعم الإلهيه بصوره صحيحه في حياتهم الدنيا. إلا أنه- في مراحل لاحقه- فإن عيونهم تبدأ بالنظر، و آذانهم بالسمع، و ألسنتهم بالنطق حتى يروا منظر العذاب و يسمعون كلام الشامتين، و يبدأون بالتأوه و الصراخ و إظهار ضعفهم، حيث أن كل هذه الأمور هي نوع آخر من العقاب لهم.

ثانياً: إن المجرمين و أهل النار محرومون من رؤيه ما هو سارّ و من سماع أمور تبعث على الفرح، و من قول كلام يستوجب نجاتهم، بل على العكس من ذلك، فهم لا ينظرون و لا يسمعون و لا يقولون إلا ما يؤذى و يؤلم.

في الختام تقول الآية: مَا أَوْأَهُمْ جَهَنَّمَ .

لكن لا تظنوا أن نارها كثار الدنيا تنطفى في النهايه، بل هي: كَلَّمَا حَبَّتْ زِدْنَاَهُمْ سَعِيرًا

ص: ١٥٣

---

١- ١) - في الآية (٥٣) من سوره الكهف نقراً قوله تعالى: وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ وَ فِي الآية (١٣) من سوره الفرقان قوله تعالى: دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا وَ فِي الآية (١٢) من الفرقان نقراً: سَمِعُوا لَهَا تَعْيِظًا وَ زَفِيرًا .

إشارة

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) أَو لَسَمَّ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (١٠٠)

التفسير

إشارة

كيف يكون المعاد ممكنا؟

في الآيات السابقة رأينا كيف أن يوما سيئا ينتظر المجرمين في العالم الآخر.

هذه العاقبة التي تجعل أى عاقل يفكر في هذا المصير، لذلك فإن الآيات التي بين أيدينا تقف على هذه الموضوع بشكل آخر.

في البدايه تقول: ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا .

«رفات» كما يقول الراغب في «المفردات» هي قطع من (التبن) لا تتهشم بل

تنتشر و تتناثر هنا و هناك. و الأمر لا يحتاج إلى مزيد توضيح، فالإنسان يتحول تحت التراب إلى عظام نخره ثم إلى تراب، ثم تتلاشى ذرات التراب هذه و تنتشر.

و بعد تعجبهم من المعاد الجسماني و اعتبارهم ذلك أمراً غير ممكن، يقول القرآن بأسلوب واضح و مباشر و بلا فصل: أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ. و على هؤلاء أن لا يعجلوا فإنّ القيامة و إن تأخرت، إلا أنّها سوف تتحقق بلا ريب: وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ .

و لكن هؤلاء الظالمين و المعادين مستمرون على ما هم فيه رغم سماعهم هذه الآيات: فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا .

و حيث أنّهم كانوا يصرخون و يصرّون على أن لا يكون النّبي من البشر حسداً من عند أنفسهم و جهلاً و ضلالاً، و قد منعهم هذا الحسد و الجهل من التصديق بإمكانية أن يعطى الله كل هذه المواهب للإنسان، لذا فإنّ الخالق جلّ و علا يخاطبهم بقوله: قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ . ثم يقول: وَ كَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا .

«قتور» من «قتر» على وزن «قتل» و هي تعنى الإمساك فى الصرف، و بما أنّ (قتور) صيغته مبالغه فإنّها تعنى شدّه الإمساك و ضيق النظر.

## ملاحظات

## إشارة

## ١- المعاد الجسماني

الآيات أعلاه من أوضح الآيات المرتبطة بإثبات المعاد الجسماني، فالمشركين كانوا يعجبون من إمكانية عوده الحياه إلى العظام النخرة، و القرآن يجيبهم بأنّ القادر على خلق السماوات و الأرض، لديه القدره على جمع الأجزاء

المتناثره للإنسان و أن يهبها الحياه مرّه أخرى.

و لا- ندرى كيف ينكر بعض من يدعى الإسلام قضيه المعاد الجسماني، و يقتصرون في إيمانهم على المعاد الروحي برغم الدلالات الواضحه لهذه الآيات و غيرها؟ كما إنّ الاستدلال بالقدره الكليه للخالق عزّ و جلّ في إثبات المعاد، هو واحد من الأدله التي يذكرها القرآن مرارا و يعتمد عليها كثيرا. و يظهر مثل هذا النمط من الاستدلال بالقدره الكليه على المعاد في الآيه الأخيره من سوره (يس) و التي تتضمّن عدّه أدله لإثبات المعاد الجسماني (1).

## ٢- أئى الآيات؟

هناك احتمالات عديده في أنّ الغرض من هذه (الآيات) في جمله كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هي آيات التوحيد أو أدله النبوه، أو الآيات المرتبطه بالمعاد. و لكن وقوع جمله في بحث المعاد، ترجح اعتقادنا بأنها إشاره إلى آيات المعاد، و هي في الحقيقه مقدمه للردّ على منكرى المعاد.

## ٣- ما هو الغرض من «مثلهم»؟

إنّنا نعرف أنّ الله- بسبب قدرته العظيمة- قادر في يوم القيامة على إرجاع الناس، في حين أنّنا نقرأ في الآيات أعلاه أنّه يستطيع أن يخلق مثلهم. و قد يكون هذا التعبير مدعاه لاشتباه أو استفسار البعض عمّا إذا كان الناس الذين يردون القيامة هم ليسوا هؤلاء الناس أنفسهم؟ بعض المفسّرين يرى أنّ الغرض من (مثل) هنا هو (عين) ففى بعض الأحيان نقول (مثلك) يجب ألاّ يقوم بهذا العمل) إلاّ أنّنا نقصد أنّك أنت الذى يجب أن لا

ص: ١٥٦

تقوم بهذا العمل، لكن هذا التفسير بعيد، لأن مثل هذه التعابير لها محل آخر لا يتناسب مع ما نبهته الآن.

الظاهر أنّ الغرض من استخدام تعبير (مثل) في هذه الآية هو إعادة الحياة.

فإعادة الخلق مرّة ثانية لا تكون حتماً كالمرّة الأولى، حيث هناك على الأقلّ زمان آخر وظروف أخرى، وصوره جديده بالرغم من أنّ المادة هي نفس المادة القديمه. وكمثال لذلك إذا جمعنا اجزاء متناثره لقطعه من الآجر ووضعناها في قلبها القديم، فإننا لا نستطيع أن نقول عن الآجر الجديد أنّه نفس قطعه الآجر القديمه، بالرغم من أنّه ليس إلاّ الطين السابق. بل نقول: إنّه مثله. وهذا دليل على التعابير المختاره و المنتخبه في القرآن الكريم.

و من المسلمّ به أنّ روح الإنسان تحدّد شخصيته، ونحن نعلم أنّ الروح الأولى هي التي عند البعث، إلاّ أنّ المعاد الجسماني يقول لنا: إنّ الروح ستكون مع نفس المادة الأولى، يعني أنّ تلك المادة المتلاشيه ستتجمّع مرّة أخرى و تندمج مع روحها، وفي موضوع المعاد أثبتنا أن روح الإنسان بعد أن تتخذ شكلا معيناً لا يمكنها أن تنسجم مع غير جسدها الأصلي الذي تربت و عاشت معه. وهذا هو السر في البعث الروحي و الجسدي معا.

#### ٤- ما هو (الأجل)؟

إنّ (الأجل) هو نهاية العمر. ولكن هل (الأجل) في هذه الآيات إشاره إلى نهاية العمر... أو هو إشاره إلى نهاية عمر الدنيا و بدايه البعث؟ و بما أنّ الحديث يدور حول المعاد، لذا فإنّ المعنى الثّاني أكثر صحه. و أمّا ما قاله بعض المفسّرين الكبار من أنّ هذا الكلام لا يتناسب مع جملة لا ريب فيه لأنّ منكرى المعاد كانوا يشكّون حتماً في قضيه المعاد. فإنّ ذلك غير صحيح، لأنّ مفهوم مثل هذا التعبير هو أنّه يجب أن لا نسمح للشك بأنّ يدخل إلى أنفسنا نحن،

لا- أن أحدا لا- يشك بذلك! لذا فإنّ المفهوم الكلى للآيه يصبح على هذه الصورة. إنّ الله الذى خلق السماوات و الأرض يستطيع-حتمًا- أن يعيد الحياه لهؤلاء البشر، أمّا إذا لم يحدث هذا الأمر بسرعه، فذلك بسبب أن السنه الإلهيه لها أجل محدود و حتمى بحيث لا مجال للشك فيها.

و تصبح النتيجة: إنّ الدليل القاطع فى قبال منكرى المعاد هى هذه القدره، و أمّا قوله: جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فهو جواب على سؤال حول سبب تأخير القيامة. (فدقق فى ذلك).

## ٥- الترابط بين الآيات

عند مطالعه هذه الآيات يثار سؤال حول كيفيه الارتباط و الصله بين كلمه (قتورا) التى هى بمعنى (بخيل) الوارده فى آخر الآيه، و بين ما نبهته؟ بعض المفسرين قالوا: إنّ هذه الجمله إشاره إلى موضوع طرح قبل عدّه آيات من قبل عبده الأصنام، فقد طلبوا من الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم أن يملأ أرض مكّه بالعيون و البساتين. أمّا القرآن فيقول فى جواب هؤلاء: قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا... .

إلا أنّ هذا التّفسير مستبعد لأنّ كلام المشركين لم يكن عن مالكيه هذه العيون و البساتين، بل إنّهم طالبوا الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم بأصل هذا العمل و الذى يعتبر عملا إعجازيا.

التّفسير الآخر الذى ذكر فى بيان الصله و هو أفضل من التّفسير الأوّل، هو أنّهم-بسبب بخلهم و ضيق أنفسهم- كانوا يتعجبون من منح هذه الموهبه (النّبوه) للإنسان، و هذه الآيه بمثابه ردّ عليهم حيث تقول لهم: إن بخلكم بلغ درجه بحيث أنكم لو ملكتم جميع الدنيا فسوف لا تتركون صفاتكم السيئه و القبيحه هذه.



## ٦- هل أن جميع البشر بخلاء؟

لقد قلنا-لمرات عديدة- إنَّ القرآن يذكر الإنسان بشكل عام، و يلومه بأنواع اللوم، و يصفه بصفات كالبخل و الجهل..و العجول و الظلوم و ما شابهها.

إنَّ هذه التعابير لا تتنافى مع كون المؤمنين و الصالحين يتحلَّون بصد هذه الصفات، حيث يشير التعبير إلى أنَّ الطبيعه الأدميه هي هكذا، و إذا لم يخضع الإنسان لتربيته القاده الإلهيين، و ترك لشأنه كالنباتات المتروكه فسيكون مستعدا للاتصاف بهذه الصفات السيئه. و هذا لا يعنى أنَّ ذاته خلقت هكذا، أو أنَّ عاقبه الجميع كذلك (١).

## ٧- استخدام تعبير خَشِيَهُ الْإِنْفَاقِ

يعنى الخوف من الفقر، ذلك الفقر الذى يكون سببه كثره الإنفاق، كما يظنون.

ص: ١٥٩

---

١- ١) - فى البحوث السابقه تعرضنا لهذه القضيه تفصيلا.

إشارة

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَيَّمَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَهْلَكَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِضَعَابٍ تُرَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَكْبُورًا (١٠٢) فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِيزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٣) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرِ جِنَّا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)

التفسير

إشارة

لم يؤمنوا رغم الآيات:

قبل بضعة آيات عرفنا كيف أنّ المشركين طلبوا أمورا عجيبة غريبة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبما أنّ هدفهم - باعتبارهم هم أنفسهم - لم يكن لأجل الحق و طلبا له، بل لأجل التذرع والتحجج والتعجيز، لذا فإنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ردّ عليهم ورفض الانصياع إلى طلباتهم.

و هذه الآيات-التي نبحتها-في الحقيقة تقف على نماذج للأمم السابقة ممن شاهدوا أنواع المعجز و الأعمال غير العاديه، إلا أنهم استمروا في الإنكار و عدم الإيمان.

في البدء يقول تعالى: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ**. سنشير في نهايه هذا البحث إلى هذه الآيات التسع و ماهيتها.

و لأجل التأكيد على الموضوع اسأل-و الخطاب موجه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم- بنى إسرائيل (اليهود) أمام قومك المعارضين و المنكرين: **فَسْئَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ**.

إلا أن الطاغية الجبار فرعون-برغم الآيات-لم يستسلم للحق، بل أكثر من ذلك اتهم موسى فقال له **فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا**.

و في بيان معنى «مسحور» ذكر المفسرون تفسيرين، فالبعض قالوا: إنها تعنى الساحر بشهادة آيات قرآنيه أخرى، تقول بأن فرعون و قومه اتهموا موسى بالساحر، و مثل هذا الاستخدام وارد و له نظائر في اللغة العربيه، حيث يكون اسم المفعول بمعنى الفاعل، كما في (مشووم) التي يمكن أن تأتي بمعنى «شائم» و (ميمون) بمعنى «يامن».

و لكن قسم آخر من المفسرين أبقى كلمه «مسحور» بمعناها المفعولي و التي تعنى الشخص الذي أثر فيه الساحر، كما يستفاد من الآية (٣٩) من سوره الذاريات التي نسبت السحر إليه، و الجنون أيضا، فتولى برُكْنِهِ وَ قَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ .

على أى حال، فإن التعبير القرآنى يكشف عن الأسلوب الدعائى التحريضى الذى يستخدمه المستكبرون و يتهمون فيه الرجال الإلهيين بسبب حركتهم الإصلاحية الربانيه ضد الفساد و الظلم، إذ يصف الظالمون و الطغاه معجزاتهم بالسحر أو ينعنونهم بالجنون كى يؤثروا من هذا الطريق فى قلوب الناس

و يفترقوهم عن الأنبياء.

و لكن موسى عليه السلام لم يسكت أمام اتهام فرعون له، بل أجابه بلغه قاطعه يعرف فرعون مغزاها الدقيق، إذ قال له: قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ .

لذا فإنك-يا فرعون-تعلم بوضوح أنك تتنكر للحقائق، برغم علمك بأنها من الله! فهذه «بصائر» أى أدله واضحة للناس كي يتعرفوا بواسطتها على طريق الحق. و عند ما سيسلكون طريق السعادة. و بما أنك-يا فرعون-تعرف الحق و تنكره، لذا: وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا .

(مثبور) من (ثبور) و تعنى الهلاك.

و لأن فرعون لم يستطع أن يقف بوجه استدالات موسى القويه، فإنه سلك طريقا يسلكه جميع الطواغيت عديمي المنطق فى جميع القرون و كاهه الأعصار، و ذاك قوله تعالى: فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنْ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا .

«يستفز» من «استفزاز» و تعنى الإخراج بقوه و عنف.

و من بعد هذا النصر العظيم: وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا . فتأتون مجموعات يوم القيامة للحساب.

«لفيف» من ماده «لف» و هنا تعنى المجموعه المتداخله المعقده بحيث لا يعرف الأشخاص، و لا من أى قبيله هم!

**بحوث**

**اشاره**

### ١- المقصود من الآيات التسع

لقد ذكر القرآن الكريم آيات و معجزات كثيره لموسى عليه السلام منها ما يلى:

١- تحوّل العصا إلى ثعبان عظيم يلقف أدوات الساحرين، كما فى الآيه

ص: ١٦٢

(٢٠) من سوره طه: فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى .

٢- اليد البيضاء لموسى عليه السلام و التى تشع نورا: وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَىٰ (١) .

٣- الطوفان: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ (٢) .

٤- الجراد الذى آباد زراعتهم و أشجارهم وَ الجراد (٣) .

٥- القمل الذى هو نوع من الأمراض و الآفات التى تصيب النبات:

وَ الْقُمَّلَ (٤) .

٦- (الضفادع) التى جاءت من النيل و تكاثرت و أصبحت وبالا على حياتهم: وَ الضَّفَادِعَ (٥) .

٧- الدم، أو الابتلاء العام بالرعاف، أو تبدل نهر النيل إلى لون الدم، بحيث أصبح ماؤه غير صالح لا للشرب و لا للزراعة: وَ الدَّمِ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ (٦) .

٨- فتح طريق فى البحر بحيث استطاع بنو إسرائيل العبور منه: وَ إِذْ فَرَقْنَا بُكُومَ الْبَحْرِ (٧) .

٩- نزول ال (منّ) و (السلوى) من السماء، و قد شرحنا ذلك فى نهايه الآيه (٥٧) من سوره البقره وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَ السَّلْوَىٰ (٨) .

١٠- انفجار العيون من الأحجار: فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا (٩) .

١١- انفصال جزء من الجبل ليظللهم: وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ

ص: ١٦٣

١ - (١) - طه، ٢٢.

٢ - (٢، ٣، ٤، ٥، ٦) - الأعراف، ١٣٣.

٣ - (٧) - البقره، ٥٠.

٤ - (٨) - البقره، ٥٧.

٥ - (٩) - البقره، ٦٠.

-٦

-٧

-٨

-٩

١٢-الجفاف و نقص الثمرات: وَ لَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ (٢) .

١٣-عوده الحياه إلى المقتول و الذى أصبح قتله سببا للاختلاف بين بنى إسرائيل: فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى (٣) .

١٤-الاستفاده من ظل الغمام فى الاحتماء من حراره الصحراء بشكل إعجازى: وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ (٤) .

و لكن الكلام هنا هو: ما هو المقصود من (الآيات التسع) المذكوره فى الآيات التى نبحثها؟ يظهر من خلال التعابير المستخدمه فى هذه الآيات أنّ المقصود هو المعاجز المرتبطه بفرعون و أصحابه، و ليست تلك المتعلقة ببنى إسرائيل من قبيل نزول المنّ و السلوى و تفجّر العيون من الصخور و أمثال ذلك.

لذا يمكن القول أنّ الآيه (١٣٣) من سوره الأعراف تتعرض إلى خمسّه مواضع من الآيات التسع و هى: (الطوفان، القمّل، الجراد، الضفادع، و الدم).

كذلك اليد البيضاء و العصا تدخل فى الآيات التسع، يؤيد ذلك ورود تعبير (الآيات التسع) فى الآيات (١٠-١٢) من سوره النمل بعد ذكر هاتين المعجزتين الكبيرتين.

و بذلك يصبح مجموع هذه المعاجز-الآيات-سبعاً، فما هى الآيتان الأخيرتان؟ بلا شك إنّنا لا نستطيع اعتبار غرق فرعون و قومه فى عداد الآيات التسع،

ص: ١٦٤

١-١) -الأعراف، ١٧١.

٢-٢) -الأعراف، ١٣٠.

٣-٣) -البقره، ٧٣.

٤-٤) -البقره، ٥٧.

لأنَّ الهدف من الآيات أن تكون دافعا لهدايتهم و سببا لقبولهم بنبوه موسى عليه السّلام، لا أن تقوم بهلاك فرعون و قومه.

عند التدقيق فى آيات سورة الأعراف التى جاء فيها ذكر العديد من هذه الآيات يظهر أنّ الآيتين الأخيرتين هما: (الجفاف) و(نقص الثمرات) حيث أننا نقرأ بعد معجزه العصا و اليد البيضاء و قبل تبيان الآيات الخمس (الجراد، و القمل...) قوله تعالى: **وَ لَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ .**

و بالرغم من أنّ البعض يتصوّر أنّ الجفاف لا- يمكن فصله عن نقص الثمرات و بهذا تعتبر الآيتان آيه واحده، إلا- أنّ الجفاف المؤقت و المحدود- كما قلنا فى تفسير الآيه (١٣٠) من سورة الأعراف- لا- يؤثّر تأثيرا كبيرا فى الأشجار، أمّا عند ما يكون جفافا طويلا فإنّه سيؤدى إلى إباده الأشجار، لذا فإنّ الجفاف لوحده لا يؤدى دائما إلى نقص الثمرات.

إضافه إلى ما سبق يمكن أن يكون السبب فى نقص الثمرات هو الأمراض و الآفات و ليس الجفاف.

و النتيجة أنّ الآيات التسع التى وردت الإشاره إليها فى الآيات التى نبحثها هى: العصا، اليد البيضاء، الطوفان، الجراد، القمل، الضفادع، الدم، الجفاف، و نقص الثمرات.

و من نفس سورة الأعراف نعرف أنّ هؤلاء- برغم الآيات التسع هذه- لم يؤمنوا، لذلك انتقمنا منهم و أغرقناهم فى اليم بسبب تكذيبهم (١).

هناك روايات عديده وردت فى مصادرنا حول تفسير هذه الآيه، و لاختلافها فيما بينها لا يمكن الاعتماد عليها فى إصدار الحكم.

ص: ١٦٥

## ٢- هل أن السائل هو الرسول نفسه؟

ظاهر الآيات أعلاه يدل على أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أمر بسؤال بنى إسرائيل حول الآيات التسع التي نزلت على موسى، وكيف أن فرعون وقومه صدّوا عن حقانيه موسى عليه السلام بمختلف الذرائع رغم الآيات.

ولكن بما أن لدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العلم والعقل بحيث أنه لا يحتاج إلى السؤال، لذا فإن بعض المفسرين ذهب إلى أن المأمور بالسؤال هم المخاطبون الآخرون.

ولكن يمكن أن يقال: إن سؤال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمكن لنفسه، بل للمشركين، لذلك فما المانع من أن يكون شخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى يسأل حتى يعلم المشركون أنه عند ما لم يوافق على اقتراحاتهم، فذلك لأنها اقتراحات باطله قائمه على التعصّب والعناد، كما قرأنا فى قصه موسى وفرعون ونظير ذلك.

## ٣- ما المراد ب(الأرض) المذكوره فى الآيات؟

قرأنا فى الآيات أعلاه أن الله أمر بنى إسرائيل بعد أن انتصروا على فرعون وجنوده أن يسكنوا الأرض، فهل الغرض من الأرض هى مصر(نفس الكلمه وردت فى الآيه السابقه و التى بينت أن فرعون أراد أن يخرجهم من تلك الأرض).

وبنفس المعنى أشارت آيات أخرى إلى أن بنى إسرائيل ورثوا فرعون وقومه) أو أنها إشاره إلى الأرض المقدسه فلسطين، لأن بنى إسرائيل بعد هذه الحادته اتجهوا نحو أرض فلسطين وأمروا أن يدخلوها.

بالنسبه لنا فإننا لا نستبعد أيّا من الاحتمالين، لأن بنى إسرائيل- بشهاده الآيات القرآنيه-ورثوا أراضى فرعون وقومه، وامتلكوا أرض فلسطين أيضا.



#### ٤- هل تعنى كلمه (وعد الآخره) يوم البعث و الآخره؟

ظاهراً... إنَّ الإِجابَه بالإِجاب، حيث أنَّ جملَه جِئنا بِكُمْ لَفِيْفاً قَرينَه على هذا الموضوع، و مؤيِّدَه لهذا الرأى. إلاَّ أنَّ بعضَ المفسِّرينَ احتملوا أنَّ (وعد الآخره) إشارَه إلى ما أشرنا إليه فى بدايه هذه السوره، من أنَّ اللّهُ تبارك و تعالى قد توعدَّ بنى إسرائيل بالنصر و الهزيمه مرّتين، و قد سمى الأولى ب«وعد الأولى» و الثّانيه ب«وعد الآخره»، إلاَّ أنَّ هذا الاحتمال ضعيف مع وجود قولَه تعالى:

جِئنا بِكُمْ لَفِيْفاً

(فدقق فى ذلك).

ص: ١٦٧

إشاره

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشوعًا (١٠٩)

التفسير

إشاره

عشاق الحق

مره أخرى يشير القرآن العظيم إلى أهميه وعظمه هذا الكتاب السماوى و يجب على بعض ذرائع المعارضين.

فى البدايه تقول الآيات: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ، ثم تضيف بلا أدنى فاصله وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ .

ثم تقول: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا إذ ليس لك الحق فى تغيير محتوى القرآن.

لقد ذكر المفسرون آراء مختلفه فى الفرق بين الجملة الأولى: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَ الجملة الثانية: وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ مِنْهَا:

١- المراد من الجملة الأولى: إِنَّا قَدَرْنَا أَنْ يَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ. بينما تضيف الجملة الثانية أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَوْ التَّقْدِيرَ قَدْ تَحَقَّقَ، لَذَا فَإِنَّ التَّعْبِيرَ الْأَوَّلَ يَشِيرُ إِلَى التَّقْدِيرِ، بَيْنَمَا يَشِيرُ الثَّانِي إِلَى مَرَحَلَةِ الْفِعْلِ وَ التَّحَقُّقِ (١).

٢- الجملة الأولى تشير إلى أَنَّ مَادَةَ الْقُرْآنِ وَ مَحْتَوَاهُ هُوَ الْحَقُّ، أَمَّا التَّعْبِيرُ الثَّانِي فَأَنَّهُ يَبَيِّنُ أَنَّ نَتِيجَتَهُ وَ ثَمَرَتَهُ هِيَ الْحَقُّ أَيْضًا (٢).

٣- الرأى الثالث يرى أَنَّ الجملة الأولى تقول: إِنَّا نَزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ بَيْنَمَا الثَّانِيَةٌ تقول: إِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَمْ يَتَدَخَّلْ فِي الْحَقِّ وَ لَمْ يَتَصَرَّفْ بِهِ، لَذَا فَقَدْ نَزَلَ الْحَقُّ.

و ثَمَّ اِحْتِمَالٌ آخَرَ قَدْ يَكُونُ أَوْضَحَ مِنْ هَذِهِ التَّفَاسِيرِ، وَ هُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَبْدَأُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِعَمَلِ مَاءٍ، وَ لَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ إِتْمَامَهُ بِشَكْلِ صَحِيحٍ وَ ذَلِكَ بِسَبَبٍ مِنْ ضَعْفِهِ، أَمَّا بِالنَّسْبَةِ لِلشَّخْصِ الَّذِي يَعْلَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَ يَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِنَّهُ يَبْدَأُ بِدَايَةِ صَحِيحِهِ، وَ يَنْهَى الْعَمَلَ نَهَائِهِ صَحِيحِهِ. وَ كَمَثَالٍ عَلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ الَّذِي يَخْرُجُ مَاءً صَافِيًا مِنْ أَحَدِ الْعَيُونِ، وَ لَكِنْ خِلَالَ مَسِيرِ هَذَا الْمَاءِ لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ الشَّخْصُ أَنْ يَحْفَظَ عَلَى صَفَاءِ هَذَا الْمَاءِ وَ نِظَافَتِهِ أَوْ يَمْنَعَهُ مِنَ التَّلَوُّثِ، فَيَصِلُ الْمَاءُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِلَى الْآخِرِينَ وَ هُوَ مَلَوَّثٌ. إِلَّا أَنَّ الشَّخْصَ الْقَادِرَ وَ الْمُحِيطَ بِالْأُمُورِ، يَحْفَظُ عَلَى بَقَاءِ الْمَاءِ صَافِيًا وَ بَعِيدًا عَنْ عَوَامِلِ التَّلَوُّثِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْعَطَاشِيِّ وَ الْمُحْتَاجِينَ لَهُ.

القرآن كتاب نزل بالحق من قبل الخالق، و هو محفوظ فى جميع مراحلہ سواء فى المرحله التى كان الوسيط فيها جبرائيل الأمين، أو المرحله التى كان

ص: ١٦٩

١- ١) -يراجع تفسير القرطبي، ج ٦، ص ٣٩٥٥.

٢- ٢) -فى ظلال القرآن، أننا تفسير الآيه.

الرَّسُولَ فِيهَا هُوَ الْمَتَلَقَى، وَبِمُرُورِ الزَّمَنِ لَهُ تَسْتَطِيعُ يَدَ التَّحْرِيفِ وَالتَّزْوِيرِ أَنْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِ بِمَقْتَضَى قَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَكَفَّلُ حِمَايَتَهُ وَ حِرَاسَتَهُ.

لِذَا فَإِنَّ هَذَا الْمَاءَ النَّقَى الصَّافِيَ الْوَحَى الْإِلَهِي الْقَوِيمَ لَمْ تَنَالَهُ يَدُ التَّحْرِيفِ وَ التَّبْدِيلِ مِنْذُ عَصْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ حَتَّى نَهَايَةِ الْعَالَمِ.

الآيَةُ الَّتِي تَلِيهَا تَرُدُّ عَلَى وَاحِدِهِ مِنْ ذَرَائِعِ الْمَعَارِضِينَ وَ حُجَجِهِمْ، إِذْ كَانُوا يَقُولُونَ: لِمَاذَا لَمْ يَنْزَلِ الْقُرْآنُ دَفْعَهُ وَاحِدَهُ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، وَ لِمَاذَا كَانَ نَزْوُلُهُ تَدْرِيجِيًّا؟ كَمَا تَشِيرُ إِلَى ذَلِكَ الْآيَةُ (٣٢) مِنْ سُورَةِ الْفِرْقَانِ الَّتِي تَقُولُ: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً، كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا- فَيَقُولُ اللَّهُ فِي جَوَابِ هَؤُلَاءِ: وَ قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُثٍ (١) حَتَّى يَدْخُلَ الْقُلُوبَ وَ الْأَفْكَارَ وَ يَتَرَجَّمَ عَمَلِيًّا بِشَكْلِ كَامِلٍ.

وَ مِنْ أَجْلِ التَّأَكِيدِ أَكْثَرَ تَبَيِّنِ الْآيَةِ- بِشَكْلِ قَاطِعٍ- أَنَّ جَمِيعَ هَذَا الْقُرْآنِ أَنْزَلْنَاهُ نَحْنُ: وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا .

إِنَّ الْقُرْآنَ كِتَابَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَ هُوَ أَسَاسُ الْإِسْلَامِ وَ دَلِيلٌ لَجَمِيعِ الْبَشَرِ، وَ الْقَاعِدَةُ الْمَتِينَةُ لَجَمِيعِ الشَّرَائِعِ الْقَانُونِيَّةِ وَ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَ السِّيَاسِيَّةِ وَ الْعِبَادِيَّةِ لِدُنْيَا الْمُسْلِمِينَ، لِذَلِكَ فَإِنَّ شَبَهَهُ هَؤُلَاءِ فِي عَدَمِ نَزْوُلِهِ دَفْعَهُ وَاحِدَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ يَجَابُ عَلَيْهَا مِنْ خِلَالِ النِّقَاطِ الْآيَةِ:

أَوَّلًا:- بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ كِتَابٌ، إِلَّا- أَنَّهُ لَيْسَ كَكِتَابِ الْإِنْسَانِ الْمُؤَلَّفِ حَيْثُ يَجْلِسُ الْمُؤَلَّفُ وَ يَفَكِّرُ وَ يَكْتُبُ مَوْضُوعًا، ثُمَّ يَنْظُمُ فُصُولَ الْكِتَابِ وَ أَبْوَابَهُ لِيُنْتَهَى مِنْ تَحْرِيرِ الْكِتَابِ، بَلِ الْقُرْآنُ لَهُ ارْتِبَاطٌ دَقِيقٌ بَعْضُهُ، أَى ارْتِبَاطٌ ب (٢٣) سَنِهِ، هِيَ عَصْرُ نَبِيِّهِ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ بِكُلِّ مَا كَانَتْ تَتَمَخَّضُ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ وَ قَضَايَا.

ص: ١٧٠

(١-١) -مَجِيءُ كَلِمَةِ (قُرْآن) مَنْصُوبَةٌ فِي الْآيَةِ أَعْلَاهُ يَفْسِّرُهُ الْمَفْسِّرِينَ بِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لِفِعْلِ مَقْدَّرِ تَقْدِيرِهِ (فِرْقَانَهُ)، وَ بِذَلِكَ تَصْبِحُ الْجُمْلَةُ هَكَذَا: (وَ فِرْقَانَهُ قُرْآنًا).

لذا كيف يمكن لكتاب يتحدث عن حوادث (٢٣) سنة متزامنا لها أن ينزل في يوم واحد؟ هل يمكن جمع حوادث (٢٣) سنة نفسها في يوم واحد، حتى ينزل القرآن في يوم واحد؟ إن في القرآن آيات تتعلق بالغزوات الإسلامية، وآيات تختص بالمنافقين، وآيات أخرى ترتبط بالفوفود التي كانت تفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فهل يمكن أن يكتب مجموع كل ذلك منذ اليوم الأول؟ ثانيا: ليس القرآن كتابا ذا طابع تعليمي وحسب، بل ينبغي لكل آية فيه أن تنفذ بعد نزولها، فإذا كان القرآن قد نزل مره واحده، فينبغي أن يتم العمل به مره واحده أيضا، ونعلم بأن هذا محال، لأن إصلاح مجتمع مليء بالفساد لا يتم في يوم واحد، إذ لا يمكن إرسال الطفل الأمي دفعه واحده من الصف الأول إلى الصفوف المتقدمه في الجامعه في يوم واحد. لهذا السبب نزل القرآن نجوما- أي بشكل تدريجي- كي ينفذ بشكل جيّد و يستوعبه الجميع و كي يكون للمجتمع قابليه قبوله و استيعابه و تمثله عمليا.

ثالثا: بدون شك، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كقائد هذه النهضه العظيمه سيكون ذا قدرات و إمكانيات أكبر عند ما يقوم بتطبيق القرآن جزءا جزءا، بدلا من تنفيذه دفعه واحده. صحيح أنه مرسل من الخالق و ذو عقل و استعداد كبيرين ليس لهما مثل، إلا أنه برغم ذلك فإن تقبل الناس للقرآن و تنفيذ تعاليمه بصوره تدريجيه سيكون أكمل و أفضل ممّا لو نزل دفعه واحده.

رابعا: النزول التدريجي يعنى الارتباط الدائمي للرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع مصدر الوحي، إلا أن النزول الدفعي يتم بمرحله واحده لا يتسنى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم الارتباط بمصدر الوحي لأكثر من مره واحده.

آخر الآيه (٣٢) من سوره الفرقان تقول: كَذَلِكَ لِنُبَيِّنَ بِهٖ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ

تزيلاً و هي إشاره إلى السبب الثالث، بينما الآيه التي نبحتها تشير إلى السبب الثاني من مجموع الأسباب الأربعة التي أوردناها. و لكن الحصيله أن مجموع هذه العوامل تكشف بشكل حى و واضح أسباب و ثمار النزول التدريجى للقرآن.

الآيه التي تليها استهدفت غرور المعارضين الجهله حيث تقول: قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا- تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا .

## ملاحظات

### إشارة

فى هذه الآيه ينبغى الالتفات إلى الملاحظات الآتية:

أولاً: يعتقد المفسرون أن جملة آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا- تُؤْمِنُوا يتبعها جملة محذوفه قدروها بأوجه متعدده، إذ قال بعضهم: إن المعنى هو: سواء آمنتم أم لم تؤمنوا فلا يضر ذلك بإعجاز القرآن و نسبته إلى الخالق.

بينما قال البعض: إن التقدير يكون: سواء آمنتم به أو لم تؤمنوا فإن نفع ذلك و ضرره سيقع عليكم.

لكن يحتمل أن تكون الجملة التي بعدها مكمله لها، و هي كناية عن أن عدم الإيمان هو سبب عدم العلم و المعرفة، فلو كنتم تعلمون لآمنتكم به. و بعباره أخرى:

يكون المعنى: إذا لم تؤمنوا به فإن الأفراد الواعين و ذوى العلم يؤمنون به.

ثانياً: إن المقصود من الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ هم مجموعه من علماء اليهود و النصارى من الذين آمنوا بعد أن سمعوا آيات القرآن، و شاهدوا العلام التي قرءوها فى التوراه و الإنجيل، و التحقوا بصف المؤمنين الحقيقيين، و أصبحوا من علماء الإسلام.

و فى آيات أخرى من القرآن تمت الإشارة إلى هذا الموضوع، كما فى قوله

تعالى في الآية (١١٣) من سورة آل عمران: لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ .

ثالثاً: «يخرون» بمعنى يسقطون على الأرض بدون إرادتهم، واستخدام هذه الكلمة بدلا من السجود ينطوي على إشاره لطيفه، هي أنّ الواعين و ذوى القلوب اليقظه عند ما يسمعون آيات القرآن و كلام الخالق عزّ و جلّ ينجذبون إليه و يولّهون به الى درجه أنّهم يسقطون على الأرض و يسجدون خشيه بدون وعى و اختيار (١).

رابعاً: (أذقان) جمع (ذقن) و من المعلوم أنّ ذقن الإنسان عند السجود لا يلمس الأرض، إلاّ أنّ تعبير الآية إشاره إلى أنّ هؤلاء يضعون كامل وجههم على الأرض قبال خالقهم حتى أنّ ذقنهم قد يلمس الأرض عند السجود.

بعض المفسرين احتمل أنّ الإنسان عند سجوده يضع أولاً جبهته على الأرض، و لكن الشخص المدهوش عند ما يسقط على الأرض يضع ذقنه أولاً، فيكون استخدام هذا التعبير في الآية تأكيداً لمعنى (يخرون) (٢).

الايه التي بعدها توضح قولهم عند ما يسجدون: وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنِّ كَان وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولاً (٣). هؤلاء يعبرون بهذا الكلام عن عمق إيمانهم و اعتقادهم بالله و بصفاته و بوعدده. فهذا الكلام يشمل الإيمان بالتوحيد و الصفات الحقه و الإيمان بنبوه الرسول صلى الله عليه و آله و سلّم و بالمعاد. و الكلام على هذا الأساس يجمع أصول الدين في جمله واحده.

و للتأكيد- أكثر على تأثر هؤلاء بآيات ربهم، و على سجده الحب التي

ص: ١٧٣

١- ١) - يقول الراغب في (المفردات): «يخرون» من ماده «خري» و يقال لصوت الماء و الريح و غير ذلك ممّا يسقط من علو. و قوله تعالى: خَرُّوا لَهُ سِجْدًا تَنْبِيهٌ عَلَى اجْتِمَاعِ أَمْرَيْنِ: السَّقُوطُ وَ حُصُولُ الصَّوْتِ مِنْهُمُ بِالتَّسْبِيحِ، وَ التَّنْبِيهُ أَنَّ ذَلِكَ الْخَرِيرَ كَانَ صَوْتِ تَسْبِيحِهِمْ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا بِشَيْءٍ آخَرَ. و دليله قوله تعالى فيما بعد: وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ .

٢- ٢) - تفسير المعاني، ج ١٥، ص ١٧٥.

٣- ٣) - (إنّ) في قوله: إِنَّ كَان وَعْدُ رَبَّنَا غَيْرِ شَرْطِيهِ، بل هي تأكيديه، و هي مخففه من الثقيله.

يسجدونها تقول الآية التي بعدها: وَ يَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشوعاً .

إنّ تكرار جملة يَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ دليل على التأكيد، و على الاستمرار أيضا.

الفعل المضارع (يبكون) دليل على استمرار البكاء بسبب حبّهم و عشقهم لخالقهم.

و استخدام الفعل المضارع فى جملة يَزِيدُهُمْ خُشوعاً دليل على أنّهم لا يتوقفون أبدا على حاله واحده، بل يتوجهون باستمرار نحو ذروه التكاملى، و خشوعهم دائما فى زياده (الخشوع هو حاله من التواضع و الأدب الجسدى و الروحى للإنسان فى مقابل شخصيه معينه أو حقيقه معينه).

## بحثان:

### اشاره

#### ١- التخطيط للتربيه و التعلم

من الدروس المهمه التى نستفيدها من الآيات أعلامه، هو ضروره التخطيط لأى ثوره أو نهضه ثقافيه أو فكريه أو اجتماعيه أو تربويه، فإذا لم يتم تنظيم مثل هذا البرنامج فالفشل سيكون النتيجة الحتميه لمثل هذه الجهود. إنّ القرآن الكريم لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مرّه واحده بالرغم من أنّه كان موجودا فى مخزون علم الله كاملا، و قد تمّ عرضه فى ليله القدر على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم دفعه واحده، إلا أنّ النزول التدريجى استمرّ طوال (٢٣) سنه، و ضمن مراحل زمنيه مختلفه و فى إطار برنامج عملى دقيق.

و عند ما يقوم الخالق جلّ و علا بهذا العمل بالرغم من عمله و قدرته المطلقه و غير المتناهيه... عند ذلك سيّضح دورنا و تكليفنا نحن إزاء هذا المبدأ. و عاده ما يكون هذا قانونا و تكليفا إلهيا، حيث أنّ وجوده العينى لا يختص بعالم التشريع



و حسب، بل فى عالم التكوين أيضا. إنه من غير المتوقع أن تنصلح أمور مجتمع فى مرحلة البناء خلال ليله واحده لأنّ البناء الحضارى الفكرى و الثقافى و الاقتصادى و السياسى يحتاج إلى المزيد من الوقت.

و هذا الكلام يعنى أننا إذا لم نصل إلى النتيجة المطلوبه فى وقت قصير فعلىنا أن لا نياس و نترك بذل الجهد أو المثابره. و ينبغى أن نلتفت إلى أنّ الانتصارات النهائيه و الكامله تكون عاده لأصحاب النفس الطويل.

## ٢-علاقه العلم بالإيمان

الموضوع الآخر الذى يمكن أن نستفيد من الآيات أعلاه هو علاقته العلم بالإيمان، إذ تقول الآيات: إنكم سواء آمنتم بالله أو لم تؤمنوا فإنّ العلماء سيؤمنون بالله إلى درجه أنّهم يعشقون الخالق و يسقطون أرضا ساجدين من شدّه الوله و الحبّ، و تجرى الدّموع من أعينهم، و إنّ هذا الخشوع و التأدّب يتصف بالاستمرار فى كل عصر و زمان.

إنّ الجهله-فقط-هم الذين لا يعيرون أهميه للحقائق و يواجهونها بالاستهزاء و السخرية، و إذا أثر فيهم الإيمان فى بعض الأحيان فإنّه سيكون تأثيرا ضعيفا خاليا من الحبّ و الحراره.

إضافه إلى ذلك، فإنّ فى الآيه ما يؤكّد خطأ و خطل النظرية التى تربط بين الدين و الجهل أو الخوف من المجهول. أمّا القرآن فإنّه يؤكّد على عكس ذلك تماما، إذ يقول فى مواقع متعدده: إنّ العلم و الإيمان توأمان، إذ لا- يمكن أن يكون هناك إيمان عميق ثابت من دون علم، و العلم فى مراحل المتقدمه يحتاج إلى الإيمان. (فدقق فى ذلك).

إشاره

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مِمَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَوْتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا فِيهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا  
(١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا (١١١)

سبب النزول

وردت آراء متعدده فى سبب نزول هاتين الآيتين منها ما

نقله صاحب مجمع البيان عن ابن عباس الذى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساجدا ذات ليله بمكّه يدعوا: يا رحمن يا رحيم، فقال المشركون متهمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنه يدعونا إلى إله واحد، بينما يدعوا هو مثنى مثنى. يقصدون بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رحمن يا رحيم. فنزلت الآية الكريمة أعلاه (١).

ص: ١٧٤

## آخر الذرائع والأغذار

بعد سلسله من الذرائع التي تشبث بها المشركون امام دعوه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، نصل مع الآيات التي بين أيدينا إلى آخر ذريعه لهم، وهي قولهم: لماذا يذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الخالق بأسماء متعدده بالرغم من أنه يدعى التوحيد. القرآن ردّ على هؤلاء بقوله: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ. إِنَّ هَؤُلَاءِ عَمِيانُ الْبَصِيرَةِ وَالْقَلْبِ، غَافِلُونَ عَنْ أَحْدَاثٍ وَوَقَائِعِ حَيَاتِهِمْ الْيَوْمِيَّةِ حَيْثُ كَانُوا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ مُخْتَلَفَةً لِشَخْصٍ وَاحِدٍ أَوْ لِمَكَانٍ وَاحِدٍ، وَكُلِّ اسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ كَانَ يَعْرِفُ بِشَطْرٍ أَوْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ ذَلِكَ الشَّخْصِ أَوْ الْمَكَانِ.

بعد ذلك، هل من العجيب أن تكون للخالق أسماء متعدده تتناسب مع أفعاله وكمالاته وهو المطلق في وجوده وفي صفاته و المنبع لكل صفات الكمال و جميع النعم، وهو وحده عزّ و جلّ الذي يدير دفة هذا العالم و الوجود؟ أساسا، فإنّ الله تعالى لا يمكن معرفته و مناجاته باسم واحد إذ ينبغي أن تكون أسماؤه مثل صفاته غير محدوده حتى تعبّر عن ذاته، و لكن لمحدوديه ألفاظنا- كما هي أشياءونا الأخرى أيضا- لا نستطيع سوى ذكر أسماء محدوده له، و إنّ معرفتنا مهما بلغت فهي محدوده أيضا، حتى أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو من هو في منزلته و روحه و علو شأنه، نراه يقول: «ما عرفناك حق معرفتك».

إنّ الله تعالى في قضيه معرفتنا إيّاه لم يتركنا في أفق عقولنا و درايتنا الخاصّه، بل ساعدنا كثيرا في معرفه ذاته، و ذكر نفسه بأسماء متعدده في كتابه العظيم، و من خلال كلمات أوليائه تصل أسماؤه- تقديس و تعالي- إلى ألف اسم.

و طبيعي أنّ كل هذه أسماء الله، و أحد معاني الأسماء العلامه، لذا فإنّ هذه علامات على ذاته الطاهره، و جميع هذه الخطوط و العلامات تنتهي إلى نقطه

واحد، وهي لا تقل من شأن توحيد الذات و الصفات.

و هناك قسم من هذه الأسماء ذو أهميه و عظمه أكثر، حيث تعطينا معرفه و وعيا أعظم، تسمى في القرآن الكريم و في الروايات الإسلاميه، بالأسماء الحسنی، و هناك روايه معروفه عن رسول الهدى صلى الله عليه و آله و سلم ما مضمونها:

«إن الله تسعا و تسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة».

و هناك شرح مفصل للأسماء الحسنی، و الأسماء التسعه و التسعين بالذات، أوردناه في نهايه الحديث عن الآيه (١٨٠) من سوره الأعراف، في قوله تعالى:

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا .

لكن علينا أن نفهم أن الغرض من عد الأسماء الحسنی ليس ذكرها على اللسان و حسب، حتى يصبح الإنسان من أهل الجنة و مستجاب الدعوه، بل إن الهدف هو التخلق بهذه الأسماء و تطبيق شذرات من هذه الأسماء، مثل (العالم، و الرحمن، و الرحيم، و الجواد، و الكريم) في وجودنا حتى نصبح من أهل الجنة و مستجابي الدعوه.

و هناك كلام

ينقله الشيخ الصدوق رحمه الله في كتاب التوحيد عن هشام بن الحكم جاء فيه:

يقول هشام بن الحكم: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن أسماء الله عز ذكره و اشتقاقها فقلت: الله ممّا هو مشتق؟ قال عليه السلام: «يا هشام، الله مشتق من إله، و إله يقتضى مألوها، و الاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر و لم يعبد شيئا، و من عبد الاسم و المعنى فقد أشرك و عبد الاثنين، و من عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد.

أفهمت يا هشام؟».

قال هشام: قلت: زدنى.

قال عليه السلام: «الله عزّ و جلّ تسعه و تسعون اسما، فلو كان الاسم هو المسمى لكان

كُلَّ اسْمٍ مِنْهَا هُوَ إِلَهًا، وَ لَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ مَعْنَى يَدُلُّ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَ كَلَّهَا غَيْرُهُ.

يا هشام، الخبز اسم للمأكل، و الماء اسم للمشروب، و الثوب اسم للملبوس، و النار اسم للمحرق» (١).

و الآن لنعد إلى الآيات. ففي نهاية الآية التي نبثها نرى المشركين يتحدثون عن صلاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ و يقولون: إِنَّهُ يُؤْذِينَا بِصَوْتِهِ الْمَرْتَفِعِ فِي صَلَاتِهِ وَ عِبَادَتِهِ، فَمَا هَذِهِ الْعِبَادَةُ؟ فُجَاءَتِ التَّعْلِيمَاتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ عِبْرَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَ لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَ لَا تُخَافُتُ بِهَا وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا.

لذلك فإن الآيه أعلاه لا علاقته لها بالصلوات الجهرية و الإخفاته في اصطلاح الفقهاء، بل إن المقصود منها يتعلق بالإفراط و التفريط في الجهر و الإخفات، فهي تقول: لا تقرأ بصوت مرتفع بحيث يشبه الصراخ، و لا أقل من الحد الطبيعي بحيث تكون حركه شفاه و حسب و لا صوت فيها.

أسباب النزول الوارده -حول الآية- التي يرويها الكثير من المفسرين نقلا عن ابن عباس تؤيد هذا المعنى. (٢)

و هناك آيات عديده من طرق أهل البيت نقلا عن الإمام الباقر و الصادق عليهما السلام و تؤيد هذا المعنى و تشير إليه (٣).

لذا فإننا نستبعد التفاسير الأخرى الوارده حول الآية.

أما ما هو حد الاعتدال، و ما هو الجهر و الإخفات المنهى عنهما؟ الظاهر أن الجهر هو بمعنى (الصراخ)، و (الإخفات) هو من السكون بحيث لا يسمعه حتى فاعله.

و

في تفسير على بن إبراهيم عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في تفسير الآية:

ص: ١٧٩

١-١) -توحيد الصدوق نقلا عن تفسير الميزان أثناء تفسير الآية.

٢-٣) -يمكن مراجعته نور الثقلين، ج ٣، ص ٢٣٣ فما بعد.

«الجهر بها رفع الصوت، والتخافت بها ما لم تسع نفسك، و اقرأ بين ذلك» (١).

أمّا الإخفات و الجهر فى الصلوات اليوميه، فهو- كما أشرنا لذلك- له حكم آخر، أو مفهوم آخر، أى له أدله منفصله، حيث ذكرها فقهاؤنا رضوان الله عليهم فى (كتاب الصلاه) و بحثوا عنها.

### ملاحظه

هذا الحكم الإسلامى فى الدعوه إلى الاعتدال بين الجهر و الإخفات يعطينا فهما و إدراكا من جهتين:

الأولى: لا تؤدوا العبادات بشكل تكون فيه ذريعه بيد الأعداء، فيقومون بالاستهزاء و التحجج ضدكم، إذ الأفضل أن تكون مقرونه بالوقار و الهدوء و الأدب، كى تعكس بذلك نموذجا لعظمه الأدب الإسلامى و منهج العباده فى الإسلام.

فالذين يقومون فى أوقات استراحه الناس بإلقاء المحاضرات الدينيه بواسطه مكبرات الصوت، و يعتقدون أنهم بذلك يوصلون صوتهم إلى الآخرين، هم على خطأ، و عملهم هذا لا- يعكس أدب الإسلام فى العبادات، و ستكون النتيجة عكسيه على قضيه التبليغ الدينى.

الثانيه: يجب أن يكون هذ التوجيه مبدأ لنا فى جميع أعمالنا و برامجنا الاجتماعيه و السياسيه و الاقتصاديه، و تكون جميع هذه الأمور بعيده عن الإفراط و التفريط، إذ الأساس هو: **وَ اِتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**.

أخيرا نصل إلى الآيه الأخيره من سوره الإسراء، هذه الآيه تنهى السوره المباركه بحمد الله، كما افتتحت بتسبيحه و تنزيه ذاته عزّ و جلّ. إنّ هذه الآيه- فى

ص: ١٨٠

الواقع-هى خلاصه أخيره لكل البحوث التوحيديه التى وردت فى السوره، وهى ثمره لمفاهيمها جميعا، إذ هى تخاطب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالقول: وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ .

و مثل هذا الرّب فى مثل هذه الصفات، هو أفضل من كل ما تفكر به: وَ كَبْرُهُ تَكْبِيرًا .

**و نلاحظ فى هذه الآيه عدة أمور:**

**إشارة**

**١-تناسب الصفات الثلاثيه**

فى الآيات أعلاه تمّت الإشاره إلى ثلاث صفات من صفات الله، ثمّ بملاحظه الأمر الوارد فى نهايه الآيه تكتمل الى اربع صفات. أولًا:نفى الولد، لأنّ امتلاك الولد دليل على الحاجه، و أنّه جسمانى، و له شبيه و نظير، و الخالق جلّ و علا ليس بجسم و لا يحتاج لولد، و ليس له شبيه و نظير.

الثانى:نفى الشريك و لم يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ حيث أن وجود الشريك دليل محدوديه قدره و الحكومه و السلطه، و هو دليل العجز و الضعف، و يقتضى وجود الشبيه و النظير. و الخالق جلّ و علا منزّه عن هذه الصفات، فقدرته كما هى حكومته غير محدوده، و ليس له أى شبيه.

الثالث:نفى الولي و الحامى عند التعرّض للمشاكل و الهزائم و لم يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ .

و نفى هذه الصفه عن الخالق يعتبر أمر بديهى..إنّ الآيه تنفى أى مساعد للخالق أو شبيه له، سواء كان ذلك فى مرحله أدنى(كالولد)أو فى مرحله مساويه(كالشريك)أو أفضل منه(كالولي).

نقل العلامة الطبرسى فى(مجمع البيان)عن بعض المفسرين الذين لم يذكر

ص: ١٨١

أسماءهم بصراحه قولهم: «إن هذه الآيه تنفى ثلاثه اعتقادات منحرفه لثلاث مجاميع: المجموعه الأولى هم المسيحيون و اليهود الذين يقولون بوجود الولد للخالق، و الثانيه مجموعه مشركى العرب الذين قالوا بوجود الشريك له سبحانه، لذلك فإنهم كانوا يقولون عند كل صباح و فى طقوس خاصه: لييك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك! أما المجموعه الثالثه، فهم عبده النجوم و المجوس الذين يقولون بوجود الولي و الحامي للخالق».

## ٢- ما هو التكبير؟

القرآن يؤكد على رسوله أن يكبر الله، و هذا تعنى أن الغرض من ذلك هو الاعتقاد بهذا الأمر، و ليس فقد ذكر (الله أكبر) على اللسان.

إن معنى الاعتقاد بأن (الله أكبر) أن لا نقيسه مع المخلوقات الأخرى، و نقول بأنه أعظم و أكبر منها، لأن مثل هذه المقاييسه خطأ من الأساس. إننا يجب أن نعتبره أعظم و أكبر من أن نقيسه بشيء، كما يعلمنا ذلك الإمام الصادق عليه السلام فى مقولته القصيره اللفظ و الكبيره المعنى، حيث نقرأ فيها ما نصه:

قال رجل عند الإمام الصادق عليه السلام: الله أكبر.

فقال عليه السلام: «الله أكبر من أى شىء؟».

قال الرجل: من كل شىء.

فقال عليه السلام: «حددته».

فقال الرجل: كيف أقول؟ قال عليه السلام: قل: «الله أكبر من أن يوصف» (١).

و

فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أيضا نقرأ عن جميع بن عمير قال:

قال أبو عبد الله عليه السلام: «أى شىء، الله أكبر».

ص: ١٨٢



فقلت: الله أكبر من كل شيء.

فقال: «وكان ثم شيء فيكون أكبر منه».

فقلت: فما هو؟ قال عليه السلام: «أكبر من أن يوصف» (١).

### ٣- الإجابة على هذا السؤال

قد يطرح هنا هذا السؤال: كيف يكون حمد الخالق في الآيه أعلاه في قبال الصفات السلبية، في حين أننا نعلم بأن (الحمد) هو في قبال الصفات الثبوتية كالعلم والقدره، أما صفات مثل نفى الولد والشريك والولى فهي تتلاءم مع التسييح فكيف مع الحمد؟ في الجواب على هذا السؤال نقول: بالرغم من أن طبيعه الصفات السلبية والثبوتيه تختلف بضعها عن بعض وإن إحداهما تتلاءم مع التسييح والأخرى تتلاءم مع الحمد، إلا أنه في الوجود الخارجى (العينى) يكون الاثنان لازمين وملزومين، فنفى الجهل عن الخالق يكون ملازماً لإثبات العلم له، كما أن إثبات العلم لذاته جلّ و علا ملازم لنفى الجهل.

و على هذا الأساس فلا مانع تاره من ذكر اللازم وأخرى من ذكر الملزوم.

كما ذكر التسييح في بدايه هذه السوره لأمر في قوله: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى** .

دعاء الختام: إلهى املاً قلوبنا بنور العلم حتى نخضع لعظمتك، و نؤمن بما وعدت، و نلتزم ما أمرت، لا نعبد غيرك، و لا نتوكل إلا عليك.

إلهنا، وفقنا في حياتنا اليوميه فى أن لا نخرج عن حد الاعتدال، و أن نبتعد عن كل إفراط و تفريط.

ص: ١٨٣

إلهنا، لك الحمد و لك الشكر، و أنت الواحد الكبير، أكبر من أن تحدّ في وصف، فاعفر لنا، و ثبتنا في خطواتنا، و انصرنا على أعدائنا، و أوصل انتصاراتنا بالانتصار النهائي للمصلح المهدي عليه السلام، و وفقنا لتكميل هذا التفسير و ارحمنا برحمتك و تقبلنا في رضاك.

نهايه سورة الإسراء

ص: ١٨٤

## سوره الكهف

### اشاره

مكيه و عدد آياتها مائه و عشر آيات

ص: ١٨٥



فضيله سوره الكهف

١-

عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا أدلكم على سوره شيعها سبعون ألف ملك، حين نزلت ملأت عظمتها ما بين السماء والأرض؟ قالوا: بلى.

قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: سوره أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له إلى الجمعة الأخرى، وزياده ثلاثه أيام، وأعطى نورا يبلغ السماء، ووقى فتنه الدجال» (١).

٢-

عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم قال: «من حفظ عشر آيات من أول سوره الكهف، ثم أدرك الدجال لم يضره. و من حفظ خواتيم سوره الكهف كانت له نورا يوم القيامة» (٢).

٣-

عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال في فضل سوره الكهف: «من قرأ سوره الكهف في كل ليله جمعه لم يمت إلا شهيدا، وبعثه الله مع الشهداء، ووقف يوم القيامة مع الشهداء» (٣).

لقد قلنا مرارا: إن عظمه السور القرآنيه و تأثيرها المعنوى، و برکاتها

ص: ١٨٧

١-١) -مجمع البيان، ج ٣ ص ٤٤٧.

٢-٢) -المصدر السابق.

٣-٣) -مجمع البيان، ج ٣، ص ٤٤٧.

الأخلاقية، إنما يكون بسبب الإيمان بها والعمل وفقا لمضامينها.

و بما أنّ قسما مهمّيا من هذه السوره يتعرض إلى قصّه تحرك مجموعه من الفتيه ضدّ طاغوت عصرهم، و دجال زمانهم، هذا التّحرك الذى عرّض حياتهم و وجودهم للخطر و للموت لولا عنايه البارى بهم و رعايته لهم. لذا فإنّ الالتفات إلى هذه الحقيقه ينير القلب بنور الإيمان، و يحفظه من الذنوب و إغواءات الدجالين، و يعصمه من الذوبان فى المحيط الفاسد.

إنّ ممّا يساعد على تكميل هذا الأثر النفوس و القلوب هو ما تشير السوره من أوصاف الآخره و يوم الحساب، و المستقبل المشؤوم الذى ينتظر المستكبرين، و ضروره الالتفات إلى علم الخالق المطلق و إحاطته بكل شىء.

إنّ كل ذلك ممّا يحفظ الإنسان من فتن الشيطان، و يجعل نور الإيمان يشع فيه، و يغرس العصمه فى قلبه، و تكون عاقبته مع الشهداء و الصديقين.

### محتوى سوره الكهف

تبدأ السوره بحمد الخالق جلّ و علا، و تنتهى بالتوحيد و الإيمان و العمل الصالح.

يشير محتوى السوره- كما فى أغلب السور المكيه- إلى قضيه المبدأ و المعاد و الترغيب و الإنذار. و تشير أيضا إلى قضيه مهمّه كان المسلمون يحتاجونها فى تلك الأيام بشدّه، و هى عدم استسلام الأقلية- مهما كانت صغيره- إلى الأكثرية مهما كانت قويه فى المقاييس الظاهريه، بل عليهم أن يفعلوا كما فعلت المجموعه الصغيره القليله من أصحاب الكهف، أن يتعدوا عن المحيط الفاسد و يتحركوا ضدّه.

فإذا كانت لديهم القدره على مواجهه، فعليهم خوض الجهاد و الصراع، و إن

عجزوا عن مواجهه فعليهم بالهجره.

من قصص هذه السوره أيضا قصه شخصين، أحدهما غنى مرفه إلا أنه غير مؤمن، والآخر فقير مستضعف و لكنه مؤمن. و قد صمد الفقير المستضعف المؤمن و لم يفقد شرفه عزته و إيمانه أمام الغنى، بل قام بنصيحته و إرشاده، و لما لم ينفع معه تبرأ منه، و قد انتهت مواجهه إلى انتصاره.

و هذه القصه تذكر المسلمين و خاصه في بدايه عصر الإسلام و تقول لهم: إن من سنه الأغنياء أن يكون لهم فوره من حركه و نشاط مؤقت سرعان ما ينطفئ لتكون العاقبه للمؤمنين.

كما يشير جانب آخر من هذه السوره إلى قصه موسى و الخضر عليهما السلام لم يستطع الصبر في مقابل أعمال كان ظاهرها يبدو مضرا، و لكنها في الواقع كانت مليئه بالأهداف و المصالح، إذ تبينت لموسى عليه السلام و بعد توضيحات الخضر مصالح تلك الأعمال، فندم على تعجله.

و في هذا درس للجميع أن لا ينظروا إلى ظاهر الحوادث و الأمور، و ليتبصروا بما يكمن خلف هذه الظواهر من بواطن عميقه و ذات معني.

قسم آخر من السوره يشرح أحوال (ذى القرنين) و كيف استطاع أن يطوى العالم شرقه و غربه، ليواجه أقواما مختلفه بآداب و سنن مختلفه، و أخيرا استطاع بمساعدته بعض الناس أن يقف بوجه مؤامره (أجوج) و (مأجوج) و أقام سدا حديديا في طريقهم ليقطع دابرهم (تفصيل كل هذه الإشارات المختصره سيأتى لاحقا إن شاء الله تعالى) حتى تكون دلالة هذه القصه بالنسبه للمسلمين، هو أن يهيئوا أنفسهم - بأفق أوسع - لنفوذ إلى الشرق و الغرب بعد أن يتحدوا و يتحصنوا ضد أمثال أجوج و مأجوج.

الظريف أن السوره تشير إلى ثلاث قصص (قصه أصحاب الكهف، قصه

موسى و الخضر، وقصه ذى القرنين) حيث أنّ هذه القصص بخلاف أغلب القصص القرآنيه لم تكرر فى مكان آخر من القرآن (أشارت الآيه (٩٦) من سوره الأنبياء إلى يأجوج و مأجوج دون ذكر ذى القرنين). و هذه الإشاره تعتبر واحده من خصائص هذه السوره المباركه.

و خلاصه الكلام أنّ السوره تحتوى على مفاهيم تربويه مؤثره فى جميع الأحوال.

ص : ١٩٠



اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) فَيَمَّا لِيُذَيَّرَ بِأُسْمٍ شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَا كَثُرَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُذَيَّرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابَائِهِمْ كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)

التفسير

اشاره

البداهه باسم الله، و القرآن:

تبدأ سورة الكهف- كما في بعض السور الأخرى- بحمد الله، و بما أن الحمد يكون لأجل عمل أو صفة معينة مهمه و مطلوبه، لذا فإن الحمد هنا لأجل نزول القرآن الخالي من كل اعوجاج، فتقول الآية: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا .

هذا الكتاب هو كتاب ثابت و محكم و معتدل و مستقيم، و هو يحفظ المجتمع الإنساني و يحمي سائر الكتب السماويه.

و ينذر الظالمين من عذاب شديد: لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ .

و فى نفس الوقت فهو: وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . و هؤلاء فى نعيمهم مَّا كَثِيرٌ فِيهِ أَبَدًا .

ثم تشير الآيات إلى واحده من انحرافات المعارضين، سواء كانوا نصارى أو يهود أو مشركين، حيث تنذرهم هذا الأمر فتقول: وَ يُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا فَهِيَ تحذر النصارى بسبب اعتقادهم بأن المسيح ابن الله، و تحذر اليهود لأنهم اعتقدوا بأن عزير ابن الله، و تحذر المشركين لظنهم بأن الملائكة بنات الله.

ثم تشير الآيات إلى أصل أساسى فى إبطال هذه الادعاءات الفارغه فتقول:

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا عِلْمَ لَهُمْ وَلَا يَتَّقُونَ اللَّهَ الَّذِي تَخَافُونَ وَاذُنَهُ سَمِيعَةٌ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا يَتَذَكَّرُونَ إِذْ يَخْتَصِمُونَ .  
 إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا عِلْمَ لَهُمْ وَلَا يَتَّقُونَ اللَّهَ الَّذِي تَخَافُونَ وَاذُنَهُ سَمِيعَةٌ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا يَتَذَكَّرُونَ إِذْ يَخْتَصِمُونَ .  
 لَّهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِيَأْبَئِهِمْ . بل: ولد؟ أو أن يحتاج إلى الصفات المادية و أن يكون محدودا...إنه كلام رهيب، و مثل هؤلاء الذين يتفوهون به لا ينطقون إلا كذبا: إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا .

## بحوث

## اشاره

### ١- افتتاح السوره بحمد الله سبحانه و تعالى

هناك خمس سور فى القرآن الكريم تبدأ بحمد الله، ثم تعرج بعد الحمد و الثناء على قضايا خلق السموات و الأرض (أو ملكيه الله سبحانه و تعالى لها) أو هدايه العالمين، عدا هذه السوره التى تتناول بعد الحمد و الثناء مسأله نزول القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

و فى حقيقه الأمر إن السور الأربع «الأنعام-سبأ-فاطر-الحمد» تتناول القرآن التكويني، فيما تتطرق سوره الكهف إلى القرآن التدويني، و كما هو معلوم فإن الكتابين، أى (القرآن التدويني) و خلق الكون و ما فيه (القرآن التكويني) كل

منهما مكيّل للآخر، وهذا يوضح أنّ للقرآن وزن يعادل الخلق. و أساسا فإنّ تربيته الخلائق الواردة في الآيه الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ غير ممكنه، ما لم يستفاد بصورة تامه من الكتاب السماوى العظيم، أى القرآن.

## ٢- القرآن كتاب ثابت و مستقيم و حافظ

كلمه «قيم» على وزن كلمه «سيد» و مشتقه من مصدر الكلمه «قيام» وهنا تأتى بمعنى (الثبات و الصمود) إضافة إلى أنّها تعنى المدبر و  
الحافظ لبقية الكتب السماويه، كما تعنى كلمه «قيم» فى نفس الوقت الاعتدال و الاستقامه التى لا اعوجاج فيها و إضافة إلى أنّ  
كلمه «قيم» هى وصف للقرآن فى عدم وجود أى اعوجاج فى آياته، بل إنّ فى مضمونها تأكيد على استقامه و اعتدال القرآن، و  
خلوّه من أى شكل من أشكال التناقض، و إشاره إلى أبديه و خلود هذا الكتاب السماوى العظيم، و كونه أسوه لحفظ الأصاله، و  
إصلاح الخلل، و حفظ الأحكام الإلهيه و العدل و الفضائل البشريه.

صفه (القيم) مشتقه من (قيمومه) البارى عزّ و جلّ التى تعنى اهتمام البارى عزّ و جلّ و حفظه جميع الكائنات، و القرآن الذى هو  
كلام الله له نفس الصفه أيضا.

كما وصف الله سبحانه و تعالى دينه فى عدّه آيات قرآنيه بأنّه (القيم) حتى أنّه أمر نبيّه الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم بالعمل  
وفق ما يمليه الدين القيم و المستقيم: فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ (١).

و ما ذكر أعلاه بشأن تفسير كلمه «قيم»، أخذ من عدّه تفاسير مختلفه، و هو خلاصه لما قاله المفسّرون من أنّ كلمه «قيم» تعنى  
الكتاب الباقي الذى لا ينسخ، أو الكتاب الحافظ للكتب السابقه، أو الكتاب القيم على الدين، أو الخالى من الاختلافات و  
التناقضات، و كل هذه المعانى انصبت فى المفهوم الذى ذكرناه.

ص: ١٩٣

و اعتبر بعض المفسرين أن جملة لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا تعنى فصاحه ألفاظ القرآن و كلمه «قيما» تعنى البلاغه و الاستقامه بالرغم من عدم امتلاكهم لأى دليل واضح على هذا التباين (١)، و الظاهر أن الكلمتين تؤكد كل منهما الأخرى، مع فرق أن كلمه «قيم» لها مفهوم واسع، و تعنى اضافه إلى معنى الاستقامه، المحافظ و المصلح للكتب المساويه الأخرى (٢).

### ٣- إنذارين شديدين عام و خاص:

بعد الإنذار العام الذى وجهته الآيات فى البدايه لكافه البشر، و جهت الآيات المذكوره آنفا إنذارا خاصا للذين ادعوا بأن لله ولدا و هذا ما يوضح خطوره الانحراف العقائدى الذى أصاب المسيحيين و اليهود و المشركين، و انتشر بصوره واسعه فى الأجواء التى نزل القرآن، و من الطبيعى فإن انتشار مثل هذه الأفكار يقضى على روح التوحيد فى ذلك المجتمع، إذ حدوا الله سبحانه و تعالى بحدود ماديه و جسميه، و أنه يمتلك عواطف و أحاسيس بشريه، إضافة إلى وجود أكفاء و شركاء له، و أنه يحتاج إلى الآخرين.

و بسبب هذه المعتقدات نزلت آيات عديده للرد على تلك الشبهات، و منها الآيه (٦٨) فى سوره يونس: **قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا** **سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ** و الآيات من (٨٨) إلى (٩١) فى سوره مريم: **قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا**.

و ما جاء فى هذه الآيات المباركه يوضح قوه الرد الإلهى على تلك الادعاءات، حيث أكدت على العقاب الشديد الذى ينتظر من يعتقدون بمثل هذه

ص: ١٩٤

١- ١) -روح المعانى، المجلد ١٥، أثناء تفسير الآيه.

٢- ٢) -«قيم» من الناحيه اللغويه «حال» و عامله «أنزل».

الخرافه، لأنّ من يدعى باتّخاذ الله سبحانه و تعالى ولدا، إنّما يمس كبرياء البارى عزّ و جلّ و عظمته، و ينزله إلى المستوى البشرى المادى (١).

#### ٤- الادعاء الفارغ

إنّ البحث فى المعتقدات و المبادئ المنحرفه، كشف عن أنّ أغلبها ليس له أى دليل واقعى، و لكن بعض الأشخاص يتخذها كشعار كاذب كى يتبعه الآخرون، و تنتقل أحيانا من جيل إلى آخر كعاده. و القرآن هنا يلقى علينا دروسا فى تجنب الادعاءات التى ليس لها أى دليل أو سند قوى، و يأمرنا بعدم إعاره أى أهميه لناقلها و مروجها، و قد اعتبر الله تبارك و تعالى تلك الأعمال من الكبائر، وعدّها مصدرا للكذب و الدجل.

و لو اتّخذ المسلمون هذا الأصل منهجا فى حياتهم، أى عدم التحدّث بشىء من دون التأكيد منه، و رفض أى شىء ليس له دليل، و عدم الاهتمام بالإشاعات الفارغه، لتحسن الكثير من أمورهم و تصرفاتهم الخاطئه.

#### ٥- العمل الصالح برنامج مستمر

الآيات المذكوره أعلاه عند ما تتحدّث عن المؤمنين، تعتبر العمل الصالح بمثابة برنامج مستمر، إذ أنّ كلمه (يعملون فى قوله تعالى: يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ فعل مضارع، و الفعل المضارع يدل على الاستمراريه، فالعمل الصالح يمكن أن يصدر صدفه أو بسبب ما عن أى شخص، فلا يكون حينئذ دليلا على الإيمان الصادق، لكن استدامه العمل الصالح دليل الإيمان الصادق.

ص: ١٩٥

١ - ١) - حول عقيدته التثليث و اعتقاد المسيحيين بأنّ المسيح ابن الله يمكن مراجعته ما جاء فى ذيل الآيه (١٧١) من سوره النساء فى تفسيرنا هذا.

و أخيراً، إنّ القرآن عند ما يتحدّث في آياته عن قضيه نزول الكتاب السماوى يقول: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عِبْدِهِ الْكِتَابَ وَ هَذَا يَعْنِي أَنَّ صِفَةَ «العبد» هِيَ أَرْقَى وَ سَامٌ وَ أَعْلَى مَرْتَبَةٍ يَنَالُهَا الْإِنْسَانُ فِي مَعْرَاجِ تَكَامُلِهِ الْمَعْنَوِيِّ، فَإِذَا نَالَ الْإِنْسَانُ وَ سَامَ الْعِبُودِيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ يَرَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ مَلَكًا لِلَّهِ، وَ عَمَلًا يَسْلُكُ سَبِيلَ الطَّاعَةِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَ التَّمَسُّكِ بِالنَّهْجِ الَّذِي رَسَمَهُ وَ حَدَّدَهُ تَعَالَى لِلْإِنْسَانِ، وَ لَا يَفْكَرُ فِي سِوَاهُ وَ يَرَى أَنَّ خَيْرَ شَرَفٍ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا صَالِحًا وَ مُلتَزمًا بِأَمْرِ وَ نَوَاهِي الْبَارِي عَزَّ وَ جَلَّ.

اشاره

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِذْ جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)

التفسير

اشاره

العالم ساحه اختبار:

الآيات السابقه كانت تتحدّث عن الرساله و قياده النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، لذا فإنّ أول آيه نبحتها الآن، تشير إلى أحد أهم شروط القيادة، ألا و هي الإشفاق على الأمه فتقول: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا .

و هنا يجب الانتباه إلى بعض الملاحظات:

أولاً: «باخع» من «بخع» على وزن، «نخل» و هي بمعنى إهلاك النفس من شدّه الحزن و الغم.

ثانياً: كلمه «أسفا» و التي تبيّن شدّه الحزن و الغم، هي تأكيد على هذا الموضوع.

ثالثاً: «آثار» جمع «أثر» و هي في الأصل تعنى محل موضع القدم، إلا أنّ أى

علامه تدل على شىء معين تسمى أثرا.

إنّ الاستفادة من هذا التعبير فى الآيات أعلاه تشير إلى ملاحظه لطيفه، وهى أنّ الإنسان قد يغادر فى بعض الأحيان مكانا ما، و لكنّ آثاره ستبقى بعده، و تزول إذا طال زمن المغادره. فالآيه تريد أن تقول: أنّك على قدر من الحزن و الغم و لعدم إيمانهم بحيث تريد أن تهلك نفسك من شدّه الحزن قبل أن تمحى آثارهم.

و يحتمل أن يكون الغرض من الآثار أعمالهم و تصرفاتهم.

رابعاً: استخدام كلمه (حديث) للتعبير عن القرآن، هو إشارة إلى ما ورد من معارف جديده فى هذا الكتاب السماوى الكبير، يعنى أنّ هؤلاء لم يفكروا فى أن يستفيدوا و يبحثوا فى هذا الكتاب الجديد ذى المحتويات المستجدّه. و هذا دليل على عدم المعرفة، بحيث أنّ الإنسان بقدر قربه من هذا الكتاب، إلاّ أنّه لا يلتفت إليه.

خامساً: صفه الإشفاق لدى القاده الإلهيين.

نستفيد من الآيات القرآنيه و تأريخ النبوات، أنّ القاده الإلهيين كانوا يتألمون أكثر ممّا نتصور لضلال الناس، و كانوا يريدون لهم الإيمان و الهدايه. و يألمون عند ما يشاهدون العطاشى جالسين بجوار النبع الصافى، و يأنون من شدّه العطش، الأنبياء يكون لهم و يجهدون أنفسهم ليلاً- و نهاراً، و يبلغون سرّاً و جهاراً، و ينادون فى المجتمع من أجل هدايه الناس. إنّهم يألمون بسبب ترك الناس للطريق الواضح الى الطرق المسدوده، هذا الألم يكاد يوصلهم فى بعض الأحيان إلى حدّ الموت. و لو لم يكن القاده بهذه الدرجه من الاهتمام لما انطبق عليهم المفهوم العميق للقائد.

و بالنسبه لرسول الهدى صلّى الله عليه و آله و سلّم كانت تصل به حاله الحزن و الشفقه إلى مرحله خطره على حياته بحيث أنّ الله تبارك و تعالى يسّليه.

□  
فى سوره الشعراء نقرأ فى الآيتين (٣،٤) قوله تعالى لَعَلَّكَ □ باخِجَ نَفْسَكَ أَلَا □



يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ .

الآية التي بعدها تجسّد وضع هذا العالم و تكشف عن أنّه ساحة للاختبار و التمحيص و البلاء، و توضح الخط الذي ينبغي أن يسلكه الإنسان: **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا .**

لقد ملأنا العالم بأنواع الزينه، بحيث أنّ كلّ جانب فيه يذهب بالقلب، و يحير الأبصار، و يشير الدوافع الداخليه في الإنسان، كيما يتسنى امتحانه في ظل هذه الإحساسات و المشاعر و وسط أنواع الزينه و أشكالها، لتظهر قدرته الإيمانيه، و مؤهلاته المعنويه.

لذلك تضيف الآية مباشره قوله تعالى: **لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا .**

أراد بعض المفسرين حصر معنى **مَا عَلَى الْأَرْضِ** بالعلماء أو بالرجال فقط، و يقولوا: **إِنَّ هَؤُلَاءِ هُم زِينَةُ الْأَرْضِ**، في حين أنّ لهذه الكلمه مفهوما واسعا يشمل كل الموجودات على الكره الأرضيه.

و الظريف هنا استخدام الآية لتعبير **أَحْسَنُ عَمَلًا** و ليس (أكثر عملا) و هي إشاره إلى أنّ حسن العمل و كفيته العاليه هما اللذان يحدّدان قيمته عند ربّ العالمين، و ليس كثره العمل أو كميته.

على أي حال فإنّ هنا إنذار لكل الناس، لكل المسلمين كي لا ينخدعوا في ساحة الاختبار بزينه الحياه الدنيا، و بدلا من ذلك عليهم أن يفكروا بتحسين أعمالهم.

ثمّ بيّن تعالى أنّ أشياء الحياه الدنيا ليست ثابتة و لا دائمه، بل مصيرها إلى المحو و الزوال: **وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا .**

«صعيد» مشتقّه من «صعود» و هي هنا تعنى وجه الأرض، الوجه الذي يتّضح فيه التراب.

و«جرز» تعنى الأرض التى لا يثبت فيها الكلاء و كأنما هى تأكل نباتها، و بعبارة أخرى فإن «جرز» تطلق على الأرض الموات بسبب الجفاف و قلّه المطر.

إنّ المنظر الذى نشاهده فى الربيع فى الصحارى و الجبال عند ما تبسم الورود و تفتح النباتات، و حيث تتناجى الأوراق، و حيث خريير الماء فى الجداول... إنّ هذه الحالة سوف لا- تدوم و لا- تبقى، إذ لا بدّ أن يأتى الخريف، حيث تتعرى الأغصان و تنطفئ البسمة من شفاه الورود، و تذبل البراعم، و تجف الجداول، و تموت الأوراق، و تسكت فيها نغمة الحياة.

حياه الإنسان الماديه تشبه هذا التحوّل، فلا بدّ أن يأتى ذلك اليوم الذى يضع نهايه للقصور التى تناطح السماء، و لملايس الباذخه و النعم الكثيره التى يرفل بها الإنسان، كذلك تنتهى المناصب و المواقع و الاعتبار، و سوف لن يبقى شىء من المجتمعات البشريه سوى القبور الساكنه اليابسه، و هذا درس عظيم.

ص: ٢٠٠

إشاره

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذِ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢)

أسباب النزول

لقد أورد المفسِّرون قصه لسبب نزول الآيات خلاصتها أن سادہ قريش اجتمعوا لبيحثوا في أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ وَ قرروا إرسال اثنين منهم إلى أحبار اليهود في المدينة، و الاثنان هما النضر بن الحرث بن كلده و عقبه بن أبي معيط.

قال زعماء قريش لهؤلاء: سلوا أحبار اليهود عن محمد و صفا له صفته، و خبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول و عندهم من علم الأنبياء ما ليس عندنا.

فخرجوا حتى قدما المدينة. فسألا أحبار اليهود عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ وَ قالوا لهم ما قالت قريش.

فقال لهما أحبار اليهود: سألوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه أريكم. سلوه عن فتيه ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجيب. و سلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض و مغاربها ما كان نبؤه. و سلوه عن الروح ما هو.

و في روايه أخرى قالوا: فإن أخبركم عن اثنتين و لم يخبركم بالروح فهو نبي.

فانصرفا إلى مكه فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم و بين محمّد. و قصّنا عليهم القصه.

فجاءوا إلى النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم فسألوه.

فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: أخبركم بما سألتكم غدا و لم يستثن -أى لم يقل إن الله- فانصرفوا عنه، و مكث صلّى الله عليه و آله و سلّم خمس عشره ليله لا يحدث الله إليه في ذلك و حيا، و لا يأتيه جبرائيل حتى أرجف أهل مكه و تكلموا في ذلك. فشق على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ما يتكلم به أهل مكه، ثم جاءه جبرائيل عليه السّلام عن الله بسوره الكهف، و فيها ما سألوه عنه من أمر الفتيه و الرجل الطواف. و أنزل عليه آيه و يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ .

و

قد سأله رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم جبرائيل حين جاءه: «لقد احتبست عني يا جبرائيل» فقال له جبرائيل عليه السّلام و مَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا آيَهُ.

(من الجدير بالذكر هنا أنّ سوره الكهف تضمنت الجواب على سؤالين من الأسئلة الثلاثة. إلا أنّ الآيه التي تتحدث عن الروح قد مرّت علينا في سوره الإسراء. و هذا أمر لا يندر حدوثه في القرآن، إذ تنزل آيه في مناسبة معينه، ثمّ توضع بأمر الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم في سوره أخرى).

## بدايه قصه أصحاب الكهف

فى الآيات السابقه كانت هناك صوره للحياه الدنيا، و كيفيه اختبار الناس فيها، و مسير حياتهم عليها، و لأن القرآن غالبا ما يقوم بضرب الأمثله للقضايا الحساسه، أو أنه يذكر نماذج من التأريخ لتجسيد الوعى بالقضيه، لذا قام فى هذه السوره بتوضيح قصه أصحاب الكهف، و عبرت عنهم الآيات بأنهم (أنموذج) أو (أسوه).

إنهم مجموعه من الفتيه الأذكياء المؤمنين، الذين كانوا يعيشون فى ظل حياه مترفه بالزينة و أنواع النعم، إلا أنهم انسلخوا من كل ذلك لأجل حفظ عقيدتهم و للصرع ضد الطاغوت؛ طاغوت زمانهم، و ذهبوا إلى غار خال من جميع أشكال الزينه و النعم، و قد أثبتوا بهذا المسلك أمر استقامتهم فى سبيل الإيمان و الثبات عليه.

الملفت للنظر أن القرآن ذكر فى البدايه قصه هذه المجموعه من الفتيه بشكل مجمل، موظفا بذلك أحد أصول فن الفصاحه و البلاغه، و ذلك لتهيئه أذهان المستمعين ضمن أربع آيات، ثم بعد ذلك ذكر التفاصيل فى (١٤) آيه.

فى البدايه يقول تعالى: **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ أَضِلَّ بِأَبْصَارِكُمُ الْقَهْفَ وَ الرِّقْمَ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** . إن لنا آيات أكثر عجا فى السموات و الأرض، و إن كل واحد منها نموذج لعظمه الخالق جلّ و علا، و فى حياتكم -أيضا- أسرار عجيبه تعتبر كل واحد منها علامه على صدق دعوتك، و فى كتابك السماوى الكبير هذه آيات عجيبه كثيره، و بالطبع فإن قصه أصحاب الكهف ليست بأعجب منها.

أما لماذا سميت هذه المجموعه بأصحاب الكهف؟ فذلك يعود إلى لجوئهم إلى الغار كى ينقذوا أنفسهم، كما سيأتى ذلك لاحقا إن شاء الله.

أمّا «الرقيم» ففي الأصل مأخوذه من (رقم) وتعني الكتابه (١)، و حسب اعتقاد أغلب المفسرين فإنّ هذا هو اسم ثان لأصحاب الكهف، لأنّه في النهايه تمت كتابه أسمائهم على لوحه وضعت على باب الغار.

البعض يرى أنّ «الرقيم» اسم الجبل الذي كان فيه الغار.

و البعض الآخر اعتبر ذلك اسما للمنطقه التي كان الجبل يقع فيها.

أمّا بعضهم فقد اعتبر ذلك اسما للمدينه التي خرج منها أصحاب الكهف، إلا أنّ المعنى الأوّل أكثر صحه كما يظهر.

أمّا ما احتمله البعض من أنّ أصحاب الرقيم هم مجموعه أخرى غير أصحاب الكهف، و تنقل بعض المرويات قصّه تختص بهم، فالظاهر أنّ هذا الزاى لا- يتناسب مع الآيه، لأنّ ظاهر الآيه يدل على أنّ أصحاب الكهف و الرقيم كانوا مجموعه واحده، لذلك و بعد ذكر العنوانين تذكّر السوره قصّه أصحاب الكهف و لا تذكر غيرهم. و هذا بنفسه دليل على الوحده.

و في الروايات المعروفة الوارده في تفسير نور الثقلين في ذيل الحديث عن الآيه، نرى أنّ الأشخاص الثلاثة الذين دخلوا الغار قد دعوا الله بأخلص ما عملوه لوجهه تعالى أن ينجيهم من محتهم، و لكن هذه الروايات لا تتحدث عن أصحاب الرقيم بالرغم من أنّ بعض كتب التفسير قد تعرّضت لهم.

على أيه حال يجب أن لا نتردّد في أنّ هاتين المجموعتين (أصحاب الكهف و الرقيم) هم مجموعه واحده، و أنّ سبب نزول الآيات يعضد هذه الحقيقه.

ثمّ تقول الآيات بعد ذلك: **إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ** و عند ما انقطعوا عن كل أمل توجهوا نحو خالقهم: **فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً** ثم: **وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**. أي أرشدنا إلى طريق ينقذنا من هذا الضيق و يقربنا من

ص: ٢٠٤

١- ١) -يقول الراغب في المفردات: إنّ رقم (على وزن زخم) تعني الخط الخشن و الواضح، و البعض اعتبره النقطه في خط. و في كل الأحوال إنّ (رقيم) تعني الكتاب أو اللوح أو الرساله التي يكتب فيها شيئا.

مرضاتك و سعادتك، الطريق الذي فيه الخير و السعادة و إطاعه أوامر الله تعالى.

و قد استجيب دعوتهم: فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا .

ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا

## ملاحظات

١-جملة أوى الفتيه من ماده(مأوى)و تعنى المكان الآمن،و هو إشاره إلى أن هؤلاء الفتيه الهاربين من بيئتهم الفاسده المنحرفه قد أحسوا بالأمن عند ما وصلوا إلى الغار.

٢-(فتيه)جمع(فتى)و هو الشاب الحدث،و لكنها تطلق أحيانا على الأشخاص الكبار و المسنين الذين يملكون روحيه شابه،و قد ذكرت هذه الكلمه مع نوع من الإشاده و المدح لأصحاب الكهف بسبب صفات الفتوه و الشهامه و التسليم فى مقابل الحق.

و الشاهد على هذا الكلام ما

نقل عن الإمام الصادق فى أصحاب الكهف إذ قال: «أمّا علمت أنّ أصحاب الكهف كانوا كلهم كهولا- فسماهم الله فتيه بإيمانهم».

بعد ذلك

أضاف الإمام الصادق فى معنى الفتوه قوله عليه السلام: «من آمن بالله و اتقى فهو الفتى» (١).

و قد نقل عن الإمام الصادق ما يشبه هذا الحديث فى(روضه الكافى) (٢) أيضا.

٣-استخدام تعبير من لَدُنْكَ رَحْمَةً إشاره إلى أن هؤلاء الفتيه عند ما لجأوا إلى الغار تركوا جميع الوسائل و الأسباب الظاهريه،و كانوا لا يأملون سوى

ص: ٢٠٥

١- (١) -نور الثقلين، ج ٣، ص ٢٤٤ و ٢٤٥.

٢- (٢) -المصدر السابق.

رحمه الله.

٤-جملة فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ كناية لطيفه عن (التنويم)، كأنما يوضع ستار على أذن الشخص بحيث لا يسمع أى شىء، وهو ستار النوم.

و لهذا فإنّ النوم الحقيقى هو النوم الذى يطغى على السمع، و كذلك إذا أردنا أن نوقظ شخصا من نومه، فإننا نصيح به و نناديه حتى ينفذ الصوت إلى مسامعه.

٥-إنّ استخدام تعبير سِنِينَ عَدَدًا إشاره إلى أنّ نومهم قد استمرّ لعدّه سنين كما سيأتى تفسير ذلك فى الآيات القادمه إن شاء الله تعالى.

٦-إنّ استخدام تعبير بَعَثْنَاهُمْ ليقظتهم من النوم، قد يكون لأنّ نومهم أصبح من الطول بمقدار بحيث كانوا كالموتى. فيقظتهم من النوم كبعثهم إلى الحياه مرّه أخرى.

٧-جملة لِنَعْلَمَ... لا تعنى أنّ الله يريد أن يعلم شيئا جديدا. و يكثر استخدام هذا التعبير فى القرآن، و الغرض منه هو تحقق العلم الإلهى، بمعنى نحن أيقظناهم من المنام حتى يتحقق هذا المعنى، أى حتى يسأل كل واحد الآخر عن مقدار نومهم.

٨-عبارة أَيْ الْحَزْبَيْنِ إشاره لما سنتحدث عنه أثناء تفسير الآيات اللاحقه، حيث أنّهم بعد يقظتهم اختلفوا فى مقدار نومهم، فالبعض قال: يوما، و البعض الآخر قال: نصف يوم، فى حين أنّهم كانوا نائمين لسنين طويله.

أمّا قول البعض بأنّ هذا التعبير هو شاهد على أنّ أصحاب الكهف هم غير أصحاب الرقيم، فهذا كلام بعيد للغاية و لا يحتاج لمزيد توضيح (١).

ص: ٢٠٦

١-١) -ذهب إلى هذا الرأى صاحب كتاب(أعلام القرآن)فى صفحه ١٧٩ من كتابه.



إشاره

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَا هُم هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦)

التفسير

إشاره

القصة المفصلة لأصحاب الكهف:

بعد أن ذكرت الآيات بشكل مختصر قصه أصحاب الكهف، بدأت الآن مرحلة الشرح المفصل لها ضمن (١٤) آية و كان المنطلق في ذلك قوله تعالى:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ

كلام خال من أى شكل من أشكال الخرافه و التزوير. إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَا هُم هُدًى. و كما قلنا فإن (فتيه) جمع

(فتى) و هى تعنى الشاب الحدث. و بما أنّ الجسم يكون قويا فى مرحله الشباب، فهو على استعداد لقبول نور الحق، و منع للحب و السخاء و العفه. و لذا كثيرا ما تستخدم كلمه (الفتى و الفتوه) للتدليل على مجموع هذه الصفات حتى لو كان أصحابها من المستئين.

و تشير الآيات القرآنيه-و ما هو ثابت فى التأريخ- إلى أنّ أصحاب الكهف كانوا يعيشون فى بيئه فاسده و زمان شاعت فيه عباده الأصنام و الكفر، و كانت هناك حكومه ظالمه تحتمى مظاهر الشرك و الكفر و الانحراف.

مجموعه أهل الكهف-الذين كانوا على مستوى من العقل و الصدق- أحسوا بالفساد و قرروا القيام ضدّ هذا المجتمع، و فى حال عدم تمكنهم من مواجهه و التغيير فإنهم سيهجرون هذا المجتمع و المحيط الفاسد.

لذا يقول القرآن بعد البحث السابق: وَ رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا .  
فإذا عبدنا غيره: لَقَدْ قَلْنَا إِذَا شَطَطًا .

نستفيد من تعبير رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أنّ بذره التوحيد و فكرته كانت منذ البدايه مرتكزه فى قلوبهم، إلا أنّهم لم تكن لديهم القدره على إظهارها و التجاهر بها. و لكن الله بتقويه قلوبهم أعطاهم القدره على أن ينهضوا و يعلنوا علانيه نداء التوحيد.

و ليس من الواضح فيما إذا كان هذا الإعلان قد تمّ أوّلا أمام ملك زمانهم الظالم (دقيانوس) أو أنّه تمّ أمام الناس، أو أمام الاثنين معا (الحاكم الظالم و الناس) أو أنّهم تجاهروا به فيما بينهم أنفسهم؟ لكن يظهر من كلمه (قاموا) أنّ إعلانهم كان وسط الناس، أو أمام السلطان الظالم.

(شطط) على وزن (وسط) تعنى الخروج عن الحد و الإفراط فى الابتعاد لذا

فإنَّ (شطط) تقال للكلام البعيد عن الحق، ويقال لحواشى و ضفاف الأنهار الكبيره (شطط) لكونها بعيده عن الماء، و كونها ذات جدران مرتفعه.

و فى الواقع، إنَّ هؤلاء الفتيه المؤمنين ذكروا دليلا واضحا لإثبات التوحيد و نفى الآلهه. و هو قولهم: إننا نرى و بوضوح أنَّ لهذه السماوات و الأرض خالقا واحدا، و أنَّ نظام الخلق دليل على وجوده، و ما نحن إلا جزء من هذا الوجود، لذا فإنَّ ربنا هو نفسه ربَّ السماوات و الأرض.

ثمَّ ذكروا دليلا آخر و هو: هُوَلاءِ قَوْمَنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً .

فهل يمكن الإعتقاد بشىء بدون دليل و برهان؟: لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ .

و هل يمكن أن يكون الظن أو التقليد الأعمى دليلا على مثل هذا الإعتقاد؟ ما هذا الظلم الفاحش و الانحراف الكبير: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا .

و هذا الافتراء هو ظلم للنفس، لأنَّ الإنسان يستسلم حينئذ لأسباب السقوط و الشقاء، و هو أيضا ظلم بحق المجتمع الذى تسرى فيه هذه الانحرافات، و أخيرا هو ظلم لله و تعرض لمقامه العظيم سبحانه و تعالى.

هؤلاء الفتيه الموحدون قاموا بما يستطيعون لإزالة صدأ الشرك عن قلوب الناس، و زرع غرسه التوحيد فى مكانها، إلا أنَّ ضججه عباده الأصنام فى ذلك المحيط الفاسد، و ظلم الحاكم الجبار كانتا من الشده بحيث حبستا أنفاس عباده الله فى صدورهم و انكشمت همهمات التوحيد فى حناجرهم.

و هكذا اضطروا للهجره لانقاذ أنفسهم و الحصول على محيط أكثر استعدادا و قد تشاوروا فيما بينهم عن المكان الذى سيذهبون إليه ثمَّ كان قرارهم: وَ إِذِ اعْتَرَّتْهُمُوهُمْ وَ مَا يَعْجُبُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ . حتى: يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا .

(يهيئ) مشتقه من (تهيئه) بمعنى الإعداد.

«مرفق» تعنى الوسيله التى تكون سببا للطف و الرفق و الراحة، و بذا يكون معنى الجملة وَ يُهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا أَنَّ الخالق سبحانه و تعالى سيرتب لكم وسيله للرفق و الراحة.

و ليس من المستبعد أن يكون (نشر الرحمه) الوارد فى الجملة الأولى إشاره إلى الألفاظ المعنويه لله تبارك و تعالى، فى حين أن الجملة الثانية تشير إلى الجوانب الماديه التى تؤدى إلى خلاصهم و نجاتهم.

## ملاحظات

### إشاره

### ١- الفتنه و الإيمان

تتزامن روح التوحيد دائما مع سلسله من الصفات الإنسانيه العالیه، فهى تنبع منها و تؤثر فيها أيضا، و يكون التأثير فيما بينهما متبادلا. و لهذا السبب فإننا نقرأ فى قصه أصحاب الكهف أنهم كانوا فتيه آمنوا برّبهم.

و على هذا الأساس قال بعض العلماء: رأس الفتنه الإيمان.

و قال البعض الآخر منهم: الفتنه بذل الندى، و كف الأذى، و ترك الشكوى.

و البعض الثالث فسّر الفتنه بقوله: هى اجتناب المحارم و استعمال المكارم.

### ٢- الإيمان و الإمداد الإلهى

فى عدّه مواقع من الآيات أعلاه تنعكس بوضوح حقيقه الإمداد الإلهى للمؤمنين، فإذا وضع الإنسان خطواته فى طريق الله، و نهض لأجله فإنّ الإمداد الإلهى سيشمله، فى مكان تقول الآيه: إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاهُمْ هُدًى .

و فى مكان آخر تقول: وَ رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ . و فى نهايه الآيات كانوا بانتظار رحمه الخالق: يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ .

الآيات القرآنيه الأخرى تؤيد هذه الحقيقه بوضوح، فعند ما يجاهد الإنسان من أجل الله، فإن الله يهديه إلى طريق الحق: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (١) وفي سورة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آيه (١٧) نقرأ قوله تعالى: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى .

إنَّ طريق الحق مليء بالموانع و الصعوبات، و من العسير على الإنسان طى هذا الطريق و الوصول إلى الأهداف من دون لطف الله و عنايته.

و نعلم أيضا إنَّ لطف الله أكبر من أن يترك العبد فى طريق الحق لوحده.

### ٣- ملجأ باسم الغار

إنَّ وجود (أل) التعريف فى كلمه «الكهف» قد تكون إشاره إلى أنهم (أصحاب الكهف) كانوا مصممين على الذهاب إلى مكان معين فى حال عدم نجاح دعوتهم التوحيديه، و ذلك لإنقاذ أنفسهم من ذلك المحيط الملوَّث.

(الكهف) كلمه ذات مفهوم واسع، و تذكرنا بنمط الحياه الابتدائيه للإنسان، حيث ينعدم فيه الضوء، و لياليه مظلمه و بارده، و تذكرنا بآلام المحرومين، إذ ليس ثمه شىء من زينه الحياه الماديه، أو الحياه الناعمه المرفَّهه.

و يتضح الأمر أكثر إذا ما أخذنا بنظر الإعتبار أنَّ التأريخ ينقل لنا أنَّ أصحاب الكهف كانوا من الوزراء و أصحاب المناصب الكبيره داخل الحكم. و قد نهضوا ضدَّ الحاكم و ضدَّ مذهبه، و كان اختيار حياه الكهوف على هذه الحياه قرارا يحتاج إلى المزيد من الشهامه و الهَمَّه و الروح و الإيمان العالى.

و فى هذا الغار البارد المظلم الذى قد يتصَّ من خطر الحيوانات المؤذيه، هناك عالم من النور و الإخلاص و التوحيد و المعانى الساميه.

إنَّ خطوط الرحمه الإلهيه متجليه على جدران هذا الغار، و أمواج لطف

ص: ٢١١

الخالق تسبح في فضائه، ليس هناك وجود للأصنام من أى نوع كانت، ولا يصل طوفان ظلم الجبارين إلى هذا الكهف.

هؤلاء الفتيه الموحدون تركوا الدنيا الملوثة الواسعه و التي كان سجنا لأرواحهم و ذهبوا إلى غار مظلم جاف. و فعلهم هذا يشبه فعل النَّبى يوسف عليه السَّلام حين أصرروا عليه أن يستسلم لشهوه امرأه العزيز الجميله، و إلا فالسجن الموحش المظلم سيبكون في انتظاره، لكن هذا الضغط زاد في صموده و قال متوجها إلى ربّه العظيم: رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَ إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ (١).

ص: ٢١٢

١-١) - يوسف، ٣٣.

اشاره

وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يَضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَ هُمْ رُقُودٌ وَ نُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشَّمَالِ وَ كَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَ لَمَلَّتَ مِنْهُمْ رُغْبًا (١٨)

التفسير

اشاره

مكان أصحاب الكهف:

يشير القرآن في الآيتين أعلاه إلى التفاصيل الدقيقة المتعلقة بالحياه العجيبه لأصحاب الكهف في الغار، و كأنها تحكى على لسان شخص جالس في مقابل الغار ينظر إليهم.

في هاتين الآيتين إشارة إلى ست خصوصيات هي:

أولاً:فتح الغار كانت باتجاه الشمال، و لكونه في الجزء الشمالى من الكره الأرضيه، فإن ضوء الشمس كان لا يدخل الغار بشكل مباشر، فالقرآن يقول إنك

إذا رأيت الشمس حين طلوعها لرأيت أنها تطلع من جهة يمين الغار، وتغرب من جهة الشمال: وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ  
عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ .

و على هذا الأساس لم يكن ضوء الشمس يصل إلى أجسادهم بشكل مباشر، و هو أمر لو حصل فقد يؤدي إلى تلف أجسادهم، و لكن الأشعة غير المباشرة كانت تدخل الغار بمقدار كاف.

إنَّ عبارته (تزاور) التي تعني (التمايل) تؤكد على هذا المعنى، و كأنَّ الشمس كانت مأموره بأن تمرَّ من اليمين (يمين الغار). و كلمه (تقرض) التي تعني (القطع) تؤكد نفس مفهوم السابق، و إضافه إلى هذا فإنَّ كلمه «تزاور» المشتقّه من كلمه (الزياره) المقارنه لبدايه الشىء تناسب مفهوم طلوع الشمس. (و تقرض) تعنى القطع و النهايه و هو معنى يتجلى فى غروب الشمس.

و لأنَّ فتحه الغار كانت إلى الشمال فإنَّ الرياح اللطيفه و المعتدله كانت تهب من طرف الشمال و كانت تدخل بسهولة إلى داخل الغار، و تؤدي إلى تلطيف الهواء فى جميع زوايا الغار.

ثانيا: وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ لَقَدْ كَانَ أُولَئِكَ فِي مَكَانٍ وَاسِعٍ مِنَ الْغَارِ، و هذا يدل على أنَّهم لم يأخذوا مستقرهم فى فتحه الغار التى تتسم بالضيق عاده، بل إنَّهم انتخبوا وسط الغار مستقرا لهم كى يكونوا بعيدين عن الأنظار، و بعيدين أيضا عن الأشعه المباشرة لضوء الشمس.

و هنا يقطع القرآن تسلسل الكلام و يستنتج نتيجة معنويه، حيث يبيِّن أنَّ الهدف من ذكر هذه القصة هو لتحقيق هذا الغرض: ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا .



نعم، إنَّ الذين يضعون أقدامهم في طريق الله، و يجاهدون لأجله فإنَّ الله سيضملمهم بلطفه في كل خطوه و ليس في بدايه العمل فقط. إنَّ الله يرعى هؤلاء حتى في أدق التفاصيل.

ثالثاً: إنَّ نوم أصحاب الكهف لم يكن نوماً عادياً: وَ تَحَسَّبُ لَهُمْ آيْقَاضاً وَ هُمْ رُقُودٌ. و هذا يدل على أنَّ أجفانهم كانت مفتوحه بالضبط مثل الإنسان اليقظ، و قد تكون هذه الحاله الاستثنائية لكي لا- تقترب منهم الحيوانات المؤذيه التي تخاف الإنسان اليقظ. أو لكي يكون شكلهم مرعباً كي لا يتجرأ إنسان على الاقتراب منهم. و هذا بنفسه أسلوب للحفاظ عليهم.

رابعاً: و حتى لا- تتهراً أجسامهم بسبب السنين الطويله التي مكثوا فيها نياماً في الكهف، فإنَّ الله تبارك و تعالى يقول: وَ نُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشَّمَالِ .

حتى لا- يتركز الدم في مكان معين، و لا تكون هناك آثار سيئه على العضلات الملاصقه للأرض بسبب الضغط عليها لمده طويله.

خامساً: في وصف جديد يقول تعالى: وَ كَلَّبْهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ .

كلمه «وصيد» و كما يقول الراغب في المفردات تعنى في الأصل الغرفه أو المخزن الذى يتم إيجاده في الجبال لأجل خزن الأموال، إلا أنَّ المقصود به هنا هو فتحه الغار.

برغم أنَّ الآيات القرآنيه لم تتحدث حتى الآن عن كلب أصحاب الكهف، إلا أنَّ القرآن يذكر هنا تعابير خاصه تتضح من خلالها بعض المسائل، فمثلاً ذكر حاله كلب أصحاب الكهف يفيد أنه كان معهم كلب يتبعهم أينما ذهبوا و يقوم بحراستهم.

أمّا متى التحق هذا الكلب بهم، و هل كان كلب صيدهم، أو أنه كلب ذلك الراعى الذى التقى بهم في منتصف الطريق، و عند ما عرف حقيقتهم أرسل

حيواناته إلى القرية و التحق بهم، لأنه كان يبحث عن الحقيقه مثلهم و قد رفض هذا الكلب أن يتركهم و استمرّ معهم.

ألا- يعنى هذا الكلام أنّ جميع المحيّن-لأجل الوصول إلى الحق- يستطيعون سلوك هذا الطريق، و أنّ الأبواب غير مغلقه أمام أحد سواء كانوا وزراء عند الملك الظالم ثمّ تابوا، أو كان راعيا، بل و حتى كلبه؟! ألم يؤكد القرآن أن جميع ذرات الوجود فى الأرض و السماء، و جميع الأشجار و الأحياء تذكر الله، و تحبّ الله فى قلوبها و صميم وجودها؟ (راجع سوره الإسراء-الآيه ٤٤).

سادسا: قوله تعالى: **لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَ لَمَلَيْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا .**

إنّها ليست المره الأولى و لا- الأخيره التى يحفظ فيها الله تبارك و تعالى عباده المؤمنين بالرعب و الخوف، فقد واجهتنا فى الآيه (١٥١) من سوره آل عمران صوره مماثله جسدها قول الله تبارك و تعالى: **سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ (١).**

و فى دعاء الندبه نقرأ كلاما حول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

«ثم نصرته بالرعب».

أو ما هو سبب الرعب فى مشاهده أهل الكهف، و هل يعود ذلك لظاهرهم الجسمانى، أو بسبب قوّه معنويه سرية؟ الآيات القرآنيه لم تتحدّث عن ذلك، و لكن المفسرين ذكروا بحوثا مفصّله فى هذا المجال، و لعدم قيام الدليل عليها صرفنا النظر عن ذكرها.

كما أنّ قوله تعالى: **وَ لَمَلَيْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا فى الحقيقه علّه لقوله تعالى:**

ص: ٢١٦

---

١- ١) -لأجل التوضيح أكثر يمكن مراجعه ما جاء فى ذيل الآيه (١٤٨) من سوره آل عمران و الآيه (١٢) من سوره الأنفال من تفسيرنا هذا.

يعنى لكنت تهرب بسبب الخوف الذى يملأ قلبك، و كأن قلبك مملوء بالخوف، و ينفذ إلى ذرات وجودك بحيث أن جميع وجود الإنسان يصاب بالوحشه و الخوف. على أى حال، إذا أراد الله شيئاً فإنه يحقق أهم النتائج من خلال أبسط الطرق.

اشاره

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاَهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالِ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لِيَتَلَطَّفَ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠)

التفسير

اشاره

الليظه بعد نوم طويل:

سوف نقرأ في الآيات القادمه-إن شاء الله تعالى-أن نوم أصحاب الكهف كان طويلا للغاية بحيث استمر (٣٠٩) سنه، و على هذا الأساس كان نومهم أشبه بالموت، و يقظتهم أشبه بالبعث، لذا فإن القرآن يقول في الآيات التي نبحتها و كذلك بَعَثْنَاَهُمْ .

يعنى مثلما كنا قادرين على إنامتهم نوما طويلا فإننا أيضا قادرون على

إيقاظهم. لقد أيقظناهم من النوم: لَيْتَسَاءُ لَوْ بَيْنَهُمْ قَالِ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ (١).

قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ

لعل التردد و الشك هنا يعود- كما يقول المفسرون- إلى أن أصحاب الكهف دخلوا الغار في بدايه اليوم، ثم ناموا، و في نهايه اليوم استيقظوا من نومهم، و لهذا السبب اعتقدوا في بادئ الأمر بأنهم ناموا يوما واحدا، و بعد أن رأوا حاله الشمس، قالوا: بل بَعْضَ يَوْمٍ .

و أخيرا، بسبب عدم معرفته لمقدار نومهم قالوا: قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ .

قال بعضهم: إنَّ قائل هذا الكلام هو كبيرهم المسمى (تلميخا) و بالنسبه لاستخدام صيغه الجمع على لسانه (قالوا) فهو متعارف في مثل هذه الموارد.

و قد يكون كلامهم هذا بسبب شكهم في أنّ نومهم لم يكن نوما عاديا، و ذلك عند ما شاهدوا هندامهم و شعرهم و أظفارهم و ما حلّ بملابسهم.

و لكنهم- في كل الأحوال- كانوا يحسّون بالجوع و بالحاجه الشديده إلى الطعام، لأنّ المخزون الحيوى في جسمهم انتهى أو كاد، لذا فأول اقتراح لهم هو إرسال واحد منهم مع نقود و مسكوكات فضيه لشراء الغذاء: فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ .

ثم أردفوا: وَ لِيَتَلَطَّفَ وَ لَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا . لماذا هذا التلطف: إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ .

ثم: وَ لَنْ تُلْحِقُوا إِذَا أَبَدًا .

ص: ٢١٩

(١-١) -اللام في «ليتساءلوا» هي لام العاقبه و ليست للعله. يعنى أنّ نتيجه يقظتهم هو أن سأل أحدهم الآخر عن طول مدّه نومهم.

## ١-أزكى الطعام

مع أنّ أصحاب الكهف كانوا بعد يقظتهم بحاجة شديده إلى الطعام، إلا أنّهم قالوا للشخص الذى كلفوه بشراء الطعام: لا تشتتر الطعام من أى كان، وإنما انظر أيهم أزكى و أظهر طعاما فأتنا منه.

بعض المفسّرين تأولوا المعنى و قالوا: إنّ المقصود من (أزكى) هو ما يعود إلى الحيوانات المذبوحه، إذ أنّهم كانوا يعلمون أنّ فى تلك المدينة من يبيع لحم الميتة (أى غير المذبوح على الطريقه الشرعيه) و أنّ البعض يتكسّب بالحرام، لذلك أوصوا صاحبهم بضروره أن يتجنب مثل هؤلاء الأشخاص عند ما يحاول شراء الطعام.

و لكن يظهر أنّ لهذه الجملة مفهوما واسعا يشمل كافة أشكال الطهارات الظاهريه و الباطنيه (المعنويه)، و كلامهم و توصيتهم هى توصيه لكافه أنصار الحق، فى أن لا يفكروا بطهاره غذائهم المعنوى و حسب، بل عليهم أيضا الاهتمام بطهاره طعام الأجسام كى يكون زكيا نقيًا من جميع الأرجاس و الشبهات. و إنّ هذا الأمر ينبغى أن يلائمهم حتى فى أصعب لحظات الحياه و أشدها عسرا، لأنّ هذا المعنى هو تعبير عن أصل فى وجود المؤمن.

اليوم يسعى معظم أفراد عالمنا للاهتمام بجانب من هذا الأمر، و هو الجانب المتعلق بالحفاظ على الطعام من أشكال التلوّث الظاهري، إذ يضعون الطعام فى أوانى مغطاه بعيدة عن الأيدي الملوّثه، و عن الأتربه و الغبار. و هذا العمل بحدّ ذاته جيد جدّا، إلا أنّ علينا أن لا- نكتفى بهذا المقدار، بل ينبغى تزكيه الطعام و تطهيره من لوّثه الشبهه و الحرام و الرّبا و الغش و أى شكل من أشكال التلوّث المعنوى.

و فى الزوايات الإسلاميه هناك تأكيد كبير على الطعام الحلال النقى الزاكي و أثره فى صفاء القلب و استجابته الدعاء.

ففى روايه نقرأ أنّه جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ سَأَلَهُ قَائِلًا: أَحَبُّ أَنْ يَسْتَجَابَ دَعَائِي.

فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «طَهَّرْ مَا كَلَّكَ وَ لَا تَدْخُلْ بطنَكَ الْحَرَامَ» (١).

### ثانيا: التقيه البناء

نستفيد من تعبير الآيات أعلاه أنّ أصحاب الكهف كانوا يصرّون على أن لا يعرف أحد مكانهم حتى لا يجبرون على عبادة الأصنام، أو يقتلون بأفجع طريقه من خلال رميهم بالحجاره. إنهم كانوا يرغبون فى أن يبقوا غير معروفين حتى يستطيعوا بهذا الأسلوب الاحتفاظ بقوّتهم للصراع المقبل، أو على الأقل حتى يستطيعوا أن يحتفظوا بإيمانهم.

و هذا المعنى تعبير عن أحد أقسام «التقيه البناء» حيث أنّ حقيقه التقيه هو أن يحفظ الإنسان طاقته من الهدر بإخفاء نفسه أو عقيدته. يحفظ نفسه و يصونها حتى يستطيع فى مواقع الضروره-الاستمرار فى جهاده المؤثّر. و طبيعى عند ما تكون التقيه و إخفاء العقيدته سببا لتصدّع الأهداف و البرنامج الكبرى، فإنّها تكون ممنوعه و ينبغى الجهر بالحق و الصدع به بالغما ما بلغ الضرر.

### ثالثا: اللطف مركز القرآن

إنّ قوله تعالى: لِيَتَلَطَّفَ - كما هو مشهور- هى نقطه الفصل بين نصفى القرآن من حيث عدد الكلمات. و هذا بنفسه يشير إلى معنى لطيف للغاية، لأنّ الكلمه مشتقه من اللطف، و اللطافه و التى تعنى هنا الدقه. بمعنى أنّ المرسل لتهيئه الطعام عليه أن يذهب و يرجع بحيث لا يشعر أحد بقصتهم.

ص: ٢٢١

---

١ - ١) - وسائل الشيعه، المجلد الرابع، أبواب الدعاء، باب (٦٧) الحديث الرابع. و لمزيد من التوضيح يمكن مراجعه تفسير الآيه (١٨٦) من سوره البقره.

بعض المفسرين قالوا: إنّ الغرض من التلطف في شراء الطعام هو أن لا يتصعب في التعامل، و يتعد عن النزاع الضوضاء و ينتخب أفضل البضاعة.

و هذا بذاته لطف أن تشكّل كلمه اللطف وسط القرآن و نقطه النصف بين كلماته الهاديه.

ص: ٢٢٢



اشاره

وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُغْلَبُوا أَنْ وَعِدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ  
أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَذِبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَذِبُهُمْ  
رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَذِبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ  
فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ  
رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤)

التفسير

اشاره

نهاية قصه أصحاب الكهف:

لقد وصلت بسرعه أصداء هجره هذه المجموعه من الرجال المتشخصين

إلى كل مكان و أغاظت بشدّه الملك الظالم، حيث قدّر أن تكون هذه الهجره مقدّمه ليقظه و وعى الناس، أو قد يذهب أصحاب الكهف إلى مناطق بعيدة أو قريبه و يقومون بتبليغ مذهب التوحيد و الدعوه إليه، و محاربه الشرك و عباده الأصنام.

لقد أصدر الحاكم تعليماته إلى جهاز شرطته للبحث عن أصحاب الكهف فى كل مكان، و عليهم أن يتبعوا آثارهم حتى إلقاء القبض عليهم و معاقبتهم.

و لكن كلما بحثوا لم يعثروا على شىء، و هذا الأمر أصبح بحدّ ذاته لغزا للناس، و نقطه انعطاف فى أفكارهم، و قد يكون هذا الأمر— و هو قيام مجموعه من ذوى المناصب فى الدوله بترك مواقعهم العاليه فى الدوله و تعريض أنفسهم للخطر— هو بحدّ ذاته سببا ليقظه الناس و مصدر لوعيتهم، أو لوعى قسم منهم على الأقل.

و لكن فى كل الأحوال، فإنّ قصّه هؤلاء النفر قد استقرت فى صفحات التاريخ و أخذت الأجيال و الأقوام تتناقلها عبر مئات السنين.

و الآن لنعد إلى الشخص المكلف بشراء الطعام و لننظر ماذا جرى له.

لقد دخل المدينه و لكنّه فغرفاه من شدّه التعجب، فالشكل العام للبناء قد تغير، هندام الجميع و لباسهم غريب عليه، الملابس من طراز جديد، خرائب الأمس تحولت إلى قصور، و قصور الأمس تحولت إلى خرائب! لقد ظنّ—للحظه واحده— أنّه لا يزال نائما، و أنّ ما يشاهده ليس سوى أحلام، فرك عينيه، إلاّ أنّه التفت إلى ما يراه، و هو عين الحقيقه، و إن كانت عجيبه و لا يمكن تصديقها.

إنّه لا يزال يعتقد بأنّ نومهم فى الغار كان ليوم أو بعض يوم، فلما ذا هذا الاختلاف، و كيف تمّت كل هذه التغيرات الكبيره و الواسعه فى ظرف يوم واحد؟!!

و من جانب آخر كان منظره هو عجيبا للناس و غير مألوف.ملابسه، كلامه، شكله كل شىء فيه بدا غريبا للناس،و قد يكون هذا الوضع قد لفت أنظارهم إليه، لذا قام بعضهم بمتابعته.

لقد انتهى عجبهم عند ما مدّ يده إلى جيبه ليسدّد مبلغ الطعام الذى اشتراه، فالبائع وقع نظره على قطعه نقود ترجع فى قدمها إلى (٣٠٠)سنة،و قد يكون اسم (دقيانوس)الملك الجبار مكتوبا عليها،و عند ما طلب منه توضيحا قال له بأنّه حصل عليها حديثا.

و قد عرف الناس تدريجيا من خلال سلسله من القرائن أنّ هذا الشخص هو واحد من أفراد المجموعه الذين قرءوا عن قصّتهم العجيبه و التّاريخيه التى وقعت قبل (٣٠٠)سنة،و أنّ قصّتهم كانت تدور على الألسن فى اجتماعات الناس و ندواتهم،و هنا أحسّ الشخص بأنّه و أصحابه كانوا فى نوم عميق و طويل.

هذه القضية كان لها صدى كالقنبله فى المدينه،و قد انتقلت عبر الألسن إلى جميع الأماكن.

قال بعض المؤرّخين: إنّ حكومه المدينه كانت بيد حاكم صالح و مؤمن،إلا أنّ استيعاب و فهم قضيه المعاد الجسمانى و إحياء الموتى بعد الموت كان صعبا جدّا على أفراد ذلك المجتمع،فقسم منهم لم يكن قادرا على التصديق بأنّ الإنسان يمكن أن يعود للحياه بعد الموت،إلا أنّ قصّه أصحاب الكهف أصبحت دليلا قاطعا لأولئك الذين يعتقدون بالمعاد الجسمانى.

و لذا فإنّ القرآن يبيّن أنّنا كما قمنا بإنامتهم نقوم الآن بإيقاظهم حتى ينتبه الناس: **وَ كَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُعَلِّمُوا أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا** **ثُمَّ أَضَافَ تَعَالَى: وَ أَنَّ السَّاعَةَ لَأَرْيَبَ فِيهَا .**

حيث أنّ هذا النوم الطويل الذى استمرّ لمئات السنين كان يشبه الموت،و أن إيقاظهم يشبه البعث.بل يمكن أن نقول:إنّ هذه الإنامه و الإيقاظ هى أكثر إثارة

للعجب من الموت و الحياه فى بعض جوانبها، فمن جهه قد مرّت عليهم مئات السنين و هم نيام و أجسامهم لم تفن أو تتأثر، و قد بقوا طوال هذه المدّه بدون طعام أو شراب، إذن كيف بقوا أحياء طيله هذه المدّه؟ أ ليس هذا دليلا قاطعا على قدره الله على كل شىء، فالحياء بعد الموت، بعد مشاهده هذه القضيّه ممكنه حتما.

بعض المؤرّخين كتب يقول: إنّ الشخص الذى أرسل لتهيئه الطعام و شرائه، عاد بسرعه إلى الكهف و أخبر رفقاءه بما جرى، و قد تعجب كل منهم، و بعد أن علموا بفقدان الأهل و الأولاد و الأصدقاء و الإخوان، و لم يبق من أصحابهم أحد، أصبحت الحياه بالنسبه إليهم صعبه للغاية، فطلبوا من الخالق جلّ و علا أن يميّتهم، و ينتقلون بذلك إلى جوار رحمته. و هذا ما حدث.

لقد ماتوا و مضوا إلى رحمه ربّهم، و بقيت أجسادهم فى الكهف عند ما وصله الناس.

و هنا حدث النزاع بين أنصار المعاد الجسمانى و بين من لم يعتقد به، فالمعارضون للمعاد كانوا يريدون أن تنسى قضيّه نوم و يقظه أصحاب الكهف بسرعه، كى يسلبوا أنصار المعاد الجسمانى هذا الدليل القاطع، لذا فقد اقترح هؤلاء أن تغلق فتحه الغار، حتى يكون الكهف خافيا إلى الأبد عن أنظار الناس.

قال تعالى: إِذِ يْتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَيُقَالُ ائْتُوا عَلَيْنَا بَبَيِّنَاتٍ .

و لأجل إسكات الناس عن قصّتهم كانوا يقولون: لا تتحدثوا عنهم كثيرا، إنّ قضيّتهم معقده و مصيرهم محاط بالألغاز!! لذلك فإن: رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ . أى اتركوهم و شأنهم و اتركوا الحديث فى قصّتهم.

أمّا المؤمنون الحقيقون الذين عرفوا حقيقه الأمر و اعتبروه دليلا- حيا لإثبات المعاد بعد الموت، فقد جهدوا على أن لا تنسى القصه أبدا لذلك اقترحوا أن يتخذوا قرب مكانهم مسجدا، و بقريته وجود المسجد فإنّ الناس سوف لن

ينسوههم أبداً،بالإضافة إلى ما يتبرك به الناس من آثارهم: قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَيَّ أَمْرِهِمْ لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً .

و في تفسير الآيه ذكرت احتمالات أخرى سنقف على بعضها في البحوث.

الآيه التي بعدها تشير إلى بعض الاختلافات الموجوده بين الناس حول أصحاب الكهف،فمثلا تتحدث الآيه عن اختلافهم في عددهم فتقول: سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ .و بعضهم وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ .و ذلك منهم رَجْمًا بِالْغَيْبِ .و بعضهم وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ .أما الحقيقه فهي:

قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ

و لذلك لأنه مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ .

و بالرغم من أن القرآن لم يشر إلى عددهم بصراحه،لكن نفهم من العلامات الموجوده في الآيه أن القول الثالث هو الصحيح المطابق للواقع،حيث أن كلمه رَجْمًا بِالْغَيْبِ وردت بعد القول الأول و الثاني،و هي إشاره إلى بطلان هذين القولين،إلا أن القول الثالث لم يتبع بمثل الاستنكار بل استتبع بقوله تعالى: قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ و أيضا بقوله مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ و هذا بحد ذاته دليل على صحه هذا القول(الثالث).

و في كل الأحوال فإن الآيه تنتهي بنصيحه تحت على عدم الجدل حولهم إلا الجدل القائم على أساس المنطق و الدليل: فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا .

(مراء)كما يقول الراغب في مفرداته،مأخوذه في الأصل من (مريت الناقه) بمعنى قبضت على (ضرع)الناقه لأحلبها،ثم أطلق المعنى بعد ذلك ليشمل الأشياء الخاضعه للشك و التردد.

و قد تستخدم كثيرا في المجادلات و الدفاع عن الباطل،إلا- أن أصلها لا- يختص بهذا المعنى،بل تتسع لكل أنواع البحوث و المفاوضات حول أى موضوع كان موضعا للشك.

«ظاهر»تعنى غالب و مسيطر و متتصر.لذا فالآيه تقول: فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا

بمعنى قل لهم قولاً منطقياً بحيث تتوضح رجحان منطقك.

وقد احتمل البعض أن تفسير هذه الآية هو: لا- تتحدث حديثاً خاصاً مع المعارضين و المعاندين حيث أنهم يحرفون كل ما تقول، بل تحدث معهم علانية و أمام الناس كي لا يستطيعوا أن يحرفوا حقيقته ما تقول، و لا يستطيعوا إنكارها. التفسير الأول أكثر صحه.

و على أى حال فإن مفهوم الكلام هو: عليك أن تتحدث معهم بالاعتماد على الوحي الإلهي، لأن أقوى الأدله هو ما يصدر عن الوحي دون غيره:  $\square$  وَ لَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا .

الآية التي بعدها تعطى توجيهها عاما لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:  $\square$  وَ لَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا .  
 $\square$  إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

يعنى يجب أن تقول (إن شاء الله) لكل ما يخص أخبار المستقبل و أحداثه و لكل تصميم تتخذه، لأنك أولا غير مستقل فى اتخاذ القرارات، و إذا لم يشأ الله فإن كائنا من كان لا يستطيع القيام بأى عمل، لذا و لأجل أن تثبت أن قوتك قبس من قوه الله الأزلي، و أنها مرتبطة بقدرته، أضف عبارته (إن شاء الله) إلى كلامك.

ثانيا: لا يصح للإنسان- من الوجهه المنطقيه- أن يقطع فى أخباره المستقبلية و مواقفه و تصميماته، لأن قدرته محدوده مع احتمال ظهور الموانع المختلفه، لذلك الأفضل له ذكر جملة (إن شاء الله) مع كل تصميم لفعل شىء.

بعض المفسرين احتملوا أن يكون مراد الآية هو أن تنفى استقلال الإنسان فى إنجاز الأعمال، حيث يصبح مفهوم الآية: إنك لا تستطيع أن تقول: إنك ستقوم بالعمل الفلانى غدا إلا أن يشاء الله ذلك.

بالطبع فإن لازم هذا القول أن الكلام سيكون تاما مع اضافته (ان شاء الله)

و لكن هذا اللزوم سيكون للجمله لا للمتن كما هو الحال فى التفسير الأول (١).

سبب النزول الذى أوردناه فى بدايه الآيات يؤيد التفسير الأول، حيث أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد وعد بالإجابة على أسئله قريش حول أصحاب الكهف و غيرها بدون ذكر جملة (إن شاء الله) لذلك تأخر عنه الوحي فتره، لكى يكون ذلك تحذيرا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و يكون عبره لجميع الناس.

و بعد ذلك يقول القرآن: **وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسَيْتَ** و هذه إشاره إلى أنّ الإنسان إذا نسى قول (إن شاء الله) و هو يتحدث عن أمر مستقبلى، فعليه أن يقولها فور تذكره، حيث يعوّض بذلك عمّا مضى منه.

و بعد ذلك جاء قوله تعالى: **وَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا**.

## بحوث

## إشاره

### ١- قوله تعالى: **رَجْمًا بِالْغَيْبِ**

كلمه (رجم) تعنى فى الأصل الحجاره أو رمى الحجاره، ثم أطلقت بعد ذلك على أى نوع من أنواع الرمى. و تستخدم فى بعض الأحيان كناية عن (الاتهام) أو (الحكم استنادا إلى الظن و الحدس). و كلمه (بالغيب) تأكيداً لهذا المعنى، يعنى لا تحكم بدون الاستناد على مصدر أو علم.

### ٢- الواو فى قوله: **وَ تَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**

فى الآيات أعلاه وردت جملة **رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ** و **سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ** بدون

ص: ٢٢٩

١ - ١) - يجب الانتباه إلى أنّه طبقاً للتفسير الأول فإنّ هناك جملة مقدّره و هى (أن تقول) و يصبح المعنى بعد التقدير (إلا أن تقول إن شاء الله) أمّا وفقاً للتفسير الثّانى فليس ثمّه حاجه لهذا التقدير.

(واو) في حين أنّ جملة وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ بدأت بالواو. ولأنّ جميع تعابير القرآن تنطوي على ملاحظات و مغاز، لذلك نرى أنّ المفسرين بحثوا كثيرا في معنى هذه الواو.

و لعل أفضل تفسير لها هو ما قيل من أنّ هذه (الواو) تشير إلى آخر الكلام و آخر الحديث، كما هو شائع استخدامه في أسلوب التعبير الحديث، إذ توضع الواو لآخر شيء من مجموعه الأشياء التي تذكر مثلا نقول (جاء زيد، عمر، حسن، و محمد) فهذه الواو إشارة إلى آخر الكلام و تبين الموضوع و المصداق الأخير.

هذا الكلام منقول عن المفسر المعروف (ابن عباس)، و قد أيده بعض المفسرين، و استفادوا من هذه (الواو) لتأييد القول في أنّ عدد أصحاب الكهف الحقيقي هو سبعة، حيث أنّ القرآن بعد ذكر الأقوال الباطلة، أبان في الأخير العدد الحقيقي لهم.

البعض الآخر من المفسرين كالقرطبي و الفخر الرازي ذكروا رأيا آخر في تفسير هذه (الواو) و خلاصته: «إنّ العدد سبعة عند العرب عدد كامل، و لذلك فإنّهم يعدّون حتى السبعة بدون واو. أمّا بمجرد أن يتجاوزوا هذا العدد فإنّهم يأتون بالواو التي هي دليل على بدايه الكلام و الاستئناف. لذلك تعرف (الواو) هذه عند الأدباء العرب بأنّها (واو الثمانية)».

و في الآيات القرآنية غالبا ما يواجها هذا الموضوع، فمثلا الآية (١١٢) من سورة التوبة عند ما تعدّد صفات المجاهدين في سبيل الله تذكر سبع صفات بدون واو و عند ما تذكر الصفه الثامنه فإنّها تذكرها مع الواو فتقول: وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ .

و في الآية (٥) من سورة التحريم، تذكر الآية في وصف نساء النبي صلى الله عليه و آله و سلم سبع صفات ثم تذكر الثامنه مع الواو حيث تقول: نِيَّاتٍ وَ أَبْكَاراً .



و فى الآيه (٧١) من سوره الزمر التى تتحدّث عن أبواب جهنّم تقول:

فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا إِلَّا أَنَّهَا وَ بَعْدَ آيَتَيْنِ وَ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ تَقُولُ الْآيَةُ:

وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ۚ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِسَبَبٍ أَنَّ أَبْوَابَ النَّارِ سَبْعَةٌ، وَأَبْوَابَ الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةٌ؟ طَبَعًا قَدْ لَا يَكُونُ هَذَا تَعْيِيرًا عَنِ قَانُونِ كَلِّى، وَ لَكِنَّهُ -فِي الْأَغْلَبِ- يَعْبَرُ عَنِ ذَلِكَ. فِى كُلِّ الْأَحْوَالِ يَظْهَرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ حَرْفَ (الْوَاوِ) وَ هُوَ مُجَرَّدُ حَرْفٍ، لَهُ حِسَابٌ خَاصٌّ فِى الْأَسْتِعْمَالِ وَ يَظْهَرُ حَقِيقَتُهُ مَعِينَهُ.

### ٣- المسجد إلى جوار المقبره

ظاهر تعبير القرآن أنّ أصحاب الكهف ماتوا أخيرا و دفنوا، و كلمه «عليهم» تؤيّد هذا القول. بعد ذلك قرّر محبّوهم بناء مسجد بجوار مقبرتهم، و قد ذكر القرآن هذا الموضوع فى الآيات أعلاه بلهجه تتم عن الموافقه، و هذا الأمر يدل على أنّ بناء المساجد لاحترام قبور عظماء الدين ليس أمرا محرما- كما يظن ذلك الوهابيون- بل هو عمل حلال و محبّد و مطلوب.

و عاده فإنّ بناء الأضرحة التى تخلمد الأشخاص الكبار أمر شائع بين أمم العالم و شعوبه، و يبيّن جانب الاحترام لمثل هؤلاء الأشخاص، و تشجيع لمن يأتى بعدهم، و الإسلام لم ينه عن هذا العمل، بل أجازّه و أقرّه.

إنّ وجود مثل هذه الأبنية سند تاريخى للتدليل على وجود هذه الشخصيات و الرموز و على منهجها و مواقفها، و لهذا السبب فإنّ الأنبياء و الشخصيات الذين هجرت قبورهم فإنّ تاريخهم أمسى موضعا للشك و الاستفهام.

و يتّضح من ذلك أيضا أن ليس هناك تضاد بين بناء المساجد و الأضرحة و بين قضيه التوحيد و اختصاص العباده باللّه تعالى، بل هما موضوعان مختلفان.

بالطبع هناك بحوث كثيره حول هذا الموضوع فليراجع إلى مظانها.

#### ٤- كل شيء يعتمد على مشيئته تعالى

إن ذكر جملة (إن شاء الله) عند اتخاذ القرارات المرتبطة بالمستقبل ليس نوعاً من الأدب في محضر الخالق جلّ و علا و حسب، بل هو بيان لحقيقته أننا لا نملك شيئاً من عندنا، بل هو من عنده تعالى، و كلنا نعتمد و نستند إليه لأنه هو المستقل بالذات فقط، فلو تحركت كل السكاكين و الشفرات في العالم لتقطع عرقاً واحداً فإنها لا تستطيع من دون إذنه تعالى.

إن هذه الحقيقه هي نفسها (توحيد الأفعال) ففي الوقت الذي يملك الإنسان حريته و إرادته، فإنّ تحقق أي شيء و أي عمل إنّما يرتبط بمشيئته الخالق جلّ و علا.

إنّ تعبير (إن شاء الله) يزيد من توجهنا نحو الله تبارك و تعالى، و يمنحنا القوّه و القدره على الإنجاز، و هو مدعاه إلى تركيه و طهاره و صحه الأعمال أيضاً.

و نستفيد من بعض الروايات أنّ الإنسان إذا ذكر كلاماً عن المستقبل بدون ذكر (إن شاء الله) فإنّ الله سوف يكله إلى نفسه و يخرجّه من مظله حمايته (١).

و

في حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام نقرأ أنّه عليه السّلام أمر يوماً بكتابه رساله، و عند ما جاؤوا بالرساله إليه و جدها خاليه من كلمه (إن شاء الله) فقال عليه السّلام: «كيف رجوتم أن يتمّ هذا و ليس فيه استثناء، انظروا كل موضع لا يكون فيه استثناء فاستثنوا فيه».

#### ٥- الإجابة على سؤال

قرأنا في الآيات-محل البحث- أنّ الله يخاطب رسوله بقوله: **وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ** (٢) و هي إشاره إلى أنك عند ما تنسى ذكر (إن شاء الله) و تتذكر بعد ذلك

ص: ٢٣٢

١-١) -نور الثقلين، ج ٣، ص ٢٥٣ و ٢٥٤.

٢-٢) -المصدر السابق.

فعليك باستدراك الأمر بذكر (إن شاء الله).

و في الأحاديث العديده الوارده عن أهل البيت عليهم السّلام- في تفسير الآيه- هناك تأكيد على هذا الموضوع حتى بعد مرور سنه إذا تذكرت فعليك أن تقول (إن شاء الله) عوضاً عمّا فاتك و عمّا نسيتَه (1).

و الآن قد يطرح هذا السؤال و هو: إذا جاز نسبة النسيان إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في حين أنّ الناس يعتمدون على أقواله و أعماله، فكيف يستقيم ذلك مع دليل عصمه الأنبياء و الرسل و الأئمّه من الخطأ و النسيان؟ و لكن ينبغي الالتفات الى أنّ الكثير من الآيات القرآنيه يكون الحديث فيها موجهاً إلى الرسل في حين أنّ المعنى بها عامّه الناس، و هي كما يقول المثل العربى، «إياك أعنى و اسمعى يا جاره».

بعض المفكرين الكبار ذكروا جواباً على هذا السؤال أوردناه في نهايه الحديث عن الآيه (٦٨) من سوره الأنعام.

ص: ٢٣٣

---

١- ١) - نور الثقلين، ج ٣، ص ٢٥٤ فما بعد.

اشاره

وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ اِزْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ اَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ اُبْصِرْ بِهِ وَ اَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَ لَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ اَحَدًا (٢٦) وَ اُنزِلْ مَا اُوْحِيَ اِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧)

التفسير

اشاره

نوم أصحاب الكهف:

من القرائن الموجوده في الآيات السابقه نفهم إجمالاً- أنّ نوم أصحاب الكهف كان طويلاً- جداً. هذا الموضوع يشير غريزه الاستطلاع عند كل مستمع، إذ يريد أن يعرف كم سنه بالضبط استمر نومهم؟ في المقطع الأخير من مجموعه الآيات التي تتحدث عن أصحاب الكهف، تبعد الآيات الشك عن المستمع و تقول له:

ووفقا للآية فإن مجموع نومهم وبقائهم في الكهف هو (٣٠٩) سنة. والبعض يرى أن ذكر ثلاثمائة و تسعة مفصولة بدلا عن ذكرها في جملة واحده، يعود إلى الفرق بين السنين الشمسيه و السنين القمريه حيث أنهم ناموا (٣٠٠) سنة شمسيه، و بالقمري تعادل (٣٠٩). و هذا من لطائف التعبير حيث أوجز القرآن بعباره واحده صغيره، حقيقه كبيره تحتاج إلى شرح واسع (٢).

و من أجل وضع حد لأفاويل الناس حول مكثهم في الكهف تؤكد الآية: قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لِمَاذَا؟ لَأَنَّ: لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .

و الذي يعرف خفايا و ظواهر عالم الوجود و يحيط بها جميعا، كيف لا يعرف مدّه بقاء أصحاب الكهف: أَبْصَرُ بِهِ وَ أَسْمِعُ (٣) و لهذا السبب فإن سكان السماوات و الأرض: مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ .

أمّا من هو المقصود بالضمير (هم) في (مالهم) فقد ذكر المفسرون أقوالا كثيره، إذا يعتقد البعض أنها اشاره إلى سكان السماوات و الأرض، أمّا البعض الآخر فيعتقد أن الضمير اشاره إلى أصحاب الكهف، بمعنى أن أصحاب الكهف لا يملكون وليا من دون الله، فهو الذي تولاهم في حادثه الكهف، و قام بحمايتهم.

و لكن بالنظر إلى الجملة التي قبلها، يكون التفسير الأول أقرب.

و في نهايه الآية يأتي قوله تعالى: وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا. هذا الكلام هو في الحقيقه تأكيد على الولاية المطلقه للخالق جلّ و علا، إذ ليس هناك قدره

ص: ٢٣٥

١- ١) - طبقا للقواعد النحويه يجب أن تأتي كلمه (سنه) و التي هي مفرد بدلا من (سنين) التي هي جمع، و لكن بما أن النوم كان طويلا للغاية، و عدد السنوات كثيرا، لذا ذكرت الكلمه بصيغه الجمع حتى توضّح الموضوع و تبين كثرته.

٢- ٢) - الفرق بين السنه الشمسيه و القمريه هو (١١) يوم تقريبا، فإذا ضربنا ذلك (٣٠٠) و قسمنا الناتج على عدد أيام السنه القمريه أى على (٣٥٤) يكون العدد (٩) طبعا يبقى باق قليل، أهمل لأنه لا يصل إلى السنه الكامله.

٣- ٣) - جملة أَبْصَرُ بِهِ وَ أَسْمِعُ هي صيغه تعجب، تبين لنا عظمه علم الخالق جلّ و علا، و المعنى أنه بصير سميع بحيث أن الإنسان يعجب من ذلك.

أخرى لها حق الولاية المطلقة على العالمين، ولا يوجد شريك له تعالى في ولايته، يعني ليس ثمه قدره أخرى غير الله لها حق الولاية في العالم، لا بالاستقلال ولا بالاشتراك.

و في آخر آيه يتوجه الخطاب إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويقول الله له: **وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ**. أى لا تعرأيه أهميه إلى أقوال الآخرين المخلوطه بالكذب و الخرافه و الوضع، يجب أن يكون اعتمادك في هذه الأمور على الوحي الإلهي فقط. لأنه لا يوجد شيء يستطيع أن يغير كلامه تعالى: **لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ**.

فكلام الله تعالى و علمه ليس من سنخ علم الإنسان الذي يخضع يوميا للتغير و التبديل بسبب الاكتشافات الجديده و المعرفه الحديثه. لذلك لا يمكن الاعتماد عليها و الركون إليها مائه في المائه، و لهذه الأسباب: **وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا**.

«ملتحد» مشتق من «لحد» على وزن «مهد» و هي الحفرة التي يميل وسطها إلى أحد الأطراف (كاللحد الذي يحفر لقبور الإنسان).

و لهذا السبب يقال للمكان الذي يميل إليه الإنسان (ملتحد)، ثم استخدمت بعد ذلك بمعنى «ملجأ».

و من المهم أن نلاحظ أن الآيتين الأخيرتين بينتا إحاطه علم الخالق جل و علا بجميع كائنات الوجود، و ذلك من خلال عدّه طرق.

\* في البدايه تبين الآيات: أن غيب السماوات و الأرض من عنده، و لهذا فهو تعالى محيط بها جميعا.

\* ثم تضيف: إنه سميع و بصير لأقصى حد و لأبلغ غايه.

\* مرّه أخرى تقول: إنه الولي المطلق، و إنه أعلم الجميع.

\* ثم تضيف مرّه أخرى: لا يشاركه أحد في حكمه حتى يتحدّد علمه أو معرفته.

\*ثم تقول: لا يتغير و لا يتبدل علمه و كلامه.

\*و فى آخر جمله تقول الآيه: أنه تعالى هو الملجأ الوحيد فى الوجود لا سواه نعلمه محيط بكل اللاجئين إليه سبحانه و تعالى.

بحوث

إشارة

## ١- قصة أصحاب الكهف فى الروايات الإسلامية

هناك روايات كثيرة فى المصادر الإسلامية حول أهل الكهف، و لكن بعضها لا يعتمد عليها لضعف فى سندها، و البعض الآخر تتضاد و تختلف فيما بينها.

و من الروايات المختلفه اخترنا روايه على بن إبراهيم القمى التى ينقلها فى تفسيره، و قد لاحظنا فى هذه الروايه أنها الأفضل من حيث المتن و المضمون الذى يتناسق مع الآيات القرآنيه.

فى روايه على بن إبراهيم عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن أصحاب الكهف و الرقيم كانوا فى زمن ملك جبار عات، و كان يدعو أهل مملكته إلى عباده الأصنام فمن لم يجبه قتله، و كانوا هؤلاء قوما مؤمنين يعبدون الله عزّ و جلّ، و وكل الملك بباب المدينة و كلاء و لم يدع أحدا يخرج حتى يسجد للأصنام، فخرج هؤلاء بعله الصيد، و ذلك أنهم مرّوا برّاع فى طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبههم و كان مع الراعى كلب، فأجابهم الكلب و خرج معهم، فقال الصادق عليه السلام: لا يدخل الجنة من البهائم إلا ثلاثه حمار بلعم بن باعور، و ذئب يوسف عليه السلام و كلب أصحاب الكهف.

فخرج أصحاب الكهف من المدينة بعله الصيد هربا من دين ذلك الملك، فلما أمسوا دخلوا إلى ذلك الكهف، و الكلب معهم فألقى الله عزّ و جلّ عليهم النعاس، كما قال الله تبارك و تعالى: فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِتْرِينَ عَمَدًا فَنَامُوا حَتَّى أَهْلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ الْمَلِكَ وَ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ وَ ذَهَبَ ذَلِكَ الزَّمَانُ، و جاء زمان آخر و قوم

ص: ٢٣٧

آخرون ثم انتبهوا، فقال بعضهم لبعض: كما نمناها هنا فنظروا إلى الشمس قد ارتفعت فقالوا: نمنا يوما أو بعض يوم. ثم قالوا لواحد منهم: خذ هذه الورق و ادخل في المدينة متكررا لا يعرفوك فاشتر لنا، فإنهم إن علموا بنا و عرفونا قتلونا أو ردونا في دينهم، فجاء ذلك الرجل فرأى المدينة بخلاف الذي عهداها، و رأى قوما بخلاف أولئك لم يعرفهم و لم يعرفوا لغتهم، و لم يعرف لغتهم، فقالوا له: من أنت و من أين جئت، فأخبرهم فخرج ملك تلك المدينة مع أصحابه، و الرجل معهم حتى وقفوا على باب الكهف، فأقبلوا يتطلعون فيه فقال بعضهم: هؤلاء ثلاثه و رابعهم كلبهم، و قال بعضهم: هم خمسة و سادسهم كلبهم، و قال بعضهم: هم خمسة و سادسهم كلبهم، و قال بعضهم: هم سبعة و ثامنهم كلبهم، و حجبه الله عزّ و جلّ بحجاب من الرعب فلم يكن أحد يقدم بالدخول عليهم غير صاحبهم فإنه لما دخل عليهم وجدهم خائفين أن يكون أصحاب [الملك]

«دقيانوس» شعروا بهم، فأخبرهم صاحبهم أنهم كانوا نائمين هذا الزمن الطويل، و أنهم آيه للناس، فبكوا و سألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا، ثم قال الملك: «ينبغي أن يبني هنا مسجد و نزوره، فإن هؤلاء قوم مؤمنون».

و هنا أضاف الإمام عليه السّلام: فلهم في كل سنه نقله، نقلتان، ينامون سته أشهر على جنبهم الأيمن، و سته أشهر على جنبهم الأيسر، و الكلب معهم قد بسط ذراعيه بفناء الكهف» (1).

و

في روايه أخرى عن الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السّلام ورد حديث مفصّل عن قصّه أصحاب الكهف مفاده ما يلي:

لقد كان هؤلاء في الأصل سته نفر اتخذهم (دقيانوس) وزراءه، فأقام ثلاثه عن يمينه و ثلاثه عن يساره، و اتخذ لهم عيدا في كل سنه مرّه، فبينما هم ذات يوم في عيد و البطارقه عن يمينه و الهراقله عن يساره، إذ أتاه بطريق فأخبره أنّ

ص: ٢٣٨



عساكر الفرس قد غشيتہ، فاغتَمَ لذلك حتى سقط التاج عن رأسه، فنظر إليه أحد الثلاثة الذين كانوا عن يمينه و يقال له (تلميخا) فقال في نفسه: لو كان (ديقيانوس) إلها كما يزعم إذا ما كان يغتم و ما كان يبول و لا يتغوط، و ما كان ينام، و ليس هذا من فعل الإله.

و قد كان هؤلاء الوزراء الستة يجتمعون كل يوم عند أحدهم، و كانوا ذلك اليوم عند (تلميخا) فاتخذ لهم من طيب الطعام ثم قال لهم: يا إخوتاه، قد وقع في قلبي شيء منعى الطعام و الشراب و المنام. قالوا: و ما ذاك يا تلميخا؟ قال: أطلت فكري في هذه السماء فقلت من رفع سقفها محفوظه بلا عمد و لا علاقه من فوقها، و من أجرى فيها شمسا و قمرا، آيتين مبصرتين، و من زينها بالنجوم! ثم أطلت الفكر في الأرض فقلت: من سطحها على صميم الماء الزخار، و من حبسها بالجبال أن تميد على كل شيء؟ و أطلت فكري في نفسى من أخرجنى جنيينا من بطن أمى و من غداني و من ربّاني؟ إن لها صناعا و مدبرا غير (ديقيانوس الملك)، و ما هو إلا ملك الملوك و جبار السماوات.

فانكب الفتية (الوزراء) على رجليه يقبلونها و قالوا: بك هدانا الله تعالى من الضلاله إلى الهدى فأشر علينا. و هنا وثب (تلميخا) فباع تمرا من حائط له بثلاثة آلاف درهم و صرّها في ردائه و ركبوا خيولهم و خرجوا من المدينة، فلما ساروا ثلاثة أميال قال لهم تلميخا: يا إخوتاه جاءت مسكنه الآخرة و ذهب ملك الدنيا، انزلوا عن خيولكم و امشوا على أرجلكم لعلّ الله أن يجعل لكم من أمركم فرجا و مخرجا، فنزلوا عن خيولهم و مشوا على أرجلهم سبعة فراسخ في ذلك اليوم، فجعلت أرجلهم تقطر دما.

و هنا استقبلهم راع، فقالوا: يا أيها الراعى هل من شربه لبن أو ماء؟ فقال الراعى: عندى ما تحبون، و لكن أرى وجوهكم وجوه الملوك، و ما أظنكم إلا هزّابا من «ديقيانوس» الملك.

قالوا: يا أيها الراعى لا يحلّ لنا الكذب أ فينجينا منك الصدق؟ فأخبروه بقصّة تهم، فانكب الراعى على أرجلهم يقبلها ويقول: يا قوم لقد وقع فى قلبى ما وقع فى قلوبكم، ولكن أمهلونى حتى أردّ الأغنام على أربابها و ألحق بكم، فتوقفوا له، فردّ الأغنام، وأقبل يسعى يتبعه الكلب... فنظر الفتية (الوزراء) إلى الكلب وقال بعضهم: إنّنا نخاف أن يفضحنا بنباحه، فألحوا عليه بالحجاره، فأنطق الله تعالى جلّ ذكره، الكلب [قائلا]

ذرونى حتى أحرصكم من عدوّكم.

فلم يزل الراعى يسير بهم حتى علا- بهم جبلا- فانحطّ بهم على كهف يقال له (الوصيد) فإذا بفناء الكهف عيون أشجار مثمره فأكلوا من الثمر، وشربوا من الماء، و جنّهم الليل، فأووا إلى الكهف و ربض الكلب على باب الكهف و مدّ يديه عليه، فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت بقبض أرواحهم. (فأنامهم الله نوما طويلا و عميقا) (١).

و فيما يخص ديقيانوس قال بعض المفسّرين: إنّّه كان امبراطور الروم و حكم منذ عام ٢٤٩-٢٥١ ميلادى، و قد كان عدوا شديدا للمسيحيين، و كان يؤذيه و يعذبهم، و ذلك قبل اعتناق ملك الروم لدين المسيحيه.

## ٢- أين كان الكهف؟

للمفسّرين و العلماء كلام كثير حول أصحاب الكهف، أين كانت منطقتهم؟ و أين يقع الكهف الذى مكثوا فيه؟ و هنا ينبغى أن نلاحظ أنّه بالرغم من أنّ العثور على المكان الدقيق لهذه الحادته لا يؤثّر كثيرا على أصل القصّه و دروسها التربويه و أهميتها التاريخيه، و بالرغم من أنّ هذه القصّه ليست الوحيدة التى نعرف أصلها و لا- نعرف بعض جزئياتها و تفصيلاتها، إلا أنّ معرفه محل الحادث يساعدنا حتما فى فهم أكثر

ص: ٢٤٠

لخصوصيات هذه القصّة.

على أيه حال هناك قولان راجحان من بين الاحتمالات الكثيرة المطروحة عن مكان الكهف، يمكن أن نجملهما بما يلي:

أولاً: إنّ هذه الحادثة وقعت في مدينه (أفسوس) وهذا الكهف كان يقع بالقرب منها.

و يمكن في الوقت الحاضر مشاهدته خرائب هذه المدينه بالقرب من مدينه (أزمير) التركيّه، و بالقرب من قريه (أياصولوك) في جبال (ينايرداغ) حيث يوجد كهف لا يتعد كثيرا عن (أفسوس).

إنّ هذا الكهف هو غار وسيع، و يقال بأنّه يمكن في داخله مشاهدته آثار مئات القبور، و يعتقد الكثيرون بأنّ هذا الغار هو غار أصحاب الكهف.

و قد نقل من شاهد الكهف أنّ فتحه الغار باتجاه الشمال الشرقي، و قد كان هذا الموقع سببا في ترجيح شك بعض المفسرين الكبار بكون هذا المكان هو غير غار أصحاب الكهف، في حين أنّ هذا الوضع يؤيد صحة الموضوع و يرجح كون الغار هو الكهف المقصود لأنّ دلاله أن تكون الشمس عند الشروق على يمين الغار، و عند الغروب على يساره، هو أن تكون فتحه الغار باتجاه الشمال أو تميل قليلا نحو الشمال الشرقي.

بالطبع لا يقلل من صحة الموضوع عدم وجود مسجد أو معبد إلى جانبه، حيث يمكن أن تكون آثاره قد اندثرت بعد مرور حوالي (١٧) قرن على الحادث.

ثانيا: يقع الغار بالقرب من (عمّان) عاصمه الأردن، و بالقرب من قريه تسمّى «رجيب».

و يمكن مشاهدته آثار صومعه فوق الغار تعود -وفقا لبعض القرائن- إلى القرن الخامس الميلادي، حيث تحوّلت إلى مسجد ذي محراب و مثذنه بعد

ص: ٢٤١

سيطره المسلمون على ذلك المكان.

### ٣- الجوانب التربويه لقصه اهل الكهف

هذه القصة التاريخيه العجيبه التي يذكرها القرآن خاليه من أى خرافه أو وضع، وفيها العديد من الدروس التربويه البناءه، تماما كما فى قصص القرآن الأخرى، وإذا كنا قد أشرنا إلى هذه الدروس ضمن تفسير الآيات، فإننا نرى من الضرورى الآن أن نشير إليها بشكل مجمل حتى نقرب أكثر من الهدف الأساس للقرآن، وفيما يلي أبرز هذه الدروس:

أ: إن أول دروس هذه القصة هو تحطيم حاجز التقليد، والابتعاد عن التلون بلون المجتمع الفاسد. فهؤلاء الفتيه حافظوا- كما لا حظنا- على استقلالهم الفكرى فى قبال الأكتريه المنحرفه المحيطه بهم، وهذا الأمر أصبح سببا فى نجاتهم و تحررهم.

و ينبغي للإنسان أن يكون له تأثير بناء على مجتمعه لا أن يكون مسيرا له.

ب: الهجره من الأوساط المنحرفه درس آخر فى هذه القصة ذات العبر، فهم قد تركوا بيوتهم و حياتهم المرفهه المليئه بألوان النعم الماديه، و تركوا مناصبهم، و رضوا بأنواع الصعوبات و أشكال الحرمان- فى الغار الذى كان يفتقد كل شىء- لكى يحفظوا إيمانهم، و لا يكونوا من عوامل و أعوان جهاز الظلم و الجور و الكفر و الشرك (١).

ج: التقيه بمعناها البناء درس آخر نستفيدة من هذه القصة، لقد كانوا يصرون على عدم اطلاع أهل المدينه على حالهم و خبرهم، و احتاطوا ليبقى أمرهم و حالهم مخفيا، حتى لا يخسروا أنفسهم بدون سبب، و كى يتجنبوا أن يجبروا

ص: ٢٤٢

---

١-١) - من أجل المزيد من التفاصيل حول مسأله الهجره و فلسفتها فى الإسلام يمكن مراجعه ما جاء فى تفسير الآيه (١٠٠) من سوره النساء من تفسيرنا هذا.

على الرجوع إلى المحيط المنحرف الذي تخلّصوا منه.

و نحن نعرف أنّ التقيه ليست سوى أن يتكتم الإنسان على حقيقه أمره فى الأماكن و المواقف التى لا يرتجى منها فائده فى ذكر الحقيقه، بل تكون سببا للضرر. و التقيه وقايه للنفس و احتفاظ بقوّه الإنسان لوقت جهاد العدو حيث لا تقيه (1).

د: عدم وجود تفاوت بين الناس و هم فى طريق الله، فالوزير كان إلى جانب الراعى، بل كان الاثنان إلى جانب الكلب كان يقوم بالحراسه. و هذا درس آخر يتّضح من خلاله أنّ امتيازات الدنيا الماديه، و المناصب المختلفه ليس لها أدنى نصيب أو تأثير على تصنيف الناس من أهل الحق و سالكيه، إذ الكل فيه سواء..

إنّ طريق الحق هو طريق التوحيد، و طريق التوحيد هو طرق وحده جميع الناس.

ه: الإمدادات الإلهيه العجيبه عند ظهور المشاكل، هى نتيجه أخرى يجب الاعتبار بها، فقد رأينا كيف قام الخالق جلّ و علا بإنامه أصحاب الكهف كل تلك المدّه الطويله، من أجل إنقاذهم من تلك الظروف الاجتماعيه الصعبه التى كانت تحيط بهم.

و قد أيقظهم جلّ و علا فى الوقت المناسب، أى فى الوقت الذى أصبحوا رمزا من رموز التوحيد، و قد رأينا -كشكل من أشكال العنايه- كيف أنّ الله تعالى حفظ أجسادهم خلال هذه المدّه من تأثيرات الأحداث و العوامل المختلفه، و جعل من الرعب و الخوف أسلوبا للحفاظ عليهم فى قبال أعدائهم.

و: لقد تعلّمنا من أصحاب الكهف قيمه (طهاره الطعام) حتى فى أصعب الظروف و أدقّها، لأنّ طعام الإنسان له آثار عميقه فى روحه و فكره و قلبه، و عند ما يختلط الطعام بالحرام و النجاسه، يتعد الإنسان عن طريق الله؛ طريق

ص: ٢٤٣

---

١ - ١) - حول كون التقيه أسلوبا للدفاع و الوقايه، يمكن مراجعه ما ذكرناه لدى تفسير الآيه (٦٢) من سوره يونس من تفسيرنا هذا، و كذلك ملاحظه الملاكات الفقهيه لهذه المسأله فى كتابنا «القواعد الفقهيه».

ز: ضروره الاعتماد على مشيئه الله و طلب العون من لطفه تعالى: و قول (إن شاء الله) فى كل ما يتعلق بأمر المستقبل.. درس آخر نتعلمه من قصه أصحاب الكهف.

ح: لقد رأينا أنّ القرآن سمّاهم ب: (الفتية) فى حين أنّهم طبقا للروايات- لم يكونوا شبابا من حيث العمر، و إذا عرفنا أنّهم كانوا فى البدايه وزراء الملك الجبار، يتأكد لنا أنّهم لم يكونوا صغارا من حيث العمر. و لكن تسميه القرآن لهم ب: (الفتية) للدلاله على صفات الشهامه و الرشد و الطهر و الفتوه العفو و التسامح.

ط: ضروره النقاش المنطقى مع المعارضين درس آخر نستفيدة من قصه أصحاب الكهف، حيث إنّهم عند ما أرادوا دحض الشرك الذى عليه مجتمعهم، ذكروا أدله منطقيه قرأنا نماذج لها فى الآيات (١٥-١٦) من هذه السوره.

إنّ أساس عمل جميع الأنبياء و القاده الإلهيين مع أعدائهم و معارضين يستند فى العاده- إلى قاعده الحوار المنطقى و النقاش الحر. أمّا استخدام القوه لأجل القضاء على الفتنه فهو أمر يلجأ إليه عند ما تفشل الحججه فى أداء وظيفتها، أو عند ما يقوم الخصم بعرقله النقاش المنطقى.

ى: و أخيرا، فإنّ إمكانيه المعاد الجسمانى و عوده الناس إلى الحياه مرّه أخرى عند البعث، يعتبر عاشر و آخر درس نستفيدة من هذه القصه، و سنقرأ عنه تفصيلا فى بحوث قادمه إن شاء الله تعالى.

إنّنا لا نستطيع القول بأنّ الدروس التربويه فى قصه أصحاب الكهف تقتصر على ما ذكرناه، و لكننا نعتقد أنّه حتى لو كان هناك درس واحد نستفيدة من هذه القصه لكفانا ذلك، فكيف بنا و أمامنا هذه الدروس الكثيره؟! على أية حال، إنّ هدف القرآن ليس قص القصص لغرض التسليه، بل بناء الناس المقاومين المؤمنين الشجعان الواعين، و أحد الطرق لذلك هو ذكر نماذج أصيله مما حدث طوال التاريخ البشرى الملىء بالحوادث و المواقف.

#### ٤- هل أن قصه أصحاب الكهف علميه؟

من المسلم به أن قصه أصحاب الكهف لم تكن مذكوره فى أى من الكتب السماويه السابقه (سواء الكتب الأصليه أو المحرّفه الموجوده الآن) و يجب أن لا تذكر، لأنّ الحادته-طبقا للتأريخ العام- كانت قد وقعت فى القرون التى تلت ظهور المسيح عيسى عليه السّلام.

إنّ حادته أصحاب الكهف وقعت فى زمان «دكيوس» (التي تعرّب بديقيانوس) حيث تعرّض المسيحيون فى عصره إلى تعذيب شديد.

و يقول المؤرخون الأوربيون: إنّ هذه الحادته وقعت فى الفتره من ٤٩- ٢٥١ ميلادى، و بذلك يرى هؤلاء المؤرخون أنّ مدّه نوم أصحاب الكهف لم تستغرق سوى (١٥٧) سنه، و يطلقون عليهم لقب (النائمون السبعه لأفسوس) فى حين أنّهم يعرفون بيننا بأصحاب الكهف (١).

و الآمن لتعرف أين تقع (أفسوس) هذه؟ و من أوّل عالم كتب كتابا عن قصه هؤلاء السبعه النائمين؟ و فى أى قرن حصل ذلك؟ (أفسوس) أو (أفسس) بضم الألف و السين، هى واحده من مدن آسيا الصغرى (تركيا الحاليه التى هى جزء من مملكه الروم الشرقيه القديمه) و تقع بالقرب من نهر (كاستر) و على بعد (٤٠) ميلا تقريبا جنوب شرقى (أزمير) حيث كانت عاصمه الملك (الونى).

و قد اشتهرت (أفسوس) بسبب معبدها الوثنى المعروف بـ «أرطاميس» الذى يعتبر أحد عجائب الدنيا السبع (٢).

و يقولون: إنّ قصه أصحاب الكهف شرحت لأول مرّه فى رساله باللغه السريانيه كتبها عالم مسيحي يسمى (جاك) الذى كان رئيسا للكنيسه السوريه،

ص: ٢٤٥

١- ١) - أعلام القرآن، ص ١٥٣.

٢- ٢) - الكلام مقتبس من كتاب «قاموس الكتاب المقدّس»، ص ٨٧.

و ذلك في القرن الخامس الميلادي، ثم شخص آخر يسمّى «جوجويوس» بترجمه تلك الرساله إلى اللاتينيه و سمّها ب«جلال الشهداء» (١). و هذا الأمر يبيّن أنّ الحادثه كانت معروفه بين المسيحيين قبل قرن أو قرنين من ظهور الإسلام، و كانت الكنائس تهتم بها.

بالطبع بعض أحداث هذه القصّه-مثل مدّه نوم أصحاب الكهف-تختلف عمّا ورد في المصادر الإسلاميه، فالقرآن يقول-و بصراحه-بأنّ نومهم كان (٣٠٩) سنه.

من جانب ثان و طبقا لما ينقله ياقوت الحموي في معجم البلدان (المجلد الثاني ص ٨٠٦) و طبقا لما ينقله «ابن خردادبه» في كتاب «المسالك و الممالك» (صفحه ١٠٦-١١٠) و طبقا-أيضا-لما يقوله ابو ريحان البيروني في الصفحه (٢٩٠) من كتاب «الآثار الباقية»: إنّ مجموعه من السّواح القدماء قد وجدوا غارا في مدينه (آبس) فيه بعض الأجساد المتيسه، و قد احتملوا أنّ هذه الآثار تتعلق بقصّه أصحاب الكهف.

من سياق الآيات القرآنيه في سوره الكهف، و أسباب التّزول المذكوره في المصادر الإسلاميه، نستفيد أنّ الحادثه كانت أيضا معروفه بين علماء اليهود، و أنّها كانت عندهم حادثه تاريخيه مشهوره. و بذلك يتّضح-بدقه-أنّ قصّه النوم الطويل لأصحاب الكهف وردت في المصادر التاريخيه للأقوام المختلفه (٢).

و هنا قد يشك البعض في طول المده التي قضاها أصحاب الكهف في نومهم، و يعتبر أنّ ذلك لا-ينطق مع المعايير العلميه، لذلك يضعها في قسم الأساطير و القصص الخرافيه (!! و الذرائع التي يستند إليها هؤلاء هي:

أولا: إنّ هذا العمر الطويل أمر غير مألوف في حياه الأشخاص العاديين

ص: ٢٤٦

١-١) -أعلام القرآن، ص ١٥٤.

٢-٢) -المعاد و العالم بعد الموت، ص ١٦٣-١٦٥.



المستيقظين، فكيف يصح تصوره لناس نيام؟! ثانيا: إذا اقتنعنا بهذا العمر الطويل بالنسبة للأشخاص العاديين الذين يمارسون الحياه بشكل طبيعي، فإن ذلك غير ممكن بالنسبة للنائمين، لأن هناك مشكله الطعام و الشراب، إذ كيف يمكن للإنسان أن يبقى طيله هذه المده بدون طعام أو شراب، و إذا افترضنا مثلا- أن الإنسان يحتاج يوميا إلى كيلو غرام واحد من الطعام أو لتر واحد من الماء، فإن أصحاب الكهف كانوا بحاجة، أثناء نومهم، إلى (١٠٠) طن من الطعام و(١٠٠٠٠٠٠) لتر من الماء، و من الطبيعي أن الجسم لا يستطيع خزن كل هذه الأحجام و الكميات من الماء و الطعام.

ثالثا: إذا تجاوزنا كل الأمور السابقه، فسوف تكون أماننا مشكله جديده، و هي أن جسم الإنسان لا يستطيع أن يبقى كل هذه الفتره الطويله من دون أن تتأثر أجهزته و تتضرر بأضرار فادحه.

إن هذه الأمور قد تبدو للوهله الأولى مانعا من التصديق بقصه أصحاب الكهف، في حين أن الأمر ليس كذلك، إذ يمكن مناقشه الأمور السابقه وفقا لما يلي:

أولا- لا- تعتبر قضيه العمر الطويل قضيه غير علميه، حيث أننا نعلم أن طول عمر أى كائن حى ليس لها من الوجهه العلميه ميزان ثابت من حيث المده و العمر، بحيث يكون موت الكائن عند هذا الحد المفترض أمرا حتميا.

بعبارة أخرى: صحيح أن الطاقه الجسميه للإنسان مهمما بلغت فهى محدوده و لا بد أن تنتهى، إلا أن هذا الكلام لا يعنى أن جسم الإنسان- أو أى كائن حى آخر- ليست له قابليه البقاء أكثر من المقدار المألوف و المتعارف عليه.

أى إن المسأله ليست كالقوانين الطبيعيه، فمثلا- الماء يغلى فى درجه حراره (١٠٠) مئويه و يتجمد فى درجه الصفر المئوى، فكذلك الإنسان إذا وصل إلى عمر المائه سنه أو المائه و خمسين سنه فإن قلبه سيتوقف عن العمل.

إنّ المسأله ليست على هذه الشاكلة، بل إنّ ميزان طول عمر الكائنات الحيه يرتبط ارتباطا كبيرا بوضعهم المعيشى، فعند ما تتغير الظروف بالكامل تكون الموازين قابله للتغيير هى الأخرى.

و الدليل على ما نقول، هو أنّنا لم نر أحدا من علماء العالم قد حدّد ميزانا معيناً لعمر الإنسان، و من جانب ثان استطاعوا من خلال تجارب مختبريه من زياده عمر بعض الكائنات إلى الضعفين، أو الثلاثه فى بعض الأحيان، و استطاعوا فى أحيان أخرى أن يفعلوا ذلك بنسبه (١٢) مرّه أو أكثر قياسا للعمر المألوف.

و اليوم فإنّ هؤلاء العلماء يأملون بأن الإنسان يمكنه- فى المستقبل و مع ظهور أساليب علميه جديده- أن يعيش عدّه أضعاف عمره الطبيعى.

هذا فيما يخص أصل قضيه طول العمر.

ثانيا: أمّا فيما يخص الطعام و الشراب أثناء فتره النوم الطويل، فنقول: إنّ نوم أصحاب الكهف لو كان عاديا و طبيعيا فنستطيع عندها أن نقبل بالإشكالات و الاعتراضات السابقه. أمّا من الوجهه العلميه فإنّ الأصول العلميه تقول: إنّ حاجه الجسم إلى الطاقه الغذائيه أثناء النوم أقل من حاجته إليها اليقظه، إلّا- أنّ الجسم مع ذلك لا يستطيع أن يدّخر ما يلزمه من طاقه غذائيه لنوم طويل كنوم أصحاب الكهف.

و هنا ينبغى الالتفات إلى أنّ هناك أنواعا من النوم فى عالم الطبيعه تكون فيها حاجه الجسم إلى الغذاء قليله للغاية، كما فى حاله السبات مثلا.

### حاله السبات:

هناك العديد من الأحياء تنام فى فصل الشتاء و يسمّى نومها علميا ب«السبات».

فى هذا النوع من النوم تتوقف فعاليات الحياه تقريبا، و تكون بأضعف حاله.

فالقلب يتوقف عن العمل تقريبا، وبعباره أصبح تكون ضرباته قليلة للغاية بحيث لا يمكن الإحساس بها أبدا.

في هذه الحالات يمكن تشبيه الجسم بالفرن العظيم الذى لا تبقى فيه بعد انطفائه سوى شعله أو شمعته صغيره دائبه الإشتغال. و واضح أنّ الطاقه التى تحتاجها هذه الأفران (من النفط أو غير) للاشتعال الطبيعى يعادل ما تحتاجه الشمعه الصغيره من طاقه للاشتعال، لعشرات أو مئات السنين. (يمكن أن نطبق المثال على ما نحن فيه فتكون حاله اشتعال الفرن الطبيعى فى شبيهه بحاله اليقظه، أمّا حاله اشتعال الفرن على الشعله الصغيره فقط فهى شبيهه بحاله السبات و النوم الطويل).

من جهه أخرى يقول العلماء عن سبات بعض الأحياء: إنّنا إذا أخرجنا إحدى الزواحف و هى فى حاله سبات، فسوف نراها و كأنّها ميتة، فلا هواء فى رئتيها، و ضربات القلب ضعيفه بحيث لا يمكن الإحساس بها. و من بين الحيوانات ذات الدم البارد نستطيع أن نعدّد الفراشات و الحشرات و الحلزون و الزحافات و كلها تقوم بحاله السبات. كما أنّ بعض الحيوانات ذات الأثديه (ذات الدم الحار) تقوم بالسبات أيضا. و فى فتره السبات تكون الفعاليات الحياتيه ضعيفه للغاية، و تقوم الحيوانات السابته باستهلاك المواد الدهنيه المخزونه بالجسم بالتدريج» (١).

المقصود من كل هذا العرض هو أن نقول: إنّ هناك نوعا من النوم تكون الحاجه فيه إلى الطعام قليله جدّا، و قد تصل النشاطات الحياتيه فى مثل هذه الحاله إلى درجه الصفر.

و بالمناسبه، نذكر هنا أنّ هذا الأمر يساعد فى منع تلاشى أعضاء الجسم أو تضرّر الأجهزة الجسميه، و يعين -أيضا- على طول عمر الكائن الحى.

ص: ٢٤٩

---

(١ - ١) - اقتباس عن دائره المعارف الفارسيه الجديده، ماده (سبات).

إن السبات بالنسبة للحيوانات التي لا تستطيع الحصول على غذائها فرصه ثمينه للغاية لكي تديم حياتها عن هذا الطريق.

### نموذج آخر: دفن المراضين

فيما يخص المراضين يشاهد أنّ بعضهم يتمّ وضعه بالتابوت و يدفن أحيانا تحت التراب لمدّه أسبوع، و ذلك أمام عيون المشاهدين الحيارى التي لا- تكاد تصدّق ما ترى، و بعد أن تنتهى المدّه المقرّره يتمّ إخراجه و يجرى له التدليك و التنفس الاصطناعى حتى يعود إلى حالته الطبيعیه.

و حتى لو افترضنا أن حاجه أجسادهم إلى الطعام غير ملّحه، فإنّ الحاجه إلى الأوكسجين حاجه مهمّه للغاية و لا يمكن للجسم التخلّى عنها، إذا نعرف هنا أنّ حساسیه الخلايا المخيه للأوكسجين و حاجتها إليه كبيره للغاية، بحيث إذا حرمت منها لبضعه دقائق فإنّها ستتلف.

و الآن يتساءل: كيف يتحمّل الشخص المراض قله الأوكسجين مثلا لمدّه قد تصل إلى حدود الأسبوع؟ الجواب على هذا السؤال- و مع مراعاة ما ذكرناه قبل قليل- ليس بالأمر الصعب، ففي هذه المدّه تتوقف (تقريباً) الفعاليات الحياتيه لجسم المراض، لذا فإنّ حاجه الخلايا للأوكسجين و استهلاكها لها ستقل بشدّه، بحيث أنّ الهواء الموجود فى فضاء التابوت يكفى فى هذه المدّه لتغذيه الخلايا.

### تجميد جسم الإنسان و هو حى:

اليوم ثمة نظريات كثيره حول تجميد جسم الأحياء بما فيهم الإنسان (لزياده العمر) و قد تمّ تنفيذ قسم من هذه النظريات فى الوقت الحاضر.

طبقا لهذه النظريات، فإنّه عند وضع جسم الإنسان أو أى حيوان فى درجه

حراره تحت الصفر-بأسلوب خاص-فإن حياته ستتوقف بدون أن يموت.و بعد مده معينه يوضع الكائن فى درجه حراريه معينه حيث يرجع إلى الحاله العاديه.

و قد تم اقتراح مجموعه حالات من هذه الحاله للإفاده منها فى الرحلات الفضائيه إلى الكواكب البعيده التى يستغرق الوصول إليها مئات أو آلاف السنين، حيث يتم تجميد أجسام رواد الفضاء فى محفظه خاصه،و بعد سنين طويله، و عند الاقتراب من الكواكب المعنيه ترجع الحراره العاديه إلى تلك المحفظه بشكل أوتوماتيكى،و عندها سيعود هؤلاء الرواد إلى حالتهم العاديه دون أن يحدث أى ضرر لهم.

ذكرت إحدى المجلات العلميه أن كتابا صدر مؤخرا حول تجميد جسم الإنسان بهدف إطاله عمره بقلم «روبرت نيلسون»و كان لهذا الكتاب صدى واسع فى عالم المعرفه.ففى مقاله التى نشرتها تلك المجله فى هذا المجال،ذكر الكاتب أنه تم أخيرا إضافه فرع علمى جديد إلى الفروع العلميه الأخرى،يتكفل التخصص فى هذا المجال.

و نقرأ فى تلك مقاله أيضا:«لقد كانت الحياه الأبديه-على طول التاريخ- حلما من الأحلام الذهبيه و القديمه للإنسان،و فى الوقت الحاضر فقد تحقق هذا الحلم،و السبب يعود إلى التقدم العجيب لعلم حديث يسمى (كريونيك)و هو علم يرسل الإنسان إلى عوالم الانجماد،و يحفظه على شكل جسد منجمد على أمل أن يستطيع العلماء إعادته يوما إلى الحياه مره أخرى.

هل يمكن تصديق هذا الكلام؟هناك العديد من العلماء البارزين الذين يقومون بالتفكير فى هذا الأمر من جوانبه المختلفه.و هناك نشریات كثيره تقوم ببحث هذا الموضوع مثل (لايف)و(اسكواير) و الصحف العالميه فى مختلف أنحاء العالم.و الأهم من ذلك أن هناك برنامج فى هذا المجال هو قيد التنفيذ فى

لقد أعلنت الصحف قبل مدّه عن اكتشاف سمكّه منجمده بين ثلوج القطب الشمالي يعود عمرها إلى آلاف السنين، كما تبين ذلك من طبقات الثلج القشريه، و بعد أن وضعت السمكّه في ماء معتدل عادت إلى حياتها الطبيعيه و بدأت بالحركه وسط دهشه الجميع.

و يتّضح من ذلك أنّ الأجهزه الحياتيه لا- تتوقف بالكامل في حالات الانجماد،و لكن في هذه الظروف التي لا يمكن معها ممارسه الحياه الطبيعيه يصبح عمل تلك الأجهزه بطيئاً للغاية.

و من مجموع هذه الأحاديث يتبين أنّه بالإمكان إيقاف الحياه أو تعويق حركتها بشده و البحوث العلميه دعمت إمكانية ذلك من جوانب مختلفه.و في مثل هذه الحاله يصل استهلاكك البدن للطعام لدرجه الصفر تقريبا،و بذا يكفيه المخزون القليل المدّخر في الجسم لإدامه الحياه البطيئه لسنوات طويله.

و يجب أن لا يفسّر كلامنا هذا بأننا نستهدف انكار الجانب الإعجازى في نوم أصحاب الكهف،بل نريد أن نقرب الأمر للأذهان من وجهه نظر العلم. إذ من المحتم أنّ نوم أصحاب الكهف لم يكن نوما عاديا كمنامنا في الليل،لقد كان نومهم ذا جنبه استثنائيه،لذلك فلا- عجب في نوم هؤلاء هذه المدّه الطويله (بإرادته الله)من دون أن يكونوا بحاجة إلى الشراب و الطعام،و من دون أن تتضرّر أجسامهم و أجهزتهم الحيويه.

و الطريف في الأمر أنّنا نستفيد من آيات سوره الكهف أنّ طبيعه نومهم كانت تختلف عن النوم العادى: وَ تَحَسَّبُهُمْ أَيَقَاطًا وَ هُمْ رُقُودٌ... لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَ لَمَلَّيْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا (٢). إنّ هذه الآيه تدل على أن نومهم لم

ص: ٢٥٢

١-١) -مجلة«دانشمند»،عدد ٤٧،ص ٤.

٢-٢) -الكهف،١٨.

يكن نوما عاديا، بل هو أشبه ما يكون بحاله الميت. (ذى العيون المفتوحه).

إضافه إلى ذلك تفيد آيات السوره أنّ نور الشمس لم يكن يشع داخل كهفهم، ولأنه من المحتمل أن يكون الكهف فى جبال آسيا الصغرى، و فى منطقه بارده، فإنّ ذلك يعدّ مؤشرا على الحاله الاستثنائيه لنومهم، و من جانب آخر فإنّ القرآن يقول: وَ نُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشُّمَالِ (١).

و من الآيه يتبين أنّهم لم يكونوا على حاله واحده، و أنّ هناك عوامل و قوى غيبية خفيه غير واضحه لنا كانت تقلبهم نحو اليمين و اليسار (احتمالا فى كل سنه مره واحده) حتى لا تتضرّر أجسامهم.

و الآن و بعد أن اتّضحت الجوانب العلميه فى هذا البحث، فإنّ المعاد لم يعد يحتاج إلى كلام كثير، لأنّ اليقظه بعد ذلك النوم الطويل تشبه الحياه بعد الموت و تقربّ إلى الأذهان قضيه المعاد (٢).

ص: ٢٥٣

١-١) -الكهف، ١٨.

٢-٢) -لتفاصيل أكثر يراجع كتاب: المعاد و الحياه بعد الموت.

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)



يروى المفسرون فى سبب نزول الآيات الأولى فى هذا المقطع من سورة الكهف المباركه وَ اضْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ... أَنْ مجموعته من أشرف قريش و من المؤلفه قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قالوا له: يا رسول الله، إن جلست فى صدر المجلس و نحيت عنا هؤلاء و روائح صنانهم (كانت عليهم جباب الصوف) (1) جلسنا نحن إليك، و أخذنا عنك، لأنه لا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء.

لقد كان هؤلاء الأشراف و المؤلفه قلوبهم يقصدون فى كلامهم المستضعفين و الفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من أمثال سلمان الفارسى و أبى ذر الغفارى و صهيب و عمّار بن ياسر و خباب و غيرهم ممن كان على شاكلتهم، إذ كان هؤلاء ممن التفّ حول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، ممن قربه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إليه.

لذلك اشترط الأشراف على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن يطرد أمثال هؤلاء الفقراء عن مجلسه و نعتوهم بشتى النعوت.

و هنا نزلت الآية الكريمة على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: وَ اضْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاهِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ... فلما نزلت الآية قام النبى صلى الله عليه و آله و سلم يلتمسهم فأصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون الله عزّ و جلّ، فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من أمتى. معكم المحيا و معكم الممات».

## التفسير

### إشارة

### الحفاه الأظهار!

من الدروس التى نستفيدها من قصّه أصحاب الكهف أنّ مقياس قيمه البشر

ص: ٢٥٥

---

١ - ١) - هذه الصفات أطلقها أشرف قريش و المؤلفه قلوبهم على المستضعفين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كأبى ذر و غيره.

ليست بالمنصب الظاهري أو بالثروه، بل عند ما يكون المسير في سبيل الله يتساوى الوزير والراعى، والآيات التى نبحتها تؤكد هذه الحقيقه المهمه و تعطى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذا الأمر: **وَ اصْبِرْ نَفْسِكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاهِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** إن استخدام تعبير **اصْبِرْ نَفْسِكَ** هو إشاره إلى حقيقه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد تعرض إلى ضغط الأعداء المستكبرين والمشركين حتى يبعد عنه مجموع المؤمنين الفقراء، لذلك جاء الأمر الإلهي بالصبر والاستقامه أمام هذا الضغط المتزايد وأن لا يستسلم له. إن استخدام تعبير **بِالْغَدَاهِ وَالْعَشِيِّ** إشاره إلى أنهم كانوا دائما وأبدا يذكرون الله.

أما استخدام مصطلح **يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** (١) فهو دليل على إخلاصهم وإشاره إلى أنهم يعبدون الله لذاته لا طمعا بالجنه (بالرغم من نعمها الكبيره والتمينه) ولا خوفا من الجحيم وعذابه (بالرغم من شدته عذابها) بل يعبدون الله لأجل ذاته المنزهه، وهذه أعلى مرتبه فى الطاعه والعبوديه والحب والإيمان بالله تعالى.

ثم تستمر الآيات مؤكده خطابها للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: **وَلَا تَغْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** (٢) فلا تنظر إلى هؤلاء المستكبرين بدل المستضعفين من أجل بهارج الدنيا وزخارفها.

ثم من أجل التأكيد مجددا يقول تعالى: **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا**.

**وَ اتَّبِعْ هَوَاهُ**

و المطيع لاهوائه النفسيه، والمفرط فى أفعاله دائما

ص: ٢٥٦

١ - ١) - فيما يخص معنى (وجه) و أنها تأتي فى بعض الأحيان بمعنى (الذات) و أحيانا بمعنى (وجه الإنسان) و فى سبب انتخاب ذلك فى هذه الموارد.. فيما يخص كل ذلك يمكن مراجعه ما كتبناه مفصلا لدى تفسير الآيه (٢٧٢) من سوره البقره فى تفسيرنا هذا.

٢ - ٢) - (لا تعد) مأخوذه من كلمه «عدا يعدو و...» و هى بمعنى تجاوز الشئ و بدأ يصبح مفهوم الجملة (لا تبعد عينيك عنهم كى تنظر إلى الآخرين).

الطريف هنا أن القرآن وضع هاتين المجموعتين في مقابل بعضهما من حيث الصفات، و كان الأمر كما يلي:

مؤمنون حقيقيون إلا أنهم فقراء، و لهم قلوب مملوءة بحب الله، يذكرونه باستمرار و يسعون إليه.

الأغنياء المستكبرون الغافلون عن ذكر الله، و الذين لا يتبعون سوى هواهم، و خارجون عن حد الاعتدال في كل أمورهم و يفرطون و يسرفون.

إن الموضوع -أعلاه- من الأهمية بمكان، بحيث أن القرآن يقول للرسول صلى الله عليه و آله و سلم -بصراحة- في الآية التي بعدها: **وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ**.

و لكن اعلّموا أن هؤلاء عباد الدنيا الذين يسخرون من الألبسة الخشنه التي يرتديها أمثال سلمان و أبي ذر خاصه، و الذين يعيشون حياه مرفهه باذخه و مليئه بالزينه، ستنتهى عاقبتهم إلى سوء و ظلام و عذاب: **إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا**.

نعم، إنهم كانوا اعطشوا في هذه الدنيا كان الخدم يجلبون لهم أنواع المشروبات، و لكنهم عند ما يطلبون الماء في جهنم يوتى إليهم بماء كالمهل: **وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ (٢)**.

يُنَسَّ السَّرَابُ

ثُمَّ وَ سَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٣).

ص: ٢٥٧

١- ١) -«فرط» تعنى التجاوز عن الحد، و كل شىء يخرج عن حدّه و يتحول إلى إسراف يقال له (فرط).

٢- ٢) -«مهمل» على وزن «فعل» و هى تعنى كما يقول الراغب فى المفردات: هى المقدار المترسب من الدهن و الذى يكون عاده ملوثا بأشياء و سحخه و رديئه الطعم، إلا أن بعضا آخر من المفسرين يقولون بأنّها تعنى أى معدن مذاب. و الظاهر أن تعبير (يشوى الوجوه) يرجح المعنى الثانى.

٣- ٣) -«مرتفق» من كلمه «رفق و رفيق» بمعنى محل اجتماع الأصدقاء.

تصوروا هل يمكن شرب الماء الذى إذا اقترب من الوجه فإن حرارته ستشوى الوجه؟ إن ذلك بسبب أنهم شربوا فى الدنيا أنواع المشروبات المنعشه و الباردة، فى حين أنهم أجاجوا فى قلوب المحرومين نيرانا، إن هذه النار هى نفسها التى تجسدت فى الآخره بهذا الشكل.

و الطريف فى أمر هؤلاء أن القرآن ذكر لهم بعض «التشريفات» وهم فى جهنم. لقد كان لهؤلاء فى حياتهم الدنيا (سرادق) عاليه و باذخه ليس فيها نصيب للفقراء، و هذه السرادق ستحوّل إلى خيام عظيمه من لهيب نار جهنم! و فى هذه الدنيا تتوفر لديهم أنواع المشروبات التى تحضر بين أيديهم بمجرد مناداه الساقى، و فى جهنم يوجد أيضا ساق و أشربه، أما ما هو نوع الشراب؟ إنّه ماء كالمعدن المذاب! حرارته كحراره دموع اليتامى و آهات المستضعفين و الفقراء الذين ظلمهم هؤلاء الأغنياء! نعم، إن كل ما هو موجود هناك (فى الآخره) هو تجسيد لما هو موجود هنا (فى الدنيا).

و بما أن أسلوب القرآن أسلوب تربوى و تطبيقى، فإنّه بعد ما بين أوصاف و جزاء عبيد الدنيا، ذكر حال المؤمنين الحقيقيين و جوائزهم الثمينه الغاليه التى تنتظرهم جزاء ما فعلوا. لقد أجملت الآيه كل ذلك بشكل مختصر، ثم بشكل تفصيلى نوعا ما.

ففى البدء قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أَى إِنَّا لَا نَضِيعُ أَعْمَالِ الْعَامِلِينَ قَلِيلَهُ كَانَتْ أَوْ كَثِيرَهُ، كَلِيهِ أَوْ جَزِئِيهِ، وَ مِنْ أَى شَخْصٍ وَ فَى أَى عَمْرٍ كَان:**

**أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ**

(الجنات الخالده).

**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ**

(من تحت الأشجار و القصور).

**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ**

(١)

ص: ٢٥٨

وَيَلْبَسُونَ لِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ

(من حرير ناعم و سميك).

مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَْائِكِ

(١)

نَعَمِ الثَّوَابِ

وَحَسَنَتْ مُرْتَفَقًا

(و حسنت مجمعا للأحبه).

بحوث

إشاره

### ١- الروح الطبقية مشكله اجتماعيه كبيره

ليست الآيات الآنفه الذكر-وحدها-تحارب تقسيم المجتمع إلى مجموعتين من الأغنياء و الفقراء، بل إننا نجد الكثير من الآيات القرآنيه الأخرى، ممّا ذكرنا سابقا أو سنذكرها لاحقاً، تؤكد جمعها على هذا الموضوع.

إنّ المجتمع الذى تكون فيه مجموعه(و هى أقلية فى الغالب)مرفهه و غارقه فى الإسراف و التبذير و ملوثة بأنواع المفساد، سيكون فى مقابل هؤلاء مجموعه أخرى،هم الأكثرية التى لا تملك أبسط وسائل الحياه الإنسانيه.و مثل هذا المجتمع يرفضه الإسلام و ليس مجتمعاً إنسانياً.

مثل هذا المجتمع سوف لا يرى الاستقرار أبداً،و سوف يلقى الاستعمار و الاستكبار و أشكال الظلم و العبوديه بضلال عليه.و غالباً ما تقوم الحروب الداميه فى مثل هذه المجتمعات و لا تنتهى الاضطرابات فيها أبداً.

و من الطبيعى أن يتساءل المرء عن أسباب تكّدس النعم الإلهيه بيد حفنه معدوده من الناس و بدون سبب،بينما الأكثرية تعيش الفقر و الألم و العذاب

الأصل مأخوذه من كلمه فارسيه عزّبت و اشتقت منها الأفعال العربيّه.

ص: ٢٥٩

---

١ - ١) - «أرائك» جمع «أريكه» و تطلق على السرير الذى تكون جوانبه جميعا مغطاه، و هى فى الأصل - كما يقول الراغب - مأخوذه من (أراك) و هى شجره معروفه كان العرب يصنعون منها مظله؛ أو من (أروك) بمعنى الإقامه و التوقف.

و المرض؟ إن مثل هذا المجتمع يكون مملوءا-حتما-بالكراهيه و الحسد و الكبر و العدا و الغرور و الظلم و التكبر، و كل عوامل الفساد الأخرى.

و لو دققنا النظر فى تاريخ الثبوت لرأينا أن الأنبياء عليهم السلام بأجمعهم، و خصوصا رسول الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم واجهوا هذا النظام المنحرف و الظالم و رموزه من الأغنياء الظالمين من أجل تأمين عوامل الاستقرار داخل المجتمع.

فى مثل هذه المجتمعات طبقه تكون جلسات و اجتماعات المترفين منفصله عن مجالس الفقراء، و أماكنهم، و كذا الحال بالنسبه لمراكز الترفيه و ما إلى ذلك. (هذا إذا كان الفقراء يملكون فى الأصل مراكز للترفيه). ثم إن العادات و التقاليد تختلف بين المجموعتين تماما.

إن هذا الانفصال المجافى للروح الإنسانيه، و روح كل القوانين السماويه، لن يتحملها أى رجل إلهى. و قد كان مثل هذا الوضع حاكما بشده فى المجتمع العربى الجاهلى، حتى كان هؤلاء يعتبرون التفاف الفقراء من أمثال سلمان و أبو ذر حول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من أكبر العيوب (!! ) و لكن لم يعلم هؤلاء الأغنياء أن قلوب الفقراء هؤلاء مملوءه بحب الله و الإيمان و بصفات الشهامه و الإيثار.

فى المجتمع الجاهلى الذى عاصر النبى المصلح نوح عليه السلام، قال المترفون من المملأ- عبيد الدنيا مخاطبين نوحا عليه السلام: لماذا اتبعك الذين هم أراذلنا (على حد قولهم) و لقد حكى القرآن اعتراضهم هذا فى الآية (٢٧) من سوره هود فى قوله تعالى: فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَ مَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا .

و هكذا نرى أن عبيد الدنيا و أتباع الهوى هؤلاء يرفضون الجلوس-حتى للحظات-قرب الفقراء المؤمنين! و لاحظنا-أيضا- كيف أن رسول الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم بطرده للمجموعه الأولى

(الأغناء المترفين) وتقريبه للمجموعه الثانيه (الفقراء المؤمنين) شكّل مجتمعا توحيدا بمعنى الكلمه،مجتمعا تفجّرت فيه الطاقات الكامنه،و أصبحت فيه معايير الشخصيه و القيم و النبوغ،هى التقوى و العلم و الإيمان و الجهاد و العمل الصالح.

و اليوم ما لم نسع لبناء مثل هذا المجتمع و الاقتداء بالنموذج الإسلامى الذى شيده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى عهده،و بدون نبذ الفكر الطبقي من العقول عن طريق التعليم و الترييه و تدوين القوانين الصحيحه و السهر على تنفيذها بدقه- بالرغم من رفض الاستكبار العالمى و تعويقه لذلك-فسوف لن نملك مجتمعا إنسانيا سليما أبدا.

## ٢-المقارنه بين الحياه فى هذا العالم و عالم الآخره:

لقد قلنا مرارا:إنّ تجسّد الأعمال هو من أهم القضايا المرتبطه بالمعاد.يجب أن نعلم أنّ ما هو موجود فى ذلك العالم هو انعكاس واسع و متكامل لهذا العالم، فأعمالنا و أفكارنا و أساليبنا الاجتماعيه و صفاتنا الأخلاقيه المختلفه سوف تتجسّد أمامنا فى ذلك العالم و ستبقى قرينه لنا دائما.

الآيات-أعلاه-دليل حى على هذه الحقيقه،فالمترفون الظالمون الذين كانوا يعيشون فى هذه الدنيا فى ظل سرادق عاليه،و كانوا سكارى بهواهم،وسعوا إلى فصل كل شىء يخصّيهم عن المؤمنين الفقراء،هؤلاء يملكون فى ذلك العالم أيضا(سرادق)ولكنّها من النار الحارقه،لأنّ الظلم فى حقيقته نار حارقه تحرق الحياه و تذرّوا آمال المستضعفين المظلومين.

هناك يشربون من شراب يجسّد باطن شراب الدنيا،و هو بالنسبه للظالمين الطغاه شراب من دماء قلوب المحرومين،و مثل هذا الشراب يقدّم للظالمين فى ذلك العالم،و هو لا يحرق أمعاءهم و أحشاءهم فحسب،بل يكون كالمعدن



المذاب الذى يشوى الوجوه قبل شربه من شدّه حرارته.

و على العكس من ذلك أولئك الذين تركوا الشهوات فى سبيل حفظ طهاره وجودهم و رعايه أصول العداله، و الذين اقتنعوا بحياه بسيطه، و تحمّلوا كل الصعوبات و المنغصات فى هذه الدنيا من أجل تنفيذ أصول العداله.. هؤلاء تنتظرهم هناك بساتين الجنّه مع الأنهار الجاريه، و أفضل أنواع الزينه و أفخر الألبسه، و أحبّ المجالس. و هذا فى الواقع تجسيد لنياتهم النزيهه حيث كانوا يريدون كل الخير لجميع عباد الله.

### ٣-العلاقه بين عبادته الهوى و الغفله عن الله

الروح الإنسانيه تخضع إمّا لله تعالى أو للأهواء، حيث لا- يمكن الجمع بين الإثنين، فعباده الأهواء أساس الغفله عن الله و عبادته الله، عبادته الهوى هى سبب الابتعاد عن جميع الأصول الأخلاقيه؛ و أخيرا فإنّ عبادته الهوى تدخل الإنسان فى ذاته و تبعده عن جميع حقائق العالم.

إنّ الإنسان الذى يعبد هواه لا- يفكر إلا- فى إشباع شهواته، و لا يوجد لديه معنى للفتوّه و العفو و الإيثار و التضحيه و الشيم المعنويه الأخرى.

و قد أوضحت الآيات محل البحث الربط و العلاقه بين الإثنين بشكل جلى فى قوله تعالى: **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَ كَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا .**

لقد طرحت الآيه أوّلا (الغفله) عن الله تعالى، ثمّ ذكرت بعدها (اتباع الهوى)، و الطريف أنّ نتيجة هذا الأمر هو الإفراط و بالشكل المطلق الذى ذكرته الآيه.

لماذا يكون عابد الهوى مصابا بالإفراط دائما؟ قد يكون السبب أنّ الطبيعه الإنسانيه تتجه فى المملذات الماديه نحو الزيادة دوما، فالذى كان يشعر بالنشوه بمقدار معين من المخدرات، لا يكفيه نفس

المقدار فى اليوم التالى لبلوغ نفس درجه النشوه، بل عليه زياده الكميّه بالتدريج، والشخص الذى كان يكفيه فى السابق قصر واحد مجهّز بجميع الإمكانيات و بمساحه عدّه آلاف بين الأمتار، يصبح اليوم إحساسه بهذا القصر عاديا، فينشد الزياده. و هكذا فى جميع مصاديق الهوى و الشهوه حيث أنّها دائما تنشد الزياده حتى تهلك الإنسان نفسه.

#### ٤- ملابس الزينه فى العالم الآخر

قد يطرح البعض هذا السؤال: لقد ذمّ الله تعالى الزينه و التزيّن فى القرآن بالنسبه لهذه الحياه، إلاّ أنّه يعدّ المؤمنين بمثل هذه الأمور فى ذلك العالم، إذ تنص الآيات على الذهب و ملابس الحرير و الإستبرق و السرر المساند الجميله؟ قبل الإجابه على هذا السؤال ينبغى أن نوضّح بأننا لا- نوافق على توجيه هذه الكلمات على أنّها كنايه عن مفاهيم معنويه و يفسّرون الآيات على هذا الأساس، لقد تعلمنا من القرآن الكريم أنّ المعاد ذو جانبين: معاد روحانى و معاد جسمانى.

و على هذا الأساس، فإنّ لذات ذلك العالم يجب أن تكون موجوده فى المجالين، و اللذات الروحيه-طبعًا-لا يمكن مقايستها باللذات الجسميه. و لكن لا بدّ من الاعتراف بأننا لا نعرف من نعم ذلك العالم سوى أشباح بعينه، و نسمع كلاما يشير إليها.

لماذا؟ لأنّ نسبه ذلك العالم إلى عالمنا هذا كنسبه عالمنا إلى عالم الجنين فى بطن الأم، فإذا قدّر للأم أن تقيم رابطه بينها و بين الجنين، فلا يسعها إلاّ أن توضح للجنين بالإشارات جمال هذه الدنيا بشمسها الساطعه و قمرها المنير، و العيون الفوّاره، و البساتين و الورود و ما شابهها، حيث لا توجد ألفاظ كافيه لتبيان كل هذه المفاهيم للجنين فى رحم الأم كي يفهمها و يستوعبها.

كذلك فإنّ النعم الماديه و المعنويه لعالم الآخره لا يمكن توضيحها لنا بشكل

كامل و نحن محاصرون فى أبعاد رحم هذه الدنيا.

و مع وضوح هذه المقدمه نجيب على السؤال و نقول: إن ذم الله عز اسمه لحياء الزينه و الترف فى هذه الدنيا يعود إلى أن محدوديه هذا العالم تسبب أن تقترن الزينه و الترف مع أنواع الظلم و الانحراف الذى يكون بدوره سببا للغفله و الانقطاع عن الله.

إن الاختلافات التى تبرز خلال هذا الطريق ستكون سببا للحقد و الحسد و العداوه و البغضاء، و أخيرا إراقة الدماء و الحروب.

أمّا فى ذلك العالم اللامحدود من جميع الجهات، فإنّ الحصول على هذه الزينه لا- يسبّب مشكله و لا يكون سببا للتمييز و الحرمان، و لا للحقد و النفره، و لا يبعد الإنسان عن الله فى ذلك المحيط المملوء بالمعنويات حيث لا حسد و لا تنافس و لا كبر و لا غرور تؤدى ابتعاد خلق الله عن الله، كما فى زينه الحياه الدنيا.

فإذا كان الحال كذلك فلما ذا يحرم أهل الجنه من هذه المواهب و العطايا الإلهيه التى هى لذات جسميه إلى جانب كونها مواهب معنويه كبيره!

#### ٥- الاقتراب من الأثرياء بسبب ثروتهم:

الدرس الآخر الذى نتعلمه من الآيات الآنفه، هو أنّه يجب علينا أن لا نمتنع عن إرشاد و توجيه هذه المجموعه-أو تلك- بسبب كونها ثريه أو ذات حياه مرفهه، بل إنّ الشئ المذموم هو أن نذهب لهؤلاء لأجل ثروتهم و دنياهم الماديه، و نصيح مصداقا لقوله تعالى: تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَمَا إِذَا كَانَ الْهَدَفُ هُوَ الْهَدَايَةِ وَ الْإِرْشَادُ، أَوْ حَتَّى الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ إِمْكَانِيَاتِهِمْ مِنْ أَجْلِ تَنْفِيذِ النِّشَاطَاتِ الْإِيجَابِيَةِ وَ الْمَهْمَةِ اجْتِمَاعِيَا، فَانْ مِثْلَ هَذَا الْهَدَفِ لَا يُعْتَبَرُ غَيْرَ مَذْمُومٍ وَ حَسْبٍ، بَلْ هُوَ وَاجِبٌ.

اشاره

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَ حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَ لَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَ فَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَ كَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَ هُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَ أَعَزُّ نَفْرًا (٣٤) وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَنْ رُدُّدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦)

التفسير

اشاره

تجسيد لموقف المستكبرين من المستضعفين:

في الآيات السابقة رأينا كيف أن عبيد الدنيا كانوا يحاولون الابتعاد في كل شيء عن رجال الحق و أهله المستضعفين، ثم عرّفنا الآيات جزاءهم في الحياه الأخرى.

الآيات التي نبحثها تشير إلى حادثه اثنين من الأصدقاء أو الإخوه الذين

يعتبر كل واحد منهم نموذجا لإحدى المجموعتين، و يوضحان طريقه تفكير و قول و عمل هاتين المجموعتين.

فى البدايه تخاطب الآيات الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فتقول: وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَ حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا .

البستان و المزرعه كان فيهما كل شىء: العنب و التمر و الحنظه و باقى الحبوب، لقد كانت مزرعه كامله و مكفيه من كل شىء: كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَ لَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا .

و الأهم من ذلك هو توفر الماء الذى يعتبر سر الحياه، و أمرا مهما لا غنى للبستان و المزرعه عنه، و قد كان الماء بقدر كاف: وَ فَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا .

على هذا الأساس كانت لصاحب البستان كل أنواع الثمار: وَ كَانَ لَهُ ثَمَرٌ .

و لأن الدنيا قد استهوته فقد أصيب بالغرور لضعف شخصيته و رأى أن الإحساس العميق بالأفضليه و التعالى على الآخرين، حيث التفت و هو بهذه الحاله إلى صاحبه: فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَ هُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَ أَعَزُّ نَفَرًا .

بناء على هذا فأنا أملك قوه إنسانيه كبيره و عندى مال و ثروه، و أنا أملك - أيضا- نفوذا و موقعا اجتماعيا، أما أنت (و الخطاب لصاحبه) فما ذا تستطيع أن تقول، و هل لديك ما تتكلم عنه؟! لقد تضخّم هذا الإحساس و نما تدريجيا- كما هو حاله- و وصل صاحب البستان إلى حاله بدأ يظن معها أنّ هذه الثروه و المال و الجاه و النفوذ إنّما هى أمور أبدية، فدخل بغرور إلى بستانه (فى حين أنه لا- يعلم بأنّه يظلم نفسه) و نظر إلى أشجاره الخضراء التى كادت أغصانها أن تنحنى من شدّه ثقل الثمر، و سمع صوت الماء الذى يجرى فى النهر القريب من البستان و الذى كان يسقى أشجاره، و بغفله قال: لا أظن أن يفنى هذا البستان، و بلسان الآيه و تصوير القرآن الكريم:

وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا

بل عمد إلى ما هو أكثر من هذا، إذ بما أنّ الخلود في هذا العالم بتعارض مع البعث و المعاد، لذا فقد فكّر في إنكار القيامة و قال: **وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً** و هذا كلام يعكس و هم قائله و تمنياته! ثمّ أضاف! حتى لو فرضنا وجود القيامة فإنّني بموقعي و وجهتي سأحصل عند ربّي- إذا ذهبت إليه- على مقام و موقع أفضل. لقد كان غارقاً في أوهامه و لئن رُدِدْتُ إلى ربّي لأجدنَّ خيراً منها مُنْقَلَبًا .

لقد أخذ صاحب البستان ضمن حاله النفسية التي يعيشها و التي صورها القرآن الكريم، يضيف إلى نفسه في كل فتره و هما بعد آخر من أمثال ما حكّت عنه الآيات آنفاً، و عند هذا الحد انبرى له صديقه المؤمن و أجابه بكلمات يشرحهما لنا القرآن الكريم.

ص: ٢٦٧

اشاره

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ  
بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَا لَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ لِمَ شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَبِّيًا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ لَمَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن  
يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١)

التفسير

اشاره

جواب المؤمن:

هذه الآيات هي ردّ على ما نسجه من أوهام ذلك الغنى المغرور العديم الإيمان، نسمعها تجرى على لسان صاحبه المؤمن.

لقد بدأ الكلام بعد أن ظلّ صامتاً يستمع إلى كلام ذلك الرجل ذى الأفق الضيق و الفكر المحدود، حتى ينتهي من كلامه، ثم قال له: قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ

يُحَاوِرُهُ أَكْفَرْتِ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا

و هنا قد يثار هذا السؤال، و هو: إنَّ كلام ذلك الرجل المغرور المتكبر الذى مرَّ ذكره فى الآيات الآنفه، لم يصرَّح فيه بإنكار الحقِّ جَلٍّ و علاءٍ فى حين أنَّ جواب الإنسان المؤمن ركز فيه أوْلاً- على إنكاره للخالق؟! لذلك فإنَّه وَّجَّه نظره أوْلاً إلى قضيه خلق الإنسان التى هى من أبرز أدله التوحيد و التوجُّه نحو الخالق العالم القادر. الله الذى خلق الإنسان من تراب، حيث امتصت جذور الأشجار المواد الغذائية الموجوده فى الأرض، و الأشجار بدورها أصبحت طعاما للحيوانات، و الإنسان استفاد من هذا النبات و لحم الحيوان، و انعقدت نطفته من هذه المواد، ثم سلكت النطفه طريق التكامل فى رحم الأم حتى تحوَّلت إلى إنسان كامل، الإنسان الذى هو أفضل من جميع موجودات الأرض، فهو يفكر و يصمّم و يسخر كلَّ شىء لأجله.

نعم، إنَّ هذا التراب عديم الأهميه يتحوَّل إلى هذا الموجود العجيب، مع هذه الأ-جهازه المعقده الموجوده فى جسم الإنسان و روحه، و هذا من الدلائل العظيمه على التوحيد.

و فى الجواب على السؤال المثار ذكر المفسِّرون تفاسير معتدده نجملها فيما يلى:

١- قالت مجموعه منهم: بما أنَّ هذا الرجل المغرور أنكر بصراحه المعاد و البعث أو شكك فيه، فإنَّه يلزم من ذلك إنكار الخالق، لأنَّ منكر المعاد الجسمانى ينكر فى الواقع قدره الله، و لا- يصدِّق بأنَّ هذا التراب المتلاشى سوف تعود له الحياه مرّه أخرى، لذا فإنَّ الرجل المؤمن مع ذكره للخلق الأوَّل من تراب، ثمَّ من نطفه، ثمَّ بإشارته للمراحل الأخرى- أراد أن يلفت نظره إلى قدره غير المتناهيه للخالق حتى يعلم بأنَّ قضيه المعاد يمكن مشاهدتها هنا و تمثُّلها بأعيننا فى واقع هذه الأرض.



٢- وقال آخرون: إن شركه و كفره كانا بسبب ما رآه لنفسه من استقلال في المالكيه و ما تصوره من دوام و أبدية هذه الملكيه.

٣- الاحتمال الثالث أنه لا يبعد أن يكون الرجل قد أنكر الخالق في بعض كلامه و لم يذكر القرآن هذا المقطع من كلامه. و قد يتوضح الأمر بقرينه جواب الرجل المؤمن، لذا نرى في الآية التي بعدها أن الرجل المؤمن قال لصاحب البستان ما مضمونه: إن كنت أنكرت وجود خالقك و سلكت طريق الشرك، إلا أنني لا أفعل ذلك أبدا.

على أى حال، ثمه علاقه واضحه تربط بين الاحتمالات الثلاثه، و يمكن أن يكون كلام الرجل المؤمن الموحّد إشاره الى هذه الاحتمالات جميعا.

ثم عمّد الرجل الموحّد المؤمن إلى تحطيم كفر و غرور ذلك الرجل (صاحب البستان) فقال: لِكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي (١). و إنني أفتخر بهذا الإعتقاد و أتباهى به، إنك تفتخر بأنك تملك بستانا و مزرعه و فواكه و ماء كثيرا؛ إلا أنني أفتخر بأن الله ربّي، إنّه خالقى و رازقى؛ إنك تتباهى بدنياك و أنا أفتخر بعقيدتى و إيمانى و توحيدى:

وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا

و بعد أن أشار إلى قضيه التوحيد و الشرك اللذين يعتبران من أهم المسائل المصيريه، جدّد لومه لصاحبه قائلا: وَ لَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ (٢).

فلما ذا لا تعتبر كل هذه النعم من الخالق جلّ و علا، و لماذا لم تشكره عليها.

و لماذا لم تقل: لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

فإذا كنت قد هيأت الأرض و بذرت البذور و زرعت الغرس و ربيت الأشجار، و فعلت كلّ شىء فى وقته المناسب حتى وصل الأمر إلى ما وصل إليه؛

ص : ٢٧٠

١- ١) - كلمه (لكنّا) فى الأصل كانت (لكن إن) ثم دمجت و أصبحت هكذا.

٢- ٢) - جمله ما شاء الله لها محذوف إذ تكون مع التقدير: ما شاء الله كان، أو: ما شاء الله، فإنّ هذا هو الشىء الذى يريدّه الله.

فإن كل هذه الأمور هي من قدره الخالق جلّ و علا، وقد وضع سبحانه و تعالى الوسائل و الإمكانيات تحت تصرفك، حيث أنك لا تملك شيئاً من عندك، و بدونه تكون لا شيء! ثم يقول له: ليس من المهم أن أكون أقل منك مالا و ولدا: إن ترن أنا أقل منك مالا و ولداً .

فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ

و ليس فقط أن يعطيني أفضل ممّا عندك، بل و يرسل صاعقه من السماء على بستانك، فتصبح الأرض الخضراء أرض محروقة جرداء: وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا .

أو أنه سبحانه و تعالى يعطى أوامره إلى الأرض كي تمنعك الماء: أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا .

«حسبان» على وزن «لقمان» و هي فى الأصل مأخوذة من كلمه «حساب»، ثم وردت بعد ذلك بمعنى السهام التى تحسب عند رميها، و تأتى أيضا بمعنى الجزء المرتبط بحساب الأشخاص، و هذا هو ما تشير إليه الآية أعلاه.

«صعيد» تعنى القشره التى فوق الأرض. و هي فى الأصل مأخوذة من كلمه صعود.

«زلق» بمعنى الأرض الملساء بدون أى نباتات بحيث أن قدم الإنسان تنزلق عليها (الطريف ما يقوم به الإنسان اليوم حيث تتم عمليه تثبيت الأرض و الرمال المتحركة، و منع القرى من الاندثار تحت هذه الرمال عند هبوب العواصف الرملية، و ذلك من خلال زراعتها بالنباتات و الأشجار، أو- كما يصطلح عليه- إخراجها من حال الزلق و الانزلاق).

فى الواقع، إن الرجل المؤمن و الموحّد حذر صديقه المغرور أن لا يطمأن لهذه النعم، لأنها جميعا فى طريقها إلى الزوال و هي غير قابله للاعتماد.

إنه أراد أن يقول لصاحبه: لقد رأيت بعينيك-أو على الأقل سمعت بأذنك- كيف أنّ الصواعق السماويه جعلت من البساتين و البيوت و المزروعات-و خلال لحظه واحده-تلاً من التراب و الدمار و أصبحت أرضهم يابسه عديمه الماء و الكلاً.  
و أيضاً سمعت أو رأيت بقيام هذه أرضيه تطمس الأنهار و تجفّف العيون، بحيث تكون غير قابله للإصلاح و الترميم.  
و بمعرفتك لكل هذ الأمور فلم هذا الغرور؟! أنت الذى شاهدت أو سمعت كل هذا، فلم هذا الانشداد للأرض و الهوى؟ ثم لماذا تقول: لا أعتقد أن تزول هذه النعم و أنها باقيه و خالده؛ فلما ذا هذا الجهل و البلاهه!!!؟

ص: ٢٧٢

اشاره

وَ أَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّهُ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)

التفسير

اشاره

العاقبه السوداء:

أخيرا انتهى الحوار بين الرجلين دون أن يؤثر الشخص الموحد المؤمن في أعماق الغنى المغرور،الذين رجع إلى بيته و هو يعيش نفس الحاله الروحيه و الفكرية،و غافل أن الأوامر الإلهيه قد صدرت بإباده بساتينه و مزروعاته الخضراء،و أنه وجب أن ينال جزاء غروره و شركه في هذه الدنيا،لتكون عاقبه عبره للآخرين.

و يحتمل أن العذاب الإلهي قد نزل في تلك اللحظه من الليل عند ما خيم الظلام،على شكل صاعقه مميته أو عاصفه هو جاء مخيفه،أو على شكل زلزال مخزب و مدمر.و أيا كان فقد دمّرت هذه البساتين الجميله و الأشجار العاليه

و الزرع المثمر، حيث أحاط العذاب الإلهي بتلك المحصولات من كل جانب:

وَ أَحِيطَ بِشَمْرِهِ

«أحيط» مشتق من «إحاطه» و هي في هذه الموارد تأتي بمعنى (العذاب الشامل) الذي تكون نتيجته الإبادة الكامله.

و عند الصباح جاء صاحب البستان و تدور في رأسه الأحلام العديده ليتفقد و يستفيد من محاصيل البستان، و لكنه قبل أن يقترب منه واجهه منظر مدهش و موحش، بحيث أن فمه بقي مفتوحا من شدة التعجب، و عيناه توقفتا عن الحركة و الاستداره.

لم يكن يعلم بأن هذا المنظر يشاهده في النوم أم في اليقظه! الأشجار جميعها ساقطه على التراب، النباتات مدمره، و ليس ثمه أى أثر للحياه هناك! كان الأمر بشكل و كأنه لم يكن هناك بستان و لا أراضى مزروعه، كانت أصوات (البوم) -فقط- تدوى في هذه الخرائب، قلبه بدأ ينبض بقوه، بهت لونه، يبس الماء في فمه، و تحطم الكبرياء و الغرور اللذان كانا يثقلان نفسه و عقله.

كَانَهُ صَحَا مِنْ نَوْمٍ عَمِيقٍ: فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا .

و في هذه اللحظه ندم على أقواله و أفكاره الباطله: وَ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا .

و الأكثر حزنا و أسفا بالنسبه له هو ما أصبح عليه من الوحده في مقابل كل هذه المصائب و الابتلاءات: وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ .

و لأنه فقد ما كان يملكه من رأس المال و لم يبقى لديه شيء آخر، فإن مصيره: وَ مَا كَانَ مُنْتَصِرًا .

لقد انهارت جميع آماله و ظنونه الممزوجه بالغرور، لقد أدت الحادثه إلى انتهاء كل شيء، فهو من جانب كان يقول: إننى لا أصدق بأن هذه الثروه العظيمه

من الممكن أن تفنى، إلا- أنني رأيت فناءها بعيني! و من جانب آخر فقد كان يتعامل مع رفيقه المؤمن بكبر و يقول: إننى أقوى منك و أكثر أنصارا و مالا، و لكنّه بعد هذه الحادّته اكتشف أن لا أحد ينصره! و من جانب ثالث فإنّه كان يعتمد على قوته و قدرته الذاتيه، و يعتقد بأنّ غير قدرته محدوده، لكنّه بعد هذه الحادّته، و بعد أن لم يكن بمقدوره الحصول على شىء، انتبه إلى خطئه الكبير، لأنّه لم يعد يملك شيئا يعوضه جانبا من تلك الخساره الكبرى.

و عاده، فإنّ الأصدقاء الذين يلتفون حول الإنسان لأجل المال و الثروه مثلهم كمثل الذباب حول الحلوى، و قد يفكّر الإنسان أحيانا بالاعتماد عليهم فى الأيام الصعبه، و لكن عند ما يصاب فيما يملك يتفرق هؤلاء الخلان من حوله، لأنّ صداقتهم له لم تكن لرابط معنوى، بل كانت لأسباب ماديه، فإذا زالت هذه الأسباب انتفت الرفقه! و هكذا انتهى كل شىء و لا ينفع الندم، لأنّ مثل هذه اليقظه الإجباريه التى تحدث عند نزول الابتلاءات العظيمه يمكن ملاحظتها حتى عند أمثال فرعون و نمرود، و هى بلا قيمه، لهذا فإنّها لا تؤثر على حال من ينتبه.

صحيح أنّه ذكر عباره لم أشرك برّبى أحداً و هى نفس الجمله التى كان قد قالها له صديقه المؤمن، إلا أنّ المؤمن قالها فى حاله السلامه و عدم الابتلاء، بينما ردّها صاحب البستان فى وقت الضيق و البلاء.

هَذَاكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ

نعم، لقد اتضح أنّ جميع النعم منه تعالى، و أنّ كل ما يريدته تعالى يكون طوع إرادته، و أنّه بدون الاعتماد على لطفه لا يمكن إنجاز عمل: هُوَ خَيْرٌ تَوَاباً وَ خَيْرٌ عُقْباً .

إذن، لو أراد الإنسان أن يحب أحدا و يعتمد على شىء ما، أو يأمل بهديه من

شخص ما، فمن الأفضل أن يكون الله سبحانه محط أنظاره، و موقع آماله، و من الأفضل أن يتعلق بلطفه تعالى و إحسانه.

## بحثان

### إشارة

#### ١- غرور الثروه

فى هذه القصيه نشاهد تجسيدا حيا لما نطلق عليه اسم غرور الثروه، و قد عرفنا أنّ هذا الغرور ينتهى أخيرا إلى الشرك و الكفر. فعند ما يصل الأفراد الذين يعيشون حياتهم بلا- غايه و هدف إيمانى إلى منزله معينه من القدره المالىه أو الوجاهه الاجتماعيه، فإنهم فى الغالب يصابون بالغرور. و فى البدايه يسعون إلى التفاخر بإمكاناتهم على الآخرين و يعتبرونها وسيله تفوق، و يرون من التفاف أصحاب المصالح حولهم دليلا على محبوبيتهم، و قد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: **أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَ أَعَزُّ نَفَرًا**.

و يتبدل حب هؤلاء للدينيا تدريجيا بفكره الخلود فيها: **مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا**.

إنّ ظنهم بخلود ثرواتهم الماديه يجعلهم ينكرون المعاد للتضاد الواضح بين ما هم فيه و بين مبدأ البعث و المعاد، فيكون لسان حالهم: **وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً**.

و الأنكى من ذلك هو أنّهم يعتبرون مقامهم و وجاهتهم فى هذه الدنيا دليلا- على قرب مقامهم من محضر القدس الإلهى، فيقولون: **وَلَيْسَ رُدُّدْتُ إِلَيَّ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا**.

هذه المراحل الأربع نجدها واضحه فى حياه أصحاب القدره من عبيد الدنيا، مع فوارق نسيبه فيما بينهم، فيبدأ مسيرهم الانحرافى من الاغترار بما

لديهم من قوه و قدره، و يتصاعد انحرافهم إلى الشرك و عباده الأصنام و الكفر و إنكار المعاد، لأنهم يعبدون القدره الماديه و يجعلونها صنما دون سواها.

-٢-

## دروس و عبر

هذا المصير المقترن بالعبره و الذى ذكر هنا بشكل سريع يتضمّن بالإضافه إلى الدرس الآنف، دروسا أخرى ينبغى أن نتعلمها، و هذه الدروس هي:

أ: مهما كانت نعم الدنيا الماديه كبيره و واسعه، فإنّها غير مطمئنه و غير ثابتة، فصاعقه واحده تستطيع فى ليله أو فى لحظات معدوده أن تبيد البساتين و المزارع التى يكمن فيها جهد سنين طويله من عمر الإنسان، و تحيلها إلى تل من تراب و رماد و أرض يابسه زلقه.

إنّ زلزه واحده خفيفه يمكن أن تقضى على العيون الفوّاره التى هى الأصل فى هذه الحياه، بالشكل الذى لا يمكن معه ترميمها أبدا.

ب: إنّ الأصدقاء الذين يلتفون حول الإنسان بغرض الإفاده من إمكاناته الماديه هم بدرجه من اللامبالاه و على قدر من الغدر و الخيانه بحيث أنّهم يتخلّون عنه فى نفس اللحظه التى تزول فيها إمكاناته الماديه و يتركونه وحيدا لهمومه: وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ .

هذا النوع من الأحداث الذى طالما سمعنا و رأينا له نماذج تبرهن على أنّ الإنسان لا يملك سوى التعلق باللّه وحده، و أنّ الأصدقاء الحقيقيين و الأوفياء للإنسان هم الذين تصنعهم الروابط و العلائق المعنويه، إذ يستمر وّد هؤلاء فى حال الفقر و الثروه، فى الشباب و الشيبه، فى الصحه و المرض، فى العز و الذله، بل و تستمر مودّه هؤلاء إلى ما بعد الموت! ج: لا فائده من الصحوه بعد نزول البلاء:

لقد أشرنا مرارا إلى أنّ اليقظه الإجباريه لدى الإنسان ليست دليلا على يقظه

ص: ٢٧٧



داخليه حقيقه هاديته، وليست علامه على تغيير مسير الإنسان، أو ندمه على أعماله السابقه و على ما كان فيها من معصيه و انحراف، بل كل ما فى الأمر هو أنّ الإنسان عند ما ينزل بساحته البلاء أو يرى عمود المشنقه، أو تحيط به أمواج البلاء و العواصف، فهو يتأثر للحظات لا- تتعدى مده البلاء و يتخذ قرارا بتغيير مصيره، و لكن لأنه لا يملك أساسا متينا فى أعماقه، فإنه بانتهاه البلاء يغفل عن صحوته هذه و يعود إلى خطئه و مسيره الأول.

لو تأملنا الآية (١٨) من سوره النساء لرأينا من خلالها أنّ أبواب التوبه تغلق أمام الإنسان عند رؤيه علائم الموت، و سبب هذا الأمر هو ما ذكرناه أعلاه.

و فى الآيات (٩٠-٩١) من سوره يونس يقول القرآن حول فرعون عند ما صار مصيره إلى الغرق و عصفت به الأمواج، فإذا به يصرخ و يقول: آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَّا أَن هَذِهِ التَّوْبَةُ تَرُدُّ عَلَيْهِ وَلَا تَقْبَلُ مِنْهُ:

الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ ! د: لا الفقر دليل الذله و لا الثروه دليل العزه:

و هذا درس آخر نتعلمه من الآيات أعلاه، طبيعى أنّ المجتمعات الماديه و المذاهب النفعيه غالبا ما تتوهم بأن الفقر و الثروه هما دليل الذله و العزه، لهذا السبب لاحظنا أنّ مشركى العصر الجاهلى يعجبون من يتم رسول الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم و فقره و يقولون: وَقَالُوا لَوْ لَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (١).

ه: أسلوب تحطيم الغرور:

عند ما تبدأ بواعث الغرور تقترب من الإنسان و تناجى أعماقه بسبب المال و المنصب، فيجب عليه أن يقطع تلك الوسوسه من جذورها، عليه أن يتذكر ذلك اليوم الذى كان فيه ترابا لا قيمه له، و ذلك اليوم الذى كان فيه نطفه لا قيمه لها، عليه أن يعي اللحظه التى كان فيها وليدا ضعيفا لا يقدر على الحركة.

ص: ٢٧٨:

لاحظنا القرآن في الآيات الآنفه كيف يعيد من خلال خطاب الرجل المؤمن، صاحب البستان إلى وضعه العادى: أَ كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا .

و:درس من عالم الطبيعه:

القرآن عند ما يصف البساتين المثمره يقول: وَ لَمْ تَظَلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَ لَكِنَّهُ عِنْدَ مَا يَتَحَدَّثُ عَنِ صَاحِبِ الْبَسْتَانِ يَقُولُ: وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ .

يعنى:أيها الإنسان،أنظر إلى الوجود من حولك،و لا حظ أن هذه الأشجار المثمره و الزراعه المباركه كيف آتت كل ما عندها بأمانه و قدمته لك،فلا مجال عندها للاحتكار و الحسد و البخل،فعالم الوجود هو ساحه للإيثار و البذل و العفو، فما تمتلكه الأرض تقدمه بإيثار إلى الحيوانات و النباتات،و تضع الأشجار و النباتات كل ثمارها و مواهبها فى إختيار الإنسان و الأحياء الأخرى،و قرص الشمس يضعف يوما بعد آخر و هو يشع النور و الدفء و الحراره،الغيوم تمطر و الرياح تهب،للتسع أمواج الحياه فى كل مكان.

هذا هو نظام الوجود،و لكنك أيها الإنسان تريد أن تكون سيد الوجود و مع ذلك تسحق قوانينه الثابته البيئه.فتكون رقعته نشاز غير متناسقه فى عالم الوجود تريد أن تستحوذ على كل شىء و تصادر حقوق الآخرين!

ص: ٢٧٩

اشاره

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَخَتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَالِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦)

التفسير

اشاره

بدايه و نهايه الحياه فى لوحه حيه:

الآيات السابقه تحدّثت عن عدم دوام نعم الدنيا، ولأنّ إدراك هذه الحقيقه لعمر بطول (٦٠-٨٠) سنه يعتبر أمرا صعبا بالنسبه للأفراد العاديين، لذا فإنّ القرآن قد جسّد هذه الحقيقه من خلال مثال حى و معبر كى يستيقظ الغافلون المغرورون من غفلتهم و نومهم عند ما يشاهدون تكرار هذا الأمر عدّه مرّات خلال عمرهم.

يقول تعالى: وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ هَذِهِ الْقَطْرَاتِ الْوَاهِبَةَ لِلْحَيَاةِ تَسْقُطُ عَلَى الْجِبَالِ وَالصَّحْرَاءِ، وَتَعِيدُ الْحَيَاةَ لِلْبُدُورِ

المستعدده الكامنه فى الأرض المستعدده بدورها، لتبدأ حركتها التكامليه.

إن الطبقة الخارجيه السميكة للبذور تلين قبال المطر، و تسمح للبراعم فى الخروج منها، و أخيرا تشق هذه البراعم التراب و تخترقه، الشمس تشع، النسيم يهب، المواد الغذائيه فى الأرض تقدم ما تستطيع، تتقوى البراعم بسبب عوامل الحياه هذه ثم تواصل نموها، بحيث- بعد فتره- نرى أن نباتات الأرض تتشابهك فيما بينها: فَأَحْتَلَطَ بِهِ لَبِأُ الْأَرْضِ .

الجبل و الصحراء يتحولان إلى قوه حياتيه دافعه، أمّا البراعم و الفواكه و الأوراد فإنها تزيّن الأغصان، و كأنّ الجميع يضحك، يصرخون صراخ الفرح، يرقصون فرحا! لكن هذا الواقع الجذاب لا يدوم طويلا، حيث تهب رياح الخريف و تلقى بغبار الموت على النباتات، يبرد الهواء، و تشح المياه، و لا تمضى مدّه حتى يمسى ذلك الزرع الجميل الأخضر ذو الأغصان المورقه، ميتا و يابسا: فَأُصْبِحَ هَشِيمًا (١) .

تلك الأوراق التى لم تتمكن العواصف الهوجاء من فصلها عن الأغصان فى فصل الربيع، قد أصبحت ضعيفه بدون روح بحيث أن أى نسيم يهب عليها يستطيع فصلها عن الأغصان و يرسلها إلى أى مكان شاء: تَذْرُوهُ الرِّيحُ (٢) .

نعم: وَ كَانَ اللَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا .

الآيه التى بعدها تذكر وضع المال و الثروه و القوه الإنسانيه اللذين يعتبران ركنين أساسيين فى الحياه الدنيا، حيث تقول: أَلْمَالُ وَ الْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

إن هذه الآيه- فى الحقيقه- تشير إلى أهم قسامين فى رأسمال الحياه حيث ترتبط الأشياء الأخرى بهما، إنها تشير إلى (القوه الاقتصاديه) و (القوه الإنسانيه)

ص: ٢٨١

١- ١) -«هشيم» من «هشم» بمعنى محطّم، و هى هنا تطلق على النباتات المتيبسه و المتحطّمه.

٢- ٢) -«تذروه» من «ذرو» و تعنى التشتيت.

لأن وجودهما ضروري لتحقيق أى هدف مادي، خاصه فى الأزمنه السابقه إذ كان من يملك أبناء أكثر يعتبر نفسه أكثر قوه، لأنّ الأبناء هم ركن القوه، وقد وجدنا فى الآيات السابقه أنّ صاحب البستان الغنى كان يتباهى بأمواله و أعوانه على الآخرين و يقول: **أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَ أَعَزُّ نَفَرًا .**

لذا فإنهم كانوا يعتمدون على «البنين» جمع (ابن) و المقصود به الولد الذكر، حيث كانوا يعتبرون الولد رأسمال القوه الفعّاله للإنسان، و بالطبع ليس للبنات نفس المركز أو المقام.

المهم أنّ المالَ وَ البُنُونَ بمثابه الورد و البراعم الموجوده على أغصان الشجر، إنّها تزول بسرعه و لا تستمر طويلا، و إذا لم تستثمر فى طريق المسير إلى (الله) فلا يكتب لها الخلود، و لا يكون لها أدنى اعتبار.

و رأينا أنّ أكثر الأموال ثباتا و دواما و المتمثله فى البستان و الأرض الزراعيه و عين الماء قد أبيدت خلال لحظات.

و فيما يخص الأبناء، فبالإضافه إلى أنّ حياتهم و سلامتهم معرّضه للخطر دائما، فهم يكونون فى بعض الأحيان أعداء بدلا من أن يكونوا عوننا فى اجتياز المشاكل و الصعوبات.

ثمّ يضيف القرآن: **وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمْلاً .**

بالرغم من أنّ بعض المفسرين أرادوا حصر مفهوم (الباقيات الصالحات) فى دائره خاصه مثل الصلوات الخمس أو ذكر: سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلاّ الله و الله أكبر، و أمثال هذه الأمور، إلاّ أنّ الواضح أنّ هذا التغيير هو من السعه بحيث يشمل كل فكره و قول و عمل صالح تدوم و تبقى آثاره و بركاته بين الأفراد و المجتمعات.

فإذا رأينا فى بعض الروايات أنّ الباقيات الصالحات تفسر بصلاه الليل، أو موده أهل البيت عليهم السلام، فإن الغرض من ذلك هو بيان المصداق البارز، و ليس تحديد

المفهوم، خاصه و إن بعض هذه الروايات استخدمت فيها كلمه (من) التي تدل على التبعض.

فمثلا

في روايه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تستصغر مودتنا فإنها من الباقيات الصالحات».

و

في حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقرأ قوله: «لا تتركوا التسيحات الأربع فإنها من الباقيات الصالحات».

و حتى الأموال المترزله أو الأبناء الذين يكونون أحيانا فتنه و اختبارا، إذ استخدمت في مسير الله تبارك و تعالى فإنها ستكون من الباقيات الصالحات، لأن الذات المقدسه الإلهيه ذات أبدية، فكل ما يرتبط بها و يسير نحوها سيكتب له البقاء و الأبدية.

**بحوث**

**اشاره**

**١-المغربيات**

مره أخرى توظف الآيات أعلاه دور المثال في تجسيد المعاني و استيعابها.

إن القرآن-من خلال مثل واحد-يعكس مجموعه من الحقائق العقليه التي قد يكون من الصعب دركها من قبل الكثير من الناس.

يقول للناس: إن دوره حياه النبات و موته تتكرر أميا أعينكم في كل سنه مره، فإذا كان عمر الإنسان (٦٠) سنه فإن هذا المشهد يتكرر أمامكم (٦٠) مره.

إذا ذهبتم في الربيع إلى الصحراء فستشاهدون تلك المناظر الجميله و التي يدل كل ما فيها على الحياه، و لكن لو ذهبتم في الخريف إلى نفس تلك الأماكن فسوف ترون الموت ينشر أجنحته في كل مكان.

إن مثل الإنسان في حياته كمثل النبتة، فهو في يوم كان طفلا كالبرعم، ثم

ص: ٢٨٣

أصبح شابا كالورده المملوءه طراوه، ثم يصبح كهلا ضعيفا كالنبتة الذابله اليابسه ذات الأوراق الصفراء، ثم إن عاصفه الموت تحصد هذا الإنسان لينتشر بعد فتره تراب جسده المتهرئ-بواسطه العواصف-إلى مختلف الاتجاهات و الأماكن.

و لكن قد تنتهى دوره الحياه بصوره غير طبيعیه، بمعنی أنها لا- ترتقى إلى نهايه شوطها، إذ من الممكن أن تنتهى فى منتصف الشوط بواسطه صاعقه أو عاصفه كما فى قوله تعالى فى الآيه (٢٤) من سوره يونس: **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ .**

و فى بعض الأحيان لا تكون الحوادث سببا لفناء الحياه فى منتصف دوره الحياه، بل يستمر السير الطبيعى حتى النهايه، أى وصولا إلى مرحله الذبول و التشتت و الفناء كما أشارت إلى ذلك الآيه التى نبحتها.

فى كل الأحوال تنتهى الحياه الدنيا-سواء فى الطريق الطبيعى أو غير الطبيعى-إلى الفناء الذى يحل بساحه الإنسان عاجلا أم آجلا.

## ٢-عوامل تحطيم الغرور

قلنا: إن الكثير من الناس عند ما يحصلون على الإمكانيات الماديه و المناصب يصابون بالغرور، و هذا الغرور هو العدو اللدود لسعاده الإنسان، و فى الآيات السابقه رأينا كيف أن الغرور يؤدى إلى الشرك و الكفر.

و لأن القرآن كتاب تربوى عظيم، فهو يستفيد من عده طرق لتحطيم الغرور.

ففى بعض الأحيان يجسد لنا أن الفناء هو نهايه الثروات الماديه كما فى الآيات أعلاه.

و فى أحيان أخرى يحذّر من إمكانيه تحوّل الثروات و الأولاد إلى عدو

للإنسان (كما فى الآيه ٥٥ من سورة التوبه).

و فى مرّات يحذّر الناس و يوقظ فىهم حسهم الوجدانى، عند ما يستعرض أمامهم عاقبه المغرورين فى التأريخ من أمثال فرعون و قارون.

و قد رأينا القرآن يعالج إحساس الإنسان بالغرور من خلال تذكيره بماضيه، عند ما كان نطفه عديمه الأهميه أو ترابا لا يذكر، ثمّ يجسّد له مستقبله و ما هو صائر إليه كى يعرف أنّ الغرور بين حدّى الضعف هذين يعتبر عملا جنونيا (كما فى الآيه ٦ من سورة الطارق، و الآيه ٨ من سورة السجده، و الآيه ٣٨ من سورة القيامة).

و بهذه الصوره حاول القرآن توظيف أى أسلوب و وسيله لمعالجه عوامل الغرور فى شخصيه الإنسان، هذه الصفه الشيطانيه التى هى مصدر الكثير من الجرائم فى طول التأريخ.

و لكن من المسلمّ به أنّ المؤمن الحقيقين لا- يصابون بهذه الخصله القبيحه عند الوصول إلى منصب أو ثروه، ليس هذا و حسب، بل ترى أنّه لا- يحدث أدنى تغيير فى برنامج حياتهم، إذ يعتبرون كل هذه الأمور عباره عن زينه عابره، و بضاعه زائله، و مصيرها إلى فناء عند ما تهب أدنى عاصفه.

ص: ٢٨٥



اشاره

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمَّ نُغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَ عَرَضُوا عَلَيَّ رَبُّكَ صَيفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْءِدًا (٤٨) وَ وُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)

التفسير

اشاره

يا ويلتاه من هذا الكتاب!

تعقيبا لما كانت تتحدث به الآيات السابقة عن غرور الإنسان و إعجابه بنفسه، و ما تؤدي إليه هذه الصفات من إنكار للبعث و المعاد، ينصب المقطع الراهن من الآيات التي بين أيدينا على تبيان المراحل الممهده للقيامه وفق الترتيب الآتي:

١-مرحلة ما قبل بعث الإنسان.

٢-مرحلة البعث.

ص: ٢٨٦

٣-قسم من مرحله ما بعد البعث.

الآيه الأولى تذكر الإنسان بمقدمات البعث و القيامة فتقول: إِنَّ انْهِيَارَ مَعَالِمِ الشَّكْلِ الرَّاهِنِ لِلْعَالَمِ هِيَ أَوَّلُ مَقَدِمَاتِ الْبَعْثِ، وَ سَيَتَمُّ هَذَا التَّغْيِيرُ لِشَكْلِ الْعَالَمِ مِنْ خِلَالِ مَجْمُوعِهِ مَظَاهِرِهِ، فِي الطَّلِيعَةِ مِنْهَا تَسْيِيرُ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي وَ كُلِّ مَا يَمْسُكُ الْأَرْضَ وَ يَبْرُزُ عَلَيْهَا، حَتَّى تَبْدُو الْأَرْضُ خَالِيَةً مِنْ أَيِّ مِنَ الْمَظَاهِرِ السَّابِقَةِ:

وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً

هذه الآيه تشير إلى حوادث قبيل البعث، و هي حوادث كثيرة جداً.

و الملاحظ أَنَّ السور القصصار تتحدث عنها بشكل بارز في إطار حديثها عمّا بات يعرف اصطلاحاً بـ«أشراط الساعة».

إِنَّ الْمُسْتَفَادَ مِنْ مَجْمُوعِهِ تِلْكَ السور أَنَّ وَجْهَ الْعَالَمِ الرَّاهِنِ يَتَغَيَّرُ بِشَكْلِ كُلِّ حَيْثُ تَتَلَاشَى الْجِبَالَ، وَ تَنْهَارُ الْأَبْنِيَّةُ وَ الْأَشْجَارُ، ثُمَّ تُضْرَبُ الْأَرْضُ سَلْسَلَةً مِنَ الزَّلَازِلِ، وَ تَنْطَفِئُ الشَّمْسُ، وَ يَخْمَدُ نَوْرُ الْقَمَرِ، وَ تَظْلَمُ النُّجُومُ. وَ عَلَى حِطَامِ كُلِّ ذَلِكَ تَظْهَرُ إِلَى الْوُجُودِ سَمَاءٌ جَدِيدَةٌ، وَ أَرْضٌ جَدِيدَةٌ، لِيَبْدَأَ الْإِنْسَانُ حَيَاتَهُ الْأُخْرَى فِي مَرِحَلَةِ الْبَعْثِ وَ الْحِسَابِ.

بعد ذلك تضيف الآيه قوله تعالى: وَ حَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا .

«نغادر» من «غدر» بمعنى الترك. و لذلك يقال للذئب يخلف الوعد و الميثاق و يتركه بأنّه «غدر» و يقال لمياه الأمطار المتجمعه في مكان واحد بـ«الغدير» لأنها قد تركت هناك.

في كل الأحوال، تؤكّد الآيه الآنفه الذكر على أَنَّ المعاد هو حاله عامّه لا يستثنى منها أحد.

الآيه التي بعدها تتحدّث عن كيفية بعث الناس فتقول: وَ عَرَضُوا عَلَيَّ رَبِّكَ صَيِّفًا. إِنَّ اسْتِخْدَامَ هَذَا التَّعْبِيرِ قَدْ يَكُونُ إِشَارَةً إِلَى حَشْرِ كُلِّ مَجْمُوعَةٍ مِنَ النَّاسِ تَتَشَابَهُ فِي أَعْمَالِهَا فِي صَفِّ وَاحِدٍ؛ أَوْ أَنَّ الْجَمِيعَ سَيَكُونُونَ فِي صَفِّ وَاحِدٍ دُونَ

أيه امتيازات أو تفاوت، و سوف يقال لهم: لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

فليس ثمة كلام عن الأموال و الثروات، و لا- الذهب و الزينه، و لا- الامتيازات و المناصب الماديه، و لا الملابس المختلفه، و ليس هناك ناصر أو معين، ستعودون كمثله الحاله التى خلقناكم فيها أول مره، بالرغم من أنكم كنتم تتوهمون عدم إمكان ذلك: بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا .

و ذلك فى وقت سيطرت فيه حاله الغرور عليكم بما أوتيتم من إمكانات ماديه غفلتم معها عن الآخره، و أصبحتم تفكرون فى حياتكم الدنيا و خلودها، و غفلتم عن نداء الفطره فيكم.

ثم تشير الآيات إلى مراحل أخرى من يوم البعث و المعاد فتقول: وَ وُضِعَ الْكِتَابُ . هذا الكتاب الذى يحتوى على أحوال الناس بكل تفصيلاتها: فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ . و ذلك عند ما يطلعون على محتواه فتتجلى آثار الخوف و الوحشه على وجوههم.

فى هذه الأثناء يصرخون و يقولون: وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا .

الجميع مدعوون للحساب عن كل شىء مهما دنا و صغر، إنه موقف موحش.. لقد نسينا بعض أعمالنا و كأن لم نفعلها، حتى كنا نظن بأننا لم نقم بعمل مخالف، لكن نرى اليوم أن مسئوليتنا أصبحت ثقيله جدًا و مصيرنا مظلم.

بالإضافه إلى الكتاب المكتوب ثمة دليل آخر: وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا . وجدوا الحسنات و السيئات؛ الظلم و العدل، السليبات و الخيانات، كل هذه و غيرها وجدوها متجسده أمامهم.

فى الواقع إنهم يلاقون مصير أعمالهم: وَلَا يَظَلُّمُ رُبُّكَ أَحَدًا . الذى سيشملهم هناك، هو- لا محاله- ما قاموا به فى هذه الحياه الدنيا، لذلك فلا يلومون أحدا سوى أنفسهم.

## ١- سر انهدام الجبال

قلنا: إنه فى يوم الحشر و النشور سيتغير نظام العالم المادى، و قد وردت صياغات مختلفه حول انهدام الجبال فى القرآن الكريم، يمكن أن تقف عليها من خلال ما يلى:

فى الآيات التى نبحتها قرأنا تعبير نُسَيِّرُ الْجِبَالَ و إِنَّ نَفْسَ هَذِهِ الصَّيْغَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ يُمْكِنُ مَلاحَظَتُهَا فى الآيه (٢٠) من سورة النبأ. و الآيه (٣) من سورة التكوير.

و لكننا نقرأ فى الآيه (١٠) من سورة المرسلات قوله تعالى: وَ إِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ .

فى حين أننا نقرأ فى الآيه (١٤) من سورة الحاقه قوله تعالى: وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً .

و فى الآيه (١٤) من سورة المزمل قوله تعالى: يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ وَ كَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيْبًا مَّهِيلًا .

و فى الآيه (٥) من سورة الواقعة قوله تعالى: وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبَثًا .

أخيرا نقرأ قوله تعالى فى الآيه (٥) من سورة القارعه: وَ تُكُونُ الْجِبَالُ كَالْعُفُوشِ .

و من الواضح أن ليس هناك تناف أو تضاد بين مجموع الآيات أعلاه، بل هى صيغ لمراحل مختلفه لزوال جبال العالم و دمارها، هذه الجبال التى تعتبر أكثر أجزاء الأرض ثباتا و استقرارا، حيث تبدأ العمليه من نقطه حركه الجبال حتى نقطه تحوّلها إلى غبار و تراب بحيث لا يرى فى الفضاء سوى لونها! ترى ما هى أسباب هذه الحركه العظيمه المخفيه؟

إنها غير معلومه لدينا، إذ قد يكون السبب في ذلك هو الزوال المؤقت لظاهرة الجاذبيه حيث تكون الحركة الدورانيه للأرض سببا في أن تتصادم الجبال فيما بينها ثم حركتها باتجاه الفضاء. وقد يكون السبب هو الانفجارات الذريه العظيمة في التواء المركزيه للأرض، و بسببها تحدث هذه الحركة العظيمة و الموحشه.

و على كل حال، فهذه الأمور تدلّ على أنّ حاله البعث و النشور هي ثوره عظيمه في عالم ماده الميت، أيضا في تجديد حياه الناس، حيث تكون كل هذه المظاهر هي بدايه لعالم جديد يكون في مستوى أعلى و أفضل، إذ بالرغم من أنّ الروح و الجسم هما اللذان يحكمان طبيعه ذلك العالم، إلا أنّ جميع الأمور ستكون أكمل و أوسع و أفضل.

إنّ التعبير القرآني يتضمّن هذه الحقيقه أيضا، و هي أنّ عمليه فناء عيون الماء و دمار البساتين هي أمور سهله في مقابل الحدث الأعظم الذي ستلاشى عنده الجبال الراسيات، و يشمل الفناء كل الموجودات بما في ذلك أعظمها و أشدها.

## ٢- صحيفه الأعمال

يرى العلامة الطباطبائي في تفسير (الميزان) أنّ في يوم القيامه ثلاثه كتب، أو ثلاثه أنواع من صحف الأعمال:

أولا: كتاب واحد يوضع لحساب أعمال جميع البشر، و يشير لذلك قوله تعالى في الآيه التي نحن بصدددها و وُضِعَ الْكِتَابُ .

الثاني: كتاب يختص بكل أمه، إذ لكل أمه كتاب قد كتب فيه أعمالها كما يصرّح بذلك قول الحق سبحانه و تعالى في الآيتين ٢٨، ٢٩ من سوره الجاثيه في قوله تعالى: كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا .

الثالث: كتاب لكل انسان بصوره مستقله كما ورد في سوره الأسرء: الآيه (١٣) وَ كُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا... .

و طبيعى أنه لا يوجد أى تعارض بين هذه الآيات، لأنه ليس ثمّة مانع من أن تدوّن أعمال الإنسان فى عدّه كتب، كما نشاهد نظير ذلك فى برامج دنيا اليوم، إذ من أجل التنظيم الدقيق لتشكيلات دوله ما، هناك نظام و حساب لكل قسم، ثمّ إنّ هذه الأقسام و فى ظل أقسام أكبر لها حساب جديد.

و لكن يجب الانتباه إلى أنّ صحيفه أعمال الناس فى يوم القيامة لا تشبه الدفتر و الكتاب العادى فى هذا العالم، فهى مجموعه ناطقه غير قابله للسكران، و قد تكون الناتج الطبيعى لأعمال الإنسان نفسه.

فى كل الأحوال، نرى أنّ الآيات التى نبعتها تظهر أنه علاموه على تدوين أعمال الناس فى الكتب الخاصه، فإنّ نفس الأعمال ستتجسّد هناك و ستحضر:

و وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا

فالأعمال التى تكون شكل طاقات متناثره فى هذا العالم و تكون محجوبه عن الأنظار و تبدو و كأنّها قد تلاشت و انتهت، هى فى الحقيقه لم تنته (و قد أثبت العلم اليوم أنّ أى مادي أو طاقه لا يمكن أن تفنى، بل يتغير شكلها دائما).

ففى ذلك اليوم تتحوّل هذه الطاقه الضائعه بإذن الله إلى ماده، و تتجسّد على شكل صور مناسبه، فالأعمال الحسنه على شكل صور لطيفه و جميله، و الأعمال السيئه على شكل صور قبيحه، و هذه الأعمال ستكون معنا، و لهذا السبب نرى أنّ آخر جمله فى الآيات أعلاه تقول: **و لَا يَظَلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا** لأنّ الثواب و العقاب يترتبان على نفس أعمال الإنسان.

بعض المفسرين اعتبر جمله **و وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا** تأكيداً على قضيه صحيفه الأعمال، و قالوا: إنّ معنى جمله هو أنّنا سنجد جميع أعمالنا مدوّنه فى ذلك الكتاب (1).

البعض الآخر اعتبر كلمه (جزاء) فى هذه الآيه مقدّره و قالوا: إنّ المعنى هو

ص: ٢٩١

أنهم في ذلك اليوم «سيشهدون جزاء أعمالهم جاهزا» (١).

إلا أن التفسير الأول أكثر ملاءمة مع ظاهر الآيات.

أما فيما يخص تجسد الأعمال فقد ذكرنا شرحا مفصلا لذلك في نهاية الآية (٣٠) من سورة آل عمران، و سنبحثه أكثر مرّة أخرى أثناء الحديث عن الآيات التي تناسب الموضوع.

### ٣- الإيمان بالمعاد و دوره في تربية الناس

حقاً إن القرآن كتاب تربوي عجيب، فعند ما يذكر للناس جانبا من مشاهد القيامة يقول: إن الجميع سيعرضون على محكمه الخالق العادل على شكل صفوف منظمه، في حين أن تشابه عقائدهم و أعمالهم هو المعيار في الفرز بين صفوفهم! إن أيديهم هناك فارغه من كل شيء، فقد تركوا كل متعلقات الدنيا، فهم في جمعهم فرادى، و في فرديتهم مجموعين، تعرض صحائف أعمالهم.

هناك يذكر كل شيء، صغائر و كبائر الناس، و الأ-كثر من ذلك أن الأعمال و الأفكار نفسها تحيا.. تتجسد.. تحيط الأعمال المتجسده بأطراف كل شيء، فالناس مشغولون بأنفسهم بحيث أن الأم تنسى ولدها، و الابن ينسى الأب و الأم بشكل كامل.

هذه المحكمه الإلهيه- و الجزاء العظيم- التي تنتظر المسيئين، ستلقى بظلمها الثقيل و الموحش على جميع الناس، حيث تحبس الأنفاس في الصدور، و تتوقف العيون عن الحركة! ترى ما مقدار ما يعكسه الإيمان بهذا اليوم- بهذه المحكمه بكل ما تتخلله من مشاهد و مواقف- على قضيه تربيته الإنسان و دفعه لمسك زمام شهواته!؟

في حديث عن الإمام الصادق نقراً وصفه عليه السلام لهذا اليوم: «إذا كان يوم القيامة

ص: ٢٩٢

دفع للإنسان كتاب، ثم قيل له: اقرأ! قلت: فيعرف ما فيه؟ فقال: «إنه يذكره، فما من لحظه ولا كلمة ولا نقل قدم ولا شيء فعله إلا ذكره، كأنه فعله تلك الساعة، ولذلك قالوا: يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيره ولا كبيره إلا أحصاها» (١).

من هنا يتضح الدور المؤثر للإيمان بالقيامة في تربيته الإنسان، وإلا فهل يمكن أن يجمع الإنسان بين الذنب، وبين إيمانه و يقينه بهذا اليوم؟!

ص: ٢٩٣

---

١ - ١) - نور الثقلين، ج ٣، ص ٢٦٧.



اشاره

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّبِعُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَ مَا كُنْتُ مَتَّبِعًا لِمَنْ يُضِلُّ عَصَا (٥١) وَ يَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (٥٢) وَ رَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَ لَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)

التفسير

اشاره

لا تتخذوا الشياطين أولياء:

لقد تحدثت الآيات مرّات عدّه عن خلق آدم و سجود الملائكه له، و عدم انصياع إبليس. و قد قلنا: إنّ هذا التكرار يطوى دروس متعدّده، و فى كل مقطع مكرّر هناك دروس و عبر جديده.

بعبارة أخرى نقول: إنَّ للحادثه المهمه عدّه أبعاد، و في كل مرّه تذكّر فيها يتجلى واحد من أبعادها.

ولأنَّ الآيات السابقه ذكرت مثالا- واقيعا عن كيفيه وقوف الأثرياء المستكبرين و المغرورين في مقابل الفقراء المستضعفين و تجسّد عاقبه عملهم، و لأنَّ الغرور كان هو السبب الأصلي لانحراف هؤلاء و انجرارهم إلى الكفر و الطغيان، لذا فإنَّ الآيات تعطف الكلام على قصه إبليس و كيف أبى السجود لآدم غرورا منه و علوا، و كيف قاده هذا الغرور و العلو إلى الكفر و الطغيان.

إضافه إلى ذلك، فإنَّ هذه القصه توضّح أنّ الانحرافات تنبع من وساوس الشيطان، كم تكشف أنّ الاستسلام إلى وساوس الشيطان الذي أصرّ على عناده و عداوته للحق تعالى يعدّ غايه الجنون و الحمق.

في البدايه تقول الآيات: تذكروا ذلك اليوم الذي فيه: **وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَـَّجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ** . هذا الاستثناء يمكن أن يوهمنا بأنَّ إبليس كان من جنس الملائكه، في حين أنّ الملائكه معصومون، فكيف سلك إبليس- إذا- طريق الطغيان و الكفر إذا كان من جملتهم؟ لذلك فإنَّ الآيات- منعا لهذا الوهم- تقول مباشره إنّه: **كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ** .

إنّه إذا لم يكن من الملائكه، لكنّه- بسبب عبوديته و طاعته للخالق جلّ و علا- قرّب و كان في صف الملائكه، بل و كان معلما لهم، إلا- أنّه- بسبب لحظه من الغرور و الكبر- سقط سقوطا بحيث أنّه فقد معه كل ملاكاته المعنويه، و أصبح أكثر الموجودات نفره و ابتعادا عن الله تبارك و تعالى.

ثمّ تقول الآيه: **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي** .

و العجب أنّهم: **وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ** .

و هذا العدو، هو عدوّ صعب مصمّم على ضلالكم و أن يوردكم سوء العاقبه،

و قد أظهر عدوانه منذ اليوم الأوّل لأبيكم آدم عليه السّلام.

فَاتَّخَذَ الشَّيْطَانُ وَ أَوْلَادِهِ بَدَلًا مِنَ الْخَالِقِ الْمَتَعَالِ أَمْرَ قَبِيحٍ: بِنَسِّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (١).

حقًا إنّه لأمر قبيح أن يترك الإنسان الإله العالم الرحيم العطوف ذا الفيوضات و الرحمات و الألطاف، و يتمسك بالشيطان و أصحابه، إنّه أقبح إختيار، فأى عاقل يقبل أن يتخذ من عدوّه الذى ناصبه العداة-منذ اليوم الأوّل و ليا و قائدا و دليلا و معتمدا؟! الآيه التى بعدها هى دليل آخر على إبطال هذا التصرّو الخاطى، إذ تقول:

عن إبليس و ابنائه أنّهم لم يكن لهم وجود حين خلق السماوات و الأرض، بل لم يشهدوا حتى خلق أنفسهم: مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ. حتى نطلب العون منهم فى خلق العالم، أو نطلعهم على أسرار الخلق.

لذا فإنّ الشخص الذى ليس له أى دور فى خلق العالم، و حتى فى خلق من يقع على شاكلته و من هو من نوعه، و لا يعرف شيئا من أسرار الخلق، كيف يكون مستحقا للولاية، أو العبادة، و أى قدره أو دور يملك؟ إنّه كائن ضعيف و جاهل حتى بقضاياه الذاتيه، فكيف يستطيع أن يقود الآخرين، أو أن ينقذهم من المشاكل و الصعوبات؟ ثمّ تقول: وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا.

يعنى أنّ الخلق قائم على أساس الصدق و الصحه و الهدايه، أمّا الكائن الذى يقوم منهج حياته على الإضلال و الإفساد، فليس له مكان فى إداره هذا النظام، لأنّه يسير فى اتجاه معاكس لنظام الخلق و الوجود؛ إنّه مخزّب و مدمر و ليس مصلحا متكاملا.

آخر آيه من الآيات التى نبحتها، تحذّر مرّه أخرى، و تقول: تذكروا يوما يأتى

ص: ٢٩٦

فيه النداء الإلهي: وَ يَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ .

لقد كنتم تنادونهم عمرا كاملا، و كنتم تسجدون لهم، و اليوم و بعد أن أحاطت بكم أمواج العذاب فى ساحه الجزاء، نادوهم ليأتوا لمساعدتكم و لو لساعه واحده فقط.

هناك ينادى الأشخاص الذين لا تزال ترسبات أفكار الدنيا فى عقولهم:

فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ

فلم يجيبوا على نداءهم، فكيف بمساعدتهم و انقاذهم!! وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (١).

ثم تقول الآيه التى بعدها موضحة عاقبه الذين اتبعوا الشيطان و المشركين:

وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ

لقد انكشفت لهم النار التى لم يكونوا يصدّقون بها أبدا، و ظهرت أمام أعينهم، و حينئذ يشعرون بأخطائهم، و يتيقنون بأنهم سيدخلون النار و ستدخلهم:

فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا

ثم يتيقنون أيضا أنّ لا منقذ لهم منها: وَ لَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا .

فلا تنقذهم اليوم منها لا معبوداتهم و لا شفاعة الشفعاء، و لا الكذب أو التوسّل بالذهب و القوّه، إنّها النار التى يزداد سعيها بسبب أعمالهم.

ينبغى الالتفات هنا إلى أنّ جملة «ظنّوا» بالرغم من أنّها مشتقّه من «الظن» إلا أنّها فى هذا المورد، و فى موارد أخرى تأتي بمعنى اليقين، لذا فإنّ الآيه (٢٤٩) من سوره البقره تستخدم نفس التعبير بالرغم من أنّها تتحدث عن المؤمنين الحقيقيين و المجاهدين المرابطين الذين كانوا مع طالوت لقتال جالوت الجبار الظالم، إذ تقول: قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ .

ص: ٢٩٧

فإنَّ كلمه «موقعوها» مشتقّه من «مواقعه» بمعنى الوقوع على الآخرين، و هي إشارة إلى أنّهم يقعون على النار، و أنّ النار تقع عليهم؛ فالنار تنفذ فيهم و هم ينفذون في النار، و قد قرأنا في الآية (٢٤) من سورة البقره قوله تعالى: فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْجِبَارَةُ .

## بحثان

### اشاره

#### ١- هل كان الشيطان ملكا؟

كما نعلم أنّ الملائكه أطهار و معصومون كما صرّح بذلك القرآن الكريم: يَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسِيْبُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (١).

و يعود سبب عدم وجود التكبر و الغرور و دوافع ارتكاب الذنوب لدى الملائكه، إلى أنّ العقل لا الشهوه يتحكم في أعماقهم.

من ناحيه ثانيه، يتداعى إلى الذهن من خلال استثناء إبليس في الآيات المذكوره أعلاه (و آيات أخرى في القرآن الكريم) أنّه من صنف الملائكه، بأنّه كان منهم. و هنا يرد على عصيانه و تمرده و الإشكال التالي: كيف تصدر ذنوب كبيره عن ملك من الملائكه؟ و

قد جاء في نهج البلاغه «ما كان الله سبحانه ليدخل الجنه بشرا بأمر أخرج به منها ملكا» (٢).

الآيات المذكوره تحل لنا رموز هذه المشكله حينما تقول: كَانَ مِنَ الْجِنِّ، و الجن كائنات خفيه عن أنظارنا لها عقل و إحساس و غضب و شهوه، و متى ما وردت في القرآن كلمه «الجن» فإنّها تعنى هذه الكائنات... لكن من يعتقد من المفسرين بأن إبليس كان من الملائكه، فإنّما يفسر الآيه المذكوره آنفا

ص: ٢٩٨

١- ١) - الأنبياء، ٢٦-٢٧.

٢- ٢) - نهج البلاغه الخطبه (١٩٢) «الخطبه القاصعه».

بمفهومها اللغوي، و يقول: إنه يفهم من عبارته كَانَ مِنَ الْجِنَّ أَنَّهُ كَانَ خَفِيًّا عَنِ الْأَنْظَارِ كَسَائِرِ الْمَلَائِكَةِ، وهذا المعنى خلاف الظاهر تماما.

و من الدلائل الواضحة التي تؤكد ما ذهبنا إليه من المعنى، أنَّ القرآن الكريم يقول في الآية (١٥) من سورة الرحمن: وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ أَي مِنْ نِيرَانٍ مَخْتَلَطَةٍ وَ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ كَانَ مَنْطِقَ إِبْلِيسَ عِنْدَ مَا امْتَنَعَ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ:

خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ

(١)

هذا بالإضافة إلى أن الآيات الشريفة أعلاه أشارت إلى أن لإبليس (ذريته) في حين أن الملائكة لا ذرية لهم.

إن ما ذكرناه آنفا، مضافا إليه التركيبة الجوهرية للملائكة تثبت أن إبليس لم يكن ملكا، لكن آية السجود لآدم شملتة -أيضا- لانضمامه إلى صفوف الملائكة، و كثره عبادته لله و طموحه للوصول إلى منزله الملائكة المقربين.

و إنما بين القرآن امتناع إبليس عن السجود بشكل استثنائي، و أطلق عليه الأمام علي عليه السلام في الخطبة القاصعة في نهج البلاغة كلمه (الملك) كتعبير مجازي.

و

جاء في كتاب (عيون الأخبار) عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ مَعْصُومُونَ وَ مَحْفُوظُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِلُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى» قالنا له: فعلى هذا لم يكن إبليس أيضا ملكا؟، فقال: «لا، بل كان من الجن، أما تسمعان الله تعالى يقول: وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنَّ فَأَخْبَرَ عَزَّ وَ جَلَّ أَنَّهُ مِنَ الْجِنِّ...» (٢) و

في حديث آخر نقل عن الإمام الصادق عليه السلام، بأن أحد أصحابه المخلصين و هو جميل بن دراج قال: سألته عن إبليس كان من الملائكة و هل كان يلي من أمر السماء شيئا؟ قال: «لم يكن من الملائكة و لم يكن يلي من السماء شيئا، أنه

ص: ٢٩٩

(١-١) -الأعراف، ١٢.

(٢-٢) -نور الثقلين، ج ٣، ص ٢٦٧.

كان من الجن و كان مع الملائكة، و كانت الملائكة تراه أنه منها، و كان الله يعلم أنه ليس منها، فلما أمر بالسجود كان منه الذى كان» (١).

و عند ما صدر أمر السجود تحقق الشيء الذى نعرفه (كشفت الأستار و اتضحت ماهيه إبليس).

و هناك بحوث تفصيليه ذكرناها حول إبليس و الشيطان بشكل عام فى ذيل الآيات (١١-١٨) من سوره الأعراف، و فى ذيل الآيه (١١٢) من سوره الأنعام، و فى ذيل الآيه (٣٤) من سوره البقره.

## ٢- لا تستعينوا بالضالين

مع أن هذه الآيات، صادرة عنه تعالى و تنفى وجود عضد له من الضالين، و نعلم أنه تعالى ليس بحاجة إلى من يعينه سواء كان المعين ضالا- أم لم يكن، لكنها تقدم لنا درسا كبيرا للعمل الجماعى، حيث يجب أن يكون الشخص المنتخب للنصره و العون سائرا على منهج الحق و العدالة و يدعو إليها، و ما أكثر ما رأينا أشخاصا طاهرين قد ابتلوا بمختلف أنواع الانحرافات و المشاكل و أصيبوا بالخيبه و سوء الحظ جراء عدم الدقه فى انتخاب الأعوان، حيث التف حولهم عدد من الضالين و المضللين حتى تلفت أعمالهم، و كانت خاتمه أمرهم أن فقدوا كل ملكاتهم الإنسانيه و الاجتماعيه.

إننا نقرأ فى تاريخ كربلاء أن سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام قام يتمشى إلى (عبيد الله بن الحر الجعفى) و هو فى فسطاطه حتى دخل عليه و سلم عليه، فقام ابن الحر و أخلى له المجلس، فجلس و دعاه إلى نصرته، فقال عبيد الله بن الحر: و الله ما خرجت من الكوفه إلا مخافه أن تدخلها، و لا أقاتل معك، و لو قاتلت لكنت أول مقتول، و لكن هذا سيفى و فرسى فخذهما...

ص: ٣٠٠

فأعرض الإمام عنه بوجهه

فقال: «إذا بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في مالك، و تلا الآية وَ مَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (١)» .

إشاره إلى أنك ضال و مضل، و لا تستحق أن تكون نصيرا.

و على أية حال، فإن البقاء دون نصير و معين أفضل من طلب معونه الأشخاص الملوئين و الضالين و اتّخاذهم عضدا.

ص: ٣٠١

---

١ - ١) - نور الثقلين، ج ٣، ص ٢٦٨



اشاره

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ  
وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (٥٦)

التفسير

اشاره

في انتظار العقاب:

تنطوي هذه الآيات على تلخيص و استنتاج لما ورد في الآيات السابقة، و هي تشير-أيضا-إلى بحوث قادمه.

الآيه الأولى تقول: وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ .

لقد ذكرنا نماذج من تاريخ الماضين الملىء،بالإثارة،و قد أوضحنا للناس الحوادث المره للحياه و اللحظات الحلوه فى التاريخ،و  
قد قلبنا بيان هذه الأمور بحيث تتقبلها القلوب المستعدّه للحق،و تكون الحجه على الآخرين تامه،

و لا يبقى ثمه مجال للشك.

و لكن بالرغم من هذا فإن مجموعته عصاه لم يؤمنوا أبدا: **وَ كَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا .**

«صرفنا» من «تصريف» و تعنى التغيير و التحوّل من حال إلى حال. الهدف من هذا التعبير فى الآيه أعلاه هو أننا تحدثنا مع الناس بكل لسان يمكن التأثير به عليهم.

«جدل» تعنى محادثه الآخرين على أساس المنازعه و إظهار نزعه التسلّط على الآخرين. و لهذا فإنّ (المجادله) تعنى قيام شخصين بإطاله الحديث فى حاله من التشاجر، و هذه الكلمه فى الأصل مأخوذه -و كما يقول الراغب فى المفردات - من (جدلت الجبل) أى ربطت الجبل بقوّه، و هى كناية عن أنّ الشخص المجادل يستهدف من خلال جدله أن يحرف الشخص الآخر -بالقوّه- عن أفكاره.

و قال آخرون: إنّ أصل (الجدال) هو بمعنى المصارعه و إسقاط الآخر على الأرض. و هى تستعمل أيضا فى الدلاله على الشجار اللفظى.

فى كل الأحوال، يكون المقصود بالناس فى الآيه هم تلك الفئه التى لا تقوم فى وجودها و ممارستها على أصول التريه الإسلاميه و قواعدها، و قد أكثر القرآن فى استعمال هذه التعابير، و قد شرحنا هذه الحاله مفصلا فى نهايه الحديث عن الآيه (١٢) من سوره يونس.

الآيه التى بعدها تقول: إنّ بالرغم من كل هذه الأمثله المختلفه و التوضيحات المثيره و الأساليب المختلفه التى ينبغى أن تنفذ إلى داخل الإنسان المستعد لقبول الحق، فإنّ هناك مجموعه كبيره من الناس لم تؤمن: **وَ مَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (١) فَيرونها بأمّ أعينهم.**

إنّ هذه الآيه -فى الحقيقه- إشاره الى أنّ هذه المجموعه المعانده و المغروره

ص: ٣٠٣

١- ١) - (قبل) تعنى (التقابل، بمعنى مشاهده العذاب الإلهى بالعين، بعض المفسرين كالطبرسى فى مجمع البيان، و أبى الفتوح فى روح الجنان، و الآلوسى فى روح المعانى احتملوا أن تكون (قبل) جمع (قبيل) و هى إشاره إلى الأنواع المختلفه من العذاب، إلا أنّ المعنى الأوّل أقرب حسب الظاهر.

لا تؤمن بإرادتها و بشكل طبيعى أبدا، بل هم يؤمنون فى حالتين فقط:

أولاً: عند ما يصيبهم العذاب الأليم الذى نزل مثله فى الأقسام و الأمم السابقه.

ثانياً: عند ما يشاهدون العذاب الإلهى بأعينهم على الأقل و قد أشرنا مرارا إلى أن مثل هذا الإيمان هو إيمان عديم الفائدة.

و من الضرورى الانتباه هنا إلى أن مثل هؤلاء الناس لم يكونوا ينظرون مثل هذه العقابه أبدا، أما لأن هذه العقابه كانت حتميه بالنسبه لهم و هى الشىء الوحيد الذى ينتهى إليه مصيرهم، لذا نرى القرآن قد طرحها على شكل انتظار، و هذا نوع من الكنايه اللطيفه. و مثله أن تقول للشخص العاصى: إن أمامك -فقط- أن تنتظر لحظه الحساب، بمعنى أن الحساب و العقاب أمر حتمى بالنسبه له، و هو بذلك يعيش حاله انتظار للمصير المحتوم.

إن بعض حالات العصيان و الغرور التى يصاب بها الإنسان قد تتسلط عليه بحيث لا يؤثر فيه لا الوحي الإلهى، و لا دعوات الأنبياء الهاديه، و لا- رؤيه دروس و عبر الحياه الاجتماعيه، و لا- مطالعه تاريخ الأمم السابقه. إن الذى ينفع مع هذه الفئه من الناس هو العذاب الإلهى الذى يعيد الإنسان إلى رشده، و لكن عند نزول العذاب تغلق أبواب التوبه، و لا- يوجد ثمه طريق للرجعه و الاستغفار.

□  
و من أجل طمأنه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فى مقابل صلافة و عناد أمثال هؤلاء، تقول الآيه: □ مَا نُزِّلَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ .

ثم تقول الآيه: إن هذه القضيه ليست جديده، بل إن من واقع هؤلاء الأشخاص المعارضه و الاستهزاء بآيات الله: □ يُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ

و هذه الآيه تشبه الآيات (٤٢-٤٥) من سوره الحج التي تقول: وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ... إلى آخر الآيات.

و يحتمل فى تفسير الآيه أنّ الله تبارك و تعالى يريد أن يقول: إنّ عمل الأنبياء لا يقوم على الإجبار و الإكراه، بل إنّ مسئوليتهم التبشير و الإنذار، و القرار النهائى مرتبط بنفس الناس كى يفكروا بعواقب الكفر و الإيمان معاً، و حتى يؤمنوا عن تصميم و إرادته و بينه، لا أن يلجأوا إلى الإيمان الاضطرارى عند نزول العذاب الإلهى.

لكن، مع الأسف أن يساء استخدم حريه الإختيار هذه و التي هى وسيله لتكامل الإنسان و رقيه، عند ما يقوم أنصار الباطل بالجدال فى مقابل أنصار الحق، إذ يريدون القضاء على الحق عن طريق الاستهزاء أو المغالطه. و لكن هناك قلوبا مستعده لقبول الحق دوماً و التسليم له، و إنّ هذا الصراع بين الحق و الباطل كان و سيبقى على مدى الحياه.

ص: ٣٠٥

اشاره

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَ نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧) وَ رَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَل لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا (٥٨) وَ تِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (٥٩)

التفسير

اشاره

لا استعجال في العقاب الإلهي:

الآيات السابقة كانت تتحدث عن مجموعه من الكافرين المتعصبين و المظلمه قلوبهم؛ و الآيات التي بين أيدينا تستمر في نفس البحث.

ففي البدايه قوله تعالى: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَ نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ .

إن استخدم تعبير (ذكر) يوحى إلى أن تعليمات الأنبياء عليهم السلام هي بمثابة التذكير بالحقائق الموجوده بشكل فطري في أعماق الإنسان، و إن مهمه الأنبياء

هى رفع الحجب عن نقاء و شفافية هذه الفطره.

هذا المعنى

ورد فى الخطبه الأولى من خطب نهج البلاغه حيث يقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: «ليستأدوهم ميشاق فطرته، و يذكرهم منسى نعمته، و يحتجوا إليهم بالتبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول».

الطريف فى الأمر أن الآيه الكريمة رسمت ثلاثه مسالك ليقظه هؤلاء و إعادتهم إلى نور الهدايه،هى:

أولاً: إن هذه الحقائق ثلاثم بشكل كامل ما هو مكنون فى فطرتكم و وجدانكم و أرواحكم.

ثانياً: إنها جاءت من قبل خالقكم.

ثالثاً: عليكم أن لا تنسوا أنكم اقترفتم الذنوب، و أن منهاج عمل الأنبياء هو فتح باب التوبه من الذنوب و الهدايه للصواب.

لكن هذه الفئه من الناس لم تؤمن برغم كل ذلك: **إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا (١)** و بذلك لا تنفع معهم دعوتك: **وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**.

و لا نعتقد أننا بحاجة إلى أن نوضح أن سبب انعدام قابليه التشخيص و القدره و الإحساس و السمع لدى هؤلاء، إنما كان من عند الله، و لكن بسبب ما **قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ** و بسبب الأعمال التى قاموا بها سابقاً، و هذا هو الجزاء المباشر لأعمالهم و لما كسبت أيديهم. بعبارة أخرى: إن الأعمال القبيحه السيئه و المخزيه تحوّلت إلى ستار و ثقل، أى (كنان و وقر) على قلوبهم و آذانهم، و هذه الحقيقه تذكرها

ص: ٣٠٧

(١-١) - كما قلنا سابقاً (أكنه) جمع (كنان) على وزن كتاب، و تعنى الستار أو الحجاب و (وقر) تعنى ثقل الأذن عن السماع.

الكثير من الآيات القرآنيه، إذ نقرأ على سبيل المثال قوله تعالى فى الآيه (١٥٥) من سوره النساء: **بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** .

و لكن هناك من يتذرع بشتى الحجج و الذرائع لإثبات فكره الجبر و دعم مذهبه فى ذلك، دون أن يأخذ بنظر الاعتبار بقيه هذه الآيه، و سائر الآيات القرآنيه الأخرى التى تفسرها، بل يعتمد على ظواهر ألفاظ الآيات و يتخذها سندا لإثبات مقوله الجبر، فى حين أن الجواب على ذلك- كما أسلفنا- واضح بدرجة كبيره.

إن البرنامج التربوى للخالق جلّ و علا- هو أن يعطى لعباده الفرصه بعد الأخرى، و هو جلّ و علا لا يعاقب بشكل فورى مثل الجبارين و الظالمين، بل إن رحمته الواسعه تقتضى دوما إعطاء أوسع الفرص للمذنبين، لذا فإن الآيه التى بعدها تقول: **وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ** .

**لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ**

فإذا كانت الإراده الإلهيه تقتضى إنزال العذاب بسبب ارتكابهم للذنوب لتحقق ذلك فورا.

**بَلْ لَهُم مَّوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا**

(١)

فغفرانه تعالى يقضى أن يرحم التوابين، و رحمته تقضى أن لا يعجل عذاب غيرهم، إذ من المحتمل أن يلتحق بعضهم بصفوف التوابين، إلا أن عدالته تعالى تقتضى مجازاه المذنبين العاصين الظالمين عند ما يصل طغيانهم و تمردهم إلى أقصى درجاته، و عند ما يكون بقاء مثل هؤلاء الأفراد الفاسدين المفسدين الذين لا يوجد أمل فى إصلاحهم، عبثا و بدون فائده، لذا ينبغى تطهير الأرض منهم، و من لوث وجودهم.

ص: ٣٠٨

(١-١) - (موئل) من كلمه (وئل) و تعنى الملقأ و وسيله النجاه.

و أخيرا تنتهى هذه المجموعه من الآيات إلى توجيه التحذير الأخير من خلال التذكير بالعاقبه المؤلمه المره لمن ظلم من السابقين ليكون مصيرهم عبره لمن يسمع،فتقول: إن هذه المدن و القرى أمامكم،و لكم أن تشاهدا خرائبها و الدمار و الذى حلّ فيها،و قد أهلكنا أهلها بما ارتكبوا من ظلم،فى نفس الوقت الذى لم نعتجل فيه لهم العذاب،بل جعلنا موعدا لمهلكهم: وَ تِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا .



اشاره

وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمِمَّا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ لَمَّا كُنَّا نَبْعِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤)

التفسير

اشاره

لقاء موسى و الخضر عليهما السلام:

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات أنّ مجموعه من قريش جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و سألوه عن عالم كان موسى عليه السلام مأمورا باتباعه، و في الجواب على ذلك نزلت هذه الآيات.

لقد ذكرت في سوره الكهف ثلاث قصص متناسقه و هذه القصص هي: قصه

أصحاب الكهف التي انتهينا منها؛ وقصه موسى والخضر عليهما السلام؛ وقصه ذى القرنين التي سنقف على ذكرها فيما بعد.

هذه القصص الثلاث تخرجنا من الأفق المحدود في حياتنا و ما تعدونا عليه و ألفتنا، و تبين لنا أن حدود العالم لا تنحصر في نطاق ما نرى و ما نشاهد، و أنّ الشكل العالم للحوادث و الأحداث ليس هو ما نفهمه من خلال النظره الأولى.

و إذا كانت قصه أصحاب الكهف تتحدث عن فتيه تركوا كلّ شيء من أجل أن يحافظوا على إيمانهم، و قد أدى بهم ذلك إلى حوادث عظيمه ذات أبعاد تربويه لجميع الناس، فإنّ قصه موسى و الخضر لها أبعاد عجيبه أخرى. ففي القصة يواجهنا مشهد عجيب نرى فيه نبيًا من أولى العزم بكل وعيه و مكانته في زمانه يعيش محدوديه في علمه و معرفته من بعض النواحي، و هو لذلك يذهب إلى معلم (هو عالم زمانه) ليدرس و يتعلم على يديه، و نرى أنّ المعلم يقوم بتعليمه دروسا يكون الواحد منها أعجب من الآخر. ثم إنّ هذه القصة تنطوي - كما سنرى - على ملاحظات مهمه جدًا.

فِي أَوَّل آيَةٍ نَقَرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا .

إنّ المعنى بالآيه هو بلا شك موسى بن عمران النبي المعروف من أولى العزم، بالرغم ممّا احتمله بعض المفسرين من أنّ موسى المذكور في الآيه هو غير موسى بن عمران عليه السلام، و سوف نرى - فيما بعد - أنّ اعتماد هذا الرأى كان بسبب عدم استطاعتهم حل بعض الإشكالات الوارده في القصة، في حين أنّه كلما ورد اسم (موسى) في القرآن فالمراد به موسى بن عمران.

أمّا المعنى من (فتاه) فهو كما يقول أكثر المفسرين؛ كما تشير إلى ذلك العديد من الروايات: يوشع بن نون، الرجل الشجاع الرشيد المؤمن من بنى إسرائيل.

و استخدام كلمه (فتى) في وصفه قد يكون بسبب هذه الصفات البارزه، أو بسبب

خدمته لموسى عليه السلام و مرافقته له.

(مجمع البحرين) بمعنى محل التقاء البحرين، و هناك كلام كثير بين المفسرين عن اسم هذين البحرين، و لكن -بشكل عام- يمكن إجمال الحديث بثلاثة احتمالات هي:

أولاً: المقصود بمجمع البحرين هو محل اتصال «خليج العقبة» مع «خليج السويس» (إذا المعروف أنّ البحر الأحمر يتفرع شمالاً إلى فرعين: فرع نحو الشمال الشرقى حيث يشكّل خليج العقبة، و الثانى نحو الشمال الغربى و يسمى خليج السويس، و هذان الخليجان يرتبطان جنوباً و يتصلان بالبحر الأحمر).

ثانياً: المقصود بمجمع البحرين هو محل اتصال المحيط الهندى بالبحر الأحمر فى منطقه «باب المنذب».

ثالثاً: محل اتصال البحر المتوسط (الذى يسمّى -أيضاً- ببحر الروم و البحر الأبيض) مع المحيط الأطلسى، يعنى نفس المكان الذى يطلق عليه اسم (مضيق جبل طارق) قرب مدينه «طنجه».

الاحتمال الثالث مستبعد بحكم بعد مكان موسى عليه السلام عن جبل طارق الذى يبعد عنه مسافه كبيره جداً، قد تصل فتره وصوله عليه السلام إليه عدّه أشهر إذا انتقل بالوسائل العاديه.

أمّا الاحتمال الثانى، فمع أنّ المسافه ما بينه و بين مكان موسى عليه السلام أقرب، إلاّ أنّه مستبعد -أيضاً- بحكم الفاصل الكبير بين الشام و جنوب اليمن.

يبقى الاحتمال الأوّل هو الأقرب من حيث قربه إلى مكان موسى عليه السلام. و ما يرحج هذا الرأى هو ما نستفيده من الآيات -بشكل عام- من أنّ موسى عليه السلام لم يسلك طريقاً طويلاً بالرغم من أنّه كان مستعداً للسفر إلى أى مكان لأجل الوصول إلى مقصوده (فدقق فى ذلك).

و فى بعض الروايات إشاره إلى هذا المعنى أيضاً.

كلمه «حقب» تعنى المدّه الطويله و التى فسّرها البعض بثمانين عاما، و غرض موسى عليه السّلام من هذه الكلمه، هو أنّى سوف لا أترك الجهد و المحاولة للعثور على ما ضيعته و لو أذى ذلك أن أسير عدّه سنين.

و من مجموع ما ذكرنا أعلاه يتبين لنا أن موسى عليه السّلام كان يبحث عن شىء مهم و قد أقام عزمه و رسخ تصميمه للعثور على مقصوده و عدم التهاون فى ذلك إطلاقا.

إنّ الشىء الذى كان موسى عليه السّلام مأمورا بالبحث عنه له أثر كبير فى مستقبله، و بالعثور عليه سوف يفتح فصل جديد فى حياته.

نعم، إنّه عليه السّلام كان يبحث عن عالم يزيل الحجب من أمام عينيه و يريه حقائق جديده، و يفتح باب العلوم أمامه، و سنعرف سريعا أنّ موسى عليه السّلام كان يملك علامه للعثور على محل هذا العالم الكبير، و كان عليه السّلام يتحرك باتجاه تلك العلامه.

قوله تعالى: **فَلَمَّا بَلَغَا بَلْغًا مَّجْمَعًا بَيْنَهُمَا نَسِيًا حُوتَهُمَا** أى السمكه التى كانت معهما، أمّا العجيب فى الأمر فإنّ الحوت: **فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (١)**.

و هناك كلام كثير بين المفسّرين عن نوعيه السمك الذى كان معدا للغذاء ظاهرا هل كانت سمكه مشويه، أو مملحه أو سمكه طازجه حيث بعثت فيها الحياه بشكل اعجازى و قفزت الى الماء و غاصت فيه، هناك كلام كثير بين المفسّرين.

و فى بعض كتب التفسير نرى أنّ هناك حديثا عن عين تهب الحياه، و أنّ السمكه عند ما أصابها مقدار من ماء تلك العين عادت إليها الحياه.

و هناك احتمال آخر و هو أن السمكه كانت حيّه، بمعنى أنّها لم تكن قد ماتت بالكامل، حيث يوجد بعض أنواع السمك يبقى على قيد الحياه فتره بعد إخراجه

ص: ٣١٣

---

١ - ١) - (سرب) على وزن (جرب) كما يقول الراغب فى مفرداته، و هى تعنى السير فى الطريق المنحدر، و (سرب) على وزن (حرب) تعنى الطريق المنحدر.

من الماء، و يعود إلى الحياه الكامله إذا أعيد في هذه الفتره إلى الماء.

و في تتمه القصّه، نقرأ أنّ موسى و صاحبه بعد أن جاوزا مجمع البحرين شعرا بالجوع، و في هذه الأثناء تذكّر موسى عليه السّلام أنّه قد جلب معه طعاما، و عند ذلك قال لصاحبه: فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا .

(غداء) يقال للطعام الذي يتم تناوله في أوّل اليوم أو في منتصفه. و لكننا نستفيد من التعابير الواردة في كتب اللغه أنّهم في الأزمنه السابقه كانوا يطلقون كلمه (غداء) على الطعام الذي يتم تناوله في أوّل اليوم (لأنّها مأخوذه من كلمه «غدوه» و التي تعنى بدايه اليوم) في حين أنّ كلمه «غداء» و «تغذى» تطلق اليوم على تناول الطعام في وقت الظهيره.

على أى حال، إنّ هذه الجملة تظهر أنّ موسى و يوشع قد سلكا طريقا يمكن أن نسميه بالسفر، إلاّ أنّ نفس هذه التعابير تفيد أنّ هذا السفر لم يكن طويلا.

و في هذه الأثناء قال له صاحبه: قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسَيْتُ الْخُوتَ وَ مَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (١) .

و لأنّ هذا الحادث و الموضوع - بشكل عام - كان علامه لموسى عليه السّلام، لكي يصل من خلاله إلى موقع (العالم) الذي خرج يبحث عنه، لذا فقد قال: قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ .

و هنا رجعا في نفس الطريق: فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا .

و هنا قد يطرح هذا السؤال: هل يمكن لنبي مثل موسى عليه السّلام أن يصاب بالنسيان حيث يقول القرآن نَسِيًا حُوتَهُمَا ثُمَّ لَمَّا ذَكَرَهُمْ قَالَ آتَيْنَاهُمُوهُمَا مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مَائِدَةً فَأَلْفَاكُوا مَائِدَتَهُمْ وَأَقْبَضَتْهُمُ الْمَائِدَةُ فَأَغْرَقَهُمُ اللَّهُ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَذَبُوا كَلِمَآءَ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ .

ص: ٣١٤

١-١) - إن جملة وَ مَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ جملة اعتراضيه تقع في وسط الكلام، و لأنّ هذه الجملة تذكّر في الواقع - سبب النسيان، لذا فقد وقعت في وسط الكلام، و هذا الأسلوب شائع خصوصا للأشخاص الذين يكونون موضع عتاب شخص أكبر، حيث أنّهم يذكرون العله الأصليه ضمن الكلام بشكل اعتراضى، حتى يكون الاعتراض عليهم أقل.

نسيانه إلى الشيطان؟ في الجواب نقول: إنه لا يوجد ثمه مانع من الإصابه بالنسيان في المسائل و الموارد التي لا ترتبط بالأحكام الإلهيه و الأمور التبليغيه، أى في مسائل الحياه العاديه (خاصه في المواقع التي لها طابع اختبار، كما هو الحال في موسى هنا، و سوف نشرح ذلك فيما بعد).

أما ربط نسيان صاحبه بالشيطان، فيمكن أن يكون ذلك بسبب أن قضيه السمكه ترتبط بالعثور على ذلك الرجل العالم، و بما أن الشيطان يقوم بالغوايه، لذا فإنه أراد من خلال هذا العمل (النسيان) أن يصل متأخرين إلى ذلك العالم، و قد تكون مقدمات النسيان قد بدأت من (يوشع) نفسه حيث أنه لم يدقق و يهتم بالأمر كثيرا.

ص: ٣١٥

إشارة

فَوَحَّيْنَا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ  
رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَيَّ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا  
أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠)

التفسير

إشارة

رؤيه المعلم الكبير:

عند ما رجع موسى عليه السلام و صاحبه إلى المكان الأول، أي قرب الصخره و قرب (مجمع البحرين)، ففجأه: فَوَحَّيْنَا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا .

إن استخدام كلمه «وجدنا» تفيد أنهم كانوا يبحثون عن نفس هذا الرجل العالم، و قد وجداه أخيرا.

أما استخدام عباره عِبَادًا مِنْ عِبَادِنَا فهي تبين أن أفضل فخر للإنسان هو

أن يكون عبداً حقيقياً للخالق جلّ و علا، وإنّ مقام العبودية هذا يكون سبباً في شمول الإنسان بالرحمة الإلهية، وفتح أبواب المعرفة و العلم في قلبه.

كما أنّ استخدام عبارته مِنْ لَدُنَّا تَبَيَّنَ أَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ الْعَالَمِ لَمْ يَكُنْ عِلْمًا عَادِيًا، بَلْ كَانَ يَعْرِفُ جِزَاءً مِنْ أَسْرَارِ هَذَا الْعَالَمِ، وَ أَسْرَارِ الْحَوَادِثِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى.

أمّا استخدام (علما) بصيغته النكرة فهو للتعظيم، و يتبين من ذلك أنّ ذلك الرجل العالم قد حصل من علمه على فوائد عظيمة.

أمّا ما هو المقصود من عبارته رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا فَقَدْ ذَكَرَ الْمَفْسَّرُونَ تَفَاسِيرَ مُخْتَلَفَةً، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى مَقَامِ النَّبُوَّةِ، وَ الْبَعْضُ الْآخَرَ اعْتَبَرَهَا إِشَارَةً لِلْعُمُرِ الطَّوِيلِ. وَ لَكِنْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ هُوَ الْإِسْتِعْدَادُ الْكَبِيرُ وَ الرُّوحُ الْوَاسِعُ، وَ سَعَةُ الصَّدْرِ الَّتِي وَهَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِهَذَا الرَّجُلِ كَيْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى اسْتِقْبَالِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ.

أمّا ما ذكر من أنّ هذا الرجل اسمه (الخضر) و فيما إذا كان نبياً أم لا، فسوف نبحث كل ذلك في البحوث القادمة.

في هذه الأثناء قال موسى للرجل العالم باستفهام و بأدب كبير: قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا.

و نستفيد من عبارته «رشداً» أنّ العلم ليس هدفاً، بل هو وسيلة للعثور على طريق الخير و الهداية و الصلاح، و أنّ هذا العلم يجب أن يتعلم، و أن يفتخر به.

في معرض الجواب نرى أنّ الرجل العالم مع كامل العجب لموسى عليه السلام قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.

ثمّ بين سبب ذلك مباشرة و قال: وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَيَّ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا.

و كما سنرى فيما بعد، فإنّ هذا الرجل العالم كان يحيط بأبواب من العلوم التي تخص أسرار و بواطن الأحداث، في حين أنّ موسى عليه السلام لم يكن مأموراً



بمعرفة البواطن، و بالتالى لم يكن يعرف عنها الكثير، و فى مثل هذه الموارد يحدث كثيرا أن يكون ظاهر الحوادث يختلف تمام الاختلاف عن باطنها، فقد يكون الظاهر قبيحا أو غير هادف فى حين أن الباطن مفيد و مقدس و هادف لأقصى غاية.

فى مثل هذه الحالة يفقد الشخص الذى ينظر إلى الظاهر صبره و تماسكه فىقوم بالاعتراض و حتى بالتشاجر.

و لكن الأستاذ العالم و الخبير بالأسرار بقى ينظر إلى بواطن الأعمال، و استمر بعمله ببرود، و لم يعر أى أهميه إلى اعتراضات موسى و صحبته، بل كان فى انتظار الفرصه المناسبه ليكشف عن حقيقه الأمر، إلا أن التلميذ كان مستمرا فى الإلحاح، و لكنّه ندم حين توضحت و انكشفت له الأسرار.

و قد يكون موسى عليه السّلام اضطرب عند ما سمع هذا الكلام و خشى أن يحرم من فيض هذا العالم الكبير، لذا فقد تعهد بأن يصبر على جميع الحوادث و قال: قَالَ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَ لَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا .

مرّه أخرى كشف موسى عليه السّلام عن قمه أدبه فى هذه العبارة، فقد اعتمد على خالقه حيث لم يقل للرجل العالم: إنى صابر، بل قال: إن شاء الله ستجدنى صابرا.

و لأنّ الصبر على حوادث غريبه و سيئه فى الظاهر و التى لا يعرف الإنسان أسرارها، ليس بالأمر الهين، لذا فقد طلب الرجل العالم من موسى عليه السّلام أن يتعهد له مرّه أخرى، و حدّره: قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (١). و قد أعطى موسى العهد مجددا و انطلق مع العالم الأستاذ.

ص: ٣١٨

١ - ١) - إن عبارته أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا يكون مفهوما بعد الأخذ بنظر الإعتبار كلمه (أحدث) هو: إنى أنا الذى أبدأ بالكلام و أكشف للمرّه الأولى؛ أمّا أنت فلا تتكلم.

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسِيْطِعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسَيْتُ وَلَا تُزْهِقْنِي مِنْ أَمْرِيْ عَسِيرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِيْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسِيْطِعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِيْ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّيْ عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِيْ وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨)

## المعلم الإلهي و الأفعال المنكرة!!

نعم، لقد ذهب موسى و صاحبه و ركبا السفينه: فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ .

من الآن فصاعدا نرى القرآن يستخدم ضمير المثنى فى جميع الموارد، و الضمير إشارة إلى موسى و العالم الربانى، و هذه إشارة إلى انتهاء مهمته صاحب موسى عليه السلام (يوشع) و رجوعه، أو أنه لم يكن معنيا بالحوادث بالرغم من أنه قد حضرها جميعا. إلا أن الاحتمال الأول هو الأقوى.

عند ما ركبا السفينه قام العالم بثقبها: «خرقها».

«خرق» كما يقول الراغب فى المفردات: الخرق، قطع الشيء على سبيل الإفساد بلا تدبر و لا تفكر حيث كان ظاهر عمل الرجل العالم على هذا المنوال.

و بحكم كون موسى عليه السلام نبيا إلهيا كبيرا فقد كان من جانب يرى أن من واجبه الحفاظ على أرواح و أموال الناس، و أن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و من جانب آخر كان وجدانه الإنسانى يضغط عليه و لا يدعه يسكت أمام أعمال الرجل العالم التى يبدو ظاهرها سيئا قبيحا، لذا فقد نسى العهد الذى قطعه للخضر (العالم) فاعترض و قال: قَالَ أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا .

لا ريب إن هدف العالم (الخضر) لم يكن إغراق من فى السفينه، و لكن النتيجة النهائيه لخرق السفينه لم يكن سوى غرق من فى السفينه، لذا فقد استخدم موسى عليه السلام (اللام الغائيه) لبيان الهدف.

مثل ذلك ما نقوله للشخص الذى يأكل كثيرا، عند ما نقول له: أ تريد أن تقتل نفسك؟! بالطبع مثل هذا لا يريد قتل نفسه بكثره الطعام، إلا أن نتيجة عمله قد تكون هكذا.

«إمر» على وزن «شمر» وتطلق على العمل المهم العجيب أو القبيح للغاية.

و حقا، لقد كان ظاهر عمل الرجل العالم عجيبا و سيئا للغاية، فهل هناك عمل أخطر من أن يثقب شخص سفينه تحمل عددا من المسافرين! و فى بعض الروايات نقرأ أنّ أهل السفينه انتبهوا إلى الخطر بسرعه و قاموا بإصلاح الثقب (الخرق) مؤقتا، و لكن السفينه أصبحت بعد ذلك معييه و غير سالمه.

و فى هذه الأثناء نظر الرجل العالم إلى موسى عليه السلام نظره خاصه و خاطبه: قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا .

أمّا موسى الذى ندم على استعجاله، بسبب أهميه الحادثه، فقد تذكّر عهده الذى قطعه لهذا العالم الأستاذ، لذا فقد التفت إليه قائلا: قَالَ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا . يعنى لقد أخطأت و نسيت الوعد فلا تؤاخذنى بهذا الاشتباه.

«لا- ترهقنى» مشتقّه من «إرهاق» و تعنى تغطيه شىء ما بالقهر و الغلبه، و تأتى فى بعض الأحيان بمعنى التكليف، و فى الآيه-أعلاه- يكون معناها: لا تصعب الأمور علىّ، و لا تقطع فيضك عنى بسبب هذا العمل.

لقد انتهت سفرتهم البحريه و ترحلوا من السفينه: فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَفِيًّا غُلَامًا فَفَتَلَهُ ، و قد تمّ ذلك بدون أى مقدمات! و هنا ثار موسى عليه السلام مرّه أخرى حيث لم يستطع السكوت على قتل طفل برىء بدون أى سبب، و ظهرت آثار الغضب على وجهه و ملأ- الحزن و عدم الرضا عينيه و نسى وعده مرّه أخرى، فقام للاعتراض، و كان اعتراضه هذه المرّه أشد من اعتراضه فى المرّه الأولى، لأنّ الحادثه هذه المرّه كانت موحشه أكثر من الأولى، فقال عليه السلام: قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ . أى إنك قتلت إنسانا بريئا من دون أن يرتكب جريمه قتل، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا .

كلمه «غلام» تعنى الفتى الحدث، أى الصبى سواء كان بالغاً أو غير بالغ.

و بين المفسرين ثمه كلام كثير عن الغلام المقتول، وفيما إذا كان بالغاً أم لا، فالبعض استدل بعباره نَفْساً زَكِيَّةً على أنّ الفتى لم يكن بالغاً. والبعض الآخر اعتبر عبارته بغير نفسٍ دليلاً على أنّ الفتى كان بالغاً، ذلك لأنّ القصاص يجوز بحق البالغ فقط، ولكن لا يمكن القطع فى هذا المجال بالنسبه لنفس الآيه.

«نكر» تعنى القبيح و المنكر، و أثرها أقوى من كلمه «إمر» التى وردت فى حادثه ثقب السفينه، و السبب فى ذلك واضح، فالأمر الأول قد أوجد الخطر لمجموعه من الناس، إلا أنّهم تداركوه بسرعه، لكن ظاهر العمل الثانى يدل على ارتكاب جريمه.

و مرّه أخرى كثر العالم الكبير جملته السابقه التى اتسمت ببرود خاص، حيث قال لموسى عليه السلام: **قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**.

و الاختلاف الوحيد مع الجمله السابقه هو إضافه كلمه «لك» التى تفيد التأكيد الأكثر؛ يعنى: إننى قلت هذا الكلام لشخصك! تذكر موسى تعهده فانتبه إلى ذلك و هو خجل، حيث أحلّ بالعهد مرتين - لو بسبب النسيان - بدأ تدريجياً يشعر بصدق عبارته الأستاذ فى أنّ موسى لا يستطيع تحمّل أعماله، لذا فلا يطيق رففته كما قال له عند ما عرض عليه موسى الرفقه، لذا فقد بادر الى الاعتذار و قال: إذا اعترضت عليك مرّه أخرى فلا تصاحبني و أنت فى حل مني: **قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا**. صيغه العذر هنا تدل على انصاف موسى عليه السلام و رؤيته البعيده للأمور، و تبين أنّه عليه السلام كان يستسلم للحقائق و لو كانت مرّه بعباره أخرى:

إنّ الجمله توضح و بعد ثلاث مراحل للاختبار أنّ مهمّه هذين الرجلين كانت مختلفه.

بعد هذا الكلام و العهد الجديد: **فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا**

لا-ريب، إن موسى و صاحبه لم يكونا مَمِينِ يلقى بكلمه على الناس و لكن يتضح أن زادهم و أموالهم قد نفذت في تلك السفرة، لذا فقد رغبا أن يضيفهما أهل تلك المدينة (و يحتمل أن الرجل العالم تعمد طرح هذا الاقتراح كي يعطى موسى درسا بليغا آخر).

و يجب أن نلتفت إلى أن (قرية) في لغة القرآن تنطوى على مفهوم عام، و تشمل المناطق السكنيه في الريف و المدينة، أما المقصود منها في الآية فهو المدينة لا القرية، كما تصرح بعد ذلك الآيات اللاحقه.

و ذكر المفسرون نقلا عن ابن عباس أن المقصود بهذه المدينة، هو (أنطاكية) (1).

و ذكر آخرون: إن المقصود منها هو مدينة «أيله» التي تسمى اليوم ميناء (أيلات) المعروف و الذى يقع على البحر الأحمر قرب خليج العقبة. أما البعض الثالث فيرى بأنها مدينة (الناصره) الواقعه شمال فلسطين، و هى محل ولاده السيد المسيح عليه السلام. و قد نقل العلامة الطبرسى حديثا عن الإمام الصادق عليه السلام يدعم صحه هذا الاحتمال.

و رجوعا إلى ما قلناه فى المقصود من (مجمع البحرين) إذ قلنا: إنه كناية عن محل التقاء خليج العقبة و خليج السويس، يتضح أن مدينة (الناصره) أو ميناء (أيله) أقرب إلى هذا المكان من انطاكية.

المهم فى الأمر، أننا نستنتج من خلال ما جرى لموسى عليه السلام و صاحبه من أهل هذه المدينة أنهم كانوا لثاما دينيى الهمة، لذا نقرأ فى روايه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم

ص: ٣٢٣

١ - ١) - أنطاكية من المدن السوربه القديمه التي تقع على بعد (٩٦) كم من حلب، و (٥٩) كم عن الإسكندرونه، تشتهر المدينة بالحبوب الغذائيه، و الحبوب الدهنيه، فيها ميناء يسمى «سويديه» و يبعد عن مركزها (٢٧) كيلومتر. (يراجع فى ذلك دائره فريد و جدى، ج ١، ص ٨٣٥).

قوله في وصف أهل هذه المدينة: «كانوا أهل قريه لثام» (١).

ثم يضيف القرآن: فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ (٢) وقد كان موسى عليه السلام يشعر بالتعب و الجوع، و الأهم من ذلك أنه كان يشعر بأن كرامته و كرامه أستاذه قد أهينت من أهل هذه القريه التي أبت أن نضيفهما؛ و من جانب آخر شاهد كيف أن الخضر قام بترميم الجدار بالرغم من سلوك أهل القريه القبيح إزاءهما، و كأنه بذلك أراد أن يجازى أهل القريه بفعالهم السيئه، و كان موسى يعتقد بأن على صاحبه أن يطالب بالأجر على هذا العمل حتى يستطيعا أن يعدا طعاما لهما.

لذا فقد نسي موسى عليه السلام عهده مره أخرى و بدأ بالاعتراض، إلا أن اعتراضه هذه المره بدا خفيفا فقال: قَالَ لَوْ شِئْتُمْ لَاتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا.

و في الواقع فإن موسى يعتقد بأن قيام الإنسان بالتضحيه في سبيل أناس سيئين عمل مجاف لروح العدالة؛ بعبارة أخرى: إن الجميل جيد و حسن، بشرط أن يكون في محله.

صحيح أن الجزاء الجميل في مقابل العمل القبيح هو من صفات الناس الإلهيين، إلا أن ذلك ينبغي أن لا يكون سببا في دفع المسيئين للقيام بالمزيد من الأعمال السيئه.

و هنا قال الرجل العالم كلامه الأخير لموسى، بأنك و من خلال حوادث مختلفه، لا تستطيع معي صبرا، لذلك قرّر العالم قراره الأخير: قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا.

موسى عليه السلام لم يعترض على القرار-طبعاً-لأنه هو الذي كان قد اقترحه عند

ص: ٣٢٤

١-١) -مجمع البيان في تفسير الآيه.

٢-٢) -إنّ نسبه (الإرادته) إلى الجدار هو استخدام مجازي، و مفهوم ذلك أنّ الجدار كان ضعيفا للغاية و هو على مشارف الانهيار.

وقوع الحادثه السابقه، و هكذا ثبت لموسى أنه لا يستطيع الاستمرار مع هذا الرجل العالم. و لكن برغم كل ذلك، فإن خبر الفراق قد نزل بوقع شديد على قلب موسى عليه السّلام، إذا يعنى فراق أستاذ قلبه مملوء بالأسرار، و مفارقه صحبه مليئه بالبركه، إذ كان كلام الأستاذ درسا، و تعامله يتسم بالإلهام؛ نور الله يشع من جبينه، و قلبه مخزن للعلم الإلهى.

إن مفارقه رجل بهذه الخصائص أمر صعب للغاية، لكن على موسى عليه السّلام أن ينصاع لهذه الحقيقه المرّه.

المفسر المعروف أبو الفتوح الرازى يقول:

ورد فى الخبر، أن موسى عليه السّلام عند ما سئل عن أصعب ما لاقى من مشكلات فى طول حياته، أجاب قائلا: لقد واجهت الكثير من المشاكل و الصعوبات (إشاره إلى ما لاقاه عليه السّلام من فرعون، و ما عاناه من بنى إسرائيل) و لكن لم يكن أيّا منها أصعب و أكثر ألما على قلبى من قرار الخضر فى فراقى إياه (١).

«تأويل» من «أول» على وزن «قول» و تعنى الإرجاع، لذا فإنّ أى عمل أو كلام يرجعنا إلى الهدف الأصلى يسمّى «تأويل» كما أنّ رفع الحجب عن أسرار شىء هو نوع من التأويل.

اطلاق كلمه (التأويل) على تفسير الأحلام يعود لهذا السبب بالذات، كما ورد فى سوره يوسف هذا تأويل رؤياي (٢) (٣).

ص: ٣٢٥

١-١) - أبو الفتوح الرازى فى (روح الجنان)، ج ٣، أثناء تفسير الآيه.

٢-٢) - للتوضيح أكثر يمكن مراجعه الآيه (٧) من سوره آل عمران.

٣-٣) - يوسف، ١٠٠.



إشارة

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وُزْرَاءُ هُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَ أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَ كُفْرًا (٨٠) فَأَرْدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوَاهُ وَ أَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَ كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَ يَسْرِتَ أَخْرَجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)

التفسير

إشارة

الأسرار الداخلية لهذه الحوادث:

بعد أن أصبح الفراق بين موسى و الخضر عليهما السلام أمرا حتميا، كان من اللازم أن يقوم الأستاذ الإلهي بتوضيح أسرار أعماله التي لم يستطع موسى أن يصبر عليها، و في الواقع فإن استفادة موسى من صحبته تتمثل في معرفه أسرار هذه الحوادث

الثلاثة العجيبه،و التي يمكن أن تكون مفتاحا للعديد من المسائل،و جوابا لكثير من الأسئلة.

ففى البدايه ذكر قصه السفينه و قال: **أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا .**

و بهذا الترتيب كان ثمه هدف خير وراء ثقب السفينه الذى بدأ فى حينه عملا مشينا سيئا،و الهدف هو نجاتهم من قبضه ملك غاصب،و كان هذا الملك يترك السفينه المعيبه و يصرف النظر عنها.إذا خلاصه المقصود فى الحادثه الأولى هو حفظ مصالح مجموعه من المساكين.

كلمه «وراء»لا- تعنى هنا الجانب المكاني،و إنما هى كناية عن الخطر المحيط بهم(خطر الملك)بدون أن يعلموا به،و بما أن الإنسان لا يحيط بالحوادث التى سوف تصيبه لاحقا،لذا استخدمت الآيه التعبير الآنف الذكر.

إضافه إلى ذلك فإنّ الإنسان عند ما يخضع لضغط فرد أو مجموعه فإنه يستخدم تعبير(وراء)كقوله مثلا:الدَيَانون ورائى و لا يتركونى؛و فى الآيه(١٦) من سوره إبراهيم نقرأ قوله تعالى: **مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَ يُشِيقُ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ وَ كَأَنَّ جَهَنَّمَ تَلاَحِقُ وَ تَتَّبِعُ الْمَذْنِبِينَ،لذا فقد استخدمت كلمه وراء (١).**

و يفيد استخدام كلمه(مسكين)أنّ«المسكين»ليس هو الشخص الذى لا يملك شيئا مطلقا،بل هى وصف يطلق على الأشخاص الذين يملكون أموالا و ثروه لكنّها لا تنفى بحاجاتهم.

و يحتمل أيضا أن يكون السبب فى إطلاق وصف(المسكين)عليهم ليس بسبب الفقر المالى،بل بسبب افتقارهم للقوه و القدره،و هذا التعبير يستخدم فى لغه العرب،كما و أنّه يتلاءم مع الجذور الأصلية لمعنى مسكين لغويا،و الذى يعنى السكون و الضعف.

ص: ٣٢٧

---

١- ١) فى معنى(وراء)يمكن مراجعه البحث الوارد فى ذيل الآيه(١٦)من سوره إبراهيم فى تفسيرنا هذا.

فى نهج البلاغه نقرأ قول أمير المؤمنين عليه السلام: «مسكين ابن آدم.. تؤلمه البقه، و تقتله الشرقه، و تنتنه العرقه» (١).

بعد ذلك ينتقل العالم إلى بيان سر الحادثه الثانيه التى قتل فيها الفتى فيقول:

وَ أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُزْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَ كُفْرًا

تحتمل مجموعه من المفسرين أن المقصود من الآيه ليس ما يتبين من ظاهرها من أن الفتى الكافر و العاصى قد يكون سببا فى انحراف أبويه، و إنما المقصود أنه بسبب من طغيانه و كفره يؤذى أبويه كثيرا (٢)؛ و لكن التفسير الأول أقرب للصحه.

فى كل الأحوال، فإنّ الرجل العالم قام بقتل هذا الفتى، و اعتبر سبب ذلك ما سوف يقع للأب و الأم المؤمنين فى حال بقاء الابن على قيد الحياه.

و سوف نجيب فى فقره البحوث على شبهه (القصاص قبل الجنايه) التى ترد على أعمال الخضر هذه.

كلمه (خشينا) تستبطن معنى كبيرا، فهذا التعبير يوضح أنّ هذا الرجل العالم كان يعتبر نفسه مسئولا عن مستقبل الناس، و لم يكن مستعدا لأن تصاب أم أو أب مؤمنا بسوء بسبب انحراف ابنهم.

كما إنّ تعبير (خشينا) جاء هنا بمعنى: لم نكن نرغب، و إلا لا معنى للخوف فى هذه الموارد بالنسبه لشخص بهذا المستوى من العلم و الوعى و القدره.

و بعبارة أخرى، فإنّ الهدف هو الالتقاء من حادثه سىء نرغب أن نقى الأبوين منه على أساس المودّه لهما.

و يحتمل أن يكون التعبير بمعنى (علمنا) كما ينقل عن ابن عباس، يعنى أننا

ص: ٣٢٨

١- ١) - نهج البلاغه، الكلمات القصار الجملة رقم ٤١٩.

٢- ٢) - فوق التفسير الأول يكون الفعل «يرهب» متعديا إلى مفعولين: الأول (هما)، و المفعول الثانى (طغيانا)، أما وفق التفسير الثانى فإن (طغيانا) و (كفرا) يكونان مفعولا لأجله.

كنا نعلم أن الفتى فى حال بقائه-سوف يكون سبباً لأحداث أليمه تقع لأبيه و أمه فى المستقبل.

أمياً لماذا استخدم ضمير المتكلم فى حاله الجمع، بينما كان المتكلم فرداً واحداً، فإن سبب ذلك واضح، حيث أنها ليست المره الأولى التى يستخدم القرآن هذه الصيغه، ففى كلام العرب عند ما يتحدث الأشخاص الكبار عن أنفسهم فإنهم يستخدمون ضمير الجمع. و السبب فى ذلك أن هؤلاء الأشخاص يملكون أشخاصاً تحت أيديهم و يعطونهم الأوامر لتنفيذ الأعمال، فالله يعطى الأوامر للملائكة، و الإنسان يعطى الأوامر للذين هم تحت يديه.

ثم تحكى الآيات على لسان العالم قوله: فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاهٌ وَ أَقْرَبَ رُحْمًا .

إن تعبير (أردنا) و(ربهما) يطوى معانى كبيره سوف نقف عليها بعد قليل.

(زكاه) هنا بمعنى الطهاره و النظافه، و لها مفهوم واسع حيث تشمل الإيمان و العمل الصالح، و تتسع للأمر الدينيه و الماديه، و قد يكون فى هذا التعبير ما هو جواب على اعتراض موسى عليه السلام الذى قال: أَ قَتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً... فقال له العالم فى الجواب: إن هذه النفس ليست زكيه، و أردنا أن يبدلها ربهما ابناً طاهراً بدلاً عن ذلك.

و فى روايات عديده نقرأ

«أبدلها الله به جاريه ولدت سبعين نبياً» (١).

فى آخر آيه من الآيات التى نبحتها، كشف الرجل العالم عن السر الثالث الذى دعاه إلى بناء الجدار فقال: وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَ كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا .

فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا

رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ

ص: ٣٢٩

و أنا كنت مأمورا ببناء هذا الجدار بسبب جميل و إحسان أبوي هذين اليتيمين، كي لا يسقط و ينكشف الكنز و يكون معرّضا للخطر.

و فى خاتمه الحديث، و لأجل أن تنتفى أى شبهه محتمله، أو شك لدى موسى عليه السّلام، و لكى يكون على يقين بأنّ هذه الأعمال كانت طبقا لمخطط و توجيه أعلى خاص، قال العالم: **وَ مَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِى بَلْ بِأَمْرِ مِنَ اللّٰهِ.**

و ذلك سر ما لم يستطع موسى عليه السّلام صبورا، إذ قال: **ذٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا.**

**بحوث**

**إشارة**

### **١- هل كانت مهمته الخضر فى اطار النظام التشريعى أم التكوينى!؟**

إنّ هذه الحوادث الثلاث شغلت عقول العلماء الكبار، و أثارت بينهم الكثير من الكلام و الاستفهامات.

و السؤال الأوّل هو: هل يمكن إتلاف جزء من أموال شخص بدون إجازته بذريعه أنّ هناك غاصبا يريد أن يصادرها؟ و هل يمكن معاقبه فتى بذريعه الأعمال التى سيقوم بها فى المستقبل؟ ثمّ هل هناك ضروره للعمل المجانى بهدف الحفاظ على أموال شخص معين؟ لقد رأينا من سياق القصّه القرآنيه أنّ موسى اعتراض على الرجل العالم، و لكنّه بعد أن استمع للتوضيحات و أحاط ببواطن الأمور عاد و اقتنع.

أمّا نحن فأمامنا طريقان للإجابة على الأسئلة، نعرضها بالتفصيل الآتى:

الطريق الأوّل: أن نطابق الحوادث و تصرفات الرجل العالم مع الموازين الفقهيّه، و قوانين الشرع، و قد قامت مجموعه من المفسرين بسلوك هذا الطريق.

ص: ٣٣٠

فالحادثه الأولى اعتبروها منطبقه مع قانون الأهم و المهم؛و قالوا بأنّ حفظ مجموع السفينه عمل أهم حتما من الضرر الجزئى الذى لحقها بالخرق؛و عبارته أخرى،فإنّ الخضر قام هنا(بدفع الأفسد بالفساد)خاصه و أنه كان يمكن تقدير الرضا الباطنى لأهل السفينه فيما إذا علموا بهذه الحادثه.(أى أنّ الخضر قد حصل من وجهه الإحكام و القواعد الشرعيه على إذن الفحوى).

و فيما يتعلق بالغلام فقد أصرّ المفسّرون ممن سلك هذا الطريق،على أنّ الفتى كان بالغا و أنه كان مرتدا أو مفسدا،و بسبب أعماله الفعلية فإنّه من الجائز أن يقتل.

و أمّا حديث الخضر عن جرائم الغلام المستقبليه،فإنّه بذلك أراد أن يقول بأنّ جرائم هذا الغلام لا تقتصر على إفساده الراهن و جرائمه الحالیه،بل سيقوم بالمستقبل بجرائم أكبر،لذا فإنّ قتله طبقا للموازن الشرعيه و بسبب ما اقترفه من جرائم فعلية يكون جائزا.

أمّا ما يخص الحادثه الثالثه،فلا أحد يستطيع أن يعترض على الآخرين فيما لو قاموا بالتضحيه و الإيثار من أجل الآخرين،و من أجل أن لا تضيع أموالهم دون أن يتقاضوا أجرا على أعمالهم،و هو بالضبط ما قام به الخضر،و قد لا تصل هذه الأفعال إلى حدّ الوجوب،إلاّ أنّها تعتبر-حتما-من السلوك الحسن.

بل قد يقال من الوجهه الفقهيه أنّ الإيثار و التضحيه فى بعض الموارد من الأمور الواجبه،مثل أن تكون أموال كثيره لطفل يتيم معرضه للتلف،و يمكن المحافظه عليها بجهد قليل فلا يستبعد وجوب بذل الجهد.

الطريق الثّانى:تتمّ فيه مناقشه بعض عناصر الاستدلال الفقهيه التى وردت فى الطريق الأوّل،فإذا كانت التوضيحات الآنفه مقنعه فيما يخص الكنز و الحائط، إلاّ أنّها فى قضيه قتل الغلام لا تتلاءم مع ظاهر الآيه،الذى اعتبر علّه قتل الغلام هو ما سيقوم به من أعمال فى المستقبل،و ليس أعماله الفعلية.

أمّا الدليل الوارد حول خرق السفينه، فهو أيضا لا يخلو من تأمل فهل نستطيع مثلا-و من الوجهه الفقهيّه-أن نتلف جزءا من أموال أو بيت شخص معين بدون علمه لانقاذها من خطر ما،حتى لو علمنا و تيقنا بأنّه سيتمّ غضب تلك الأموال في المستقبل...ترى هل يسمح الفقهاء بمثل هذا الحكم؟! و على هذا الأساس يجب علينا أن نسلك طريقا آخر:

الطريق الثالث: إنّ في هذا العالم ثمّة نظامان هما: «النظام التكويني، و النظام التشريعي»، و بالرغم من أنّ هذين النظامين متناسقين فيما بينهما في الأصول الكليه، و لكنها قد ينفصلان و يفترقان في الجزئيات.

على سبيل المثال، يقوم الله سبحانه و تعالى و من أجل اختبار العباد، بابتلائهم بالخوف و نقص في الأموال و الثمرات و موت الأعزّه و فقدانهم حتى يتبين الصابر من غيره تجاه هذه الحوادث و البلاءات.

و السؤال هنا هو: هل يستطيع أي فقيه أو حتى نبي أن يقوم بهذا العمل، أي ابتلاء العباد بنقص الأموال و الثمرات و فقدان الأعزّه، و فقدان الأمن و الاستقرار بهدف اختبار الناس و ابتلائهم؟ و نرى أنّ الله سبحانه و تعالى يقوم بتحذير و تربيّه بعض أنبيائه و عباده الصالحين، و ذلك بابتلائهم بمصائب بسبب تركهم للأولى، مثل ما ابتلى به يعقوب عليه السّلام بسبب قلّمه توجهه إلى المساكين، أو ما ابتلى به يونس عليه السّلام بسبب تركه الأولى من بعض الأمور و لو لفته قصيره...فهل يا ترى يحق لأحد أن يقوم بهذه الأعمال بعنوان الجزاء و العقاب لهؤلاء الرسل الكرام و العباد الصالحين؟ و نرى أنّ الله سبحانه و تعالى يقوم في بعض الأحيان، بسلب النعمه من الإنسان بسبب عدم شكره، كأن تغرق أمواله في البحر-مثلا-يخسر هذه الأموال، أو يصاب بالمرض بسبب عدم شكره لرّبّه على نعمه السلامه...

و السؤال هنا: هل يستطيع أحد من الناحيه الفقهيّه و التشريعيّه أن يسلب

النعمة من الآخريين، أو ينزل الضرر بسلامتهم و صحتهم بسبب عدم شكرهم و بدعوى ابتلائهم؟ إن أمثال هذه الأمور كثير للغايه، و هى تظهر-بشكل عام- أن عالم الوجود، و خصوصا خلق الإنسان، قد قام على النظام الأحسن، حيث وضع الله تعالى مجموعه من القوانين و المقررات التكوينية حتى يسلك الإنسان طريق التكامل، و عند ما يتخلف عنها فسيصاب بردود فعل مختلفه.

و لكننا من وجهه قوانين الشرع و ضوابط الأحكام لا نستطيع أن نصنّف الأمور فى إطار هذه القوانين التكوينية.

على سبيل المثال نرى أن الطبيب يستطيع أن يقطع إصبع شخص معين بحجّه عدم سرايه السم إلى قلبه، و لكن هل يستطيع أى شخص أن يقطع إصبع شخص آخر بحجّه تربيته على الصبر أو عقابا له على كفرانه للنعم؟ (بالطبع الخالق يستطيع القيام بذلك حتما لأنه يلائم النظام الأحسن).

و الآن بعد أن ثبت و توضح أن فى العالم نظامان (تكويني و تشريعي)، و أن الله هو الحاكم و المسيطر على هذين النظامين، لذا فلا مانع فى أن يأمر تعالى مجموعه بأن تطبق النظام التشريعي، بينما يأمر مجموعه من الملائكة أو بعض البشر (كالخضر مثلا) بأن يطبقوا النظام التكويني.

و من وجهه النظام التكويني لا- يوجد أى مانع فى أن يبتلى الله طفلا غير بالغ بحادثه معينه، ثم يموت ذلك الطفل بسبب هذه الحادثه، و ذلك لعلم الله تعالى بأن أخطارا كبيره كامنه لهذا الطفل فى المستقبل كما أن وجود مثل هؤلاء الأشخاص و بقاءهم يتم لمصلحه معينه كالامتحان و الابتلاء و غير ذلك.

و أيضا لا مانع فى أن يبتلىنى الله اليوم بمرض صعب يقعدنى الفراش لعلمه تعالى بأن خروجى من البيت لو تم فسأتعرض لحادثه خطيره لا أستحقها، لذا فهو تعالى يمنعنى منها.



بعبارة أخرى: إنَّ مجموعته من أوليائه وعباده مكلفون في هذا العالم بالبواطن، بينما المجموعه الأخرى مكلفون بالظواهر. و المكلفون بالبواطن لهم ضوابط و أصول و برامج خاصه بهم، مثلما للمكلفين بالظواهر ضوابطهم و أصولهم الخاصه بهم أيضا.

صحيح أنَّ الخط العام لهذين البرنامجين يوصل الإنسان إلى الكمال؛ و صحيح أنَّ البرنامجين متناسقين من حيث القواعد الكلية، إلاَّ أنَّهما يفترقان في التفاصيل و الجزئيات كما لاحظنا ذلك في الأمثله.

بالطبع لا يستطيع أحد أن يعمل كما يحلو له ضمن هذين الخطين، بل يجب أن يحصل على إجازة المالك القادر الحكيم الخالق جلَّ و علا، لذا رأينا الخضر (العالم الكبير) يوضح هذه الحقيقه بصراحه قائلا، (ما فعلته عن أمرى) بل إننى خطوط الخطوات وفقا للبرنامج الإلهى و الضوابط التى كانت موضوعه لى.

و هكذا سيزول التعارض و التضاد و تنتفى الأسئلة و المشكلات المثارة حول مواقف الخضر فى الحوادث الثلاث.

و سبب عدم تحمّل موسى عليه السلام لأعمال الخضر يعود إلى مهمّه موسى التى كانت تختلف عن مهمّه الخضر فى العالم، لذا فقد كان موسى عليه السّلام يبادر إلى الاعتراض على مواقف الخضر المخالفه لضوابط الشريعة بينما كان الخضر مستمرا فى طريق ببرود، لأنّ وظيفه كل من هذين المبعوثين الإلهيين تختلف عن وظيفه الآخر و دوره المرسوم له إلهيا، لذلك لم يستطيعا العيش سوياً، لذا قال الخضر لموسى عليه السّلام: **هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ .**

## ٢- من هو الخضر؟

لقد رأينا القرآن الكريم يتحدّث عن العالم من دون أن يسمّيه بالخضر و قد عبّر عن معلّم موسى عليه السّلام بقوله: **عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ**

مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا وَّ الْآيَةِ تَوْضِحَ الْمَقَامِ الْخَاصِّ لِلْعِبَادِيَّةِ وَ الْعِلْمِ وَ الْمَعْرِفَةِ، لَذَا فَإِنَّا غَالِبًا مَا نَصِفُهُ بِالرَّجُلِ الْعَالِمِ.

أَمَّا الزُّوَايَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَ فِي مَخْتَلَفِ مَصَادِرِهَا عَرَفَتْ هَذَا الرَّجُلَ بِاسْمِ (الْخَضِرِ) وَ مِنْ بَعْضِ هَذِهِ الزُّوَايَاتِ نَسْتَفِيدُ بِأَنَّ اسْمَهُ الْحَقِيقِيَّ كَانَ (بَلِيَا بْنَ مَلِكَانَ) أَمَّا الْخَضِرُ فَهُوَ لِقَبِّ لَهُ، حَيْثُ أَنَّهُ أَيْنَمَا كَانَ يَطُأُ الْأَرْضَ فَإِنَّ الْأَرْضَ كَانَتْ تَخْضُرُ تَحْتَ قَدَمِيهِ.

الْبَعْضُ احْتَمَلَ أَنَّ اسْمَ الرَّجُلِ الْعَالِمِ هَذَا هُوَ (إِلْيَاسُ) وَ مِنْ هُنَا ظَهَرَتْ فِكْرُهُ أَنَّ الْيَاسَ وَ الْخَضِرَ هُمَا اسْمَانِ لِشَخْصٍ وَاحِدٍ.

وَ لَكِنِ الْمَشْهُورُ الْمَعْرُوفُ بَيْنَ الْمَفْسَّرِينَ وَ الرَّوَاهِ هُوَ الْأَوَّلُ.

وَ طَبِيعِيٌّ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اسْمَ الرَّجُلِ الْعَالِمِ أَيًّا كَانَ فَهُوَ غَيْرُ مَهْمٍ لِأَمْضَمُونَ الْقَصَّةَ وَ لَا لِقَصْدِهَا، إِذِ الْمَهْمُ أَنْ نَعْرِفَ أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا إِلَهِيًّا، شَمِلَتْهُ الرَّحْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْخَاصَّةُ، وَ كَانَ مَكْلَفًا بِالْبَاطِنِ وَ النِّظَامِ التَّكْوِينِيَّ لِلْعَالَمِ، وَ يَعْرِفُ بَعْضَ الْأَسْرَارِ، وَ كَانَ مَعْلَمٌ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ مِنْ بَعْضِ الْجَوَانِبِ.

وَ هُنَاكَ أَيْضًا آرَاءُ وَ رَوَايَاتُ مَخْتَلِفَةٍ فِيمَا إِذَا كَانَ الْخَضِرُ نَبِيًّا أَمْ لَا.

فَفِي الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ مِنْ أَصُولِ الْكَافِي وَرَدَتْ رَوَايَاتٌ عَدِيدَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا، بَلْ كَانَ عَالِمًا مِثْلَ (ذُو الْقَرْنَيْنِ) وَ (أَصْفَ بْنَ بَرْخِيَا) (١).

فِي حِينِ نَسْتَفِيدُ مِنْ رَوَايَاتٍ أُخْرَى أَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا، وَ ظَاهِرُ بَعْضِ الْآيَاتِ أَعْلَاهُ يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، لِأَنَّهَا تَقُولُ عَلَى لِسَانِهِ: وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي. وَ فِي مَكَانٍ أُخْرَى قَوْلُهُ: فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ... .

وَ نَسْتَفِيدُ مِنْ رَوَايَاتٍ أُخْرَى أَنَّ الْخَضِرَ عَمَّرَ طَوِيلًا.

وَ هُنَا قَدْ يَطْرَحُ هَذَا السُّؤَالَ: هَلْ ذَكَرْتَ قِصَّةَ مُوسَى وَ هَذَا الْعَالِمِ الْكَبِيرِ فِي

ص: ٣٣٥

مصادر اليهود و المسيح؟ فى الجواب نقول: إذا كان المقصود هو كتب العهدين (التوراه و الإنجيل) فإن ذلك غير مذکور فيهما، أما بعض كتب علماء اليهود التى تم تدوينها فى القرن الحادى عشر الميلادى، ففيها قصه تشبه إلى حد كبير حادثه موسى عليه السّلام و عالم زمانه، بالرغم من أنّها تذكر أنّ أبطال تلك القصّه هما (إلياس) و (يوشع بن لاوى) و هما من مفسّرى (التلمود) فى القرن الثالث الميلادى، و تختلف من خلال عدّه أمور عن قصّه موسى و الخضر، و القصه هذه هى:

«و هو (اى يوشع) يطلب من الله أن يلقى الياس، و بمجرد أن يستجاب دعاؤه و يحظى بلقاء الياس فإنّه يرجوه أن يطلعه على بعض الأسرار. فيجيبه الياس: إنك لا طاقه لك على تحمّل ذلك، إلا أن يوشع يصرّ و يلحّ فى طلبه فيستجيب له الياس مشرطا عليه أن لا يسأل عن أى شىء يراه، و إذا تخلف يوشع عن هذا الشرط فإنّ الياس حرّ فى الانفصال عنه و تركه، و على أساس هذا الاتّفاق يترافق يوشع و الياس فى السفر.

و أثناء سفرهما يدخلان إلى بيت فيستقبلهما صاحب البيت أحزّ استقبال و يكرم وفادهما. و كان لأهل ذلك البيت بقره هى كلّ ما يملكون من حطام الدنيا حيث كانوا يوفّرون لأنفسهم لقمه العيش من بيع لبنها. فيأمر الياس صاحب البيت أن يذبح تلك البقره، و يستولى على يوشع العجب و الاستغراب من هذا التصرف و يدفعه ذلك لأن يسأله عن المبرّر لهذا الفعل. فيذكره الياس بما اتّفقا عليه و يهدّده بمفارقتة له فيصمت يوشع و لا ينبس بكلمه.

و من هناك يواصلان سفرهما إلى قريه أخرى فيدخلان إلى بيت شخص ثرى و ينهض الياس إلى جدار فى ذلك البيت يشرف على السقوط فيرممه و يقيمه. و فى قريه أخرى يواجهان عددا من سكان تلك القريه مجتمعين فى مكان معيّن و لا يعيرون هذين الشخصين بالا و لا يواجهونهما باحترام. فيقوم

الياس بالدعاء لهم أن يصلوا جميعا إلى الرئاسة. و في قريه رابعه يواجههما سكاّنها باحترام فائق فيدعو لهم الياس بأن يصل شخص واحد منهم فحسب إلى الرئاسة. و بالتالى فإنّ يوشع بن لاوى لا يطيق الصبر فيسأل عن الوقاع الأربع، و يجيبه الياس: بأنّه فى البيت الأوّل كانت زوجه ربّ الدار مريضه و لو أنّ تلك البقره لم تذبح بعنوان الصدقه فإنّ تلك المرأه تموت و يصاب صاحب الدار بخساره أفدح من خساره التى تلحقه نتيجة لذبح البقره، و فى البيت الثّانى كان هناك كنز ينبغى الاحتفاظ به لطفل يتيم، و أمّا أنّه قد دعوت لأهل القريه الثّالثه بأن يصلوا إلى الرئاسة جميعا فذلك لكى تضطرب أمورهم و يختلّ النظام عندهم.

على العكس من أهل القريه الزّابعه فإنّهم إذا أسندوا زمام أمورهم إلى شخص واحد فإنّ أمورهم سوف تنتظم و تسير على ما يرام» (١).

و يجب عدم التوهّم أنّنا نرى بأنّ القصتين هما قصه واحده، بل إنّ غرضنا الإشاره إلى أنّ القصه التى يذكرها علماء اليهود يمكن أن تكون قصه مشابهه أو محرّفه لما حصل أصلا لموسى عليه السّلام و الخضر، و قد تغيرت بسبب طول الزمان و أصبحت على هذا الشكل.

### ٣- الأساطير الموضوعه

إنّ الأساس فى قصّه موسى و الخضر عليهما السّلام هو ما ذكر فى القرآن، و لكن مع الأسف هناك أساطير كثيره قيلت حول القصّه و حول رمزيها (موسى و الخضر) حتى أنّ بعض الإضافات تعطى للقصّه طابعا خرافيا. و ينبغى أن نعرف أنّ مصير كثير من القصص لم يختلف عن مصير هذه القصه، إذ لم تنج قصه من الوضع و التحريف و التقوّل.

مقياسنا فى واقعيه القصّه هو أن نضع الآيات الثلاث و العشرون أعلاه كمعيار

ص: ٣٣٧

أمامنا، و حتى بالنسبه للأحاديث و الروايات فإننا نقبلها في حال كونها مطابقه للآيات، فإذا كان هناك حديث لا يطابق الآيات فسرفضه حتما و من حسن الحظ لم يرد في هذه الأحاديث حديث معتبر.

#### ٤- هل يمكن أن يصاب الأنبياء بالنسيان؟

لقد واجهتنا-أعلاه، و لعدّه مرّات-قضية نسيان موسى عليه السّلام، فمرّه في قضيه تلك السمكه المعده لطعامهم؛ و ثلاث مرّات أخرى خلال الحوادث الثلاث التي وقعت عند مرافقته للخضر، حينما نسي تعهده! إذن، نحن أمام هذا السؤال: هل يقع النسيان بالنسبه للأنبياء؟ البعض يعتقد بصدور و وقوع مثل هذا النسيان بالنسبه للأنبياء، لأنّه لا يرتبط بأساس دعوه النبوه و لا بفروعها و لا بتبليغ الدعوه، بل يقع في قضيه عاديه تخص الحياه اليوميه، فالمسلّم به أنّ النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم لا يصاب بالنسيان في أصل دعوه النبوه، و لا يخطأ أو يشتبه في التبليغ، حيث أن عناية الله تعصمه في مثل هذه الأمور.

و لكن ما المانع أن ينسى موسى عليه السّلام طعامه، خصوصا و أن هذا النسيان أمر طبيعي عند ما يكون موسى متوجها بحواسه في البحث عن الرجل العالم؟ ثمّ ما المانع من أن يصاب بالهيجان بحيث ينسى تعهد الذي قطعه مع صاحبه العالم، و ذلك عند ما شاهد هذه الحوادث العظيمه التي مرّت به كقتل الفتى و خرق السفينه و بناء الجدار في مدينه البخلاء؟ إنّ موارد النسيان هذه لا تتعارض مع مقام العصمه، و لا هي مستبعده عن أى نبي.

بعض المفسّرين احتملوا أن يكون النسيان هنا بمعنى مجازي، و يعنى الترك، لأنّ الإنسان عند ما يترك شيئا فهو كمن قد نسيه؛ أمّا لماذا ترك موسى طعامه، فقد

يعود ذلك إلى عدم اهتمامه بمثل هذا الأمر. وفيما يتعلق بتعهده اتجاه صاحبه العالم، فذاك منه لأنه كان ينظر إلى ظواهر الأمور، إذ من غير المألوف أن يعرض أحد أرواح و أموال الناس إلى الضرر، فضلا عن أن يكون ذلك الشخص هو العالم الكبير، لذا فإن موسى عليه السلام كان يعتبر نفسه مكلفا بالاعتراض، و كان يعتقد بأن هذا الأمر لا يقيد بالتعهد.

لكن من الواضح أنّ هذه التفاسير و الآراء لا تتسق مع ظواهر الآيات.

## ٥- لماذا ذهب موسى لرؤيه الخضر؟

في حديث عن ابن عباس قال: أخبرني أبي بن كعب قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فقال: «إنّ موسى عليه السلام قام خطيبا في بني إسرائيل، فسئل أى الناس أعلم؟ قال: أنا.

فغتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه. فأوحى إليه: إنّ لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك.

قال موسى: يا ربّ فكيف لى به؟ قال: تأخذ معك حوتا...» (١) إلخ الزوايه حيث أرشد تعالى نبيه موسى للوصول إلى الرجل العالم.

كما روى ما يشابه هذا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام (٢).

إنّ مفاد هذه الواقعة هو تحذير لموسى عليه السلام حتى لا يعتبر نفسه -برغم علمه و معرفته- أفضل الأشخاص.

و لكن هنا يثار هذا السؤال: ألا يجب أن يكون النبي -و هو هنا من أولى العزم و صاحب رساله- أعلم أهل زمانه؟

ص: ٣٣٩

١-١) -مجمع البيان، ج ٣، ص ٤٨١.

٢-٢) -نور الثقلين، ج ٣، ص ٢٧٥.

فى معرض الجواب نقول: نعم، ينبغى أن يكون أعلم فىما يتعلق بمهمته، يعنى الأعلم بالنظام التشريعى، و موسى عليه السّلام كان كذلك. أمّا الرجل العالم (الخضر) فهو كما قلنا سابقا، كانت له مهمّة تختلف عن مهمّة موسى عليه السّلام و لا ترتبط بعالم التشريع. بعباره أخرى: إنّ الرجل العالم كان يعرف من الأسرار ما لا تعتمد عليه دعوه النبوه.

و

فى حديث جاء عن الإمام الصادق عليه السّلام قوله عليه السّلام: «كان موسى أعلم من الخضر» (١). أى أعلم منه فى علم الشرع.

و هنا نلاحظ أنّ هذه الشبهه و قضيه نسيان موسى عليه السّلام هما اللتان دفعتا البعض إلى القول أنّ موسى المذكور فى القصة ليس هو موسى بن عمران، بل هو شخص آخر. لكن مع حل هاتين المشكلتين لا يبقى مجال لهذا الكلام.

و فى حديث عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام نرى إشاره صريحه إلى أن مهمّة و وظيفه كلّ من موسى و الخضر كانت تختلف عن الآخر، فقد كتب أحدهم إلى الإمام الرضا عليه السّلام يسأله عن العالم الذى أتاه موسى، أيهما كان أعلم؟ فكان ممّا أجاب به الإمام

قوله عليه السّلام: «أتى موسى العالم فأصابه فى جزيره من جزائر البحر إمّا جالسا و إمّا متكئا فسلمّ عليه موسى، فأنكر السلام، إذ كانت الأرض ليس بها سلام.

قال: من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران. قال: أنت موسى بن عمران الذى كلمه الله تكليما؟ قال: نعم، قال: فما حاجتك؟ قال: جئت لتعلمنى ممّا علمت رشدا. قال: إئنى و كلت بأمر لا تطيقه، و و كلت بأمر لا أطيقه» (٢).

و من المناسب هنا أن نختم هذه الفقره بما

رواه صاحب «الدر المنثور» عن «الحاكم» النيسابورى من أنّ النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: «لما لقي موسى الخضر، جاء طير فألقى منقاره فى الماء، فقال الخضر لموسى: تدرى ما يقول هذا الطائر؟ قال: و ما

ص: ٣٤٠

١-١) - تفسير الميزان، ج ١٣، ص ٣٥٦.

٢-٢) - مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٨٠. و الميزان، ج ١٣، ص ٣٥٦.

يقول؟ قال: يقول: ما علمك و علم موسى في علم الله إلا كما أخذ منقارى من الماء» (١).

## ٦- ماذا كان الكنز؟

من الأسئلة التي تثار حول هذه القصّة، هي عن ماهية الكنز الوارد في الآيه، ماذا كان؟ ولماذا كان صاحب موسى يصبر على إخفائه؟ ولماذا قام الرجل المؤمن، يعنى أ بالأيتام يتجمع هذا الكنز و إخفائه؟ يرى بعض المفسّرين أن الكنز يرمز إلى شيء معنوى، قبل أن يكون له مفهوم مادي.

إذ أنّ هذا الكنز طبقا لروايات عديده تنقل من طرق السنه و الشيعة-لم يكن سوى لوح منقوش عليه مجموعه من الحكم.

أمّا ما هي هذه الحكم؟ فتمه كلام كثير للمفسّرين في ذلك.

ففي كتاب الكافي نقلا عن الإمام حيث قال في جوابه على سؤال يتعلق بماهية الكنز: «أمّا إنّه ما كان ذهباً و لا فضه، و إنّما كان أربع كلمات: لا إله إلاّ الله، من أيقن بالموت لم يضحك، و من أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، و من أيقن بالقدر لم يخش إلاّ الله» (٢).

و في روايات أخرى، ورد أنّ اللوح كان من ذهب. الظاهر أنّه ليس هناك تعارض بين الاثنين، لأنّ هدف الرّوايه الأولى أن تبيّن أنّ الكنز لم يكن دراهم و دنانير.

و لو فرضنا أنّنا التزمنا المعنى الظاهر لكلمه كنز، و فسرناه على أنّه كميّه من الذهب، فإنّنا لا نواجه مشكله أيضا، لأنّ الكنز المحرم شرعا هو أن يقوم الإنسان

ص: ٣٤١

١-١) -الدر المنثور و مصادر أخرى طبقا لما نقله صاحب الميزان في ج ١٣، ص ٣٥٦.

٢-٢) -نور الثقلين، ج ٣، ص ٢٨٧.



بتجميع و ادخار أموال و ثروه كبيره لمدّه طويله فى حين أن المجتمع بحاجه إليها، و لكن لو قام أحد الأشخاص بدفن ماله ليوم أو عدّه أيام (كما هو المتعارف فى الازمنه السابقه بسبب عدم الأمن) ثمّ توفى هذا الشخص بسبب حادثه، فلا يوجد أى إشكال فى مثل هذا الكنز.

## ٧- دروس هذه القصّه

هناك جمله دروس يمكن أن نستفيدها من القصّه، و يمكن لنا أن ندرجها كما يلي:

أ: أهميه العثور على قائد عالم و الاستفاده من علمه، بحيث رأينا أنّ نبينا من أولى العزم مثل موسى عليه السّلام يسلك هذا الطريق الطويل، و قد بذل ما بذل لتحقيقه.

و هذا درس لجميع الناس مهما كان علمهم و فى أى عمر كانوا.

ب: جوهره العلم الإلهى تنبع من العبوديه لله تعالى، كما قرأنا فى الآيات أعلاه فى قوله تعالى: عِبَادِنا عِلْمُناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْمًا .

ج: يجب تعلم العلم للعمل، كما يقول موسى عليه السّلام لصاحبه مِمّا عُلِّمْت رُشِداً أى علمنى عملا- يقربنى من هدفى و مقصدى، فأنا لا أطلب العلم لنفسه، بل للوصول إلى الهدف.

د: يجب عدم الاستعجال فى الأعمال، إذ العديد من الأمور تحتاج إلى الفرص المناسبه (الأمور مرهونه بأوقاتها) خاصّه فى القضايا المهمّه، و لهذا السبب، فإنّ الرجل العالم قد ذكر سرّ أعماله لموسى فى الفرصه المناسبه.

ه: الظاهر و الباطن من المسائل المهمّه الأخرى التى نتعلمها من القصه، إذ يجب علينا أن لا نصدر أحكاما سريعه تجاه الحوادث التى تقع فى مجرى حياتنا مما قد لا يعجبنا. إذ ما أكثر الحوادث التى نكرهاها، و لكن يتّضح بعد مدّه أنّ هذه الحوادث لم تكن سوى نوع من الألفاظ الخفيه الإلهيه. و القرآن يصرّح بمضمون

هذه الحقيقة في قوله تعالى: عَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١).

إنَّ الاستفادة من هذه القضية أن لا يصاب الإنسان باليأس عند ما تهجم عليه الحوادث، و في هذا الصدد نقرأ

في حديث طريف ينقله عبد الله بن المحدث و الفقيه المعروف زراره بن أعين، و يقول فيه عبد الله: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «اقرأ مني على والدك السلام، و قل له: إنني إنما أعيبك دفاعاً مني عنك، فإن الناس و العدو يسارعون إلى كل من قربناه و حمدنا مكانه لإدخال الأذى في من نحبه و نقربه، و يرمونه لمحبتنا له و قربه و دنوه منا، و يرون إدخال الأذى عليه و قتله و يحمدون كل من عبناه نحن، فإنما أعيبك لأنك رجل اشتهرت منا، و بميلك إلينا، و أنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الأثر بمودتك لنا و لميلك إلينا، فأحبت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك و نقصك، و يكون بذلك منا دافع شرهم عنك. يقول الله عز و جل: أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا هذا التنزيل من عند الله، صالحه، لا و الله ما عابها إلا لكي تسلم من الملك، و لا تعطب على يديه، و لقد كانت صالحه ليس للعب فيها مساغ و الحمد لله، فافهم المثل يرحمك الله، فإنك و الله أحب الناس إلي، و أحب أصحاب أبي حيا و ميتا. فإنك أفضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر، و إن من ورائك ملكا ظلوما غصوبا يرقب عبور كل سفينه صالحه ترد بحر الهدى ليأخذها غصبا، ثم يغصبها و أهلها و رحمه الله عليك حيا و رحمته و رضوانه عليك ميتا» (٢).

و: من دروس القصة الاعتراف بالحقائق و اتخاذ المواقف المطابقة لها، فعند ما تخلف موسى ثلاث مرّات عن الوفاء بالتزامه لصاحبه العالم، عرف أنه

ص: ٣٤٣

١-١) -البقره، ٢١٦.

٢-٢) -معجم رجال الحديث، ج ٧، ص ٢٢٦.

لا يستطيع الاستمرار معه في الصحبه، وبالرغم من أن فراق هذا الأستاذ كان أمرا صعبا على موسى عليه السلام، إلا أنه عليه السلام لم يكابر و أنصف العالم بإعطائه الحق، وفارقه عن إخلاص بعد أن حصل على حقائق عظيمه و كنوز معنويه كبيره من هذه الصحبه القصيره.

يجب على الإنسان أن لا- يستمر إلى آخر عمره في اختبار نفسه، بحيث تتحوّل حياته إلى مختبر للأُمور المستقبلية التي قد لا تحصل أبدا، إذ عليه عند ما يختبر موضوعا ما عدّه مرّات، أن يلتزم العمل بنتائج الاختبار و أن يقتنع به.

ز: تأثير إيمان الآباء على الأبناء لقد تحمّل الخضر مسؤوليه حمايه الأبناء في المقدار الذي كان يستطيعه، و ذلك بسبب الأب الصالح الملتزم. بمعنى أن الابن يستطيع أن يسعد في ظل الإيمان و أمانه و التزام الأب، و إنّ نتيجة العمل الصالح الذي يلتزمه الأب تعود على الابن أيضا.

و في بعض الروايات نقرأ أنّ ذلك الرجل الصالح لم يكن الأب المباشر لليتامى، بل هو من أجدادهم البعيدين جدا. (و هكذا يكون للعمل الصالح تأثيره) (1). و إنّ من علائم صلاح هذا الأب هو ما تركه من الكنوز المعنويه، و من الحكم لأبنائه.

ح: قصر العمر بسبب إيذاء الوالدين عند ما يطال الموت الابن بسبب ما يلحقه من أذى بوالديه في مستقبل حياته، و بسبب ما يرهقهما به من أذى و طغيان و كفر، قد يحرفهم به عن الطريق الإلهي، كما رأينا ذلك في القصّه التي بين أيدينا، فإنّ الروايات الإسلاميه تربط

ص: ٣٤٤

بين قصر العمر و ترك صله الرحم (و بالأخص أذيه الوالدين و عقوقهما) و قد أشرنا إلى بعضها في نهايه الحديث عن الآيه (٢٣) من سوره الإسراء.

و ينبغي هنا أن نستوعب الدرس على صعيد هذا الجانب من القصة، إذا كان الولد يقتل لما يلحقه بأبويه من ضرر و أذى في مستقبل حياته، ترى فما حال الذى يمارس الأذى فعلا بحق والديه و يرهقهما بالعقوق؟ ط: الناس أعداء ما جهلوا قد يحدث أن يقوم شخص بالإحسان إلينا، إلا أننا نتصوره عدواً لنا، لأننا لا نعرف بواطن الأمور، و نتسرع و نفقد الصبر، خصوصا إزاء الأحداث و الأمور التى نجهلها و لا نحيط بأسبابها علما. من الطبيعى أن يفقد الإنسان صبره إزاء ما لا يحيط به علما من الأحداث و القضايا، إلا أن الدرس المستفاد من القصة هو أن لا نتسرع فى إصدار الأحكام على مثل هذه القضايا حتى تكتمل لدينا الرؤيه التى نحيط من خلالها بجوانب و زوايا الموضوع المختلفه.

ففى حديث عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب، نقرأ قوله عليه السّلام: «الناس أعداء ما جهلوا» (١)، لذا فإنّه كلّما يرتفع الوعى لدى الإنسان فإنّ تعامله يكون أكثر منطقيه، و بعباره أخرى إنّ أساس الصبر هو الوعى.

و كان لانزعاج موسى عليه السّلام-بالطبع- ما يبهره، إذ كان يرى تجاوزا عن حدود الشرع فى الأحداث التى وقعت على يد صاحبه بحيث تعرض القسم الأعظم للشريعة الى الخطر، ففى الحادثه الأولى تعرضت مصونه أموال الناس إلى الخطر؛ و فى الثانيه تعرضت أرواحهم إلى خطر، أمّا فى الثالثه، فكان اعتراضه ينصب على ضروره التعامل المنطقى مع حقوق الناس، لذلك فقد اعترض و نسى

ص: ٣٤٥

عهده الذى قطعه لصاحبه العالم، و لكن ما إن اطلع على بواطن الأمور هداً و كفّ عن الاعتراض. و هذا الأمر يدل على أنّ عدم الاطلاع هو أمر مقلق بحدّ ذاته.

ى: أدب التلميذ و الأستاذ ثمّه ملاحظات لطيفه حول أدب التلميذ و الأستاذ ظهرت فى مقاطع الحديث بين موسى عليه السّلام و الرجل الربّانى العالم، فمن ذلك مثلاً:

١- اعتبار موسى عليه السّلام لنفسه تابعا للخضر قوله: أَتَبِعُكَ .

٢- لقد أعلن موسى عليه السّلام هذا الإتياع على شكل استئذان فقال: هَلْ أَتَّبِعُكَ .

٣- إقراره عليه السّلام بعلم أستاذه و بحاجته للتعلّم فقال: عَلِيٌّ أَنْ تُعَلِّمَنِي .

٤- و للتواضع فقد اعتبر علم أستاذه كثيراً، و هو يطلب جانباً من هذا العلم، فقال: مِمَّا .

٥- يصف علم أستاذه بأنّه علم إلهى فيقول: عُلِّمْتَنِي .

٦- يطلب من أستاذه الهدايه و الرشاد فقال عليه السّلام: رُشِّدْنِي .

٧- يقول لأستاذه بشكل لطيف خفى، بأنّ الله قد تلطف عليك و علّمك، فتلطف أنت عليّ، و حيث قال عليه السّلام: «تعلمن ممّا علمت».

٨- إنّ جملة هَلْ أَتَّبِعُكَ تكشف حقيقه أن يكون التلميذ فى طلب الأستاذ، و فى أتباعه، إذ ليس من وظيفه الأستاذ اتباع تلميذه إلاّ فى حالات و موارد خاصّه.

٩- برغم ما كان يتمتع موسى عليه السّلام بمنصب كبير (حيث كان نبياً من أولى العزم و صاحب رساله و كتاب) إلاّ أنّه تواضع، و هذا يعنى أنّك و مهما كنت و فى أى مقام أصبحت، يجب عليك أن تتواضع فى مقام طلب العلم و المعرفة.

١٠- إنّ موسى عليه السّلام لم يذكر عبارته جازمه فى معرض تعهده لأستاذه، بل قال:

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَ هَذِهِ الصَّيْغَةُ فِي التَّعْبِيرِ مَمْلُوءَةٌ أَدْبًا إِزَاءَ

الخالق جلّ و علا، واتجاه الأستاذ أيضا، حتى إذا تخلف عنها لا يكون ثمّة نوع من هتك الحرمه إزاء الأستاذ.

و ضرورى أن نذكر فى خاتمه هذا الحديث أنّ العالم الربانى قد استخدم إزاء موسى عليه السلام منتهى الحلم فى مقام التعليم و التريه، فعند ما كان موسى عليه السلام ينسى تعهده و تثور ثائرتة و يعترض عليه، يجيبه الأستاذ بهدوء و برود، و لكن على شكل استفهام: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا .

ص: ٣٤٧

اشاره

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُتَّخَذُ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلِ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١)

التفسير

اشاره

قَصَهُ «ذو القرنين» العجيبه:

قلنا في بدايه حديثنا عن أصحاب الكهف: إنَّ مجموعه من قريش قرّرت

اختبار الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقامت هذه المجموعه بالتنسيق مع اليهود و استشارتهم بطرح ثلاث قضايا هي: تاريخ الفتيه من أصحاب الكهف.

السؤال عن ماهيه الروح، أمّا الفضيّه الثالثه فقد كانت حول «ذو القرنين».

و في القرآن، جاء الردّ على قضيّه الروح في سورة الإسراء، أمّا الإجابّه على السؤاليّن الآخرين فقد جاءت في سورة الكهف. و نحن الآن بصدد قصّه «ذو القرنين»:

و أشرنا سابقا إلى أنّ سورة الكهف أشارت إلى ثلاث قصص تختلف في الظاهر عن بعضها، ولكنّها تشترك في جوانب معينه، و القصص الثلاث هي قصّه أصحاب الكهف، و موسى و الخضر، و قصّه «ذو القرنين».

إنّ في القصص الثلاث هذه مضامين تنقلنا من حياتنا العاديه إلى أفق آخر، يكشف لنا أنّ العالم في حقائقه و أسرارّه لا يحدّ فيما ألفناه منه، و فيما يحيطنا منه، و اعتدنا عليه.

إنّ قصّه «ذو القرنين» تدور حول شخصيه أثارت اهتمامات الفلاسفه و الباحثين منذ القدم. و قد بذلت جهود و مساعي كثيره للتعرف على هذه الشخصيه.

و سنقوم أولا- بتفسير الآيات الست عشره الخاصّه بذي القرنين حيث أنّ حياته مع قطع النظر عن جوانبها التاريخيه بمثابه درس كبير و مليء بالعبر، ثمّ نتقل إلى بحوث لمعرفه شخصيه ذي القرنين نفسه مستفيدين في ذلك من الروايات الإسلاميه، و ممّا أشار إليه المؤرّخون في هذا الصدد.

بتعبير آخر: إنّ ما يهمننا أولا هو الحديث عن شخصيه ذي القرنين، و هو ما فعله القرآن، حيث يقول تعالى: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ .

فيكون الجواب على لسان الرسول المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا .



ولأن «السين» في (سأتلوا) تستخدم عادة للمستقبل القريب، والرّسول هنا يتحدّث مباشرة إليهم عن ذى القرنين، فمن المحتمل أن يكون ذلك منه صلّى الله عليه وآله وسلّم احتراماً و مراعاة للأدب؛ الأدب الممزوج بالهدوء والتروى، الأدب الذى يعنى استلهامه للعلم من الله تبارك وتعالى، ونقله إلى الناس.

إنّ بدايه الآيه تبيّن لنا أنّ قصه «ذو القرنين» كانت متداوله و معروفه بين الناس، و لكنّها كانت محاطه بالغموض و الإبهام، لهذا السبب طالبوا الرّسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم الإدلاء حولها بالتوضيحات اللازمه.

و فى استئناف الحديث عن ذى القرنين يقول تعالى: <sup>□</sup> <sup>□</sup> إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ أَي مَنَحْنَاهُ سَبِيلَ الْقُوَّةِ وَ الْقُدْرَةَ وَ الْحَكْمَ.

وَ آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا

بالرغم من أنّ مفهوم (السبب) يعنى الحبل المستخدم فى تسلّق النخيل، إلا أن بعض المفسّرين يحصره فى الوسائل المستخدمه فى إنجاز الأعمال، إلا- أنّ الواضح من مفهوم الآيه أنّ الكلمه المذكوره يراد منها معناها و مفهومها الواسع، حيث أنّ الله تبارك و تعالى منح «ذو القرنين» أسباب الوصول لكل الأشياء: العقل، العلم الكافى، الإدارة السليمه، القوّه و القدره، الجيوش و القوى البشرية، بالإضافة إلى الإمكانيات الماديه. أى إنه منح كل الأسباب و السبل الماديه و المعنويه الكفيله بتحقيق الأهداف المنشوده.

ثمّ يشير القرآن بعد ذلك إلى استفاده ذى القرنين من هذه الأسباب و السبل فيقول: فَأَتْبَعَ سَبَبًا .

ثُمَّ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ .

فَرَأَىٰ أَنهَا تَغْرُبُ فِي بَحْرِ غَامِقٍ أَوْ عَيْنِ ذَاتِ مَاءٍ آجِنٍ: وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ (١).

ص: ٣٥٠

---

(١- ١) - (حمئه) تعنى فى الأصل الطين الأسود ذا الرائحه الكريهه؛ أو الماء الآسن الموجود فى المستنقعات. و هذا

أى مجموعه من الناس فيهم الصالح و الطالح، هؤلاء القوم هم الذين خاطب الله ذا القرنين في شأنهم: قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (١).

و يرى بعض المفسرين في كلمه (قلنا) دليلا على نبوه ذى القرنين. و لكن من المحتمل أن يكون المقصود بهذا التعبير هو الإلهام القلبي الذى يمنحه الخالق جلّ و علا لغير الأنبياء أيضا، هذا و ليس بالإمكان انكار أن التعبير الآنف الذكر يشير بالفعل إلى معنى النبوه.

بعد ذلك تحكى الآيات جواب «ذى القرنين» الذى قال: قَالَ إِمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا (٢). أى إن الظالمين سينالون العذاب الدنيوى و الآخرى معا.

وَ إِمَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ

وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا

أى أننا سنتعامل معه بالقول الحسن، فضلا عن أننا سنخفف عنه و لا نجعله يواجه المشاكل و الصعاب، بالإضافة إلى أننا سوف لن نجبي منه ضرائب كثيره.

و الظاهر أن ذا القرنين أراد من ذلك أن الناس سينقسمون مقابل دعوتى الى التوحيد و الإيمان و النهى عن الظلم و الفساد إلى مجموعتين، الأولى: هى المجموعه التى سترحب ببرنامج الإلهى و دعوته للتوحيد و الإيمان و هذه .

(١)

الوصف يبين لنا بأن الأرض التى بلغها «ذو القرنين» كانت مليئه بالمستنقعات، بشكل كان ذو القرنين يشعر معه بأن الشمس كانت تغرب فى هذه المستنقعات، تماما كما يشعر بذلك مسافر البحر، و سكان السواحل الذين يشعرون بأن الشمس قد غابت فى البحر أو خرجت منه!

ص: ٣٥١

١- ١) - يظهر أن جملة إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ... استفهاميه بالرغم من أن ظاهرها أنها جملة خبريه.

٢- ٢) - «نكر» مشتقه من «منكر» بمعنى الشئ المجهول؛ أى العذاب المجهول الذى لم يمكن تصوره.

ستجزى بالحسنى و ستعيش حياه آمنه و مطمئنه. أمّا الثانيه: فستتخذ موقفا عدائيا من دعوه ذى القرنين و تقف فى الجبهه المناوئه، و تستمر فى شركها و ظلمها، و تواصل فسادها. و هى لذلك ستعاقب نتيجه موقفها هذا أشد العقاب.

و بمقارنه قوله: مَنْ ظَلَمَ و قوله: مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحاً يَتَّبِعْ لَنَا أَنَّ الظلم يعنى هنا الشرك و العمل غير الصالح الذى يعدّ من ثمار شجره الشرك المشؤومه.

و عند ما انتهى «ذو القرنين» من سفره إلى الغرب توجه إلى الشرق حيث يقول القرآن فى ذلك: ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً أى استخدم الوسائل و الإمكانيات التى كانت بحوزته.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ

و هنا رأى أنّها: وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً. و فى اللفظ كناية عن أنّ حياه هؤلاء الناس بدائيه جداً، و لا يملكون سوى القليل من الملابس التى لا تكفى لتغطيه أبدانهم من الشمس.

أمّا بعض المفسرين فلم يستبعدوا افتقار هؤلاء الناس إلى المساكن التى تحميهم من الشمس (١).

و هناك احتمال آخر يطرحه البعض، و يرى أن يكون هؤلاء القوم فى أرض صحراويه تفتقر للجبال و الأشجار و الملاجئ، و أن ليس فى تلك الصحراء ما يمكن هؤلاء القوم من حمايه أنفسهم من الشمس من غطاء أو غير ذلك (٢).

ص: ٣٥٢

---

١ - ١) - أشارت بعض الروايات الوارده عن أهل البيت عليهم السّلام إلى التّفسير الأوّل، فيما أشارت روايات أخرى إلى التّفسير الثّانى. و ليس ثمة تناقض بين الإثنين (يراجع نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٠٦).

٢ - ٢) - تفسير فى ظلال القرآن، و الفخر الرازى أثناء تفسير الآيه.

بالطبع ليس هناك تعارض بين التفاسير هذه، قوله تعالى: **كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَعَدَيْهِ خُبْرًا**. هكذا كانت أعمال «ذو القرنين» و نحن نعلم جيدا بإمكاناته.

بعض المفسرين قال: إن هذه الآية تشير إلى الهداية الإلهية لذي القرنين في برامجه و مساعيه (١).

ص: ٣٥٣

---

١-١) -الميزان، ج ١٣، ص ٣٩١.

اشاره

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَحِيدًا مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَ  
مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ  
أَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ  
عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْتَبَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ  
وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)

التفسير

اشاره

كيف تم بناء سد ذي القرنين؟

الآيات أعلاه تشير إلى سفره أخرى من أسفار ذي القرنين حيث تقول: ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا .

أى بعد هذه الحادثة استفاد من الوسائل المهمّة التي كانت تحت تصرفه و مضى في سفره حتى وصل إلى موضع بين جبلين:  
حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا .

و الآيه إشارة إلى أنه وصل إلى منطقته جبليه، وهناك وجد أناسا(غير المجموعتين اللتين عثر عليهما في الشرق و الغرب) كانوا على مستوى دان من المدنيه، لأنّ الكلام أحد أوضح علائم التمدّن لدى البشر.

البعض احتمال أنّ جملة لا- يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا لا تعنى أنّهم لم يكونوا يعرفون اللغات، بل كانوا لا يفهمون محتوى الكلام، أى كانوا متخلفين فكريا.

أما عن مكان الجبل و الجوانب التاريخيه و الجغرافيه لهذه الحادثة، و سنذكر في نهايه البحث التّفسيري، حديثا مفصلا عن ذلك.

في هذه الأثناء اغتنم هؤلاء القوم مجيء ذى القرنين، لأنّهم كانوا في عذاب شديد من قبل أعدائهم يأجوج و مأجوج، لذا فقد طلبوا العون منه قائلين: قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَ مَا جُوجَ مُفسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ سَدًّا .

قد يكون كلامهم هذا تمّ عن طريق تبادل العلامات و الإشارات، لأنّهم لا يفهمون لغه ذى القرنين، أو أنّهم تحدثوا معه بعبارات ناقصه لا يمكن الاعتداد بها.

و يحتمل أن يكون التفاهيم بينهم تمّ عن طريق المترجمين، أو بأسلوب الإلهام الإلهي، مثل تحدّث بعض الطيور مع سليمان عليه السلام.

في كل الأحوال، يمكن أن نستفيد من الآيه الشريفه أنّ تلك المجموعه من الناس كانت ذات وضع جيّد من حيث الإمكانيات الاقتصاديه، إلا أنّهم كانوا ضعفاء في المجال الصناعى و الفكرى و التخطيطى، لذا فقد تقبلوا بتكاليف بناء هذا السد المهم، بشرط أن يتكفل ذو القرنين ببناؤه و هندسته.

و فيما يخص أجوج و مأجوج سنتحدث عنهم فى نهايه هذا البحث إن شاء الله.

أما ذو القرنين فقد أجابهم: قَالَ مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ، و أَنَّى لَا أحتاج إلى مساعدتكم المالىه و إِنَّمَا: فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْمًا .

كلمه «ردم» على وزن «طرد» و هى فى الأصل تعنى ملء الشق بالأحجار، إلاّ- أنّها فيما بعد أخذت معنى واسعاً بحيث شمل كل سد، بل و شمل حتى ترقيع الملابس.

يعتقد بعض المفسرين أنّ كلمه «ردم» تقال للسد القوى (1)، و وفقاً لهذا التفسير فإنّ ذا القرنين قد وعدهم بأكثر ممّا كانوا ينتظرونه.

كما أنّه يجب الانتباه إلى أنّ «سد» على وزن «قد»، و «سدّ» على وزن «فعل» هما بمعنى واحد، و هو الحائل الذى يفصل بين شيئين، إلاّ أنّ البعض- كما يقول الراغب- وضع فرقاً بين الإثنين، فالأول هو من صناعه الإنسان، و الثانى هو الحائل الطبيعى.

ثمّ أمر ذو القرنين فقال: آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ .

«زبر» جمع «زبره» على وزن (غرفة)، و تعنى القطع الكبيره و الضخيمه من الحديد.

و عند ما تهيأت قطع الحديد أعطى أمراً بوضع بعضها فوق البعض الآخر حتى غطى بين الجبلين بشكل كامل: حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ .

«صدف» تعنى هنا حافه الجبل، و يتّضح من هذا التعبير أنّ هناك شقاً بين حافتي الجبل حيث كان يأجوج و مأجوج يدخلان منه، و قد صمم ذو القرنين ملأ هذا الشق.

الأمر الثالث لذى القرنين هو طلبه منهم أن يجلبوا الحطب و ما شابهه،

ص: ٣٥٦

---

(١- ١) - «الآلوسى» فى «روح المعانى»، و الفيض الكاشانى فى تفسير «الصافى»، و الفخر الرازى فى «التفسير الكبير».

و وضعه على جانبي هذا السد، و أشعل النار فيه ثم أمرهم بالنفخ فيه حتى احمر الحديد من شدة النار: **قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا**.

لقد كان يهدف ذو القرنين من ذلك ربط قطع الحديد بعضها ببعض ليصنع منها سدا من قطعه واحده، و عن طريق ذلك، قام ذو القرنين بنفس عمل «اللحام» الذى يقام به اليوم فى ربط أجزاء الحديد بعضها ببعض.

أخيرا أصدر لهم الأمر الأخير فقال: اجلبوا لى النحاس المذاب حتى أضعه فوق هذا السد: **قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا**.

و بهذا الشكل قام بتغطيه هذا السد الحديدى بطبقه النحاس حتى لا ينفذ فيه الهواء و يحفظ من التآكل.

بعض المفسرين قالوا: إن علوم اليوم أثبتت أنه عند إضافه مقدار من النحاس إلى الحديد فإن ذلك سيزيد من مقدار مقاومته، و لأن «ذا القرنين» كان عالما بهذه الحقيقه فقد أقدم على تنفيذها.

إن المشهور فى معنى «قطر» هو ما قلناه (أى النحاس المذاب)، إلا أن بعض المفسرين فسّر ذلك بـ «الخارصين المذاب» و هو خلاف المتعارف عليه.

و أخيرا، أصبح هذا السد بقدر من القوه و الإحكام بحيث: **فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**.

لقد كان عمل ذى القرنين عظيما و مهما، و كان له وفقا لمنطق المستكبرين و نهجهم أن يتباهى به أو يمين به، إلا أنه قال بأدب كامل: **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي لِأَنَّ أَحْلَاقَهُ كَانَتْ أَحْلَاقًا إِلَهِيَّةً**.

إنه أراد أن يقول: إذا كنت أملك العلم و المعرفه و أستطيع بواسطتهما أن أخطو خطوات مهمه، فإن كل ذلك إنما كان من قبل الخالق جلّ و علا، و إذا كنت أملك قابليه الكلام و الحديث المؤثر فذلك أيضا من الخالق جلّ و علا.

و إذا كانت مثل هذه الوسائل و الأفكار فى اختيارى فإن ذلك من بركه الله



و رحمته الخالق الواسعه.

أراد ذو القرنين أن يقول: إني لا أملك شيئاً من عندى كي أفتخر به، ولم أعمل عملاً مهماً كي أمن على عباد الله.

ثُمَّ اسْتَطْرَد قَائِلًا: لَا تَظُنُّوا أَنَّ هَذَا السِّدَّ سَيَكُونُ أَبَدِيًّا وَ خَالِدًا: فَإِذَا جَاءَ وَعَدُّ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَاةً .

وَ كَانَ وَعَدُّ رَبِّي حَقًّا

لقد أشار ذو القرنين في كلامه هذا إلى قضيه فناء الدنيا و تحطّم هيكل نظام الوجود فيها عند البعث.

لكن بعض المفسّرين اعتبر الوعد الإلهي إشاره إلى التقدم العلمي للبشر و الذى بواسطته لا يبقى معنى لسد غير قابل للاختراق و العبور، فالطائرات و ما شابهها تستطيع أن تعبر جميع هذه الموانع. و لكن هذا التفسير بعيد حسب الظاهر.

**بحوث**

**إشارة**

**أولاً-الملاحظات التربويه فى هذه القصة التاريخيه**

سنبحث فيما بعد-إن شاء الله-ما يتعلق بذي القرنين؛ من هو؟ و كيف تمّ سفره للشرق و الغرب؛ و أين كان السد الذى أنشأه؟ و غير ذلك، و لكن بصرف النظر عن الجوانب التاريخيه، فإنّ القصة بشكل عام تحوى على دروس تربويه كثيره من الضرورى الالتفات إليها و الإفاده منها، و فى الواقع أنّها هى الهدف القرآنى من إيرادها. و يمكن تلخيص هذه الدروس بالشكل الآتى:

١-إنّ أول درس تعلمنا إياه أنّ عمل هذه الدنيا لا يتمّ دون توفير أسبابه، لذا فإنّ الله تبارك و تعالى وهب الوسائل و الأسباب لتقدم و انتصار ذى القرنين فى علمه: وَ آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا . و فى نفس الوقت استفاد «ذو القرنين» من

ص: ٣٥٨

هذه الأسباب و الوسائل بأفضل وجه ممكن: فَاتَّبِعْ سَبِيًّا .

لذلك فإنّ من يظن أنّه سيحصل على النصر من دون تهيئه أسبابه و مقدماته، فإنّه لا يصل إلى مرامه حتى لو كان ذا القرنين نفسه! ٢- بالرغم من أنّ غروب الشمس فى عين من ماء آسن سببه خطأ فى البصره و اشتباه منها، إلا أنّ المعنى الذى نلمحه من هذا المثال هو إمكان تغطيه الشمس مع عظمتها بالعين الآسنه و مثلها فى ذلك مثل ذلك الإنسان العظيم الذى يسقط و ينهار بسبب خطأ واحد فتغرب شخصيته من انظار الناس.

٣- لا تستطيع أى حكومه أن تنتصر بدون ترغيب الأنصار و الأتباع، و معاقبه المذنبين و المخطئين، و هذا هو نفس الأساس الذى اعتمد عليه ذو القرنين حيث قال: **قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ... وَ أَمَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَى .**

و الإمام أمير المؤمنين على عليه السّلام بلور هذا المعنى فى رسالته إلى مالك الأشر و التى هى برنامج كامل لإداره البلاد، إذ

يقول عليه السّلام: «و لا- يكونن المحسن و المسىء عندك بمنزله سواء، فإنّ فى ذلك تزهيدا لأهل الإحسان فى الإحسان، و تدريبا لأهل الإساءه على الإساءه» (١).

٤- التكليف الشاق و التصعب فى الأمور و تحميل الناس ما لا يطيقون، كل هذه الأمور لا تناسب الحكومه الإلهيه العادله أبدا، و لهذا السبب فإنّ ذا القرنين بعد أن صرّح بمعاقبه الظالمين و تشويق الصالحين، أضاف: **وَ سَيَنْقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا** حتى يمكن إنجاز الأعمال عن شوق و رغبه.

٥- الحكومه الكبيره ذات الإمكانيات الواسعه لا تتغاضى عن التفاوت و الاختلاف القائم فى حياه الناس و تراعى شرائط حياتهم المختلفه، و لهذا السبب فإنّ «ذو القرنين» صاحب الحكومه الإلهيه و الذى واجهته أقوام مختلفه، كان

ص: ٣٥٩

يتعامل مع كل مجموعته بما يناسب حياتها الخاصه، و بذلك كان الجميع منضوين تحت لوائه.

٦- إن «ذو القرنين» لم يستعبد حتى تلك المجموعه التي لم تكن تفهم الكلام، أو كما وصفهم القرآن: لا يكادون يفقهون قولاً بل إنه استمع إلى مشاكلهم، و دأب على رفع احتياجاتهم بأى أسلوب كان، و بنى لهم سداً محكماً بينهم و بين أعدائهم اللدودين (يأجوج و مأجوج) و قد قام بإنجاز أمورهم بدون أن يفرق بينهم (رغم أنه كان يظهر أنّ مثل هؤلاء الناس عديمى الفهم لا ينفعون الحكومه بأى شىء).

و

فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام نقرأ قوله: إسماع الأصم من غير تصعّر صدقه هنيئه» (١).

٧- الأمن هو أول و أهم شرط من شروط الحياه الاجتماعيه السالمه، لهذا السبب تحمّل «ذو القرنين» أصعب الأعمال و أشقها لتأمين أمن القوم من أعدائهم، و قد استفاد من أقوى السدود و أمنعها الذى أصبح مضرب الأمثال فى التاريخ و رمزا للاستحكام و الدوام و البقاء، حيث يقال لبناء القوى «إنه مثل سد الإسكندر» بالرغم من أن «ذو القرنين» غير الإسكندر.

و عادته لا يسعد المجتمع من دون قطع الطريق على المفسدين، و لهذا فإن أول شىء طلبه إبراهيم عليه السلام عند بناء الكعبه هو الأمن: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا (٢).

و لهذا السبب أيضا فإنّ الفقه الإسلامى وضع أقصى العقوبات للذين يعرضون أمن المجتمع إلى الخطر (راجع فى ذلك تفسير الآيه (٣٣) من سوره المائده).

ص: ٣٦٠

١- ١) - سفينه البحار، ج ٢، ماده «صمم».

٢- ٢) - سوره إبراهيم، ٣٥.

٨-الدرس الآخر الذى يمكن أن نتعلمه من هذه القصه،هو أنّ أصحاب المشكله الأصليين معينين بالدرجه الأولى فى الاشتراك فى الجهد المبذول لحل مشكلتهم،لذا فإنّ «ذو القرنين»أعطى أمرا إلى الفئه التى اشتكت إليه أمر يأجوج و مأجوج بأن يجلبوا قطع الحديد،ثم أعطاهم الأمر بإشعال النار فى أطراف السد لدمج القطع فيما بينها،ثم أمرهم بتهيئه النحاس المذاب.و عاده فإن العمل الذى يتم بمساهمه و حضور الأطراف الأصليين فى المشكله يؤدي إلى إظهار استعداداتهم و يعطى قيمه خاصه للنتائج الحاصله منه،و للجهود المبذوله فيه، و من ثمّ يحرص الجميع للحفاظ عليه و إدامته بحكم تحملهم لمجهودات إنشائه.

كما يتضح من هذه النقطه أن،المجتمع المتخلف و المتأخر يستطيع أن ينجز أعمالا مهمه و عظيمه إذا تمتع ببرنامج صحيح و إداره مخلصه.

٩-الزعيم الإلهى و القائد الزباني لا يلتفت إلى الجزاء المادى و النفع المالى و إنّما يقتنع بما حباه الله،لذا رأينا«ذو القرنين»عند ما اقترحوا عليه الأموال قال:

مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ

و هذا النمط من السلوك يخالف أساليب السلاطين و ولعهم العجيب بجمع الثروه و الأموال.

و فى القرآن الكريم نقرأ مرارا فى قصص الأنبياء أنّهم لم يكونوا يطلبون المال جزاء لأعمالهم و دعواتهم.

و يمكن مشاهدته هذا الموضوع فى (١١)موردا من القرآن الكريم،سواء ما يخص نبي الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أو الأنبياء السابقين،ففى بعض الأحيان يذكر القرآن تعبير: إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ .و فى أحيان أخرى يضع القرآن محبته أهل البيت عليهم السلام و الذين هم ركن القيادة المستقبليه أساسا للجزاء فيقول: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى .

١٠-إحكام الأمور هو درس آخر نستفيده من هذه القصه،فذو القرنين استفاد من القطع الحديديه الكبرى فى بناء السد،و قد وصلها بالنار،ثم غطاها

بالنحاس المذاب كى تمتنع عن التلف و الصدا إذا تعرضت للهواء و الرطوبه.

١١- مهما كان الإنسان قويا و متمكنا و صاحب قدره و استطاعه فى إنجاز الأعمال، فعليه، أن لا يغتر بنفسه، و هذا هو درس آخر نتعلمه من قصه «ذو القرنين». فقد اعتمد فى جميع شؤونه على قدره الخالق جلّ و علا، و قال بعد إتمام السد: <sup>□□</sup> هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي. و عند ما اقترحوا عليه المساعدة المالىه قال:

□ ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ

و أخيرا عند ما يتحدث عن فناء هذا السد المحكم، فإنه لا ينسى أن ينسب موعد ذلك إلى الله تعالى.

١٢- كل شى إلى زوال مهما كان محكما و صلدا. هذا هو الدرس الأخير فى هذه القصة، و هو درس للذين يتمنون أو يظنون خلود المال أو المنصب و الجاه.

إنّ سد ذى القرنين أمر هين قياسا إلى انطفاء الشمس و فناء الجبال الراسيات، إذا فكيف بالإنسان المعرّض للأضرار أكثر من غيره؟! ألا يكفى التفكير بهذه الحقائق حافزا على الوقوف بوجه الاستبداد؟

### ثانيا: من هو ذو القرنين؟

ذكر المفسرون كلاما كثيرا عن شخصيه ذى القرنين الوارد فى القرآن الكريم، فمن هو؟ و على أى واحد من الشخصيات التاريخيه المعروفه تنطبق أوصافه و يمكن أن نرجع الآراء إلى ثلاث نظريات أساسيه هى:

النظريه الأولى: يرى البعض أنّ «ذو القرنين» ليس سوى «الإسكندر المقدونى»، لذا فإنّهم يسمونه «الإسكندر ذو القرنين» و يعتقد هؤلاء بأنّه سيطر بعد وفاه أبيه على دول الروم و المغرب و المصّر، و بنى مدينه الإسكندريه، ثمّ سيطر بعد ذلك على الشام و بيت المقدس، ثمّ ذهب من هناك إلى «أرمينيا»، و فتح العراق و بلاد فارس، ثمّ قصد الهند و الصين، و من هناك رجع إلى خراسان، و قد بنى مدنا كثيره، ثمّ جاء إلى العراق و مرض فى مدينه «زور» و توفى فيها.

و يقول البعض: إنّه لم يعمر أكثر من (٣٦) سنة، أمّا جسده فقد ذهبوا به إلى الإسكندريه و دفنوه هناك (١).

النظريه الثانيه: ويرى جمع من المؤرخين أنّ «ذو القرنين» كان أحد ملوك اليمن (كان ملوك اليمن يسمون ب«تبع» و جمع ذلك «تبايعه») و قد دافع عن هذه النظريه «الأصمعي» في تاريخ العرب قبل الإسلام، و«ابن هشام» في تاريخه المعروف بسيره ابن هشام، و«أبو ريحان البيروني» في كتاب «الآثار الباقية».

و يمكن لنا أن نلمح في شعر شعراء (الحميريّه) و هم من أقوام اليمن، و بعضا من شعراء الجاهليه تفاخرا بكون «ذو القرنين» من قومهم (٢).

وفقا لهذه النظريه يكون سد ذو القرنين هو سد «مأرب» المعروف.

النظريه الثالثه: و هي أحدث النظريات في هذا المجال وردت عن المفكر الإسلامى المعروف (أبو الكلام آزاد) الذى شغل يوما منصب وزير الثقافه فى الهند. و قد أورد رأيه فى كتاب حققه فى هذا المجال.

و طبقا لهذه النظريه فإنّ ذا القرنين هو نفسه (كورش الكبير) الملك الأخمينى.

أمّا النظريتان الأولى و الثانيه فإنّها لا تدعمها أدله قويه، و مضافا إلى ذلك فإنّ صفات الإسكندر المقدونى أو ملوك اليمن لا تنطبق مع الصفات الذى ذكرها القرآن لذى القرنين.

من ناحيه ثالثه فإنّ الإسكندر لم يبن سدا معروفا. أمّا سد مأرب فى اليمن فإنّه لا يتطابق مع الصفات الوارده فى سدّ «ذو القرنين». الذى بنى من الحديد و النحاس، و قد أنشئ لصد هجوم الأقوام الهمجيه، فى حين أنّ سد مأرب مكّون

ص: ٣٦٣

١-١) - يمكن ملاحظه ذلك فى تفسير الفخر الرازى، و الكامل لابن الأثير (المجلد الأوّل صفحه ٢٨٧). و يعتقد البعض أن أوّل من قال بهذه النظريه هو الشيخ ابن سينا فى كتابه الشفاء.

٢-٢) - الميزان، ج ١٣، ص ٤١٤.

من المواد العاديه، ووظيفته خزن المياه و منعها من الطغيان و الفيضان، و قد ذكر القرآن شرحا لذلك فى سورة «سبأ».

لكل هذه الأسباب سنركز البحث على النظرية الثالثة، و نرى من الضرورى-هنا-الانتباه بدقه إلى الأمور التاليه:

أ: لماذا سُمى ذو القرنين بهذا الاسم؟ البعض يعتقد أن سبب التسميه تعود إلى وصوله للشرق و الغرب، حيث يعتبر العرب عن ذلك بقرنى الشمس.

البعض الآخر يرى بأنه عاش قرنين أو أنه حكم قرنين، و أمّا ما مقدار القرن فهناك آراء مختلفه فى ذلك.

البعض الثالث يقول: كان يوجد على طرفى رأسه بروز(قرن)، و لهذا السبب سُمى بذى القرنين.

و أخيرا فإنّ البعض يعتقد بأنّ تاجه الخاص كان يحتوى على قرنين.

بالطبع هناك آراء أخرى فى ذلك، إلاّ- أنّ ذكرها جميعا يطيل بنا المقام؛ و سوف نرى أنّ مبتكر النظرية الثالثه(أبو الكلام آزاد) استفاد كثيرا من هذا اللقب لإثبات نظريته.

ب: لو لاحظنا بدقه من آيات القرآن الكريم لاستفدنا أنّ ذا القرنين كانت له صفات ممتازة هي:

\* هيأ له الله جلّ و علا أسباب القوّه و مقدمات الإنتصار، و جعلها تحت تصرفه و فى متناول يده.

\* لقد جهز ثلاثه جيوش مهمّه: الأول إلى الغرب، و الثانى إلى الشرق؛ و الثالث إلى المنطقه التى تضم المضيق الجبلى، و فى كل هذه الأسفار كان له تعامل خاص مع الأقوام المختلفه حيث ورد تفصيل ذلك فى الآيات السابقه.

\* كان رجلا مؤمنا تتجلى فيه صفات التوحيد و العطف، و لم ينحرف عن

طريق العدل، و لهذا السبب فقد شمله اللطف الإلهي الخاص، إذ كان ناصرا للمحسنين و عدوا للظالمين، و لم يكن يرغب أو يطمع بمال الدنيا كثيرا.

\* كان مؤمنا بالله و باليوم الآخر.

\* لقد صنع واحدا من أهم و أقوى السدود، السد الذي استفاد لصنعه من الحديد و النحاس بدلا من الطابوق و الحجارة. (و إذا كانت هناك مواد أخرى مستخدمه فيه، فهي لا- يعتبر شيئا بالقياس الى الحديد و النحاس) أما هدفه من بنائه فقد في مساعده المستضعفين في قبال ظلم يأجوج و مأجوج.

\* كان شخصا مشهورا بين مجموعه من الناس، و ذلك قبل نزول القرآن، لذا فإن قريش أو اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عنه، كما يصرح بذلك الكتاب العزيز في قوله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ .

و لا يمكن الاستفاده بشيء من صريح القرآن للدلاله على أنه كان نبيا، بالرغم من وجود تعابير تشعر بهذا المعنى، كما مرّ ذلك في تفسير الآيات السابقه.

و نقرأ في العديد من الروايات الإسلاميه الوارده عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و أئمه أهل البيت عليهم السلام أنه: لم يكن نبيا بل عبدا صالحا» (1).

ج: أساس القول في النظرية الثالثة (في أنّ ذا القرنين هو كورش الكبير) قائم على أصليين و هما:

الأصل الأوّل: وفق العديد من الروايات الوارده في سبب نزول هذه الآيات فإنّ الذي سأل عن «ذو القرنين» هم قوم من اليهود، أو أنّ قريشا قامت بالأمر بتحريض من اليهود، لذا يجب العثور على أصل هذا الموضوع في كتاب اليهود.

و من الكتب المعروفة عند اليهود، هو كتاب «دانيال» حيث نقرأ في الفصل الثامن منه، ما يلي: «حينما ملكك (بل شصير) عرضت لي و أنا دانيال رؤيا بعد الرؤيا الأولى التي شاهدتها، و ذلك حينما كنت أسكن قصر (شوشان) في بلاد (عيلام)

ص: ٣٦٥



فقد رأيت و أنا فى المنام بأنى على مقربه من نهر (أولاي) و أن كبشا يقف قرب النهر و كان له قرنان طويلان، و وجدته يضرب بقرنيه غربا و شمالا و جنوبا، و لم يتقدم أحد أمامه، و لأنه لم يكن يوجد أحد أمامه، لذا فإنه كان يتصرف وفقا لما يريد، و كان يكبر» (١).

و بعد ذلك نقل عن دانيال فى هذا الكتاب قوله: «و قد تجلى له جبرائيل (أى لدانيال) و فسّر منامه هكذا: إنّ الكبش ذا القرنين الذى رأيتَه فإنه من ملوك المدائن و فارس (أو ملوك ماد و فارس).

لقد استبشر اليهود من رؤيا دانيال و علموا بأنّ فتره عبوديتهم ستنتهى من قبضه البابليين.

و لم تمض مدّة طويله حتى ظهر (كورش) على مسرح الحكم فى إيران و وُحِد بلاد (ماد و فارس) و شكّل منهما مملكه كبيره؛ و كما قال دانيال، فإنّ الكبش كان يضرب بقرنه الغرب و الشرق، فإنّ كورش قام بالفتوحات الكبيره فى الجهات الثلاث، و حرّر اليهود و سمح لهم بالعودة إلى فلسطين..

و الطريف ما نقرؤه فى التوراه فى كتاب «أشعيا» فصل (٤٤) رقم (٢٨): «ثم يقول بخصوص كورش: إنه كان راعيا عندى (أى عند الرب) و سيقوم بتنفيذ مشيئتى».

يجب الانتباه إلى أنّ وصف كورش ورد فى بعض تعبيرات التوراه على أنه «عقاب المشرق» و الرجل المدبر الذى يأتى من مكان بعيد. (كتاب أشعيا فصل ٤٦ رقم ١١).

الأصل الثانى: لقد تمّ العثور فى القرن التاسع عشر الميلادى على تمثال لكورش فى طول إنسان تقريبا، و ذلك بالقرب من مدينه «إصطخر» بجوار نهر «المرغاب» و يظهر من هذا التمثال أنّ لكورش جناحين من الجانبين يشبهان

ص: ٣٦٦

جناح العقاب، و على رأسه تاج يشاهد فيه قرنان يشبهان قرنا الكبش.

فضلا عمّا يطويه هذا التمثال من نموذج قيم لفن النحت القديم، فقد جلب انتباه العلماء، حتى أنّ مجموعه من العلماء الألمان سافروا إلى إيران لأجل رؤيته فقط.

عند تطبيق ما ورد فى التوراه على مواصفات التمثال تبلور فى ذهن العلامه (أبو الكلام آزاد) احتمال فى وجود اشتراك بين «ذو القرنين» و كورش، و أنّ الأخير لم يكن سوى «ذو القرنين» نفسه. فتمثال كورش له جناحان كجناحي العقاب، و هكذا توضحت شخصيه «ذو القرنين» التأريخيه لمجموعه من العلماء.

و ممّا يؤيّر هذه النظرية الأوصاف الأخلاقية المذكوره لكورش فى التأريخ.

يقول «هرودوت»، المؤرخ اليونانى: لقد أعطى كورش أمرا إلى قواته بالأّ- يضربوا بسيفهم سوى المحاربين، و أن لا- يقتلوا أى جندى للعدوّ إذا انحنى. و قد أطاع جيشه أوامره، بحيث أنّ عامّه الناس لم تشعر بمصائب الحرب و مآسيها.

و يكتب عنه «هرودوت» أيضا: لقد كان كورش ملكا كريما، و سخيا عطوفا، و لم يكن مثل بقيه الملوك فى حرصهم على المال، بل كان حريصا على إفشاء العدل، و كان يتسم بالعطاء و الكرم، و كان ينصف المظلومين و يحب الخير.

و يقول مؤرّخ آخر هو (ذينوفن): لقد كان كورش ملكا عادلا و عطوفا، و قد اجتمعت فيه فضائل الحكماء، و شرف الملوك؛ فالهمه الفائقه كانت تغلب على وجوده، و كان شعاره خدمه الإنسانيه، و أخلاقه إفشاء العدل، كما أنّ التواضع و السماحه كانا يغلبان الكبر و العجب فى وجوده.

الطريف فى الأمر أنّ هؤلاء المؤرّخين الذين ذكروا كورش فى الأوصاف الآنفه الذكر، كانوا من كتاب التأريخ الغرباء عن قوم كورش، و من غير أبناء وطنه، حيث كانوا من (اليونان)، و المعروف أنّ أهل اليونان تعرضوا لهزيمة منكره على يد كورش عند ما فتح «ليديا»!

ص: ٣٦٧

ثم إن أنصار هذا الرأي يقولون: إن الأوصاف المذكوره في القرآن الكريم حول «ذو القرنين» تتطابق مع الأوصاف التاريخية لكورش.

و الأهم من ذلك أن كورش قد سافر أسفاراً نحو الشمال و الشرق و الغرب، و قد وردت قصه هذه الأسفار مفصّله في حياته، و هي تتطابق مع الأسفار الثلاثه لدى القرنين الوارد ذكرها في القرآن الكريم.

فأول جيش له كان قد أرسله إلى بلاد «ليديا» الواقعه في شمال آسيا الصغرى، و هذه البلاد كانت تقع غرب مركز حكومه كورش.

و عند ما نضع خارطه الساحل الغربى لآسيا الصغرى أمامنا، فسوف نرى أن القسم الأعظم من الساحل يغرق في الخلجان الصغيره و خاصه قرب «أزمير» حيث يكون الخليج بشكل يشبه شكل العين. و القرآن يبيّن أن «ذو القرنين» في سفره نحو الغرب أحسّ بأنّ الشمس غرقت في عين من اللجن.

هذا المشهد، هو نفس المنظر الذى شاهده «كورش» حينما تلمس الشمس في الخلجان الساحليه لتبدو لعين الناظر و كأنّها غارقه في تلك الخلجان الساحليه.

أمّا الجيش الثانى فقد كان باتجاه الشرق، و فى وصفه يقول المؤرخ «هروودوت»: إنّ هذا الهجوم الكورشى فى الشرق كان بعد فتح «ليديا» و خاصّه بعد عصيان بعض القبائل الهمجيه التى أجبرت بعصيانها كورش على هذا الهجوم.

و تعبير القرآن الذى يقول: **إِذَا بَلَغَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ وَجِدَهَا تَلْحُجٌّ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعِلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا** هو إشاره إلى سفر «كورش» إلى أقصى الشرق حيث شاهد أنّ الشمس تشرق على أناس لم يجعلوا لهم ما يظلمهم من حرّ الشمس، و هذه إشاره إلى أنّ القوم كانوا من سكنه الصحارى الرّحل.

أمّا الجيش الثالث فقد أرسله نحو الشمال باتجاه جبال القوقاز حيث وصل إلى المضيق المحصور بين الجبلين، و بنى هناك سدّاً محكماً بطلب من أهل

المنطقه،لكى يتحصنوا به عن هجمات القبائل الهمجيه من قوم يأجوج و مأجوج.

المضيق يسمى فى الوقت الحاضر مضيق «داريال» حيث يمكن مشاهدته فى الخرائط المنتشره فى الوقت الحاضر، و يقع بين «والادى كيوكز» و«تفليس» فى نفس المكان الذى ما زال يظهر فيه حتى الآن الجدار الحديدى الأثرى، و الذى هو نفس السد الذى بناه «كورش»، إذ تمّ تطابق واضح بينه و بين ما ذكر القرآن من صفات و خصائص لسدّ ذى القرنين.

هذه هى خلاصه الأدله التى تدعم صحه النظرية الثالثه حول شخصيه «ذو القرنين» (١).

صحيح أنّ تمّ نقاطا مبهمه فى هذه النظرية، إلاّ أنّها فى الوقت الحاضر تعتبر أفضل النظريات فى تشخيص شخصيه «ذو القرنين» و تطبيق مواصفاتها القرآنيه على الشخصيات التأريخيه.

### ثالثا: أين يقع سد ذى القرنين؟

بالرغم من محاوله البعض المطابقه بين سد ذى القرنين و بين جدار الصين الذى لا يزال موجودا و يبلغ طوله مئات الكيلو مترات، إلاّ أنّ الواضح أنّ جدار الصين لا يدخل فى بنائه الحديد و لا النحاس، و مضافا إلى ذلك لا يقع فى مضيق جبلى ضيق، بل هو جدار مبنى من مواد البناء العاديه و يبلغ طول مئات الكيلو مترات، و ما زال موجودا حتى الآن.

البعض يرى فى سد ذى القرنين أنّه سد مأرب فى اليمن، و لكن هذا السد برغم وقوعه فى مضيق جبلى، إلاّ أنّه أنشئ لمنع السيل و لحزن المياه، و لم يدخل النحاس و الحديد فى بنائه.

ص: ٣٦٩

---

١-١) -لمزيد من التفاصيل يمكن مراجعه كتاب «ذو القرنين أو كورش الكبير».

و لكن بالاستناد إلى شهادة العلماء و أهل الخبره فإنّ السد- كما أشرنا لذلك قبل قليل- يقع في أرض القوقاز بين بحر الخزر و البحر الأسود، حيث توجد سلسله جبلية كالجدار تفصل الشمال عن الجنوب، و المضيق الوحيد الذي يقع بين هذه الجبال الصخرية هو مضيق «داريال» المعروف، و يشاهد فيه جدار حديدي أثرى حتى الآن، و لهذه المرجحات يعتقد الكثيرون أنّ سد «ذو القرنين» يقع في هذا المضيق، و أنّ المتبقى من مواصفات آثاره دليل مؤيد لذلك.

الطريف في الأمر أنّه يوجد نهر على مقربه من ذلك المكان يسمى «سائرس» أي «كورش» إذ كان اليونان يسمون كورش ب(سائرس).

الآثار الأرمينية القديمه كانت تطلق على هذا الجدار اسم «بهاك كورائي» و التي تعني «مضيق كورش» أو «معبّر كورش» و هذا دليل آخر على أنّ كورش هو الذي بنى السد (١).

### رابعاً: من هم يأجوج و مأجوج؟

ذكر القرآن الكريم يأجوج و مأجوج في سورتين، إذ وردت المرّة الأولى في الآيات التي نبحتها، و الثانيه في سوره الأنبياء، آيه (٩٦).

الآيات القرآنيه تؤيد بوضوح أنّ هذين الاسمين هما لقبيلتين همجيتين كانتا تؤذيان سكان المناطق المحيطة بهم.

و في كتاب «حزقيل» من التوراه، الفصل الثامن و الثلاثين و التاسع و الثلاثين، و في كتاب رؤيا «يوحنا» الفصل العشرين، ذكرنا بعنوان «كودك» و «ماكوك» التي تعني بعد التعريب يأجوج و مأجوج.

و يقول العلامه الطبائعي، في تفسير الميزان: إنّهُ يستفاد من مجموع ما ذكر في التوراه أنّ مأجوج أو يأجوج هم مجموعه أو مجاميع كبيره كانت

ص : ٣٧٠

تقطن أقصى نقطه فى شمال آسيا، و هم أناس محاربون يغيرون على الأماكن القريبه منهم (١).

البعض يعتقد أنّ هاتين الكلمتين عبريتين، و لكنهما فى الأصل انتقلتا من اليونانيه إلى العبريه، إذ كانتا تلفظان فى اليونانيه بـ «كاك» و «ماكاك» ثم انتقلتا على هذا الشكل إلى كافه اللغات الأوروبيه.

ثمّه أدله تأريخيه على أنّ منطقه شمال شرقى الأرض فى نواحي «مغولستان» كانت فى الأزمنه السابقه كثيفه السكان، إذ كانت الناس تتكاثر بسرعه، و بعد أن ازداد عددهم اتجهوا نحو الشرق أو الجنوب، و سيطروا على هذه الأراضى و سكنوا فيها تدريجيا.

و قد وردت مقاطع تأريخيه مختلفه لحركه هؤلاء الأقوام و هجراتهم، و قد تمت واحده من هذه الهجمات فى القرن الرابع الميلادى، بقياده «آتيل» و قد قضت هذه الهجمه على حضاره الإمبراطوريه الرومانيه.

و كان آخر مقطع تاريخى لهجومهم فى القرن الثانى عشر الميلادى بقياده جنگيزخان، حيث هاجم شرق البلاد الإسلاميه و دمر العديد من المدن، و فى طليعتها مدينه بغداد حاضره الخلافه العباسيه، و فى عصر كورش فى حوالى عام (٥٠٠) قبل الميلاد قامت هذه الأقوام بعده هجمات، لكن موقف حكومه «ماد و فارس» إزاءهم أدى إلى تعتبر الأوضاع و استتباب الهدوء فى آسيا الغربيه التى نجت من حملات هذه القبائل.

و بهذا يظهر أنّ يأجوج و مأجوج هم من هذه القبائل الوحشيه، حيث طلب أهل القفقاز من «كورش» عند سفره إليهم أن ينقذهم من هجمات هذه القبائل، لذلك أقدم على تأسيس السد المعروف بسدّ ذى القرنين (٢).

ص: ٣٧١

١-١) - يلاحظ المجلد ١٣، من تفسير الميزان، ص ٤١١.

٢-٢) - لمزيد من التفاصيل يراجع كتاب (ذو القرنين أو كورش الكبير).

اشاره

وَ تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَ نَفَخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَا لَهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَ عَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠)  
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَ كَانُوا لَا يَشْعُرُونَ سَمْعًا (١٠١) أ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي  
أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢)

التفسير

اشاره

عاقبه الكافرين:

لقد تناولت الآيه السابقه سد يأجوج و مأجوج و انهدامه عند البعث، و هذه الآيات تستمر في قضايا القيامة، فتقول أولًا: إِنَّا سنترك في ذلك اليوم-الذى ينتهى فيه العالم-بعضهم يموج ببعض: وَ تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ .

إن استخدام كلمه «يموج» إمّا بسبب الكثره الكاثره للناس في تلك الواقعه، و شبيه له ما نقوله من أن الناس في القضيه الفلانيه يموجون، كناية عن كثرتهم، أو بسبب الاضطراب الخوف الذى يصيب الناس في ذلك اليوم، و كأنما أجسادهم تهتز كأمواج الماء.

طبعاً لا يوجد تناقض بين المعنيين، و يمكن أن يشمل تعبير الآية كلا الحالتين.

بعد ذلك تضيف الآيات: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا و بلا شك فإن كاه الناس سيجمعون في تلك الساحة و لن يستثنى منهم أحد، و تعبير فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا إشارة إلى هذه الحقيقة.

من مجموع الآيات نستفيد أن ثمة تحولان عظيمان سيحصلان عند نهاية هذا العالم و بدايه العالم الجديد:

الأول: فناء الموجودات و الناس بشكل آنى.

و الثانى: إحياء الموتى بشكل آنى أيضا.

و لا نعلم مقدار الفاصل بين الحدثين، و لكن القرآن يعبر عن هذين التحوّلين بعنوان (نفخ الصور)، و سنشرح ما يعينه ذلك فى نهايه الآية (٦٨) من سوره الزمر إن شاء الله.

و هناك روايه ينقلها «أصبغ بن نباته» عن الإمام الصادق عليه السلام، يبين فيها عليه السلام أنّ المقصود من قوله تعالى: وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ هو يوم القيامة (١).

و قد يتصور البعض أنّ هناك تعارضا بين الروايه و بين ما ذكرناه أعلاه فى تفسير الآية، حيث قلنا: إنّها تعنى مرحله فناء الدنيا، كما يظهر من الآيات التى تسبقها و التى تليها. لكن هذا التعارض سيزول إذا التفتنا إلى ملاحظه و هى أنّه يتم استخدام يوم القيامة- فى بعض الأحيان- بمعناه الواسع الذى يشتمل على المقدمات) أى مقدمات القيامة) و نحن نعرف: أنّ الفناء السريع للدنيا هو أحد المقدمات.

ثم تتناول الآيات تفصيل حال الكافرين، حيث توضح عاقبه أعمالهم،

ص: ٣٧٣



و الصفات التي تقود إلى هذه العاقبه،فتقول: وَ عَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا .

إنَّ جهنم ستظهر لهم، و تتضح لهم الأنواع المختلفه من عذابها، و هذا هو بحد ذاته عذاب أليم موجه، فكيف إذا ولجوها؟! من هم الكافرون؟ و لماذا يصابون بمثل هذه العاقبه؟ الآيه تعرّف هؤلاء بجمله قصيره واحده بقولها: الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ يَمْتَكِنُونَ آذَانًا، إِلَّا أَنَّهُمْ يَفْقَدُونَ الْقَدْرَةَ عَلَى السَّمَاعِ: وَ كَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا .

فهؤلاء أسقطوا في الواقع أهم وسيله لمعرفة الحق و إدراكه، و أهملوا و الوسيله الهامه في شقاء أو سعادة الإنسان، يعنى أنهم غطّوا أعينهم و أسماعهم بحجاب و ستار بسبب أفكارهم الخاطئه و تعصبهم و حقدهم و صفاتهم القبيحه الأخرى.

الطريف في الأمر أنّ الآيه تقول فيما يخص العين: إنّها كانت مغطاه و بعيده عن ذكرى، و هذه إشاره إلى أنهم لم يستطيعوا أن يشاهدوا آثار الخالق جلّ و علا، لأنهم كانوا في ستار و حجاب من الغفله، و لأنهم لم يشاهدوا الحقائق فقد اختلفوا الأساطير و نسوا الله.

نعم، إنّ الحق الواضح، و كل شيء في هذا الوجود يتحدث مع الإنسان، و المطلوب أن تكون للإنسان عين تنظر و أذن تسمع! بعبارة أخرى: إنّ ذكر الله ليس شيئاً يمكن رؤيته بالعين، فما يشاهد هو آثاره، إلا أنّ آثاره هي التي تذكّر الإنسان بخالقه.

الآيه التي بعدها تشير إلى نقطه انحراف فكريه لدى هؤلاء هي أصل انحرافاتهم الأخرى، فتقول: أ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ .

هل يملك هؤلاء المعبودون- كالمسيح و الملائكة- شيئاً للدفاع عن الآخرين بالرغم من مكانتهم العاليه، أو أنّ الأمر بالعكس إذ كل ما عند هؤلاء هو من الله، و أنّهم أنفسهم يحتاجون إلى هدايته؟ إنّ هذه حقيقه واضحه، و لكنّ هؤلاء تناسوها و تورطوا في شرك الشرك.

في ختام الآيه و للمزيد من التأكيد، تقول الآيه: **إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا**.

«نزل» على وزن «رسل» بمعنى الإقامه، و تعنى أيضا الشيء الذى يهياً لتقديمه للضيوف، و ذهب البعض إلى أنّ هذه الكلمه تطلق على أول شيء يقدم للضيف عند وروده كالفواكه و الشراب.

اشاره

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)

التفسير

اشاره

أخسر الناس:

هذه الآيات و الآيات اللاحقه-إلى نهاية السوره المباركه-فى الوقت الذى تتحدث فيه عن صفات غير المؤمنين،فإنها تعتبر نوعا من التلخيص لكافه البحوث التى وردت فى هذه السوره،خاصه البحوث المتعلقة بقصه أصحاب الكهف و موسى و الخضر و ذى القرنين،و ما بذلوه من جهود إزاء معارضيهم.

فآيات تكشف أولاً عن أخسر الناس، ولكنّها-بهدف إثارة حب الاستطلاع لدى المستمع إزاء هذه القضية-تعتمد إلى إثارتها على شكل سؤال موجه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فتقول: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا .

ثمّ يأتي الجواب بدون أى توقف حتى لا يبقى المستمع فى حيره، فتقول:

الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا

مفهوم الخسران لا ينطبق على خسران الأرباح و حسب، بل إنّ الخسران الواقعى هو خسران أصل رأس المال، و هل هناك رأس مال أربح و أفضل و أحسن من العقل و الذكاء و الطاقات الإلهيه الموهوبه للإنسان من عمر و شباب و صحه؟ إنّ نتاج كل هذه المواهب هى أعمال الإنسان، و أعمال الإنسان هى فى الواقع انعكاس و تجسيد لطاقاتنا و قدراتنا.

عند ما تتحوّل هذه الطاقات إلى أعمال مخزبه أو غير هادفه، فكأنّها قد فنيّت أو ضاعت، فهى كمثل الإنسان الذى يحمل ثروه عظيمه معه، و لكنّه أثناء ذهابه إلى السوق يفقد هذه الثروه و يعود بيد خاليه.

و قد لا يكون الخسران خسرانا خطيرا عند ما يتعلّم الإنسان من فقدان الثروه دروسا كبيره قد تكون فى قيمتها مساويه للثروه التى فقدها، أو أكثر قيمه منها فى بعض الأحيان، فكأنّه لم يخسر شيئا.

إلاّ أنّ الخسران الحقيقى و المضاعف هو أن يفقد الإنسان رأسماله المادى و المعنوى فى مسالك خاطئه و مجالات منحرفه و يظن أنّه أحسن العمل، فهو فى هذه الحاله لم يحصل على ثمره لعمله، و فى نفس الوقت لم يلتفت إلى ما هو فيه، فيكرّر العمل.

الجميل هنا، إنّ القرآن الكريم استخدم تعبير بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا- فى حين أنّ المفروض هو القول: «الأخسرين عملا» (لأنّ التمييز مفرد عاده) و لكن لعل

هذه الصياغة القرآنية بسبب أنهم لم يخسروا في عمل معين، بل إن جهلهم المركب كان سببا للخسران في جميع البرامج الحياتيه و في جميع أعمالهم.

بعبارة أخرى: إن الإنسان قد يربح في تجاره معينه و يخسر في أخرى، إلا أن المحصله في نهايه السنه هي أنه لا توجد خساره كبيره، و لكن من سوء حظ الإنسان أن يخسر في جميع الأعمال التي اشترك فيها.

استخدم كلمه «ضلّ» لعله إشاره إلى هذه الحقيقه؛ و هي أن أعمال الإنسان لا تفنى في هذا العالم بأى صوره من الصور، كما أن الماده و الطاقه تتبدل و تتغير و لكنّها لا تفنى، و لكن قد تختفى أحيانا، لأنه لا يمكن مشاهدته آثارها بالعين، و لا يمكن الاستفاده منها بأى شكل من الاشكال و مثلها في ذلك مثل رأس المال الضائع و الذى لا هو في حوزتنا فنستفيد منه، و لا هو فان.

أمّا لماذا يصاب الإنسان نفسيا بمثل هذه الحالات؟ فهو أمر سنبحث فيه مفصلا في فقره البحوث.

الآيات الأخرى تذكر صفات و معتقدات هذه المجموعه من الخاسرين، حيث تبدأ بتلك الصفات التي تكون أساسا في مصائبهم فتقول: **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ**. إنهم كفروا بالآيات التي تفتح الأبصار و المسامع؛ الآيات التي ترفع حجب الغرور و تجسّد الحقائق أمام الإنسان، و أخيرا فإنّها آيات النور و الضياء التي تخرج الإنسان من ظلمات الأوهام و التصورات الخاطئه و ترشده إلى عالم الحقائق.

ثمّ إنهم بعد ذلك نسوا الله و كفروا بالمعاد و بقاء الله و لقاءه .

نعم، فما لم يكن الإيمان بالمعاد إلى جانب الإيمان بالمبدأ، و ما لم يحس الإنسان بأنّ هناك قوه تراقب أعماله و تحتفظ بكل شىء إلى لحظه انعقاد المحكمه الكبيره الدقيقه و القاسيه، فإنّ الإنسان سوف لا يعير أهميه إلى أعماله و سوف لا يصلح نفسه.

ثمّ تضيف الآيه أنّهم بسبب من كفرهم بالمبدأ و المعاد فإنّ أعمالهم قد حبّطت و ضاعت: فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ. و غدت تماما كالرماد في مقابل العاصفه الهوجاء.

و لأنّهم لا يملكون عملا قيما ثميننا لذا: فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا .

لأنّ الوزن يخصّ الأمور الموجوده، أمّا هؤلاء فلا يملكون شيئا من الأعمال، و لذلك ليس لهم وزن و لا قيمه؟ و في إطار بيان جزاء هؤلاء، تكشف الآيه عن ثالث سبب في انحراف و خسران هؤلاء، و هو الاستهزاء بما انزل الله فتقول: ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي وَ رُسُلِي هُزُوءًا (١).

و بذلك فإنّ هؤلاء انتهوا إلى إنكار الأصول الأساسيه الثلاثه في الاعتقاد الديني (المبدأ، و المعاد، و رساله الأنبياء) و الأكثر من الإنكار أنّهم استهزءوا بهذه الأمور! و الآن بعد أن عرفنا علامات الكفار و الأخسرين أعمالا و بعد أن انكشفت عاقبه أعمالهم، تتوجه الآيات إلى المؤمنين فتيبين عاقبتهم، و بمقايسه بين الاثنين نستطيع تشخيص كل طرف بشكل كامل. تقول الآيه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا .

«الفردوس» بقول كبار المفسرين (البستان) الذي يشتمل على كل النعم و المواهب اللازمه، و بذلك فالفردوس هو أفضل و أكمل البساتين في الجنّه.

و بما أنّ كمال النعم بدوامها و أن لا تطالها يد الزوال، لذا فإنّ الآيه تقول بلا فصل: خَالِدِينَ فِيهَا .

و بالرغم من أنّ طبع الإنسان قائم على التغيّر و التنوع، إلا أنّ سكان الجنّه

ص: ٣٧٩

١ - ١) - هناك كلام بين المفسرين حول تركيب جمله ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ فالبعض اعتبر «ذلك» مبتدأ و «جزاؤهم» خبرا و «جهنم» بدلا، في حين أنّ البعض الآخر اعتبر أنّ المبتدأ محذوف و «ذلك» خبرا له، و «جزاؤهم جهنم» مبتدأ لخبر آخر تقديره: الأمر ذلك جزاؤهم جهنم. إلا أنّهم يظهر أنّ الرأى الأول أكثر تناسبا من غيره.

لا يطلبون تغيير مكانهم أو حالهم أبدا: لَا يَبْتَغُونَ عَنْهَا حَوْلًا. ذلك لأنهم يجدون كل ما يطلبون حتى التنوع و التكامل كما سيأتي شرح ذلك.

بحوث

إشارة

### ١- من هم الأخسرون أعمالا؟

نلاحظ في حياتنا و حياة الآخرين، أنّ الإنسان عند ما يقوم بعمل خاطئ و يعتقد أنّه صحيح، فإنّ جهله المركب هذا لا يدوم أكثر من لحظة أو موقف أو حتى سنه، أمّا أن يدوم على امتداد عمره فذلك هو سوء الحظ و هو الخسران المبين.

لهذا وجدنا القرآن الكريم يسمي مثل هؤلاء الأشخاص بالأخسرين، لأنّ الذي يرتكب الذنب و هو يعلم بذلك، فإنّه سيضع حدا لما هو فيه و يعوّض عن الذنب بالتوبه و العمل الصالح، أمّا أولئك الذين يظنون أن ذنوبهم عباده و أعمالهم السيئه أعمالا صالحه، و انحرافهم استقامه، فإنّ مثل هؤلاء لا يستطيعون التعويض عن ذنوبهم، بل يستمرون فيما هم فيه إلى نقطه النهايه، فيكونون كما عبّر عنهم القرآن: بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا .

و في الزوايات و الأحاديث الإسلاميه تفاسير متعدده للأخسرين أعمالا، و إنّ كل واحد منها إشاره إلى أحد المصاديق الواضحه لهذا المفهوم الواسع من دون أن تحدده،

ففي حديث «أصبغ بن نباته» أنّه سأل الإمام على عليه السّلام عن تفسير الآية، فقال الإمام: «كفره أهل الكتاب، اليهود و النصارى، و قد كانوا على الحق فابتدعوا في أديانهم و هم يحسبون أنّهم يحسبون صنعا» (١).

و

في حديث آخر عن الإمام على عليه السّلام أيضا، قوله بعد ذكر الجواب الآنف:

ص: ٣٨٠

«و ما أهل النهر منهم ببعيد» يعنى عليه السّلام الخوارج (١).

و فى حديث ثالث هنا إشاره خاصّه إلى الرهبان(الرجال و النساء الذين يتركون الدنيا)و المجاميع التى ابتدعت البدع من المسلمين (٢).

و هناك قسم من الزوايات تفسّر الآيه ب(الذين ينكرون ولايه أمير المؤمنين الإمام على عليه السّلام) (٣).

أليس الرهبان الذى يعيشون كل عمرهم فى زاويه من الزوايا(فى الدير مثلاً)و يعانون أنواع الحرمان،و يمتنعون عن الزواج و الأكل و الملابس الجيده، و يفضلون سكنى الدير على كل شىء و هم يظنون أنّ هذه الحياه تقربهم إلى الله، أليس هؤلاء مصداقاً واضحاً للأخسرين أعمالاً؟! هل هناك مذهب أو دين إلهى يمكن أن يدعو إلى خلاف قانون العقل و الفطره، أى يدعو الإنسان الاجتماعى إلى الابتعاد عن الحياه،و يعتبر هذا العمل مصدراً للتقرب إلى الله تعالى؟! إنّ الذين أوجدوا البدع فى دين الله من قبيل التثليث فى مقابل توحيد الله الواحد الأحد،و اعتبروا المسيح بن مريم ابن الله،و أدخلوا خرافات أخرى فى دين الله،ظنا منهم بأنهم يحسنون صنعا،أليس هؤلاء و أمثالهم هم أخسر الناس؟! ألا يعتبر خوارج «النهر وان» من أخسر الناس،و هم المجموعه الجاهله التى ارتكبت أعظم الذنوب(مثل قتل الإمام على عليه السّلام)ظنا منهم أنّ هذا الأمر سيقربهم من الله،بل و اعتبروا أنّ الجنّه مخصوصه لهم؟! الخلاصه: إنّ الآيه لها مفهوم واسع،إذ تشمل أقواما كثيرين فى السابق و الحاضر و المستقبل.

ص: ٣٨١

١-١ -المصدر السابق.

٢-٢ -المصدر السابق.

٣-٣ -المصدر السابق.



و الآن نصل إلى هذا السؤال: ما هو مصدر هذا الانحراف الخطير؟ إنَّ التعصب القوى و الغرور و التكبير و حب الذات، هي من أهم العوامل التي تقود إلى مثل هذه التصورات الخاطئة. و في بعض الأحيان يكون التملق، أو الانطواء على النفس لفترة معينة سببا لظهور هذه الحالة، حيث يتصوّر الإنسان أنّ كل أعماله الخاطئة المنحرفة هي أعمال جميلة، بحيث يشعر بالفخر و الغرور و المباهاة بدلا من إحساس الخجل و الشعور بالعار بسبب أعماله القبيحة. يقول القرآن في مكان آخر واصفا هذه الحالة: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا (١) و في آيات أخرى، نقرأ أنّ الشيطان هو الذي يزيّن للإنسان سيئاته حسنة، و يمنيهم بالغلبه و النصر، كما في قوله تعالى: وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي لَجَارٌّ لَكُمْ (٢).

و يقول القرآن بعد قصّه برج فرعون المعروف: وَ كَذَلِكَ زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ. و الآيه تعليق على عمل فرعون عند ما طلب من هامان أن يبنى له برجاً ليطلع بزعمه إلى إله موسى كما في الآيتين (٣٦-٣٧) من سوره غافر.

## ٢- ماذا يعنى لقاء الله؟

بالرغم من أنّ بعض أشباه العلماء يستفيدون من أمثال هذه الآيات إمكانيه رؤيه الخالق جلّ و علا في العالم الآخر، و يفسّرون لقاء الله باللقاء الحسى، إلاّ أنّه من المعلوم بدهاه أنّ اللقاء الحسى يقتضى تجسيم الخالق جلّ و علا، و التجسيم يقتضى التحديد و الحاجه، و المحدود المحتاج يكون قابلا للفناء، و الكل يعرف و يؤمن بأنّ هذه الصفات لا تنطبق على الله تعالى.

لذا فإنّ القصد من اللقاء أو الرؤيا في الآيات القرآنيه ليس الرؤيه الحسيه، بل

ص: ٣٨٢

١- (١) - فاطر، ٨.

٢- (٢) - الأنفال، ٤٨.

يعنى أنّ الإنسان فى يوم القيامة يشاهد آثار الخالق أكثر و أفضل من أى زمان، لذا فإنّه ينظر إليه بوضوح، بعين القلب الواعى البصير. لهذا السبب- ووفقا للآيات القرآنية- فإنّه حتى أشد الناس إنكارا للخالق و أكثرهم عنادا، سوف يقر يوم القيامة بوجود الخالق، و أنّه لا مجال لإنكاره (١).

بعض المفسّرين اعتبر هذا المفهوم (لقاء الله) مشاهده النعم و الثواب، و أيضا العذاب و العقاب الإلهى و فى ذلك تكون كلمه الثواب و العقاب مقدّره فى الآيه.

و بالرغم من أن هذان التفسيران لا تعارض بينهما، إلا أنّ التفسير الأوّل يبدو أظهر و أوضح.

### ٣- وزن الأعمال

ليس بنا حاجة إلى أن نفسّر قضيه وزن الأعمال عن طريق تجسيم الأعمال و القول بأنّ عمل الإنسان سيتحوّل هناك إلى جسم و له وزن، ذلك لأنّ الوزن له معنى واسع يشمل أيه مقياسه، فمثلا نقول للأشخاص عديمى الشخصيه أنّهم أشخاص لا وزن لهم، أو أنّهم أشخاص خفيفون، و نعنى بذلك ضعف شخصيتهم و ليس القلّه فى وزنهم الجسمى.

و الجميل هنا أنّ الايه تصف الأخرين أعمالا بأننا لم نضع لهم يوم القيامة ميزانا للقياس. و لكن هل تتعارض هذه الآيه مع قوله تعالى فى الآيه (٨) من سورة الأعراف: وَ الْوُزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ؟ طبعاً لا، لأنّ الوزن يخصّ الأشخاص الذين قاموا بأعمال تستحق الوزن، أمّا الشخص الذى لا يساوى وجوده و أعماله و أفكاره حتى جناح بعوضه، فهل هو بحاجة إلى الوزن؟!

ص: ٣٨٣

لهذا السبب نقرأ

فى روايه معروفه عن النبى قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضه» (1)

لماذا؟ لأن أعمال مثل هؤلاء و أفكارهم و شخصيتهم كانت فى الحياه الدنيا عديمه الأهميه و الفائدة.

و من هنا يتضح أن الناس هناك على عدّه أنواع هى:

١-مجموعه تكون مثقله بالحسنات و الأعمال الصالحه بحيث لا تحتاج إلى الوزن و الحساب فى أعمالها، بل تدخل الجنّه بدون حساب.

٢-مجموعه ثانيه من الذين حبطت أعمالهم، أو ليس لهم أى عمل الصالح، و هذه لا تحتاج إلى وزن أيضا، بل تدخل النار بدون حساب.

٣-أمّا المجموعه الثالثه، فهى التى تملك السيئات و الحسنات، و هذه يشملها الوزن و الحساب. و قد يكون أكثر الناس من هذه الفئة.

#### ٤- تفسير قوله تعالى: لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا

(حول) على وزن (علل) لها معنى مصدرى و تعنى التحوّل و نقل المكان، و كما قلنا فى تفسير الآيات، فإنّ الفردوس بستان الجنه توجد فيه أفضل النعم و المواهب الإلهيه، و لهذا السبب فإنّها تعتبر أفضل مناطق ذلك العالم، حيث أنّ الساكنين فيها لا يتمنون أبدا الانتقال منها إلى مكان آخر.

و قد يقول البعض: إنّ الحياه قد تكون هناك رتيبه و راكمه، و هذا بحد ذاته نقص و عيب كبير فيها؟! فى الجواب نقول: ليس ثمة مانع من أن يكون التحوّل و التكامل فى نفس المكان، إذا توافرت أسباب التكامل و اجتمعت هناك، و هى -قطعا- متوافره.

و فى ظل الأعمال التى قام بها الإنسان فى هذه الدنيا، فإنّ الإنسان -من خلال

ص: ٣٨٤

(١- ١) -عن تفسير مجمع البيان، فى تفسيره للآيه.

المواهب الإلهيه هناك-سوف يستمر فى طريق تكامله بشكل دائم و مستمر.

و سنقوم إن شاء الله بشرح أفضل لتكامل الإنسان حتى فى الجنّه،و ذلك فى نهايه الآيات التى تناسب الموضوع.

## ٥-الفردوس لمن؟

قلنا:إنّ «الفردوس» (١) أفضل مناطق الجنه،و لا- يسكنه سوى المؤمنين و ذوى الأعمال الصالحه،إذا سيكون السؤال:من يسكن الأقسام الأخرى فى الجنه،إذا كانت الجنه مكانا للمؤمنين و حسب و ممنوعه على غيرهم؟ فى الجواب نقول:إنّ الفردوس لا تشمل كل مؤمن ذى عمل الصالح،بل هى لمن بلغ درجه عاليه من الإيمان و العمل الصالح،و هذه المرتبه هى المعيار للوصول إلى الفردوس بالرغم من أنّ ظاهر الآيه مطلق،إلا أنّ الانتباه إلى معنى الفردوس يقيد الإطلاق المذكور.

لذلك عند ما تتحدث سوره المؤمنون عن صفات ورثه الفردوس فإنّها تبين الحد الأعلى لصفات المؤمنين و الذى لا يكون موجودا عند جميع الأفراد.و هذا دليل آخر على أنّ سكنه الفردوس يملكون صفات ممتازه بالإضافة إلى شرطى الإيمان و العمل الصالح.

لذلك رأينا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى حديث سابق،يعلمنا بأننا عند ما نطلب الجنّه، فعلينا أن ندعو لنيل الفردوس بالخصوص، لأنها أكمل و أفضل منازل الجنّه.

و هذه إشاره إلى ضروره أن تنصرف همه المؤمن فى كل الأمور-إلى أعلى حد،و حتى فى الجنه عليه أن لا يقنع بمراحلها الدنيا بالرغم ممّا فى هذه المراحل

ص: ٣٨٥

---

١-١) -ذهب بعض إلى أن هذه الكلمه مأخوذه من اللغه الروميه فى الأصل،و ذهب آخرون الى أن جذورها حبشيه انتقلت الى العربيه(تفسير الفخر الرازى و تفسير مجمع البيان).

من نعم و مواهب.

و طبيعى أنّ الذى يطلب هذه المنزله من اللّٰه لا بدّ و أن يكون قد أعدّ نفسه لها، و عليه أن يبذل كل سعيه و جهده لكسب أفضل الصفات و أرضى الأعمال.

و من ذلك يعلم أن من يقول بأن المهم هو أن أدخل الجنّه حتى فى أدنى درجه منها هو شخص يفتقد للهمه العالیه للمؤمنين الحقيقين.

ص: ٣٨٦

اشاره

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مِدْدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)

سبب النزول

عن ابن عباس قال: «قالت اليهود لما قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً قالوا: وكيف وقد أوتينا التوراه و من أوتى التوراه فقد أوتى خيرا كثيرا؟ فنزل قوله تعالى: قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ .

وقيل أيضا: قالت اليهود: إنك أوتيت الحكمة، و من أوتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا، ثم زعمت -و المخاطب هنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- أنك لا علم لك بالروح؟ فأمره الله تعالى أن يجيبهم بأنى و إن أوتيت القرآن و أوتيت التوراه فهى بالنسبه إلى كلمات الله تعالى قليلة» (١).

ص: ٣٨٧

١ - ١) - تفسير القرطبي، المجلد ١١-١٢، صفحہ ٦٨-٦٩. وكذلك تفسير الصافي أثناء الحديث عن الآية.

## الذين يأملون لقاء الله:

الآيات أعلاه فى نفس الوقت الذى تبحث بحثا مستقلا، إلا أنها متصله مع بحوث هذه السوره، حيث أن كل قصه من القصص الثلاث الوارده فى السوره، تكشف الستار عن مواضيع جديده و عجيبه، و كأنما القرآن يريد أن يقول فى هذه الآيات: إنَّ الاطلاع على قصه أصحاب الكهف، و موسى و الخضر، و ذى القرنين، يعتبر لا شىء إزاء علم الله غير المحدود، لأنَّ علمه سبحانه و تعالى و معرفته تشمل كافه الكائنات و عالم الوجود فى الماضى و الحاضر و المستقبل.

القرآن الكريم يخاطب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فى أول آيه نبحثها بقوله: قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا .

«مداد» تعنى الحبر، أو أى ماده ملونه تساعد فى الكتابه، و هى فى الأصل مأخوذه من «مد» بمعنى السحب، حيث تتوضح خطوط الكتابه بسحب القلم (١).

(كلمات) جمع كلمه، و هى فى الأصل تعنى الألفاظ التى يتمّ التحدّث بها، أو بعبارة أخرى: الكلمه لفظ يدل على المعنى، و بما أن كل موجود من موجودات هذا العالم هو دليل على علم و قدره الخالق، لذا فإنّه يطلق فى بعض الأحيان على كل موجود اسم (كلمه الله) و يختص هذا التعبير أكثر بالموجودات المهمّه العظيمة،، فبالنسبه للمسيح عيسى عليه السلام يقول القرآن الكريم: إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ (٢).

ص: ٣٨٨

١ - ١) - نقل الفخر الرازى فى معنى (مداد) إضافه إلى ما ذكر معنى آخر، و هو «الزيت» الذى يوضع فى المصباح و يكون سببا للنور، و الاثنان يرجعان إلى معنى واحد.

٢ - ٢) - النساء، ١٧١.

و فى الآيه التى نبهتها فإنّ (كلمه) قد استخدمت بهذا المعنى، أى إشاره إلى موجودات عالم الوجود التى تدل كل واحده فيه على الصفات المختلفه لله تبارك و تعالى.

و فى الحقيقه إن القرآن يلفت أنظارنا فى هذه الآيه إلى هذه الحقيقه و هى:

لا- تظنوا أنّ عالم الوجود محدود بما تشاهدونه أو تعلمونه أو تحسونه، بل هو على قدر من السعه و العظمه بحيث لو أنّ البحار تتحول إلى حبر، و تكتب صفاته و خصائصه، فإنّها-أى البحار-ستجف قبل أن تحصى موجودات عالم الوجود.

و من الضرورى الالتفات هنا إلى أنّ كلمه البحر يراد بها الجنس و كذلك كلمه (مثل) فى قوله: **وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** فإنّه يراد بها الجنس أيضا، و هذه إشاره إلى أنّنا مهما أضفنا من أمثال هذه البحار إليها فإنّ الكلمات الإلهيه لا تنتهى و لا تنفد.

و لهذا السبب فليس ثمّ تعارض بين هذه الآيه و ما ورد فى سوره لقمان حيث قوله تعالى فى الآيه (٢٧): **وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**. يعنى أنّ هذه الأقلام ستكسر و المحابر ستجف حتى آخر قطره، و مع ذلك فإنّ أسرار المخلوقات و حقائق عالم الوجود لا تنتهى.

و ينبغى الانتباه هنا إلى أنّ الآيه أعلاه فى الوقت الذى تجسّد فيه سعه عالم الوجود اللامتناهيه فى الماضى و الحاضر و المستقبل، فإنّها توضّح-أيضا-العلم المطلق و غير المحدود للخالق جلّ و علا، لأننا نعلم أنّ الله سبحانه و تعالى يحيط علمه بما كان موجودا فى عالم الوجود، و بما سيكون موجودا. و فى الوقت الذى يعتبر فيه علم الله تعالى «علما حضوريا» فإنّه لا يفترق عن وجود هذه الموجودات. (فدقق فى ذلك).

إذن نستطيع أن نقول: لو أنّ جميع المحيطات و بحار الأرض تحولت إلى



حبر و مداد، و لو أنّ كافه الأشجار تحولت إلى أقلام، فإنّ ذلك كلّه لا يستطيع الإحاطه بما موجود فى عالم الخالق جلّ و علا.

### توضيح لمفهوم اللانهايه:

يقوم القرآن الكريم بتجسيد العدد اللانهائى و يقرب معنى العلم المطلق غير المحدود لله تعالى، و يقرب سعه عالم الوجود العظيم إلى أفكارنا. و قد استخدم القرآن فى ذلك توضيحا بليغا للغايه، و ذكر أرقاما حيّه و ذات روح.

ترى هل هناك أعداد حيّه و أخرى ميته؟ نعم، ففى الرياضيات إذا وضعت الأصفار إلى يمين العدد الصحيح فهى لا تعبّر فى الواقع سوى عن أعداد ميته لا تستطيع أن تجسّد عظمه شىء معين.

الأشخاص الذين يهتمون بالقضايا الرياضيه و الحساويه يعرفون أنّ العدد الواحد (كرقم واحد مثلا) لو وضع أمامه من الجهه اليمنى أصفارا بطول كيلومتر واحد، فسيكون عدد عظيم جدّا و محيّر و لا يمكن تصوّر عظمته، و لكن لمن؟ للأشخاص الرياضيين لا عامّه الناس الذين لا يستطيعون تصور العظمه فى هذا الرقم.

العدد الحى هو العدد الذى تنشغل أفكارنا به، و يجسّد الحقائق كما هى و يملك روحا و لسانا و عظمه.

و القرآن الكريم بدلا من أن يقول: إنّ مخلوقات عالم الوجود تتجاوز فى كثرتها الرقم الذى تقع على يمينه مئات الكيلو مترات من الأصفار، يقول: إذا تحولت جميع الأشجار إلى أقلام، و كل البحار إلى مواد و حبر، فإنّ الأقلام ستتكسر و مياه البحار ستنتهى، و لا تنتهى أسرار و رموز و حقائق عالم الوجود، هذه الأسرار التى يحيط بها جميعا علم الله تعالى.

فكروا جيدا و تأملوا المقدار الذى يستطيع أن يكتبه القلم، ثمّ ما هو عدد

الأقلام التي يمكن صناعتها من غصن واحد صغير من شجره معينه؟ و معلوم أن باستطاعتنا صناعه آلاف بل حتى ملايين الأقلام من شجره كبيره عظيمه، و لنا أن نتصوّر الكميه من الأقلام التي يمكن صنعها من أشجار الأرض جميعا و غاباتها! من الجبهه الثانيه لنا أن نتصوّر عدد الكلمات التي يمكن كتابتها من قطره حبر واحده، ثم علينا أن نتصوّر ما نستطيع كتابته من حوض واحد، فبحيره واحده، فبحر واحد، فمحيط، و من ثمّ جميع بحار الأرض و محيطاتها! إنّ الحصيله-بلا شك-ستكون رقما عجيبا و خياليا!! و تتوضح عظمه المثل القرآني إذا عرفنا أنّ رقم (سبع) ليس للتحديد، بل هو إشاره للكثيره، و معنى هذا الكلام أنّنا لو أضفنا لهذا العدد أضعافه من البحار، فإنّ كلمات الله لا تنفذ.

و الآن لتتصور الحيويه و الروح الدافقه في هذا العدد، و الشاهد الحي الذي يبعث اليقظه في روح الإنسان، و يشغل فكره و يجعله يفكر في آفاق اللانهايه! إنّ العدد الذي يتضمنه المثل القرآني يحس بعظمته الجميع سواء كانوا رياضيين أو أميين.

نعم، إنّ علم الله تعالى هو أعلى و أوسع من هذا العدد.

علم غير محدود و لا متناهي.

علم يشمل كل الوجود، سابقا و حاضرا و مستقبلا، و هو يضم في طياته كل الأسرار و الحقائق! الآيه الثانيه في البحث و التي هي آخر آيه في سوره الكهف، عباره عن مجموعه من الأسس و الأصول للاعتقادات الدينيه، التي تتركز في التوحيد و المعاد و رساله الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم. و الآيه في مضمونها إشاره إلى نفس المضمون الذي ورد في بدايه السوره المباركه. ففي البدايه تحدّثت السوره عن الله و الوحي

و الجزء و القيامة، و الآيه الأخيره هى خلاصه لمجموع ما ورد فى السوره، التى اشتملت فى قسم مهم منها على الأصول الثلاثه الآنفه باعتبارها محاور للسوره.

و لأنّ قضيه النبوه قد اقترنت مع أشكال من الغلو و المبالغه على طول التاريخ، لذا فإنّ الآيه تقول: **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ .**

و هذا التعبير القرآنى نسف جميع الامتيازات المقرونه بالشرك التى تخرج الأنبياء من صفه البشريه إلى صفه الألوهيه.

ثم تشير الآيه إلى قضيه التوحيد من بين جميع القضايا الأخرى فى و الوحى الالهى حيث تقول: **أَتَنبَأُكُم بِاللَّهِ وَاحِدٌ .**

أمّا لماذا تمت الإشارة إلى هذه القضيه؟ فذلك لأنّ التوحيد هو خلاصه جميع المعتقدات، و غايه كل البرامج الفرديه و الاجتماعيه التى تجلب السعاده للإنسان.

و فى مكان آخر، أشرنا إلى أنّ التوحيد ليس أصلا من أصول الدين و حسب، و إنّما هو خلاصه لجميع أصول و فروع الإسلام.

لو أردنا-على سبيل المثال- أن نشبه التعليمات الإسلاميه من الأصول و الفروع على أنّها قطع من الجواهر، عندها نستطيع أن نقول: إنّ التوحيد هو السلك و الخيط الذى يربط جميع هذه القطع إلى بعضها البعض ليتشكّل من المجموع قلاده جميله و ثمينه.

و إذا أردنا أن نشبه التعليمات الإسلاميه أصولا و فروعاً بأعضاء الجسم، فإنّ التوحيد سيكون روح الإنسان التى تهب الحياه لكافه الأعضاء.

و قد أثبتنا فى بحوثنا حول المعاد و النبوه أنّ هذين الأصلين لا- ينفصلان عن التوحيد. يعنى: عند ما نعرف الخالق بجميع صفاته، فإننا نعلم أنّ مثل هذا الخالق يجب أن يرسل الأنبياء، و تقتضى حكمته و عدالته أن توجد محكمه عادله و أن يكون هناك بعثا.

و المسائل الاجتماعيه، و كل المجتمع الإنساني و ما يرتبط به، ينبغي أن يكون فيه شعاع من التوحيد حتى يتوحد و ينتظم و يستقر.

لهذا السبب نقرأ في الأحاديث القدسيه إن: «كلمه لا اله إلا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابي».

و كل منّا قد سمع أيضا أن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم قال في بدايه الإسلام: (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا).

الجملة الثالثه في الآيه الكريمه تشير إلى قضيه البعث و تربطها بالتوحيد بواسطه (فاء التفریع) حيث تقول: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا .

بالرغم من أن لقاء الله بمعنى المشاهده الباطنيه و رؤيه الذات المقدسه بعين البصيره هو أمر ممكن في هذه الدنيا بالنسبه للمؤمنين الحقيقيين، إلا أن هذه القضيه تكتسب جانبا عاما يوم القيامة بسبب مشاهده الآثار الكبيره و الواضحه و الصريحه للخالق تبارك و تعالى. لذا فإنّ القرآن استخدام هذا التعبير في خصوص يوم القيامة.

من جانب آخر، فإنّ الإنسان الذى ينتظر أمرا معيناً، و يأمل شيئا ما، فمن الطبيعى أن يهوى نفسه و يعدّها لاستقبال ذلك الأمر. أمّا الشخص الذى يدعى و لا يستعد، و ينتظر و لا يعمل، فهو فى الواقع مدع كاذب لا غير.

لهذا السبب فإنّ الآيه أعلاه تقول: فليعمل عملاً صالحاً و ردت بصيغه الأمر، الأمر الذى يلازمه الرجاء و الأمل بانتظار لقاء الله.

و فى آخر جملة ثمّه توضيح للعمل الصالح فى جملة قصيره، هى قوله تعالى: وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا .

بعباره أخرى: لا يكون العمل صالحا ما لم تتجلى فيه حقيقه الإخلاص.

فالهدف الإلهى يعطى لعمل الإنسان عمقا و نورانيه خاصه، و يوجهه الوجهه

الصحيحه، و عند ما نفقد الإخلاص يكون العمل ذا جنبه ظاهريه حيث يشير إلى المنافع الخاصه، و يفقد عمقه و أصالته و وجهته الصحيحه.

فى الحقيقه إنّ العمل الصالح الذى ينبع من أهداف إلهيه، و يمتزج بالإخلاص و يتفاعل معه، هو الذى يكون جوازا للقاء الله تبارك و تعالى.

و قد أشرنا سابقا إلى أنّ العمل الصالح له مفهوم واسع للغاية، و هو يشمل أى برنامج مفيد و بناء، فردى و اجتماعى، و فى أى قضيه من قضايا الحياه.

### الإخلاص أو روح العمل الصالح:

أعطت الروايات الإسلاميه مكانه خاصه لقضيه «النيه»، و الإسلام فى العاده يقر بقبول الأعمال بملاحظه النيه و الهدف من العمل.

الحديث المشهور

عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «لا عمل إلاّ بنيه» بيان واضح لهذه الحقيقه.

و بعد (النيه) هناك (الإخلاص)، فلو اقترن العمل بالإخلاص فسيكون عملا ثمينا للغاية، و بدون الإخلاص هو لا قيمه له. و الإخلاص هو أن تكون الدوافع الإنسانيه خاليه من أى نوع من أنواع الشوائب، و يمكن أن نسمّى الإخلاص بـ «توحيد النيه» يعنى التفكير بالله و برضاه فى جميع الأمور و الحالات.

و الطريف فى الأمر هنا هو ما

ورد فى سبب نزول هذه الآيه من أنّ رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم فقال: إننى أتصدق و أصل الرحم، و لا أصنع ذلك إلاّ لله، فيذكر ذلك منى، و أحمد عليه فيسرّنى ذلك، و أعجب به. فسكت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و لم يقل شيئا، فنزلت الآيه: **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١)**.

إنّ المقصود من هذه الروايه ليس الفرح أو السرور اللإرادى، بل هى الحاله

ص: ٣٩٤

التي يكون فيها الفرح و السرور هدفا لعمل الإنسان، أو الحالة التي تؤدي إلى عدم خلوص النية.

فالعامل الخالص يعتبر مهما في الإسلام إلى الحد الذي

يقول فيه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: «من أخلص لله أربعين يوما فَجَرَّ الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» (١).

### دعاء الختام:

إلهي، اجعل نياتنا خالصة في جميع أعمالنا بحيث لا نفكر بأحد سواك، ولا نعدوك إلى غيرك... واجعل ما نريده و ما لا نريده  
تبعاً لطاعتك و رضاك... آمين رب العالمين.

نهاية سورة الكهف

ص: ٣٩٥



مکیه و عدد آیاتها ثمان و تسعون آیه

ص: ۳۹۷





## محتوى السوره:

لهذه السوره من جهه المحتوى عدّه أقسام مهمّه:

١-يشكل القسم الذى يتحدث عن قصص زكريا و مريم و المسيح عليهم السّلام و يحيى و إبراهيم عليهما السّلام بطل التوحيد، و ولده إسماعيل، و إدريس و بعض آخر من كبار أنبياء اللّٰه، الجزء الأهم فى هذه السوره، و يحتوى على أمور تربويه لها خصوصيات مهمّه.

٢-الجزء الثّانى من هذه السوره-و الذى يأتى بعد القسم الأوّل من حيث الاهميه-عبارة عن المسائل المرتبطه بالقيامه، و كيفيه البعث، و مصير المجرمين، و ثواب المتقين، و أمثال ذلك.

٣-القسم الثّالث، و هو المواعظ و النصائح التى تكمل فى الواقع-الأقسام السابقه.

٤-و أخيرا، فإنّ آخر قسم عبارة عن الإشارات المرتبطه بالقرآن، و نفى الولد عن اللّٰه سبحانه، و مسأله الشفاعة، و تشكل بمجموعها برنامجا تربويا مؤثرا من أجل دفع النفوس الإنسانيه إلى الإيمان و الطهاره و التقوى.

## فضل السوره:

روى عن الرّسول الأكرم صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم: «من قرأها أعطى من الأجر بعدد من صدّق

بزكريا و كذب به، و يحيى و مريم و موسى و عيسى و هارون و إبراهيم و إسحاق و يعقوب و إسماعيل عشر حسنات، و بعدد من ادعى لله ولدا، و بعدد من لم يدع ولدا» (١).

إن هذا الحديث- في الحقيقة- دعوه إلى السعى ت و الجد في خطين مختلفين: خط مسانده و دعم النبي و الطاهرين و الخيرين، و خط محاربه المشركين و المنحرفين و الفاسقين، لأننا نعلم أن هذه المكافئات و العطايا الجزيله لا تعطى لمن يتلفظ كلمات السوره بلسانه فقط، و لا يعمل بأوامرها، بل إن هذه الألفاظ المقدسه مقدمه للعمل.

و نقرأ

في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أدمن قراءه سوره مريم لم يمت في الدنيا حتى يصيب منها ما يغنيه في نفسه و ماله و ولده» (٢).

إن هذا الغنى و عدم الاحتياج- حتما- قيس من وجود محتوى السوره و سريانها في أعماق روح الإنسان، و انعكاسها من خلال أعماله و أقواله و سلوكه.

ص: ٤٠٠

---

١- (١) -مجمع البيان الجزء ٣، ص ٥٠٠.

٢- (٢) -المصدر السابق.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كَهَيْعِص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَلَيْهِ زَكْرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦)

التفسير

اشاره

دعاء زكريا المستجاب:

مره أخرى نواجه الحروف المقطعه في بدايه هذه السوره، و لما كنا قد بحثنا تفسير هذه الحروف المقطعه بصوره مفصله في بدايه ثلاث سور مختلفه فيما سبق-سوره البقره و آل عمران و الأعراف-فلا نرى حاجه للتكرار هنا.

و لكن ما ينبغي اضافته هنا هو وجود طائفتين من الروايات في المصادر الإسلاميه تتعلق بالحروف المقطعه في هذه السوره.

الأولى: تقول بأن كل حرف من هذه الحروف يشير إلى اسم من أسماء الله الحسنی، فالكاف يشير إلى الكافي، و هو من أسماء الله الحسنی، و الهاء تشير إلى

الهادى، والياء إشارة إلى الولي، والعين إشارة إلى العالم، والصاد إشارة إلى صادق الوعد (١).

الثانية: تفسر هذه الحروف المقطعة بحادثه ثوره الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، فالكاف إشارة إلى كربلاء، والهاء إشارة إلى هلاك عتره النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والياء إشارة إلى يزيد، والعين إشارة إلى مسأله العطش، والصاد إشارة إلى صبر و ثبات الحسين و أصحابه المضحين (٢).

و كما قلنا مرارا، فإن آيات القرآن أنوار معان مختلفه، و تبين أحيانا مفاهيم من الماضى و المستقبل، و مع تنوعها و اختلافها فإنه لا يوجد تناقض بينها، فى حين أننا إذا حصرنا المعنى و فسرناه تفسيراً واحداً، فمن الممكن أن نبتلى بإشكالات من ناحيه وضع و سبب نزول الآيه و زمانه.

و بعد ذكر الحروف المقطعه، تشرع الكلمات الأولى من قصه زكريا عليه السلام فتقول: ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا (٣). و فى ذلك الوقت الذى كان زكريا عليه السلام مغتماً و متألماً فيه من عدم إنجاب الولد، توجه إلى رحمه ربّه: إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا بحيث لم يسمعه أحد، و ذكر فى دعائه و هن و ضعف العظام باعتبارها عمود بدن الإنسان و دعامته و أقوى جزء من اجزائه: قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا .

إن تشبيه آثار الكبر بالشعله التى عمت كل الرأس تشبيه جميل، لأن خاصيه شعله النار أنها تتسع بسرعه، و تلتهم كل ما يحيط بها.

و من جهه ثانيه فإن شعله النار لها بريق و ضياء يجلب الانتباه من بعيد.

و من ناحيه ثالثه، فإن النار إذا اشتعلت فى محل له، فإن الشئ الذى يبقى

ص: ٤٠٢

١-١) -نور الثقلين، الجزء ٣، ص ٣٢٠.

٢-٢) -المصدر السابق.

٣-٣) -كلمه «ذكر» خبر لمبتدأ محذوف، و عليه فالتقدير: هذا ذكر رحمه ربك.

منه هو الرماد فقط.

لقد شبه زكريا نزول الكبر، و بياض كل شعر رأسه باشتعال النَّار، و الرماد الأبيض الذى تتركه، و هذا التشبيه جميل و بليغ جدا.

ثم يضيف: وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا فقد عودتني دائما-فيما مضى- على استجابته أدعيتي، و لم تحرمني منها أبدا، و الآن و قد أصبحت كبيرا و عاجزا فأجدني أحوج من السابق إلى أن تستجيب دعائي و لا تخيبي.

إنَّ الشقاء هنا بمعنى التعب و الأذى أى إنني لم أتعب و لم أتأذ في طلباتي منك، لأنك كنت تقضيها بسرعته.

ثم يبين حاجته: وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي أَى إِنِّي أَخْشَى مِنْ أَقْرَبَائِي أَنْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْإِنْحِرَافِ وَ الظلم وَ كَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا أَى مرضيا عندك.

**بحوث**

**إشاره**

**١- المراد من الإرث**

لقد قدم المفسرون الإسلاميون بحوثا كثيره حول الإجابة عن هذا السؤال، فالبعض يعتقد أنَّ الإرث هنا يعنى الإرث فى الأموال، و البعض اعتبره إشاره إلى مقام النبوه، و بعض آخر احتمل أن يكون المراد معنى جامعا شاملا لكلا الرأيين السابقين.

و قد اختار كثير من علماء الشيعة المعنى الأول، فى حين ذهب جماعه من علماء العامه إلى المعنى الثانى، و البعض الآخر-كسيد قطب فى (فى ظلال القرآن)، و الألوسى فى روح المعانى- اختاروا المعنى الثالث.

إنَّ الذين حصروا المراد فى الإرث فى المال استندوا إلى ظهور كلمه الإرث

ص: ٤٠٣

فى هذا المعنى، لأن هذه الكلمه إذا كانت مجردة عن القرائن الأخرى، فإنها تعنى إرث الأموال، أما فى موارد استعمالها فى بعض آيات القرآن فى الأمور المعنويه، كآية (٣٢) من سورة فاطر: **ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فُلُوجِدِ الْقِرَائِنِ فِى مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَارِدِ.**

إضافه إلى أنه يستفاد من قسم من الروايات أن هدايا و نذورا كثيره كانت تجلب إلى الأبحار- و هم علماء اليهود- فى زمان بنى إسرائيل، و كان زكريا رئيس الأبحار (١).

و إذا تجاوزنا ذلك، فإن زوجه زكريا كانت من أسره سليمان بن داود، و بملاحظه الثروه الطائله لسليمان بن داود، فقد كان لها نصيب منها.

لقد كان زكريا خائفا من وقوع هذه الأموال بأيدي أناس غير صالحين، و انتهازيين، أو أن تقع بأيدي الفساق و الفجره، فتكون بنفسها سببا لنشوء و انتشار الفساد فى المجتمع، لذلك طلب من ربه أن يرزقه ولدا صالحا ليرث هذه الأموال و ينظر فيها، و يصرفها فى أفضل الموارد.

الروايه المعروفه المرويّه عن فاطمه الزهراء عليها السلام، و التى استدلّت فيها بهذه الآيه من أجل استرجاع فذك، هى شاهد آخر على هذا المدعى.

ينقل العلامة الطبرسى فى كتاب الإحتجاج عن سيده النساء عليها السلام: إنه عند ما صمم الخليفه الأول على منع فاطمه الزهراء عليها السلام فذكا، و بلغ ذلك فاطمه، حضرت عنده و

قالت: «يا أبا بكر! فى كتاب الله أن ترث أباك و لا أرث أبى؟ لقد جئت شيئا فريا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله و نبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا: إذ قال رب هب لى من لذنك و ليئا يرثنى و يرث من آل يعقوب؟ (٢).

ص: ٤٠٤

١- ١) - نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٢٣.

٢- ٢) - نور الثقلين، الجزء ٣، ص ٣٢٤ (نقلا عن الإحتجاج).

أما الذين يعتقدون بأن الإرث هنا هو الإرث المعنوي، فقد تمسكوا بقرائن في نفس الآية، أو خارجه عنها، مثل:

١- يبدو من البعيد أن نبيا كبيرا كزكريا، وفي ذلك السن الكبير، يمكن أن تشغل فكره مسألة ميراث ثروته، خاصه و أنه يضيف بعد جملة يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ جملته وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ، و لا شك أن هذه الجملة إشاره إلى الصفات المعنويه لذلك الوارث.

٢- إن الله سبحانه لما بشره بولاده يحيى في الآيات القادمه، فإنه ذكر صفات و مقامات معنويه عظيمه، و من جملتها مقام النبوه.

٣- إن الآية (٣٨) من سوره آل عمران بينت السبب الذي دفع زكريا إلى هذا الطلب و الدعاء، و أنه فكر في ذلك عند ما شاهد مقامات مريم حيث كان يأتيها رزقها من طعام الجنة في محرابها بلطف الله: هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .

٤- ورد في بعض الأحاديث عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم ما يؤيد أن الإرث هنا يراد به الإرث المعنوي، و خلاصه الحديث

أن الإمام الصادق عليه السلام روى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: إن عيسى بن مريم مرّ على قبر كان صاحبه يعذب، و مرّ عليه في العام الثاني فرأى صاحب ذلك القبر لا يعذب، فسأله ربه عن ذلك، فأوحى الله إليه أنه لصاحب هذا القبر ولد صالح قد أصلح طريقا و آوى يتيما، فغفر الله له بعمل ولده. ثم قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «ميراث الله من عبده المؤمن ولد يعبد من بعده»، ثم تلا- الإمام الصادق عند نقله هذا الحديث الآية المرتبطه بزكريا: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (١) .

فإن قيل: إن ظاهر كلمه الإرث هو إرث الأموال.

فيقال في الجواب: إن هذا الظهور ليس قطعيا، لأن هذه الكلمه قد استعملت

ص: ٤٠٥



فى القرآن مرارا فى الإرث المعنوى، كآلآيه (٣٢) من سورة فاطر، و الآيه (٥٣) من سورة المؤمن. إضافه إلى أننا لو فرضنا أنها خلاف الظاهر، فإنّ هذا الإشكال سيزول بوجود القرائن.

إلا- أنّ أنصار الرأى الأوّل يستطيعون أن يناقشوا هذه الاستدلالات، بأنّ ما كان يشغل فكر زكريا-نبى الله الكبير-هى مسأله الأموال، و لم تكن تشغله كمسأله شخصيه، بل باعتبارها مصدرا لفساد أو صلاح المجتمع؛ لأنّ بنى إسرائيل-و كما قيل أعلاه- كانوا يأتون بالهدايا و النذور الكثيره إلى الأحبار فكانت تودع عند زكريا، و ربما كانت هناك أموالا متبقية من قبل زوجته التى كانت من أسره سليمان، و من البديهي أن وجود شخص غير صالح يتولى هذه الأموال قد يؤدى إلى مفسد عظيمه، و هذا هو الذى كان يقلق زكريا.

و أمّا الصفات المعنويه التى ذكرت ليحيى فى هذه الآيات و الآيات الأخرى، فإنّها تؤيد ما ذكرنا، و تنسجم معه، لأنّه أراد أن تقع هذه الثروه العظيمه بيد رجل صالح يستفيد منها فى سبيل المجتمع.

إلا أنّنا نعتقد بأننا إذا توصلنا من مجموع المباحث أعلاه إلى هذه النتيجة، و هى أن للإرث هنا مفهوما و معنى واسعا يشمل إرث الأموال كما يشمل إرث المقامات المعنويه، فسوف لا يكون هناك مورد خلاف، لأنّ لكل رأى قرائنه، و إذ لاحظنا الآيات السابقه و اللاحقه و مجموع الروايات، فإنّ هذا التفسير يبدو أقرب للصواب.

أمّا جملته إنّى خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي فَإِنَّهَا مَنْسَبَةٌ لِلْكَالِ- المعنيين، لأنّ الأشخاص الفاسدين إذ تولوا أمر هذه الأموال، فإنّهم سيكونون مصدر قلق حقا، و إذا وقعت زمام الأمور و قياده الناس المعنويه بيد أناس منحرفين، فإنّ ذلك أيضا يثير المخاوف، و على هذا فإنّ خوف زكريا يمكن توجيهه فى كلا الصورتين.

و حديث فاطمه الزهراء عليها السّلام يناسب هذا المعنى أيضا.

## ٢- ماذا تعنى كلمه «نادى»؟

فى قوله تعالى إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا طرح هذا السؤال بين المفسرين، و هو أن «نادى» تعنى الدعاء بصوت عال، فى حين أن «خفيا» تعنى الإخفات و خفض الصوت، و هذان المعنيان لا يناسب أحدهما الآخر.

إلا- أننا إذا علمنا أن «خفيا» لا- تعنى الإخفات، بل تعنى الإخفاء، فسيكون من الممكن أن زكريا حين خلوته، حيث لا يوجد أحد سواه، كان ينادى و يدعو الله بصوت عال.

و البعض قال: إن طلبه هذا كان فى جوف الليل حيث كان الناس يغطون فى النوم (١).

و البعض الآخر اعتبر قوله تعالى: فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ التى ستأتى فى الآيات التالیه، دليلا على وقوع هذا الدعاء فى الخلوه (٢).

## ٣- وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ

إن زكريا قال: وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ، و ذلك لأن زوجته كانت خاله مريم أو عيسى، و يتصل نسبها بيعقوب، لأنها كانت من أسرہ سليمان بن داود، و هو من أولاد يهودا بن يعقوب (٣).

ص: ٤٠٧

١-١) - تفسير القرطبي، ج ٦، ذيل الآيه مورد البحث.

٢-٢) - تفسير الميزان الجزء ١٤، ذيل الآيه.

٣-٣) - مجمع البيان، الجزء ٦، ذيل الآيه.

اشاره

يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّي إِمْرَأَةٌ عَاقِرٌ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١)

التفسير

اشاره

بلوغ زكريا أمه:

تبين هذه الآيات استجابته دعاء زكريا عليه السلام من قبل الله تعالى استجابته ممزوجه بلطفه الكريم و عنايته الخاصه، و تبدأ بهذه الجملة: يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا .

كم هو رائع و جميل أن يستجيب الله دعاء عبده بهذه الصورة، و يطلعه

ببشارته على تحقيق مراده، و في مقابل طلب الولد فإنه يعطيه مولدا ذكرا، و يسميه أيضا بنفسه، و يضيف إلى ذلك أن هذا الولد قد تفرد بأمور لم يسبقه أحد بها. لأن قوله: لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا و إن كانت تعنى ظاهرا بأن أحدا لم يسم باسمه لحد ولادته، لكن لما لم يكن الاسم لوحده دليلا على شخصيه أحد، فسيصبح من المعلوم أن المراد من الاسم هنا هو المسمى، أى أحدا قبله لم يكن يمتلك هذه الامتيازات، كما ذهب الراغب الأصفهاني إلى هذا المعنى -بصراحة- في مفرداته.

لا- شك في وجود أنبياء كبار قبل يحيى، بل و أسمى منه، إلا أنه لا مانع مطلقا من أن يكون ليحيى خصوصيات تختص به، كما ستأتى الإشارة إلى ذلك فيما بعد.

أما زكريا الذى كان يرى أن الأسباب الظاهرية لا تساعد على الوصول إلى مثل هذه الأمنيه، فإنه طلب توضيحا لهذه الحاله من الله سبحانه: قَالَ رَبِّ أَنْتَى يَكُونُ لى غُلَامٌ وَ كَانَتِ امْرَأَتى عَاقِرًا وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا .

«عافر» فى الأصل من لفظه «عقر» بمعنى الجذر و النهايه، أو بمعنى الحبس، و إنما يقال للمرأة: عافر، لأن قابليتها على الولاده قد انتهت، أو لأن إنجاب الأولاد محبوس عنها.

«العتى» تعنى الشخص الذى نحل جسمه و ضعف هيكله، و هى الحاله التى تظهر على الإنسان عند شيخوخته.

إلا أن زكريا سمع فى جواب سؤاله قول الله سبحانه: قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ (١) .

إن هذه ليست بالمسأله العجيبه، أن يولد مولود من رجل طاعن فى السن

ص: ٤٠٩

---

١ - ١) - المعروف بين المفسرين أن عبارته (كذلك) هى فى تقدير (الأمر كذلك). و يحتمل كذلك أن (كذلك) متعلقه بما بعدها و يصبح معناها: كذلك قال ربك.

مثلك، و امرأه عقيم ظاهراً وَقَدْ خَلَقْتِكِ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكِ شَيْئاً، فَإِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْعَدَمِ، فلا عجب أن يتلطف عليك بولد في هذا السن و في هذه الظروف.

و لا شك أن المبشر و المتكلم في الآية الأولى هو الله سبحانه، إلا أن البحث في أنه هو المتكلم في الآية الثالثة: قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ .

ذهب البعض بأن المتكلم هم الملائكة الذين كانوا واسطه لتبشير زكريا، و الآية (٣٩) من سورة آل عمران يمكن أن تكون شاهداً على ذلك: فَنادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى .

لكن الظاهر هو أن المتكلم في كل هذه الأحوال هو الله سبحانه، و لا دليل -أو سبب- يدفعنا إلى تغييره عن ظاهره، و إذا كانت الملائكة وسائط لنقل البشارة، فلا مانع -أيدياً- من أن ينسب الله أصل هذا الإعلان و البشارة إلى نفسه، خاصه و أننا نقرأ في الآية (٤٠) من سورة آل عمران: قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ .

و قد سرّ زكريا و فرح كثيراً لدى سماعه هذه البشارة، و غمر نفسه نور الأمل، لكن لما كان هذا النداء بالنسبة إليه مصيرياً و مهماً جداً، فإنه طلب من ربه آية على هذا العمل: قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً .

لا شك أن زكريا كان مؤمناً بوعده الله، و كان مطمئناً لذلك، إلا أنه لزياده الاطمئنان -كما أن إبراهيم الذي كان مؤمناً بالمعاد طلب مشاهدته صورته و كيفية المعاد في هذه الحياة ليطمئن قلبه- طلب من ربه مثل هذه العلامة و الآية، فخاطبه الله: قَالَ آيَتِكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا و اشغل لسانك بذكر الله و مناجاته.

لكن، آية آية عجيبة هذه! آية تنسجم من جهه مع حال مناجاته و دعائه، و من جهه أخرى فإنها تعزله عن جميع الخلائق و تقطعه إلى الله حتى يشكر الله

على هذه النعمة الكبيره، و يتوجه إلى مناجاه الله أكثر فأكثر.

إن هذه آيه واضحه على أن إنسانا يمتلك لسانا سليما، و قدره على كل نوع من المناجاه مع الله، و مع ذلك لا تكون له القدره على التحدث أمام الناس! بعد هذه البشاره و الآيه الواضحه، خرج زكريا من محراب عبادته إلى الناس، فكلّمهم بالإشاره: فَخَرَجَ عَلَيَّ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا لَأَنَّ النعمة الكبيره التي منّ الله بها على زكريا قد أخذت بأطراف القوم، و كان لها تأثير على مصير و مستقبل كل هؤلاء، و لهذا فقد كان من المناسب أن يهبّ الجميع لشكر الله بتسييحه و مدحه و ثنائه.

و إذا تجاوزنا ذلك، فإنّ بإمكان هذه الموهبه التي تعتبر إعجازا أن تحكّم أسس الإيمان في قلوب الناس، و كانت هذه أيضا موهبه أخرى.

## بحثان

### اشاره

#### ١- يحيى عليه السلام النبي المتأله الورع

لقد ورد اسم «يحيى» في القرآن الكريم خمس مرات- في سور آل عمران، و الأنعام، و مريم، و الأنبياء- فهو واحد من أنبياء الله الكبار، و من جمله امتيازاته و مختصاته أنّه وصل إلى مقام النبوه في مرحله الطفوله، فإنّ الله سبحانه قد أعطاه عقلا و ذكاء و قادا و درايه واسعاه في هذا العمر بحيث أصبح مؤهلا لتقبل هذا المنصب.

و من خصائص هذا النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم التي أشار إليها القرآن في الآيه (٣٩) من سوره آل عمران، و وصفه بالحضور، كما قلنا في ذيل تلك الآيه، فإنّ «الحضور» من ماده الحصر، بمعنى وقوع الشخص في المحاصره، و هي تعنى هنا- طبقا لبعض الروايات- الامتناع عن الزواج.

لقد كان هذا العمل امتيازاً بالنسبة له، من جهة أنه يبين نهايه العفه و الطهاره، أو أنه كان-نتيجه ظروف الحياه الخاصه-مضطرا إلى الأسفار المتعدده من أجل نشر الدين الإلهى و الدعوه إليه، و اضطر كذلك إلى أن يعيش حياه العزوبه كعيسى بن مريم عليه السلام.

و هناك تفسير قريب من الصواب أيضا، و هو أن الحصور-فى الآيه المذكوره-تعنى الشخص الذى ترك شهوات الدنيا و ملذاتها، و هذا فى الواقع مرتبه عاليه من الزهد (١).

على كل حال، فإنّ المستفاد من المصادر الإسلاميه و المسيحيه أن يحيى كان بن خاله عيسى.

فقد صرّحت المصادر المسيحيه بأنّ يحيى غسل المسيح عليه السلام غسل التعميد، و لذلك يسمونه (يحيى المعمد)-و غسل التعميد غسل خاص يغسل المسيحيون أولادهم به، و يعتقدون أنه يطهرهم من الذنوب-و لما أظهر المسيح نبوته آمن به يحيى.

لا-شك أن يحيى لم يكن له كتاب سماوى خاص، و ما نقرأه فى الآيات التاليه من أنه يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ إشاره إلى التوراه، و هى كتاب موسى عليه السلام.

و هناك جماعه يتبعون يحيى، و ينسبون له كتابا، و ربما كان (الصابئون الموحدون) من أتباع يحيى (٢).

لقد كان بين يحيى و عيسى جوانب مشتركه، كالزهد الخارق غير المألوف، و ترك الزواج للأسباب التى ذكرت، و ولادتهما التى تحمل طابع الإعجاز، و كذلك

ص: ٤١٢

---

١-١) -لقد بحثنا مفصلا فى أنّ ترك الزواج لا يمكن أن يكون فضيله لوحده، و أنّ قانون الإسلام يؤكّد فى هذا المجال على الزواج، فى الجزء الثانى ذيل الآيه (٣٩) من آل عمران من هذا التفسير.

٢-٢) -أعلام القرآن، ص ٦٦٧.

النسب القريب جدًا.

و يستفاد من الروايات الإسلامية، أن بين الحسين عليه السلام و يحيى عليه السلام جهات مشتركة، و لذلك

فقد روى الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام أنه قال:

«خرجنا مع الحسين بن علي عليه السلام، فما نزل منزلا و لا رحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا و قتله، و قال: و من هو ان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا أهدى إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل» (١).

كما أن شهادة الحسين عليه السلام تشبه شهادة يحيى عليه السلام من عدّه جهات أيضا، و سنذكر كيفية قتل يحيى فيما بعد.

و كذلك فإن اسم الحسين عليه السلام كاسم يحيى عليه السلام لم يسبقه به أحد، و مدّه حملهما كانت أقل من المعتاد.

## ٢- ما معنى كلمة «المحراب»؟

«المحراب» محل خاص في مكان العبادة يجعل للإمام أو الوجهاء و المبرزين، و قد ذكروا علتين لهذه التسمية:

الأولى: أنها من مادة «حرب»، لأنّ المحراب في الحقيقة محل لمحاربه الشيطان و هوى النفس.

و الثانية: أنّ المحراب في اللغة بمعنى مكان الصداره في المجلس، و لما كان مكان المحراب في صدر المعبد فقد سمي بهذا الاسم.

يقول البعض: إنّ المحراب كان عند بنى إسرائيل بعكس ما هو المتعارف عندنا، حيث كان في مكان أعلى من سطح الأرض حيث يرتقى إليه بعدّه

ص: ٤١٣



درجات. و كانوا يحيطونه بالجدران بحيث تصعب رؤيه الذين يتعدون فى داخل المحراب، و يؤيد ذلك ما ورد فى الآيه: فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ وَالتى قرأناها فى الآيات محل البحث، و مع ملاحظه كلمه «على» التى تستعمل عادة للدلاله على الجهه العليا يتضح هذا المطلب أكثر.

ص: ٤١٤

اشاره

يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)

التفسير

اشاره

صفات يحيى عليه السلام البارزه:

رأينا في الآيات السابقه كيف أنّ الله سبحانه منّ على زكريا عند كبره بيحيى، و بعد ذلك فإنّ أول ما نلاحظه في هذه الآيات هو الأمر الإلهي المهم الذي يخاطب يحيى: يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ .

المشهور بين المفسرين أنّ المراد من الكتاب هنا هو التوراه، حتى ادعوا الإجماع على ذلك (١).

إلا أنّ البعض احتمال أن يكون له كتاب خاص كزبور داود، وهو طبعا ليس

ص: ٤١٥

كتاباً متضمناً لدين جديد و مذهب مستحدث (1). غير أن الاحتمال الأول هو الأقوى كما يبدو.

و على أى حال، فإنّ المراد من أخذ الكتاب بقوه هو إجراء و تنفيذ ما جاء فى كتاب التوراه السماوى بكل حزم و اقتدار و تصميم راسخ، و إرادته حديديه، و أن يعمل بكل ما فيه، و أن يستعين بكل القوى الماديه و المعنويه فى سبيل نشره و تعميمه.

إنّ من القواعد المسلّمه أنّه لا- يمكن تطبيق أى كتاب و دين بدون قوه و قدره و حزن أتباعه و أنصاره، و هذا درس لكل المؤمنين، و كل السالكين و السائرين فى طريق الله.

### يحيى و صفاته العشره:

ثمّ أشار القرآن الكريم إلى المواهب العشره التى منحها الله ليحيى و التى اكتسبها بتوفيق الله:

١- وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا. و هو أمر النبوه و العقل و الذكاء و الدرايه.

٢- وَ حَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَ الْحَنَانَ فى الأصل بمعنى الرحمه و الشفقه و المحبّه و إظهار العلاقه و المودّه للآخرين.

٣- وَ زَكَاةً أَى أعطيناه روحاً طاهره و زكاه، و بالرغم من أنّ المفسّرين فسروا الزكاه بمعان مختلفه، فبعضهم فسّرها بالعمل الصالح، و آخر بالطاعه و الإخلاص، و ثالث ببر الوالدين و الإحسان إليهما، و رابع بحسن السمعه و الذكر، و خامس بطهاره الأنصار، إلاّ أنّ الظاهر هو أنّ للزكاه معنى واسعاً و شاملاً يتضمن كل هذه الأعمال و الصفات الطاهره الصالحه.

٤- وَ كَانَ تَقِيًّا فكان يجتنب كل ما يخالف الأوامر الالهيه.

ص: ٤١٦

(١-١) -يراجع تفسير الميزان فى ذيل الآيه.

٥- وَ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ .

٦- وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا فَلَمْ يَكُنْ رَجُلًا ظَالِمًا وَ مُتَكَبِّرًا وَ إِنَاتِيًا .

٧- وَلَمْ يَكُنْ عَصِيًّا وَ لَمْ يَقْتَرِفْ ذُنُوبًا وَ مَعْصِيَةً .

٨،٩،١٠- وَلَمَّا كَانَ جَامِعًا لِكُلِّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْبَارِزَةِ، وَ الْأَوْسَمَةِ الْكَبِيرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَدْ سَلَّمَ عَلَيْهِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: وَ سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ، وَ يَوْمَ يَمُوتُ، وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا .

## بحوث

## إشارة

### ١- خذ الكتاب السماوى بقوه و اقتدار!

إِنَّ لِكَلِمَةِ «قُوَّة» فِي قَوْلِهِ: يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ - كَمَا تَقَدَّمَ - مَعْنَى وَاسِعًا جَمَعَتْ فِيهِ كُلَّ الْقُدْرَاتِ وَ الطَّاقَاتِ الْمَادِيَةِ وَ الْمَعْنَوِيَّةِ، الرُّوحِيَّةِ الْجَسْمِيَّةِ، وَ هَذَا بِحُدُودِ ذَاتِهِ يَبَيِّنُ وَ يُوَضِّحُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، وَ هِيَ أَنَّ الدِّينَ الْإِلَهِيَّ وَ الْإِسْلَامَ وَ الْقُرْآنَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَحْفَظَ بِالضَّعْفِ وَ التَّخَاذُلِ وَ الْمَهَادَنَةِ اللَّيِّنِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَصَانَ بِقُوَّةٍ وَ تَجْعَلَ فِي قَلْعِهِ الْقُدْرَةَ الْمُنِيْعَةَ .

إِنَّ الْمَخَاطَبَ هُنَا وَ إِنْ كَانَ يَحْيَى، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ هَذَا التَّعْبِيرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي مَوَارِدٍ أُخْرَى مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، فِي الْآيَةِ (١٤٥) مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ أَمْرَ مُوسَى بِأَنْ يَأْخُذَ التَّوْرَةَ بِقُوَّةٍ: فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ .

وَ فِي الْآيَةِ (٦٣ وَ ٩٣) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ يَلَاحِظُ أَنَّ الْخَطَابَ مُوجَّهًا لِجَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ هُوَ يُوحَى بِأَنْ هَذَا الْحُكْمُ عَامٌ يَشْمَلُ الْجَمِيعَ، وَ لَا يَخْصُ شَخْصًا أَوْ أَشْخَاصًا مُعَيَّنِينَ .

وَ قَدْ وَرَدَ هَذَا الْمَفْهُومُ بِتَعْبِيرٍ آخَرَ فِي الْآيَةِ (٦٠) مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ .

و على كل حال، فإنَّ هذه الآيه تعتبر جواباً لمن يظن أنَّه بالإمكان تنفيذ عمل أو تحقيق غايه من موقعه الضعف، أو يريد حل المشاكل عن طريق المساومه فى كل الظروف.

## ٢- ثلاثة أيام صعبه فى مصير الإنسان

إنَّ التعبير بـ سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا يبيّن أن فى تاريخ حياه الإنسان و انتقاله من عالم إلى عالم آخر ثلاثة أيام صعبه: يوم يضع قدمه فى هذه الدنيا: يَوْمَ وُلِدَ و يوم موته و انتقاله إلى عالم البرزخ وَ يَوْمَ يَمُوتُ و يوم بعثه فى العالم الآخر وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا و لما كان من الطبيعى أن تكون هذه الأيام مرافقه للاضطرابات و القلق، فإنَّ الله سبحانه يكتنف خاصيه عبادته بسلامه و عافيته، و يجعل هؤلاء فى ظل حمايته و منعته فى هذه المراحل العسيره الثلاثه.

و بالرغم من أن هذا التعبير قد ورد فى القرآن فى موردين فقط، فى حق يحيى و فى حق عيسى عليه السّلام، إلا أنَّ التعبير القرآن فى شأن يحيى امتيازاً خاصاً، لأنَّ المتكلم بهذا الكلام هو الله سبحانه، فى حين أنَّ المسيح عليه السّلام هو المتكلم فى حق نفسه.

و من الواضح أنَّ الأفراد الذين يكونون فى أوضاع و أحوال تشابه أحوال هذين العظيمين ستعمهم و تظللهم هذه السلامه.

و من البديع أن نقرأ

فى روايه عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام: «إنَّ أوحش ما يكون هذا الخلق فى ثلاثه مواطن: يوم يلد و يخرج من بطن أمه فىرى الدنيا، و يوم يموت فىعابن الآخره و أهلها، و يوم يبعث حيا فىرى أحكاماً لم يرها فى دار الدنيا، و قد سلم الله على يحيى عليه السّلام فى هذه الثلاثه مواطن و آمن روعته، فقال:

### ٣- النبوه فى الطفوله

صحيح أنّ مرحله النضج العقلى للإنسان لها حدّ معين عاده، إلاّ أنّه يوجد أفراد استثنائيون بين البشر دائماً، فأى مانع من أن يختصر الله هذه المرحلة لبعض عباده لمصالح ما، و يجعلها تتلخص فى سنوات أقل؟ كما أن مرور سنه أو سنتين على الولاده أمر محتم من أجل التمكن من النطق عاده، فى حين أنّنا نعلم أنّ عيسى عليه السّلام قد تكلم فى أيامه الأولى، و كان كلاماً عميق المحتوى من شأنه أن يصدر-عاده عن أناس كبار فى السن، كما سيأتى فى تفسير الآيات القادمه إن شاء الله تعالى.

من هنا يتضح عدم صحه الإشكال الذى طرحه بعض الأفراد حول بعض أئمه الشيعة، بأنّه كيف تسلّم بعضهم أمور الإمامه فى سن صغيره؟ نطالع

فى روايه عن على بن أسباط، أحد أصحاب الإمام الجواد محمّد بن على النقى عليه السّلام أنّه قال: رأيت أبا جعفر عليه السّلام و قد خرج علىّ، فأجدت النظر إليه، و جعلت أنظر إلى رأسه و رجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينما أنا كذلك قعد فقال: «يا علىّ، إنّ الله احتج فى الإمامه بمثل ما احتج به فى النبوه، قد يقول و آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا، و قد يقول و لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ و بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُؤْتَى الْحُكْمَ وَ هُوَ صَبِيٌّ، و يجوز أن يؤتى الحكمه و هو ابن أربعين» (٢).

كما أنّ هذه الآيه تتضمن جواباً مفحماً لأولئك المعترضين الذين يقولون: إنّ علياً عليه السّلام لم يكن أول من آمن بالنّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم من الرجال، لأنّه كان ابن عشر سنين فى ذلك اليوم، و لا يقبل إيمان صبى فى العاشره من عمره!

ص: ٤١٩

١-١) - تفسير البرهان، ج ٣، ص ٧.

٢-٢) - نور الثقلين، الجزء ٣، ص ٣٢٥.

عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، و هي أن جماعه من الأطفال قالوا للرضا عليه السلام أريام طفولته: أذهب بنا نلعب، قال: «ما للعب خلقنا» و هذا ما أنزل الله تعالى وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١).

يجب الالتفات إلى أن اللعب هنا هو الإشتغال بما لا فائده فيه، و بتعبير آخر لا هدف يطلب منه، لكن قد يستتبع اللعب و اللهو- أحيانا-هدفا منطقيا و عقلايا و يسعى إليه، فمن البديهي أن لهذا اللعب حكما مستثنى.

#### ٤- شهادة يحيى

لم تكن ولاده يحيى عجيبيه و مذهله لوحدها، بل إن موته أيضا كان عجيبا من عدّه جهات، و قد ذكر أغلب المؤرخين المسلمين، و كذلك المصادر المسيحيه، مجرى هذه الشهاده على هذه النحو، بالرغم من وجود اختلاف يسير في خصوصياتها بين هذه المراجع:

لقد أصبح يحيى ضحية للعلاقات غير الشرعيه لأحد طواغيت زمانه مع أحد محارمه، حيث تعلق «هروديس» ملك فلسطين اللاهث وراء شهواته بنت أخته «هروديا» و هام في غرامها، و ألهب جمالها قلبه بنار العشق، و لذلك صمم على الزواج منها! فبلغ هذا الخبر نبي الله العظيم يحيى عليه السلام، فأعلن بصراحه أنّ هذا الزواج غير شرعي و مخالف لتعليمات التوراه، و ساقف امام مثل هذا العمل.

لقد انتشر صخب و ضوضاء هذه المسأله في كل أرجاء المدينه، و سمعت تلك الفتاه (هيروديا) بذلك، فكانت ترى يحيى أكبر عائق في طريقها، و لذلك صممت على الانتقام منه في فرصه مناسبه لترفع هذا المانع من طريق شهواتها و ميولها، فعمقت علاقتها بخالها و وطدتها، و جعلت من جمالها مصيده له، و قد

ص: ٤٢٠

ملكت عليه كل مشاعره و أحاسيسه، إلى أن قال لها هيروديس يوماً: اطلبي مني كل ما تريدين فسأحققه لك قطعاً، فقالت هيروديا: لا أريد منك إلا رأس يحيى! لأنه قد شوّه سمعتي و سمعتك، و قد أصبح كل الناس يعيروننا، فإن كنت تريد أن يهدأ قلبي و يسر خاطري فيجب أن تقوم بهذا العمل! فسلم هيروديس -الذي أصبح مجنوناً لا يعقل من عشق هذه المرأة- لما أرادت من دون أن يفكر و يتنبه إلى عاقبه هذا العمل، و لم يمض قليل من الزمن حتى أحضر رأس يحيى عند تلك المرأة الفاجره، إلا أن عواقب هذا العمل الشنيع قد أحاطت به، و أخذت بأطرافه في النهايه (١).

و نقرأ

في الروايات أن سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام كان يقول: «إن من هو ان الدنيا أن يهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بغى من بغايا بني إسرائيل» أى إن ظروفى تشابه من هذه الناحيه ظروف و أحوال يحيى، لأن أحد أهداف ثورتى محاربه الأعمال المخزيه لطاغوت زمانى يزيد.

ص: ٤٢١

---

١-١) -يستفاد من بعض الأناجيل و قسم من الروايات أن هيروديس قد تزوج امرأه أخيه، و قد كان هذا الزواج ممنوعاً فى قانون التوراه، و قد لامه يحيى على هذا العمل بشده، ثم أن تلك المرأة حملت هيروديس على قتل يحيى ياغرائه بجمال بنتها. إنجيل متى باب ١٤، إنجيل مرقس باب ٦، الفقره ١٧ و ما بعدها.



اشاره

وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَتْ مِنْ اَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا اِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ اِنِّي اَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ اِنْ كُنْتُ تَقِيًّا (١٨) قَالَتْ اِنَّمَا اَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِاَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ اَنْى يَكُونُ لى غُلَامٌ وَاَ لَمْ يَمْسَسْنى بَشْرًا وَاَ لَمْ اَكُ بَعِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلى هَيِّئٍ وَاَنجَعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ امْرَأً مَقْصِيًّا (٢١)

التفسير

اشاره

ولاده عيسى عليه السلام:

بعد ذكر قصه يحيى عليه السلام، حولت الآيات مجرى الحديث إلى قصه عيسى عليه السلام لوجود علاقه قويه و تقارب واضح جدا بين مجريات هاتين الحادثتين.

فإن كانت ولاده يحيى من أب كبير طاعن فى السن و أم عقيم عجيبه، فإن ولاده عيسى من أم دون أب أعجب!

و إن كان الوصول إلى مقام النبوه و بلوغ العقل الكامل- فى مرحله الطفوله- باعثا على الحيره و معجزا، فإنَّ التحدث فى المهد عن الكتاب و النبوه أبعث على التعجب و الحيره، و أكثر إعجازا.

و على كل حال، فإنَّ كلا- الأمرين آيتان على قدره الله الكبير المتعال، إحداهما أكبر من الأخرى، و قد صادف أن تكون كلا الآيتين مرتبطين بشخصين تربطهما أو اصر نسب قويه، فكل منهما قريب للآخر من ناحيه النسب، حيث أن أم يحيى كانت أخت أم مريم، و كانت كلاهما عقيمتين و تعيشان أمل الولد الصالح.

تقول الآيه الأولى: وَ أَذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَقَدْ كَانَتْ تَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ خَالٍ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ التَّشْوِيشِ وَ الضُّوْضَاءِ حَتَّى لَا يَشْغَلَهَا شَيْءٌ عَنْ مَنَاجَاتِهَا وَ يَصْرِفُهَا- وَ لَوْ حِينَا- عَنْ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ، وَ لِذَلِكَ اخْتَارَتْ شَرْقَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ذَلِكَ الْمَعْبَدِ الْكَبِيرِ، لَعَلَّهُ يَكُونُ مَكَانًا أَكْثَرَ هَدُوءًا، أَوْ أَنَّهُ كَانَ أَنْظَفَ وَ أَنْسَبَ مِنْ جِهَةِ أَشْعَةِ الشَّمْسِ وَ نُورِهَا.

كلمه «انتبذت» أخذت من ماده (نبذ) على قول الراغب، و هى تعنى إلقاء و إبعاد الأشياء التى لا تسترعى الانتباه، و ربّما كان هذا التعبير فى الآيه إشارة إلى أنّ مريم قد اعتزلت بصوره متواضعه و مجهوله و خاليه من كل ما يجلب الانتباه، و اختارت ذلك المكان من بيت الله للعباده.

فى هذه الأثناء من أجل أن تكمل مريم مكان خلوتها و اعتكافها من كل جهه، فإنَّها فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا و لم تصرح الآيه بالهدف من اتّخاذ هذا الحجاب، فهل أنه كان من أجل أن تناجى ربّها بحريه أكبر، و تستطيع عند خلو هذا المكان من كل ما يشغل القلب و الحواس أن تتوجه إلى العباده و الدعاء؟ أو أنّها كانت تريد اتّخاذها من أجل الغسل و الاغتسال؟ الآيه ساكنه من هذه الجهه.

على كل حال، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا وَ الرُّوحُ أَحَدُ

الملائكة العظام حيث تجسّد لمريم على شكل انسان جميل لا عيب فيه و لا نقص.

إنّ الحاله التي اعترت مريم في تلك اللحظه واضحه جدّاً، فمريم التي عاشت دائماً نقيه الجيب، و تربّت في أحضان الطاهرين، و كان يضرب بها المثل بين الناس في العفه و التقوى... كم داخلها من الرعب و الاضطراب عند مشاهدته هذا المنظر، و هو دخول رجل أجنبي جميل في محل خلوتها! و لذلك فإنّها مباشرة قالَتْ إني أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا و كانت هذه أوّل هزّه عمّت كل وجود مريم.

إنّ ذكر اسم الرحمان، و وصفه برحمته العامّه من جهه، و ترغيب الرجل في التقوى و الامتناع عن المعصيه من جهه أخرى، كان من أجل أن يرتدع هذا الشخص المجهول إن كانت له نيه سيئه في ارتكاب المعصيه، و الأهم من ذلك كله هو الالتجاء إلى الله، فالله الذي يلتجئ إليه الإنسان في أحلك الظروف، و لا تقف أيه قدره أمام قدرته، هو الذي سيحل المعضلات.

لقد كانت مريم تنتظر رد فعل ذلك الشخص المجهول بعد أن تفوهت بهذه الكلمات انتظاراً مشوباً بالاضطراب و القلق الشديد، إلا أنّ هذه الحاله لم تطل، فقد كلمها ذلك الشخص، و وضح مهمته و رسالته العظيمه قالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ .

لقد كانت هذه الجمله كالماء الذي يلقي على النار، فقد طمأنت قلب مريم الطاهر، إلا أنّ هذا الاطمئنان لم يدم طويلاً؛ لأنّه أضاف مباشره لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا .

لقد اهتز كيانه و وجود مريم لدى سماع هذا الكلام، و غاصت مرّه أخرى في قلق شديد قالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ و لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ و لَمْ أَكُ بَغِيًّا .

لقد كانت تفكر في تلك الحاله في الأسباب الطبيعیه فقط، و كانت تظن أن المرأه يمكن أن يكون لها ولد عن طريقين لا ثالث لهما: إمّا الزواج أو التلوّث بالرديله و الانحراف، و إني أعرف نفسي أكثر من أي شخص آخر، فإنّي لم اختر

زوجا لحد الآن، و لم أكن امرأه منحرفه قط، و لم يسمع لحد الآن أنّ شخصا يولد له ولد من غير هذين الطريقتين! إلا أنّ أمواج هذا القلق المتلاطمه هدأت بسرعه عند سماع كلام آخر من رسول الله إليها، فقد خاطب مريم بصراحه: **قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ فَأَنْتِ الْوَاقِفَةُ عَلَى قَدْرَتِي وَ الْعَالَمَةُ بِهَا جِيدًا..** أنت التي رأيت ثمر الجنه في فصل لا يوجد شبيه لتلك الفاكهه في الدنيا جنب محراب عبادتك. أنت التي سمعت نداء الملائكه حين شهدت بعفتك و طهارتك.. أنت التي تعلمين أنّ جدك آدم قد خلق من التراب، فلما ذا هذا التعجب من سماعك هذا الخير؟ ثم أضاف: **وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَ رَحْمَةً مِنَّا فَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَبْعَثَهُ لِلنَّاسِ رَحْمَةً مِنَّا وَ نَجْعَلُهُ مَعْجَزَةً، وَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَ كَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا.** فلا مجال بعد ذلك للمناقشه.

## بحثان

## اشاره

### ١- ما هو المراد من روح الله؟

إنّ كل المفسّرين المعروفين تقريبا فسّروا الروح هنا بأنّه جبرئيل ملك الله العظيم، و التعبير عنه الروح لأنّه روحاني، و وجود مفيض للحياه، لأنّه حامل الرساله الإلهيه إلى الأنبياء و فيها حياه جميع البشر اللاتقين، و إضافه الروح هنا إلى الله دليل على عظمه و شرف هذا الروح، حيث أنّ من أقسام الإضافه هي (الإضافه التشريفيه).

و يستفاد من هذه الآيه بصوره ضمنيه أنّ نزول جبرئيل لم يكن مختصا بالأنبياء، و إن كان نزوله بالوحى و الشريعه و الكتب السماويه منحصر فيه، إلا أنّه لا مانع من أن يواجه غير الأنبياء من أجل تبليغ رسائل و أوامر أخرى، كرسالته المذكوره إلى مريم.

«التمثل» فى الأصل من «المثول»، أى الوقوف مقابل شخص أو شىء، و يقولون للشىء الذى يظهر بصورة أخرى: ممثلاً، و على هذا فإنّ قوله: فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا تعنى أن ذلك الملك قد ظهر بصورة إنسان.

و لا شك أنّ هذا الكلام لا يعنى أن جبرئيل قد تبدل إلى إنسان شكلاً و سيره، لأنّ مثل هذا التحول و التبدل أمر غير ممكن، بل المراد أنّه ظهر بصورة إنسان بالرغم من أنّ سلوكه كان نفس ذلك السلوك الملائكى، إلا أنّ مريم التى لم تكن تعلم بالأمر فى البدايه، كانت تظن أن فى مقابلها إنسانا سيره و صورته.

و تلاحظ كثيراً فى الروايات و التواريخ كلمه «تمثل» بمعناها الواسع، و من جملتها: إنّ إبليس لما اجتمع المشركون فى «دار الندوه» و كانوا يخططون لقتل النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم، ظهر بصورة شيخ كبير حصيف الرأى، يهدف إلى الخير و شرع ياغواء رؤساء قريش.

أو أنّ الدنيا و باطنها تمثلت للإمام على عليه السّلام على شكل امرأه فى غايه الجمال و الجذابه و لم تستطع أن تنفذ إليه، و قصتها مفصّله معروفه.

و نقرأ أيضاً فى الروايات أنّ مال الإنسان و ولده و عمله تتجسم أمامه عند الموت بصورة مختلفه و خاصه.

أو أنّ أعمال الإنسان تتجسم فى القبر و يوم القيامه، و يظهر كل منها بشكل خاص.

إنّ التمثل فى جميع هذه الوارد يعنى أن شيئاً أو شخصاً يظهر بشكل آخر من ناحيه الصوره و الشكل فقط، لا أن تتبدل ماهيته و باطنه (١).

ص: ٤٢٦

اشاره

فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَ كُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا (٢٣) فَوَدَّعَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِي عَيْنًا فَمَا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦)

التفسير

اشاره

مريم في عاصفه:

و أخيرا حملت مريم، و استقر ذلك الولد الموعود في رحمها: فَحَمَلَتْهُ و لم يتحدث القرآن عن كيفية نشوء و تكوّن هذا المولود، فهل أنّ جبرئيل قد نفخ في ثوبها، أم في فمها؟ و ذلك لعدم الحاجة إلى هذا البحث، بالرغم من أنّ كلمات المفسرين مختلفه في هذا الشأن.

و على كل حال، فإنّ هذا الأمر قد تسبب في أن تبعد عن بيت المقدس فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا .

لقد كانت تعيش فى حاله بين الخوف و الأمل، حاله من القلق و الاضطراب المشوب بالسرور، فهى تفكر أحيانا بأن هذا الحمل سيفشو أمره فى النهايه، فالأفضل أن أبقي بعيده عن أولئك الذين يعرفوننى عدّه أيام أو أشهر، و أعيش فى هذا المكان بصوره مجهوله، و ماذا سيحدث فى النهايه؟ فمن الذى سيقتنع بأن امرأه لا- زوج لها تحمل دون أن تكون قد تلوثت بالذيله؟ فما ذا سأفعل تجاه هذا الاتهام؟ و الحق أنّ من المؤلم جدّا بالنسبه لفتاه كانت لسنين طويله نموذجاً و قدوه للطهاره و العفه و التقوى و الورع، و مثالا- فى العباده و العبوديه لله، و كان زهاد بنى إسرائيل يفتخرون بكفالتها منذ الطفوله، و قد تربت و ترعرعت فى ظل نبى كبير، و قد شاع أمر سجاياها و قداستها فى كل مكان، أن تحس فى يوم ما أن كل هذا الرصيد المعنوى مهدد بالخطر، و ستكون غرضاً و مرمى لاتهام يعتبر أسوء و أقبح اتهام، و كانت هذه هى المصيبه الثالثه التى وقعت لها.

إلا- أنّها من جهه أخرى كانت تحس أنّ هذا المولود، نبى الله الموعود، تحفه سماويه نفيسه، فإنّ الله الذى بشرنى بمثل هذا الغلام، و خلقه بهذه الصوره الإعجازيه كيف سيدرنى وحيده؟ فهل من المعقول أن لا يدافع عنى فى مقابل مثل هذا الاتهام؟ أنا التى رأيت و جربت لطفه على الدوام، و أحسست بيد رحمته على رأسى.

و هناك بحث بين المفسّرين فى مدّه حمل مريم، بالرغم من أنّه ذكر فى القرآن بصوره مخفيه و مبهمه، فبعضهم حسبه ساعه واحده، و آخر تسع ساعات، و ثالث سته أشهر، و رابع سبعة، و آخر ثمانيه، و آخر تسعه أشهر كسائر النساء، إلا أن هذا الموضوع ليس له ذلك التأثير فى هدف هذه القصّه. و الرّوايات الوارده فى هذا المجال مختلفه أيضا.

و قد اعتقد الكثيرون أنّ المكان «القصى» هو مدينه «الناصره» و ربّما بقيت

فى تلك المدينة بصورة دائمة و قلما خرجت منها.

و مهما كان فقد انتهت مدّة الحمل، و بدأت لحظات تلاطم أمواج حياه مريم، و قد دفعها ألم الولاده الشديد الذى هاج فيها إلى ترك الأماكن المعموره و التوجه إلى الصحارى الخاليه من البشر، و القاحله التى لا عشب فيها و لا ماء و لا مأوى.

و مع أن النساء يلجأن عادة فى مثل هذه الحاله إلى المعارف و الأصدقاء ليساعدوهنّ على الولاده، إلا أن وضع مريم لما كان استثنائيا، و لم تكن تريد أن يرى أحد وضع حملها مطلقا، فإنّها اتّخذت طريق الصحراء بمجرّد أن بدأ ألم الولاده و يقول القرآن فى ذلك: فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلِهِ .

إنّ التعبير بجذع النخله، و بملاحظه أن الجذع يعنى بدن الشجره، يوحي بأنّه لم يبق من تلك الشجره إلا جذعها و بدنها، أى إنّ الشجره كانت يابسه (1).

فى هذا الحال غمر كل وجود مريم الطاهر سيل من الغم و الحزن، و أحسست بأنّ اللحظه التى كانت تخشاها قد حانت، اللحظه التى مهما أخفيت فإنّها ستتضح هناك، و سيتجه نحوها سيل سهام الاتهام التى سيرشقها بها الناس.

لقد كان هذا الاضطراب و الصراع صعبا جدّا، و قد أثقل كاهلها إلى الحد الذى تكلمت فيه بلا إرادته و قالتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَ كُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا .

إنّ من البديهى أنّ الخوف من التهم فى المستقبل لم يكن الشىء الوحيد الذى كان يعصر قلب مريم و يقلقها، و إن كان هذا الموضوع يشغل فكر مريم أكثر من أيه مسأله أخرى، إلا أنّ مشاكل و مصائب أخرى كوضع الحمل لوحدها بدون قابله و صديق و معين فى الصحارى الخاليه، و عدم وجود مكان للاستراحه، و عدم وجود الماء للشرب، و الطعام للأكل، و عدم وجود وسيله لحفظ المولود الجديد، و غير هذه الأمور كانت تهزّها من الأعماق بشدّه.

قد يتساءل البعض باعتراض: كيف أنّ مريم المؤمنه و العارفة بالتوحيد

ص: ٤٢٩

١-١) - «جذع» على وزن «ذبح» فى الأصل من ماده «جذع» على وزن «منع» بمعنى القطع.



حيث رأت كل ذلك اللطف و الإحسان الإلهي، أجرت مثل هذه الجملة على لسانها و قالت: يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَ كُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا، إِلَّا أَنْ هُوَ لَمْ يَدْرِكُوا أَبَدًا حَالِ مَرْيَمَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَصَابَهُمْ شَيْءٌ قَلِيلٌ مِنْ هَذِهِ الْمَشَاكِلِ فَإِنَّهُمْ سَيَنْسَوْنَ حَتَّى أَنْفُسَهُمْ.

إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ لَمْ تَدُمِ طَوِيلًا، فَفَقَدَ سَطَعَتْ وَمَضَى الْأَمَلُ الَّتِي كَانَتْ مَوْجُودَةً دَائِمًا فِي أَعْمَاقِ قَلْبِهَا، وَ طَرَقَ سَمْعُهَا صَوْتُ فَنَادَائِهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سِرِّيًّا وَ انظُرِي إِلَى الْأَعْلَى كَيْفَ أَنْ هَذَا الْجَذَعُ الْيَابِسُ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى نَخْلِهِ مِثْمَرُهُ وَ هُزِّي إِلَيْكَ بِجَذَعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِّي عَيْنًا بِالْمَوْلُودِ الْجَدِيدِ فَإِنَّمَا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْشِيًّا. وَ هَذَا الصَّوْمُ هُوَ الْمَعْرُوفُ بِصَوْمِ السَّكُوتِ.

وَ خِلاصُهُ الْأَمْرُ، إِنَّكَ لَا تَحْتَاجِينَ إِلَى الدِّفَاعِ عَنِ نَفْسِكَ، فَإِنَّ الَّذِي وَهَبَكَ هَذَا الْوَلِيدَ قَدْ تَعَهَّدَ بِمَهْمَةِ الدِّفَاعِ عَنْكَ أَيْضًا، وَ عَلَى هَذَا فَلْيَهْدَأْ رَوْعَكَ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ، وَ لَا تَدْعِي لِلْهَمِّ طَرِيقًا إِلَى نَفْسِكَ.

إِنَّ هَذِهِ الْحَوَادِثَ الْمُتَلَاخِقَةَ الَّتِي سَطَعَتْ كَالشَّرِّ الْمَضِيءِ الْوَهَّاجِ فِي الظُّلَامِ الدَّامِسِ، قَدْ أَضَاءَتْ كُلَّ أَرْجَاءِ قَلْبِهَا، وَ أَلْقَتْ عَلَيْهَا الْهَدُوءَ وَ الْإِطْمِئْنَانَ.

## بحوث

## إشارة

### 1- ازدياد قوه مريم عند تراكم المشاكل

إِنَّ الْحَوَادِثَ الَّتِي مَرَّتْ عَلَى مَرْيَمَ فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ الْقَصِيرَةِ، وَ الْمَشَاهِدَ وَ الْمَوَاقِفَ الَّتِي تُشِيرُ الْإِعْجَابَ، وَ الَّتِي حَدَّثَتْ لَهَا بِلُطْفِ اللَّهِ، كَانَتْ تَهَيُّوْهَا وَ تَعْدَهَا مِنْ أَجْلِ تَرْبِيَةِ نَبِيِّ مِنْ أَوْلَى الْعِزْمِ، وَ لِتَسْتَطِيعَ أَنْ تُوَدِيَ وَظِيفَةَ الْأُمُومَةِ مِنْ خِلَالِ

هذا الأمر الخطير على أحسن وجه.

إن سير الأحداث صاحبها حتى آخر مرحله، بحيث لم يبق بينها وبين الموت إلا خطوة واحدة، لكن فجأة يرجع كل شيء إلى وضعه، ويهب كل شيء لمساعدتها، وتخطو في محيط هادئ مطمئن من كل الجهات.

جمله وَ هُزِّي إِلَيْكَ بِجَذَعِ النَّخْلَةِ التي تأمر مريم بتحريك النخلة لتستفيد من ثمرها، أعطت درسا لها و لكل البشر، بأن لا يكفوا عن الجد و السعي حتى في أشد لحظات الحياه و أصعبها.

إنه جواب لأولئك الذين يسألون عن الحاجه بأن مريم التي وضعت حملها لتوها تقوم و تهزّ النخلة، ألم يكن من الأولى أن يرسل الله-الذى-بعث عين الماء العذب قرب مريم تلك الشجرة اليابسه-نسمه و ريحا تهزّ النخلة و تسقط الثمر قرب مريم؟ فما الذى حدث، حيث أن مريم عند ما كانت سالمه صحيحه كانت تحضر الفاكهه جنب محرابها، أما الآن و قد ابتليت بكل هذه المشاكل فإنّ عليها أن تقطف الثمر بنفسها؟ أجل، إن هذا الأمر الإلهي لمريم يوضح أنه لا بركه بدون حركه، و بتعبير آخر، فإن على كل إنسان أن يبذل قصارى جهده عند ظهور المشاكل، و ما وراء ذلك فعلى الله.

## ٢- لماذا طلبت مريم الموت من الله؟

لا شك أن طلب الموت من الله عمل غير صحيح، إلا أنه قد تقع حوادث في حياه الإنسان يصبح فيها طعم الحياه مرًا، و خاصّه إذا رأى الإنسان أهدافه المقدسه أو شرفه و شخصيته مهدده بالخطر، و لا يملك قدره الدفاع عن نفسه أمامها، و فى مثل هذه الظروف يتمنى الإنسان الموت للخلاص من العذاب الروحي.

ص: ٤٣١

لقد خطرت في ذهن مريم في اللحظات الأولى هذه الأفكار، و تصورت بأن كل وجودها و كيانها و ماء وجهها مهدد بالخطر أمام هؤلاء الناس الجهلاء نتيجة ولاده هذا المولود، و في هذه اللحظات تمت الموت، و هذا بحد ذاته دليل على أنها كانت تحب عفتها و طهارتها و تهتم بهما أكثر من روحها، و تعتبر حفظ ماء وجهها أعلى من حياتها.

إلا- أنّ مثل هذه الأفكار ربّما لم تدم إلاّ لحظات قصيره جدّا، و لما رأت ذينك المعجزتين الإلهيتين-انبعاث عين الماء، و حمل النخلة اليابسه- زالت كل تلك الأفكار عن روحها، و غمر قلبها نور الاطمئنان الهدوء.

### ٣- سؤال و جواب

يسأل البعض: إنّ المعجزه إذا كانت مختصه بالأنبياء و الأئمه عليهم السّلام، فكيف ظهرت مثل هذه المعجزات لمريم؟ و قد اعتبر بعض المفسرين-حلا لهذا الإشكال-هذه المعاجز جزءا من معاجز عيسى تحققت كمقدمه، و يعبرون عن ذلك بالإرهاص.

إلاّ أنّه لا حاجه لجواب كهذا أبدا، لأنّه لا مانع مطلقا من ظهور الأمور الخارقه للعادة لغير الأنبياء و الأئمه، و هذا هو الذي نسميه بالكرامه.

إنّ المعجزه هي عمل يقترن بالتحدي، و تكون مقترنه بادعاء النبوه و الإمامه.

### ٤- صوم الصمت

يدل ظاهر الآيات أعلاه على أنّ مريم كانت مأموره بالسكوت لمصلحه، و أن تمتنع عن الكلام بأمر الله في هذه المدّه المعينه، حيث تتحرك شفتا وليدها عيسى بالكلام و يدافع عن عفتها، و هذا أكثر تأثيرا من كل الجهات.

و يظهر من تعبير الآيه أن نذر السكوت كان أمرا معروفا في ذلك المجتمع،

و لهذا لم يعترضوا عليها على هذا العمل. غير أنّ هذا النوع من الصوم غير جائز في شريعتنا.

ورد عن علي بن الحسين عليه السّلام في حديث: «صوم السكوت حرام»

(١)

، وذلك لاختلاف الظروف في ذلك الزمان عن ظروف زمن ظهور الإسلام.

إلاّ أن أحد آداب الصوم الكامل في الإسلام أن يحفظ الإنسان لسانه من التلوّث بالمعاصي و المكروهات خلال صيامه، و كذلك يصون عينه من الزلل و الذنب، كما نقرأ ذلك

في حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام: إنّ الصوم ليس من الطعام و الشراب وحده، إنّ مريم قالت: إنّني نذرت للرحمن صوما، أي صمتا، فاحفظوا ألسنتكم، و غضوا أبصاركم، و لا تحاسدوا و لا تنازعوا» (٢).

## ٥- غذاء مولد للطاقيه

استفاد المفسّرون ممّا جاء صريحا في هذه الآيات، أنّ الله سبحانه قد جعل غذاء مريم حين ولاده مولودها الرطب، فهو من أفضل الأغذية للنساء بعد وضع الحمل، و في الأحاديث الإسلاميه إشاره صريحه إلى ذلك أيضا:

فيروي أمير المؤمنين على عليه السّلام عن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: «ليكن أول ما تأكل النفساء الرطب، فإنّ الله عزّ و جلّ قال لمريم عليها السّلام: وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٣).

و يستفاد من آخر الحديث أن تناول هذا الغذاء لا يؤثر و يفيد الأم فقط، بل إنّه سيؤثر حتى في لبنها، و حتى أن بعض الروايات تؤكّد على أن أفضل غذاء و دواء للحامل هو الرطب:

«ما تأكل الحامل من شيء و لا تتداوى به أفضل من

ص: ٤٣٣

١- ١) - وسائل الشيعه، الجزء ٧، ص ٣٩٠.

٢- ٢) - من لا يحضره الفقيه، حسب نقل تفسير نور الثقلين، الجزء ٣، ص ٣٣٢.

٣- ٣) - نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٣٠.

إلا- أن من المسلم أن الاعتدال و التوسط فى كل شىء يجب أن يراعى حتى فى هذه المسأله، كما يستفاد ذلك من بعض الزوايات الوارده فى هذا المجال.

و يستفاد أيضا أنّ الرطب إن لم يكن موجودا، فلا بأس بأكل التمر المتعارف.

يقول علماء التغذية: إنّ السكر الكثير الموجود فى التمر من أصح السكريات و أسلمها، و حتى المبتلين بمرض السكر فإنهم يستطيعون تناول التمر.

و يقول هؤلاء العلماء: إنّ فى التمر (١٣) ماده حيويه، و اكتشفوا خمس أنواع من الفيتامينات، جمعها التمر و أظهرها على هيئة مصدر غذائى غنى (٢)، و نحن نعلم أن النساء فى مثل هذه الأوضاع بحاجه شديده إلى غذاء يولد الطاقه و ملئ بالفيتامينات.

لقد ثبتت أهميه التمر بتقدم علم الطب، ففى التمر يوجد «الكالسيوم»، و هو عامل مهم فى تقويه العظام، و كذلك يوجد «الفسفور» و هو من العناصر الأساسيه فى تكوين المخ، و يمنع من ضعف الأعصاب و التعب، و كذلك يوجد «البوتاسيوم» الذى يسبب فقدانه فى قرحه المعده (٣).

ص: ٤٣٤

١-١ - المصدر السابق.

٢-٢ - من كتاب أول جامعه و آخر نبى، الجزء ٧، ص ٦٥.

٣-٣ - المصدر السابق.

اشاره

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨)  
فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا  
أَيْنَ مَا كُنْتُ وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَ بَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ  
وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)

التفسير

اشاره

المسيح يتكلم فى المهدي:

و أخيرا رجعت مريم عليها السلام من الصحراء إلى المدينه وقد احتضنت طفلها فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ فلما رأوا طفلا حديث  
الولاده بين يديها فغروا أفواههم تعجبا، فقد كانوا يعرفون ماضى مريم الطاهر، و كانوا قد سمعوا بتقواها و كرامتها، فقلقوا لذلك  
بشده، حيث وقع شك بعضهم و تعجل آخرون فى القضاء و الحكم

و أطلق العنان للسانه فى توبيخها و ملامتها، و قالوا: إن من المؤسف هذا الانحدار مع ذلك الماضى المضىء، و مع الأسف على تلوث سمعه تلك الأسره الطاهره <sup>□</sup> قالوا <sup>□</sup> يا مريم لقد جئت شيئا فريا (١).

و البعض الآخر واجهها، بالقول: <sup>□</sup> يا أخت هارون ما كان أبوك أمرا سوءا و ما كانت أمك بعيا فمع وجود مثل هذا الأب و الأم الطاهرين، ما هذا الوضع الذى نراك عليه؟ فأى سوء رأيت فى سلوك الأب و خلق الأم حتى تحيدى عن هذا الطريق؟ قولهم لمريم: <sup>□</sup> يا أخت هارون وقع مثار الاختلاف بين المفسرين، لكن يبدو أن الأصح هو أن هارون رجل طاهر صالح إلى الدرجة التى يضرب به المثل بين بنى إسرائيل، فإذا أرادوا أن يصفوا شخصا بالطهاره و النزاهه، كانوا يقولون:

إنه أخو أو أخت هارون، و قد نقل العلامة الطبرسى فى مجمع البيان هذا المعنى فى حديث قصير عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم (٢).

و فى حديث آخر ورد كتاب سعد السعود، عن المغيرة، أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم بعثه إلى نجران لدعوتهم إلى الإسلام فقالوا (معترضين على القرآن): أستم تقرأون يا أخت هارون و بينهما كذا و كذا (حيث تصوروا أن المراد هو هارون أخو موسى) فلما لم يستطع المغيرة جوابهم ذكر ذلك للنبى صلى الله عليه و آله و سلم

فقال: «ألا قلت لهم:

إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم و الصالحين منهم» (٣) أى ينسبون الأشخاص الصالحين منهم إلى الأنبياء.

فى هذه الساعه، سكتت مريم بأمر الله، و العمل الوحيد الذى قامت به، هو أنها أشارت إلى وليدها فأشارت إليه. إلا أن هذا العمل جعل هؤلاء يتعجبون

ص: ٤٣٦

١ - ١) - «فريا» بناء على قول الراغب فى المفردات - جاءت بمعنى العظيم أو العجيب، و فى الأصل من ماده فرى، أى قص و قطع الجلد إما لإصلاحه أو إفساده.

٢ - ٢) - نور الثقلين، الجزء ٣، ص ٣٣٣.

٣ - ٣) - المصدر السابق.

أكثر، وربما حمل بعضها على السخريه، ثم غضبوا فقالوا: مع قيامك بهذا العمل تسخرين من قومك أيضا؟ قالوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا .

لقد بحث المفسِّرون هنا و تناقشوا كثيرا فى شأن كلمه «كان» الداله على الماضى، إلا أنَّ الظاهر هو أن هذه الكلمه تشير هنا إلى ثبوت و لزوم وصف موجود، و بتعبير أوضح: إنَّ هؤلاء قالوا لمریم: كيف نكلم طفلا كان و لا يزال فى المهد؟ و الشاهد على هذا المعنى آيات أخرى من القرآن، مثل كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ سورة آل عمران ١١٠، فمن المسلم أن «كنتم» لا تعنى الماضى هنا، بل هى بيان لثبوت و استمرار هذه الصفات للمجتمع الإسلامى.

و كذلك بحثوا حول «المهد»، فإنَّ عيسى لم يكن قد وضع فى المهد، بل إنَّ ظاهر الآيات هو أن مریم بمجرّد أن حضرت بين الناس، و فى الوقت الذى كان عيسى على يديها، جرى هذا الحوار بينها و بينهم.

إلا أنَّ الالتفات إلى معنى كلمه «المهد» فى لغه العرب سيوضح جواب هذا السؤال، فإنَّ كلمه المهد تعنى -كما يقول الراغب فى مفرداته- المكان الذى يهيئونه للطفل، سواء كان المهد، أو حجر الأم، أو الفراش، و المهد و المهاد ورد كلاهما فى اللغه بمعنى: المكان الممهد الموطأ، أى: للاستراحه و النوم.

على كل حال، فإنَّ الناس قلقوا و اضطربوا من سماع كلام مریم هذا، بل و ربما غضبوا و قالوا لبعضهم البعض -حسب بعض الروايات-: إنَّ استهزاءها و سخريتها أشدَّ علينا من انحرافها عن جاده العفه! إلا أنَّ هذه الحاله لم تدم طويلا، لأن ذلك الطفل الذى ولد حديثا قد فتح فاه و تكلم: قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا وَ جَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ، و مفيدا من كل الجهات للعباد وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا .



و كذلك جعلنى مطيعا و وفيا لأمى و برًا بوالدتى (١) و لم يجعلنى جباراً شقيًا .

كلمه «جبار» تطلق على الشخص الذى يعتقد بأن له كل الحق على الناس و لا يعتقد بأن لأحد عليه حقا.

و كذلك يطلقونها على الذى يضرب الناس و يقتلهم إذا غضب، و لا يتبع ما يأمر به العقل، أو أنه يريد أن يسد نقصه و يغطيه بادعاء العظمه و التكبر، و هذه كلها صفات بارزه للطواغيت المستكبرين فى كل زمان (٢) .

و«الشقى» تقال للشخص الذى يهوى أسباب البلاء و العقاب لنفسه، و بعضهم فسر ذلك بالذى لا يقبل النصيحة، و من المعلوم أن هذين المعنيين لا ينفصلان عن بعضهما.

و نقرأ

فى روايه، أن عيسى عليه السلام يقول «قلبى رقيق و أنا صغير فى نفسى» (٣) و هو إشاره إلى أن هذين الوصفين يقعان فى مقابل الجبار و الشقى.

و فى النهايه يقول هذا المولود-أى المسيح- و السلامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ و يَوْمَ أُمُوتُ و يَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا و كما قلنا فى شرح الآيات المتعلقة بيحى عليه السلام، فإن هذه الأيام الثلاثه فى حياه الإنسان أيام مصيره خطره، لا تيسر السلامه فيها إلا بلطف الله، و لذلك جاءت هذه الآيه فى حق يحيى عليه السلام كما وردت فى شأن المسيح عليه السلام، مع الاختلاف بأن الله هو الذى قالها فى المورد الأول، أما فى المورد الثانى فإن المسيح قد طلب ذلك.

ص: ٤٣٨

١- ١) -البر- بالفتح- بمعنى الشخص المحسن، فى حين أن البر- بالكسر- بمعنى صفة الإنسان، و ينبغى الالتفات إلى أن هذه الكلمه فى الآيه عطف على (مباركا) لا على الصلاه و الزكاه، و المعنى فى الواقع: جعلنى برا بوالدتى.

٢- ٢) -لزياده التوضيح حول (جبار)، و جواب هذا السؤال، و هو أنه كيف تكون إحدى صفات الله سبحانه أنه جبار؟ يراجع ذيل الآيه (٥٩) من سوره هود من هذا التفسير.

٣- ٣) -تفسير الفخر الرازى، آخر الآيه.

## ١- أوضح تصوير عن ولاده عيسى عليه السلام

يمكن إدراك فصاحه و بلاغه القرآن الكريم، و خاصّه فى مثل هذه الموارد، و ذلك عند ملاحظه طريقه طرحه لمسأله مهمّه اختلطت بكل تلك الخرافات، فى عبارات قصيره و عميقه، و حيه، و غنيه المحتوى، و ناطقه تماما، بحيث تطرح جانبا كل أنواع الخرافات.

الملفت للنظر أنّ الآيات المذكوره ذكرت «سبع صفات» ممتازة و «برنامجان» و «دعاء واحد».

فالصفات السبعه عباره عن كونه «عبدا لله» و ذكرها فى بدايه كل الصفات إشاره إلى أن أعلى و أكبر مقام يصله الإنسان هو مقام العبوديه.

و بعد ذلك، كونه «صاحب كتاب سماوى» ثم «مقام النبوه» (مع العلم أن مقام النبوه لا يقترن دائما بالمجىء بكتاب سماوى).

و بعد مقام العبوديه و الإرشاد، ذكر كونه «مباركا» أى مفيدا لوضع المجتمع، و فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام نقرأ أن معنى المبارك: «النّفاع»، أى كثير المنفعه.

ثم ذكرت الآيات كونه «بارا بأمه» و فى النهايه أنه «لم يكن جبارا شقيا» بل كان متواضعا، عارفا بالحق، و سعيدا.

و من بين جميع البرنامج الالهى للإنسان تؤكد الآيه على وصيه الله سبحانه بالصلاه و الزكاه، و ذلك للأهميه الفائقه لهذين الأمرين، لأنهما رمز الارتباط بالخالق و الخلق، و يمكن تلخيص كل البرامج و الأهداف الدينيه و المذهبيه فيهما، لأن أحدهما يشخص ارتباط الإنسان بالخلق، و الآخر يشخص ارتباطه بالخالق.

و أمّا الدعاء الذى دعاه لنفسه، و يرجوه فيه من ربّه فى بدايه عمره، فهو أن يجعل هذه الأيام الثلاثه سلاما عليه: يوم الولاده، و يوم الموت، و اليوم الذى

يبعث فيه، و أن يمن عليه في هذه المراحل الثلاثة بالشعور بالأمن و الطمأنينه!

## ٢- منزله الأم

بالرغم من أن المسيح عليه السلام قد ولد بأمر الله النافذ من امرأه بدون زوج، إلا- أن ما نقرأه في الآيات- محل البحث- عن لسانه، و الذي يعدّ فيه «ضمن تعداده لميزاته و أوسمته» بَرّه بأمه، دليل واضح على أهميه مقام الأم، و هي توضح بصوره ضمنيه أن هذا الطفل الصغير-الذي نطق بالإعجاز- كان عالما و مطلعاً على أنه ولد نموذجي بين البشر، و أنه ولد من أمه فقط دون أن يكون للأب دخل في تكوينه و ولادته.

و على كل حال، فبالرغم من أن ثقافه العصر الحاضر فيها الكثير من الحديث عن مقام و مكانه الأم، حتى أنه خصص يوماً و سمي ب(يوم الأم)، إلا أن التطور الآلى-و للأسف الشديد- يقطع بسرعه علاقه الآباء و الأمهات بالأولاد بحيث يلاحظ ضعف الروابط العاطفيه بين هؤلاء في السنين المتقدمه من أعمارهم.

و لدينا في الإسلام روايات تثير العجب و الحيره في هذا الباب، توصى المسلمين بالأم و تشيد بمكانتها الفائقه الأهميه، و تأمرهم أن يسعوا عملياً- و ليس في الكلام و حسب- في بَرّ الوالدين، فنطالع

في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن رجلاً- أتى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قال: يا رسول الله، من أبرّ؟ قال: أمك، قال:

ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أباك» (١) ! و

في حديث آخر: أن رجلاً- أتى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم للجهد- حيث لم يكن الجهد واجبا عينياً- فقال: «أ لك والده؟ قال: نعم، قال: «فألزمها فإنّ الجنّه تحت قدمها» (٢) .

ص : ٤٤٠

١- ١) - وسائل الشيعه، الجزء ١٥، ص ٢٠٧.

٢- ٢) - جامع السعادات، ج ٢، ص ٢٦١.

لا- شك أننا إذا لاحظنا ودققنا في المشقات و المتاعب التي تتقبلها و تتحملها الأم من حين الحمل إلى الوضع، و في مرحلة الرضاعة إلى أن يكبر الطفل، و كذلك العذاب و الأتعاب و السهر في الليالي، و التمريض و الرعاية، كل ذلك تقبلته بكل رحابه صدر و أنس في سبيل ولدها.. إذا لاحظنا ذلك فسرى أن الإنسان مهما سعى وجدّ في هذا الطريق، فإنه سيبقى لدينا للام.

و الجميل في الأمر نطالع في حديث، أن أم سلمة قالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بكل خير، فأى شيء للنساء؟

قال: النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم: «بلى، إذ حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه و ماله في سبيل الله، فإذا وضعت كان لها من الأجر ما لا- يدري أحد ما هو لعظمه، فإذا أرضعت كان لها بكل مصه كعدل عتق محرر من ولد إسماعيل، فإذا فرغت من رضاعه ضرب ملك كريم على جنبها و قال: استأنفى العمل فقد غفر لك» (١) ! و كأن صحيفه عملك ستبدأ من جديد.

### ٣- إنجاب البكر

من جملة الأسئلة التي تثيرها هذه الآيات، هو: هل يمكن من الناحية العلمية أن يولد ولد من دون أب؟ و هل أن مسأله ولاده عيسى عليه السلام دون أب تخالف تحقيقات العلماء في هذا المجال، أو لا-؟ مما لا- شك فيه أن هذه المسأله قد تمت عن طريق الإعجاز، إلا أن العلم اليوم لا ينفى إمكان وقوع مثل هذا الأمر أيضا، بل صرح بإمكان ذلك، خاصه و أن موضوع إنجاب البكر قد لوحظ بين كثير من الحيوانات، و إذا علمنا أن مسأله انعقاد النطفه لا تختص بالإنسان، فإنّ هذا يثبت إمكان حدوث هذا الأمر بصوره عامه.

ص: ٤٤١

لقد كتب الدكتور «الكسيس كارل»، الفيزيائي و عالم الحياه الفرنسي المعروف، في كتاب «الإنسان ذلك المجهول»، عند ما نفكر في مقدار مساهمه كل من الأب و الأم في تكوين أمثالهما، فيجب أن نتذكر تجارب (لوب) و (باتايون) بأنه يمكن إنتاج ضفدعه جديده من بيضه ضفدعه غير ملقحه بدون تدخل الحيامن، بل بواسطه أساليب خاصه.

و على هذا فإنّ من الممكن أن يحل عامل كيمياوى أو فيزياوى محل حيمن الذكر، و لكن لا بدّ على كل حال من وجود أحد العوامل كماده ضروريه دائما.

بناء على هذا، فإنّ المؤكّد من الناحيه العلميه لتكوّن الجنين هو وجود نطفه الأم (البيضه)، و إلاّ فإنّ نطفه الذكر (الحيمن) يمكن أن يقوم مقامها عامل آخر، و لهذا فإنّ مسأله حمل و ولاده البكر من المسائل الواقعيه التى يتقبلها و يعترف بها الأطباء فى عالمنا المعاصر، و إن كانت نادره الحدوث.

و إذا تجاوزنا ذلك، فإنّ هذه المسأله فى مقابل قوانين الخلقه و قدره الله، هى كما يصورها القرآن حيث يقول: **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١)**، أى إنّ خرق العاده هذا ليس بأهم من خرق العاده الأول ذاك.

#### ٤- كيف يتكلم الصبي؟

لا يخفى أنّ أى طفل حديث الولاده لا يتكلم فى الساعات أو الأيام الأولى لولادته حسب الوضع الطبيعى المتعارف، فإنّ النطق يحتاج إلى نمو المخ بالقدر الكافى، ثمّ تقويه عضلات اللسان و الحنجره، و انسجام أجهزه الجسم المختلفه

ص: ٤٤٢

مع بعضها، وهذه الأمور عادة تستغرق عدّة أشهر حتى تنهياً تدريجياً عند الطفل.

إلا أننا في المقابل لا نمتلك أى دليل علمى على استحاله هذا الأمر، غاية ما فى الأمر أنه خارق للعادة، و كل المعجزات تتصف بهذه الصفة، أى أنها كلها خارقة للعادة، لا أنها مستحيله الوقوع، وقد ذكرنا تفصيل هذا الموضوع فى بحث معجزات الأنبياء.

ص: ٤٤٣

اشاره

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥)

التفسير

اشاره

أ يمكن أن يكون لله ولد!؟

بعد تجسيد القرآن الكريم في الآيات السابقة حادثه ولاده المسيح عليه السلام بصوره حيه و واضحه جدًا، انتقل إلى نفي الخرافات و كلمات الشرك التي قالوها في شأن عيسى، فيقول: ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خَاصَّةً وَ أَنَّهُ يُؤَكِّدُ عَلَى كَوْنِهِ «ابن مريم» ليكون ذلك مقدمه لنفي بنوته لله سبحانه.

ثم يضيف: قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (١) و هذه العبارة في الحقيقة تأكيد على صحه جميع ما ذكرته الآيات السابقة في حق عيسى عليه السلام و لا يوجد أدنى ريب في ذلك.

ص: ٤٤٤

١ - ١) - لقد بحث المفسرون في تركيب هذه الجملة كثيرا، إلا أن أصحابها على ما يبدو، من الناحية الأدبية، و بملاحظه الآيات السابقة، هو أن «قول الحق» مفعول لفعل محذوف، و الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ صفه له، و كان التقدير هكذا: أقول قو الحق الذي فيه يمترون.

أما ما يذكره القرآن من أنّ هؤلاء في شك و تردد من هذه المسأله، فربّما كان إشاره إلى أنصار و أعداء المسيح عليه السّلام، و بتعبير آخر: إشاره إلى اليهود و النصارى، فمن جهه شككت جماعه ضاله بطهاره أمّه و عفتها، و من جهه أخرى شك قوم في كونه إنسانا، حتى أنّ هذه الفئه قد انقسمت إلى مذاهب متعدده، فالبعض اعتقد بصراحه أن ابن الله-الابن الروحي و الجسمي الحقيقي لا المجازي!- و من ثمّ نشأت مسأله التثليث و الأفانيم الثلاثة.

و البعض اعتبر مسأله التثليث غير مفهومه و واضحه من الناحيه العقليه، و اعتقدوا بوجوب قبولها تعبدا، و البعض الآخر تخبط بكلام لا- أساس له في سبيل توجيه المسأله منطقيا. و الخلاصه: فإنّ هؤلاء جميعا لما لم يروا الحقيقه- أو أنّهم لم يطلبوها و لم يريدوها- سلكوا طريق الخرافات و الأساطير (1) ! و تقول الآيه التاليه بصراحه: **مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** و هذا إشاره إلى أن اتخاذا الولد- كما يظن المسيحيون في شأن الله- لا يناسب قداسه مقام الألوهيه و الربوبيه، فهو يستلزم من جهه الجسميه، و من جانب آخر المحدوديه، و من جهه ثالثه الاحتياج، و خلاصه القول: تنزيل الله سبحانه من مقام قدسه إلى إطار قوانين عالم الماده، و جعله في حدود موجود مادي ضعيف و محدود.

الله الذي له من القوّه و القدره ما إذا أراد فإن آلاف العوالم كعالمنا المترامي الأطراف ستتتحقق بأمر و إشاره منه، ألا يعتبر شركا و انحرافا عن أصول التوحيد و معرفه الله بأن نجعله سبحانه كإنسان له ولد؟ و ولد أيضا الولد في مرتبه و درجه الأب، و من نفس طرازه!

ص: ٤٤٥

---

١- ١) -من أجل زياده الإيضاح في مسأله تثليث النصارى، و ما حاكوه و نسجوه من الخرافات حولها، راجع ذيل الآيه (١٧١) من سورة النساء.



إنَّ تعبير كُنْ فَيَكُونُ الذى جاء فى ثمانيه موارد من القرآن، تجسيد حى جدًا عن مدى سعه قدره الله، و تسلطه و حاكميته فى أمر الخلقه، و لا- يمكن تصور تعبير عن الأمر أقصر و أوجز من كُنْ و لا- نتيجه أوسع و أجمع من فَيَكُونُ خاصّه مع ملاحظه «فاء التفرع» التى تعطى معنى الفوريه هنا، فإنّها لا- تدل هنا على التأخير الزمانى بتعبير الفلاسفه، بل تدل على التأخير الرتبى، أى تبين ترتب المعلوم على العله. دققوا جيدا.

### نفى الولد يعنى نفى الاحتياج عن الله:

لماذا تحتاج الكائنات الحيه إلى الولد عادة؟ لأنّ عمرها محدود، و لكى لا ينقرض نسلها، و من أجل أن تستمر حياتها النوعيه؟! و من الناحيه الاجتماعيه، فإنّ حاجه الأعمال الجماعيه إلى طاقه إنسانيه أكبر أدت الى زياده علاقه الإنسان بالولد. إضافة إلى أنّ الحاجات العاطفيه و النفسيه، و إزاله و دفع وحشه الوحده، كلها تدعوه إلى هذا العمل.

لكن، هل تتصور مثل هذه الأمور فى حق الله الأزلى الأبدى الذى لا تنتهى قدرته، و لا سبيل لمسأله الحاجه العاطفيه إلى ذاته المقدسه أبدا؟! و هل تنج ذلك إلا عن أن هؤلاء الذين يقولون: إنّ لله ولدا، قد قاسوا الله سبحانه على أنفسهم، و رأوا فيه ما رأوا فى أنفسهم؟ فى حين أنّه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (١).

### ملاحظه تاريخيه هامه حول الهجره الأولى

إنّ أول هجره وقعت فى الإسلام كانت هجره مجموعه كبيره من المسلمين -

ص: ٤٤٦

١-١) -لقد بحثنا فى معنى (كن فيكون)، و أدله نفى الولد عن الله المجلد الأول من هذا التفسير، فى ذيل الآيتين ١١٦، ١١٧ من سورة البقره.

ضمت النساء والرجال-إلى أرض الحبشه،فقد ترك هؤلاء مكه للخلاص من قبضه مشركى قريش،و تنظيم أمرهم و التهيؤ بأقصى درجات الاستعداد للبرامج و المشاريع الإسلاميه المستقبليه و كما توقعوا من قبل،فإنهم استطاعوا أن يعيشوا هناك فى طمأنينه و استقرار،و يشتغلوا بتربيه أنفسهم و تركيتها و نشر الدين الحنيف.

لقد طرق هذا الخبر أسماع زعماء قريش،فاعتبروا هذه القضية ناقوس خطر بالنسبه إليهم،و أحسوا بأنّ الحبشه ستكون مأوى و ملجأ للمسلمين،و ربّما يرجعون إلى مكه بعد أن تقوى شوكتهم،و بالتالى سيخلقون للمشركين مشاكل و عراقيل عظيمه.

و بعد التشاور استقر رأيهم على انتخاب رجلين من رجال قريش النشيطين، و إرسالهما إلى النجاشى حتى يبينوا للنجاشى الأخطار التى تنجم عن وجود المسلمين هناك كى يطرد هؤلاء من هذه الأرض المطمئنه.فأرسلوا«عمرو بن العاص»و«عبد الله بن أبى ربيعه»مع هدايا كثيره إلى النجاشى و قواد جيشه.

تقول«أم سلمه»زوجه النبى صلى الله عليه و آله و سلم:لما دخلنا أرض الحبشه رأينا حسن استقبال و معامله النجاشى،فلم نمنع من شعائر ديننا،و لم يكن يؤذينا أحد،إلاّ أنّ قريش بعد علمها بهذه المسأله،و إرسالها الرجلين مع الهدايا الكثيره،كانت قد أمرت هؤلاء أن يلتقوا بقاده الحبشه قبل لقائه،و أن يسلموهم هداياهم،ثم يقدمون هدايا النجاشى إليه،و يطلبون منه أن يسلم المسلمين إليهم قبل أن ينبسوا ببنت شفه! و قد نفذ هؤلاء هذه الخطة بدقه،و قالوا مقدما لقواد و أمراء جيش النجاشى:

إنّ جماعه من الشباب الحمقى قد لجؤوا إلى أرضكم،و قد ابتعد هؤلاء عن دينهم، و لم يعتنقوا دينكم أيضا،و قد ابتدعوا دينا جديدا لا نعرفه،و لا أنتم تعرفونه،و قد أرسلنا أشراف قريش إليكم حتى نقطع شرهم عن هذه البلاد،و نعيدهم إلى

قومهم، فأخذوا من حاشيه النجاشى عهدا بأنهم متى ما استشارهم النجاشى فإنه سيؤيدون هذه الفكرة و يقولون: إن قوم هؤلاء أعلم بحالهم. ثم أدخلوا على الملك و كرروا ما توطئوا عليه.

لقد كانت هذه الخطة تسير خطواتها بدقه نحو الأمام، وقد أصبحت هذه الكلمات الخداعه، مع تلك الهدايا الكثيره سببا فى أن تصدق حاشيه النجاشى هؤلاء.

و بعد أن سمع النجاشى أقوالهم غضب و قال: لا- و الله، لا أسلم قوما جاورونى و نزلوا بلادى و اختارونى على من سواى حتى أدعوهم و أسألهم عمّا يقول هذا، فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما، و إن كانوا على غير ما يذكر هذان منعتهم و أحسنت جوارهم.

تقول أم سلمه: فبعث النجاشى إلى المسلمين، فتشاوروا فيما بينهم فيما يقولون، و استقر رأيهم على أن يقولوا الحقيقه، و يشرحوا تعليمات النبى صلى الله عليه و آله و سلم و برنامج الإسلام، و ليكن ما يكون! لقد كان ذلك اليوم الذى عيّن لهذه الدعوه يوما عصيبا، فإن كبار النصارى و علماءهم كانوا قد دعوا إلى ذلك المجلس، و كانت الكتب المقدسه فى أيديهم، فاستقبل النجاشى المسلمين و سألهم: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم و لم تدخلوا فى دينى و لا دين أحد من الملل؟ فتصدى جعفر بن أبى طالب عليه السلام للجواب و قال:

«أيها الملك كُنّا أهل جاهليه نعبد الأصنام و نأكل الميته و نأتى الفواحش و نقطع الأرحام و نسيء الجوار و يأكل القوى منّا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولا منّا نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه فدعانا لتوحيد الله و أن لا نشرك به شيئا و نخلع ما كُنّا نعبد من الأصنام و أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانه و صله الرحم و حسن الجوار و الكف عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش و قول الزور

و أكل مال اليتيم و أمرنا بالصلاه و الصيام».

و عدد عليه أمور الإسلام قال: فأمننا به و صدقناه و حرمانا ما حرم علينا و حللنا ما أحل لنا فتعدى علينا قومنا فعذبونا و فتنونا عن ديننا ليردونا إلى عباده الأوثان فلمّا قهرونا و ظلمونا و حالوا بيننا و بين ديننا خرجنا إلى بلادك و اخترناك على من سواك و رجونا أن لا نظلم عندك أيّها الملك.

فقال النجاشي: هل معك ممّا جاء به عن الله شيء؟ قال: نعم، فقرأ عليه سطرًا من «كهيعص».

فلمّا قرأ جعفر هذه الآيات بقراءته المؤثره النابعه من صفاء القلب، أثرت في روح النجاشي و علماء النصارى الكبار إلى الحد الذي كانت تنهمر دموعهم على وجوههم بدون إرادته، فتوجه إليهم النجاشي و قال: «إن هذا و الذي جاء به عيسى يخرج من مشكاه واحده، انطلقا و الله لا أسلمهم إليكما أبدا».

ثم سعى رسولا قريش مساعى أخرى لتغيير نظره النجاشي تجاه المسلمين، إلا أنّها لم تؤثر في روحه الساميه الواعيه، فرجعوا يائسين من هناك، و أرجعوا إليهم هداياهم (1).

ص: ٤٤٩

---

١ - ١) - اقتبس من سيره ابن هشام، المجلد الأول، الصفحه ٣٥٦ - ٣٦١.

إشاره

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧)  
أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٨) وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ  
لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْهَا وَ إِنَّا يُزْجِعُونَ (٤٠)

التفسير

إشاره

يوم القيامة..يوم الحسره و الأسف:

إن آخر كلام لعيسى عليه السلام بعد تعريفه لنفسه بالصفات التي ذكرت، هو التأكيد على مسأله التوحيد، و خاصه في مجال العباده، فيقول: وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (١).

و على هذا فإن عيسى عليه السلام بدأ بمحاربه كل أنواع الشرك و عباده الآلهه

ص: ٤٥٠

١- ١) - إن هذه الآيه من جهه التركيب، عطف على كلام عيسى الذي مر آنفا، و الذي ابتداء بقوله قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَ انتهى بهذه الجملة.

المزدوجه و المتعدده منذ بدايه حياته،و كان يؤكّد أينما كان على التوحيد،و بناء على هذا،فإنّ ما يلاحظ اليوم بين المسيحيين بعنوان التثليث بدعه محضه ابتدعت بعد عيسى قطعاً،و قد بينا تفصيل ذلك في آخر الآيه (١٧١)من سوره النساء (١).

و بالرغم من أن بعض المفسّرين احتمل أن تكون هذه الجملة من كلام نبي الإسلام صلّى الله عليه و آله و سلّم،أى إنّ الله سبحانه أمره أن يدعو الناس إلى التوحيد فى العباده،و قد وصف ذلك بأنّه الصراط المستقيم،إلاّ أن آيات القرآن الأخرى شاهده على أن هذه الجملة من قول المسيح عليه السّلام و تابعه للكلام السابق،فنقرأ فى سوره الزخرف/ الآيه ٦٣-٦٤: **وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِبَيِّنَاتٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** و هنا نرى نفس الجملة تقريبا نقلت عن لسان عيسى، و كذلك ورد هذا المضمون فى سوره آل عمران/الآيه ٥٠-٥١.

غير أنّه بالرغم من كل هذه التأكيدات التى أكّد عليها المسيح عليه السّلام فى مجال التوحيد و عباده الله،فقد اختلفت الفئات،و أظهروا اعتقادات مختلفه،و خاصّه فى شأن المسيح فأختلف الأحراب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم .

إنّ تاريخ المسيحيه يشهد بوضوح على مدى الاختلاف الذى حصل بعد المسيح عليه السّلام فى شأنه،و حول مسأله التوحيد،هذه الاختلافات التى ازدادت حدتها،فشكل «قسطنطين»إمبراطور الروم مجمعا للأساقفه-علماء النصارى الكبار-و كان واحدا من المجامع التّاريخيه المعروفه،و وصل عدد أعضاء هذا المجمع إلى ألفين و مائه و سبعين عضواً،و عند ما طرحت مسأله المسيح للبحث أظهر العلماء الحاضرون و جهات نظر مختلفه تماما،و كان لكل مجموعه

ص: ٤٥١

فذهب البعض: إنَّ المسيح هو الله الذى نزل إلى الأرض! فأحى جماعه، و أمات أخرى، ثمَّ صعد إلى السماء! وقال البعض الآخر: إنَّه ابن الله! و رأى آخرون: إنَّه أحد الأقانيم الثلاثة-الذوات الثلاثة المقدسه-الأب و الابن و روح القدس، الله الأب، و الله الابن و روح القدس.

و آخرون قالوا: إنَّه ثالث ثلاثة: فالله معبود، و هو معبود، و أمه معبوده! و أخيرا قال البعض: إنَّه عبد الله و رسوله.

و قال آخرون أقوالا- أخرى، و لم تتفق الآراء على أى من هذه العقائد، و كان أكبر عدد من الأصوات حازت عليه عقيدته من العقائد المذكوره آنفا هو (٣٠٨) فرد، و قبله الإمبراطور كراى حصل على أكثرية نسيبه، و دافع عنه باعتباره الدين الرسمى، و طرح الباقي جانبا، أما عقيدته التوحيد فقد بقيت فى الأقلية لقله ناصرها مع الأسف (١).

و لما كان الانحراف عن أصل التوحيد يعتبر أكبر انحراف للمسيحيين، فقد رأينا كيف أن الله قد هدد هؤلاء فى ذيل الآيه بأنهم سيكون لهم مصير مؤلم مشؤوم فى يوم القيامة، فى ذلك المشهد العام، و أمام محكمه الله العادله (٢).

ثمَّ تبيّن الآيه التاليه وضع أولئك فى عرصات القيامة، فتقول عند ما يقدمون علينا يوم القيامة فسوف تكون لهم اسماع قويه و ابصار حادّه فيسمعون و يرون جميع الحقائق التى كانت خافيه عليهم فى هذه الدنيا، و لكن الظالمين اليوم، أى فى هذه الدنيا غافلون عن هذه العاقبه: أَسْمَعُ بِهِمْ وَ أَبْصِرُ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ

(١-١) - تفسير فى ظلال القرآن، ج ٥، ص ٤٣٦، بتصرف.

(٢-٢) - يمكن أن يكون (مشهد) مصدرا ميميا بمعنى الشهود، أو أن يكون اسم مكان أو زمان بمعنى محل أو زمن الشهود، و بالرغم من اختلاف هذه المعانى، إلا أنها لا تختلف كثيرا من ناحيه النتيجة.

إنّ من الواضح أن الحجب سترتفع في النشأ الآخرة، لأنّ آثار الحق هناك أوضح من آثاره في عالم الدنيا بمراتب و من الطبيعي أن تسلب المحكمه و آثار الأعمال نوم الغفله من العين و الأذن، و حتى عمى القلوب فإنهم سيعون الأمر و يعلمون الحق، إلا أن هذا الوعي و العلم لا ينفعهم شيئاً.

و فسّر بعض المفسّرين كلمه (اليوم) في جملة لَكِنَّ الظالمون اليوم في ضلالٍ مبينٍ بيوم القيامة، أى إن معنى الآية: إنهم سيصبحون ناظرين سامعين، إلا أنّ هذا النظر و السمع سوف لا ينفعهم في ذلك اليوم، و سيكونون في ضلال مبين.

لكن يبدو أن التفسير الأول أصح (١).

ثمّ تؤكد الآية التاليه مرّه أخرى على مصير المنحرفين و الظالمين في ذلك اليوم، فتقول: وَ أَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ .

من المعلوم أنّ ليوم القيامة أسماء مختلفه في القرآن المجيد، و من جملتها يَوْمَ الْحَسْرَةِ حيث يتحسر المؤمنون المحسنون على قلّه عملهم، و يا ليتهم كانوا قد عملوا أكثر، و كذلك يتحسر المسيئون، لأنّ الحجب تزول، و تتضح حقائق الأعمال و نتائجها للجميع.

و اعتبر البعض جملة إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ مرتبطه بانتهاء برامج و وقائع الحساب و الجزاء و التكليف في يوم القيامة، و اعتبرها بعضهم إشارة إلى فناء الدنيا، و على هذا التفسير فإنّ الآية تحذر هؤلاء و تخيفهم من يوم الحسره، ذلك الحين الذي تفنى فيه الدنيا و هم في حاله الغفله و عدم الإيمان.

ص: ٤٥٣

١ - ١) - الألف و اللام في كلمه (اليوم) هي ألف و لام العهد، إلا أنّه طبقاً للتفسير الأول العهد الحضورى، و على التفسير الثانى العهد الذكرى.



إلا أن التفسير الأول هو الأصح كما يبدو، خاصه و أنه

قد روى في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير جملة إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ أَنَّهُ قَالَ: «أى قضى على أهل الجنة بالخلود فيها، وقضى على أهل النار بالخلود فيها» (١).

ثم تحذر الآية الأخيره-من آيات البحث- كل الظالمين و الجائرين، و تذكرهم بأن هذه الأموال التي تحت تصرفهم الآن ليست خالده، كما أن حياتهم ليست خالده، بل إن الوارث الأخير لكل شىء هو الله سبحانه: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْهَا وَ إِنَّا مُزْجِعُونَ. (٢)

إن هذه الآية-في الحقيقة-تتناغم مع الآية ١٦/سوره المؤمن، و التي تقول:

لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ فَإِذَا آمَنَ شَخْصٌ وَ اعْتَقَدَ بِهِذِهِ الْحَقِيقَةَ، فَلَمَّا ذَا بِيحِ التَّعْدَى وَ الظُّلْمِ وَ سَحَقِ الْحَقِيقَةَ، وَ هَضَمَ حَقُوقَ النَّاسِ، أَمِنَ أَجَلَ الْأَمْوَالِ وَ اللِّذَائِدِ الْمَادِيَةِ الَّتِي أودعت في أيدينا لعدّه أيام و ستخرج من أيدينا بسرعه؟

ص: ٤٥٤

١-١) -مجمع البيان، ذيل الآية أعلاه.

٢-٢) -هل أن هذه الآية إشارة إلى القيامة، أو إلى زمان فناء الدنيا، فإن كانت إشارة إلى القيامة، فإنها لا تناسب ظاهرا جملة وَ إِنَّا مُزْجِعُونَ وَ إن كانت إشارة إلى زمان فناء الدنيا، فإنها لا تناسب جملة وَ مَنْ عَلَيْهَا لِأَنَّهُ لَا يَوجَدُ أَى حَى عِنْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا حَتَّى يَصْدُقَ عَلَيْهِ تَعْبِيرُ (مِنْ عَلَيْهَا) وَ رَبَّمَا فَتَرَ بَعْضَ الْمَفْسَّرِينَ -كالعلامه الطباطبائي- هذه الجملة هكذا: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ عَنْهُمْ الْأَرْضَ، لِهَذَا السَّبَبِ. إِلا أَن هَذَا التَّفْسِيرَ أَيْضًا يَخَالِفُ الظَّاهِرَ قَلِيلًا لِأَنَّ وَ مَنْ عَلَيْهَا عَطْفَتْ بِالْوَاوِ. وَ هُنَا- أَيْضًا-احْتِمَالٌ آخَرٌ، وَ هُوَ أَنَّ مَفْعُولَ نَرِثُ تَارَهُ يَكُونُ الشَّخْصَ الَّذِي يَتْرَكَ الْأَمْوَالِ، مِثْلُ: وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ، وَ تَارَهُ أُخْرَى الْأَمْوَالِ الَّتِي بَقِيَتْ لِلْإِثْرِ، مِثْلُ: نَرِثُ الْأَرْضَ وَ فِي الْآيَةِ أَعْلَاهُ وَرَدَ كَلَا التَّعْبِيرِينَ.

اشاره

وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ اِبْرَاهِيمَ اِنَّهٗ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) اِذْ قَالَ لِاَبِيهِ يَا اَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا اَبَتِ اِنِّي قَدْ جِئْتُكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي اَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا اَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ اِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا اَبَتِ اِنِّي اَخَافُ اَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)

التفسير

اشاره

إبراهيم و منطقه المؤثر و القاطع:

انتهت قصه ولاده المسيح عليه السلام و قد تضمنت جانبا من حياه أمه مريم، و بعدها تزيح هذه الآيات-و الآيات الآتية-الستار عن جانب من حياه بطل التوحيد إبراهيم الخليل عليه السلام، و تؤكد على أن دعوه هذا النبي الكبير-كسائر المرشدين الإلهيين- تبدأ من نقطه التوحيد، فتقول أولا: وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ اِبْرَاهِيمَ اِنَّهٗ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا .

كلمه (الصدِّيق) صيغه مبالغه من الصدق، و تعنى الشخص الصادق جدًّا،

و ذهب البعض الى أنه الشخص الذى لا يكذب مطلقا، بل و أسمى من ذلك، و هو أنه لا يملك القدره على الكذب، لأنه اعتاد طيله حياته على الصدق. و يرى آخرون أن معناها الشخص الذى يصدق عمله كلامه و اعتقاده. إلا أن من الواضح أن جميع هذه المعانى-تقريبا-ترجع إلى معنى واحد.

على كل حال، فإن هذه الصفه مهمه إلى حد أنها ذكرت فى الآيه-محل البحث-قبل صفه النبوه، و لعلها بذلك تكون ممهده لتلقى النبوه، و إذا تجاوزنا ذلك فإن أبرز صفه يلزم وجودها فى كل الأنبياء و حملة الوحي الإلهي أن يوصلوا أوامر الله إلى العباد دون زياده أو نقصان.

ثم تتطرق الآيه التى بعدها إلى شرح محاورته مع أبيه آزر-و الأب هنا إشاره إلى العم، فإن كلمه الأب، كما قلنا سابقا، ترد أحيانا فى لغة العرب بمعنى الأب، و أحيانا بمعنى العم (1) -فتقول: إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا .

إن هذا البيان القصير القاطع من أحسن أدله نفي الشرك و عباده الأوثان، لأن أحد بواعث الإنسان فى معرفه الرب هو باعث الربح و الخساره، و الضر و النفع، و الذى يعبر عنه علماء العقائد بمسأله (دفع الضرر المحتمل). فهو يقول: لماذا تتجه إلى معبود ليس عاجزا عن حل مشكله من مشاكلك و حسب، بل إنه لا يملك أصلا القدره على السمع و البصر. و بتعبير آخر: إن العباده يجب أن تكون لمن له القدره على حل المشاكل، و يدرك عباده و حاجاتهم، سميع بصير، إلا أن هذه الأصنام فاقده لكل ذلك.

إن إبراهيم يبدأ فى دعوته العامه بأبيه، و ذلك لأن النفوذ فى الأقربين أهم و أولى، كما أن نبي الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم قد أمر أولا بدعوه عشيرته الأقربين كما جاء فى ذلك فى الآيه (٢١٤) من سوره الشعراء: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ .

ص: ٤٥٦

(١- ١) -لقد بحث هذا الموضوع مفصلا ذيل الآيه (٧٤) من سوره الأنعام.

بعد ذلك دعاه- عن طريق المنطق الواضح- إلى اتباعه، فقال: يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ لَجَّأَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا فَإِنِّي قَدْ وَعَيْتُ أُمُورًا كَثِيرَةً عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، وَاسْتَطِيعَ أَنْ أَقُولَ بِاطْمِئْنَانٍ: إِنِّي سَوْفَ لَا أَسْلُكُ طَرِيقَ الضَّلَالِ وَالْخَطَا، وَلَا أَدْعُوكَ أَبَدًا إِلَى هَذَا الطَّرِيقِ الْمَعُوجِ، فَإِنِّي أُرِيدُ سَعَادَتَكَ وَفَلَاحَكَ، فَاقْبَلْ مِنِّي لَتَنْجُوَ وَتَخْلُصَ مِنَ الْعَذَابِ وَتَصِلَ بِطَيْبِكَ هَذَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ إِلَى الْمَحَلِّ الْمَقْصُودِ.

ثم يعطف نظره إلى الجانب السلبي من القضية بعد ما ذكر بعدها الايجابي و يشير إلى الآثار التي تترتب على مخالفه هذه الدعوه، فيقول: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا .

من الواضح أن العباده هنا لا تعنى السجود و الصلاه و الصوم للشيطان، بل بمعنى الطاعه و اتباع الأوامر، و هذا بنفسه يعتبر نوعا من العباده.

روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدَ عِبْدَهُ، فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ عَنِ اللَّهِ فَقَدَ عَبْدَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ عَنِ إبْلِيسَ فَقَدَ عَبْدَ إبْلِيسَ» (١).

إن إبراهيم يريد أن يعلم أباه هذه الحقيقه، و هى أن الإنسان لا يمكن أن يكون فاقدا لخط و منهج في حياته، فإما سبيل الله و الصراط المستقيم، و إما طريق الشيطان العاصى الضال، فيجب عليه أن يفكر بصوره صحيحه و يصمم، و أن يختار ما فيه خير و صلاحه بعيدا عن العصبية و التقاليد العمياء.

ثم يذكره و ينبه مره أخرى بعواقب الشرك و عباده الأصنام المشؤومه، و يقول: يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا .

إن تعبير إبراهيم هذا رائع جدا، فهو من جانب يخاطب عمه دائما بـ يَا أَبَتِ و هذا يدل على الأدب و احترام المخاطب، و من جانب آخر فإن قوله أَنْ يَمَسَّكَ توحى بأن إبراهيم كان قلقا و متأثرا من وصول أدنى أذى إلى آزر، و من

ص: ٤٥٧

جهه ثالثه فَإِنَّ التّعير بَعِيدَاتٍ مِنَ الرَّحْمَنِ يَشير إلى أن أمرك نتيجة هذا الشرك و عباده الأصنام قد بلغ حدًا بحيث أن الله- الذي عمت رحمته الأرجاء- سيغضب عليك و يعاقبك، فانظر إلى عملك الذي تقوم به كم هو خطير و كبير! و من جهه رابعه، فَإِنَّ عملك سيؤدى بك فى النهايه أن تستظل بولايه الشيطان.

## بحوث

## اشاره

### ١- طريق النفوذ إلى الآخرين

إنّ طريقه محاوره إبراهيم لأزر- الذى كان- طبقا للروايات- من عبده الأصنام، حيث كان يصنعها و يبيعها، و كان يعتبر عاملا مهمًا فى ترويج الشرك- تبين لنا بأنه يجب استخدام المنطق الممتزج بالاحترام و المحبه و الحرص على الهدايه، مقتربا بالحزم قبل التوسل بالقوه، للنفوذ إلى نفوس الأفراد المنحرفين، لأنّ الكثير سيدعون للحق عن هذا الطريق، و هناك جماعه سيظهرون مقاومتهم لهذا الأسلوب، و من الطبيعى أن حساب هؤلاء يختلف، و يجب أن يعاملوا بأسلوب آخر.

### ٢- دليل اتباع العالم

قرأنا فى الآيات- محل البحث- أن إبراهيم دعا عمه آزر لاتباعه، مع كبر سنه و شهرته فى المجتمع. و يذكر دليله على دعوته هذه فيقول: **إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ .**

إنّ هذا قانون عام فى أن الذين لا يعلمون يتبعون العالمين فيما يجهلون، و هذا فى الواقع هو منهج الرجوع إلى المتخصصين فى كل فن، و من ذلك مسأله تقليد المجتهد فى فروع الأحكام الإسلاميه.

من الواضح أنّ بحث إبراهيم لم يكن فى المسائل المرتبطه بفروع الدين، بل كان يتحدث عن أهم أصل من أصول الدين، و لكن حتى فى مثل هذه المسائل أيضا يجب الاستعانه و الاستفادة من إرشادات العالم، لتحصل الهدايه إلى الصراط السوى، الذى هو الصراط المستقيم.

### ٣- سورة الرحمه و التذكير

لقد وردت جملة (و اذكر) خمس مرات عند الشروع بذكر قصص الأنبياء العظام و مريم، و لهذا السبب يمكن تسميه هذه السوره بسوره (التذكير).. ذكر الأنبياء، و الرجال و النساء العظام؛ و حركتهم التوحيديه، و جهودهم فى طريق محاربه الشرك و عباده الأصنام و الظلم و الجور.

و لما كان الذكر عاده بعد النسيان، فمن الممكن أن يكون إشاره إلى أن جذور التوحيد و عشق رجال الحق و الإيمان بجهدهم من أجل إحقاق الحق حيه فى أعماق روح كل إنسان، و إن الكلام عن هؤلاء فى الحقيقه نوع من الذكر.

و قد ورد وصف الله ب«الرحمان» ست عشره مره فى هذه السوره، فإنّ السوره تبدأ بالرحمه، رحمه الله بزكريا، رحمه الله بمريم و المسيح، و كذلك تنتهى السوره بهذه الرحمه حيث تقول فى أواخرها: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (١).

ص: ٤٥٩

اشاره

قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)

التفسير

اشاره

نتيجه البعد عن الشرك و المشركين:

مرّت في الآيات السابقه كلمات إبراهيم عليه السلام التي كانت ممتزجه باللطف و المحبّه في طريق الهدايه، و الآن جاء دور ذكر أجوبه آزر، لكلي تتضح الحقيقه و الواقع من خلال مقارنة الكلامين مع بعضهما.

يقول القرآن الكريم: إن حرس و تحرق إبراهيم، و بيانه الغنى العميق لم ينفذ إلى قلب آزر، بل إنه غضب لدى سماعه هذا الكلام، و قال أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا .





خشونه و تهديد آزر بالعكس، و وعده بالاستغفار و طلب مغفره الله له.

و هنا يطرح سؤال، و هو: لماذا وعد إبراهيم آزر بالاستغفار مع أنا نعلم أن آزر لم يؤمن أبداً، و لا يجوز الاستغفار للمشركين طبقاً لصريح الآية (١١٣) من سوره التوبه؟ و قد ذكرنا جواب هذا السؤال بصوره مفصله فى ذيل تلك الآيه فى سوره التوبه.

ثم يقول: **وَ اعْتَرِلْكُمْ** **وَ مَا تَدْعُونَ** **مِنْ دُونِ اللَّهِ** **أَى الْأَصْنَامِ** **وَ ادْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ** **بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**.

تبيّن هذه الآيه من جهه أدب إبراهيم فى مقابل آزر الذى قال: «اهجرنى» فقبل إبراهيم ذلك. و من جهه أخرى فإنها تبيّن حزمه فى عقيدته، فإنّ ابتعادى هذا عنك لم يكن من أجل حيادى عن اعتقادى الراسخ بالتوحيد، بل لأنك لا تملك الأهليه لتقبل الحق، و لذلك فإنى سأثبت على اعتقادى.

و يقول بصوره ضمنيه بآنى إذا دعوت ربى فإنه سيجيب دعوتى، أما أنتم المساكين الذين تدعون من هو أكثر مسكنه منكم، فلا يستجاب دعاؤكم مطلقاً، بل و لا يسمع كلامكم أبداً.

لقد و فى إبراهيم بقوله، و ثبت على عقيدته بكل صلابه و صمود، و كان دائماً ينادى بالتوحيد، بالرغم من أن كل ذلك المجتمع الفاسد فى ذلك اليوم قد وقف ضده و ثار عليه، إلاّ أنه لم يبق وحده فى النهايه، فقد وجد أتباعاً كثيرين على مر القرون و الأعصار، بحيث أنّ كل الموحدين و عباد الله فى العالم يفتخرون بوجوده.

يقول القرآن الكريم: **فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ** **وَ مَا يَعْبُدُونَ** **مِنْ دُونِ اللَّهِ** **وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ** **وَ يَعْقُوبَ** **وَ كُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا** **فَالرَّغْمَ** **مِنْ أَنْ** **الْفِتْرَةَ** **الَّتِي** **وَهَبَ اللَّهُ** **بِهَا** **لِإِبْرَاهِيمَ** **إِسْحَاقَ**، **ثُمَّ** **يَعْقُوبَ** - ابن إسحاق - قد استغرقت زمناً طويلاً، إلا أنّ هذه

الموهبه العظيمة-حيث وهبه ولدا كإسحاق،و حفيدا كيعقوب،و كل منهما كان نبيا سامى المقام-كانت نتيجة صبر إبراهيم عليه السلام و استقامته التي أظهرها فى طريق محاربه الأصنام،و اعتزال المنهج الباطل و الابتعاد عنه.

و إضافه إلى ذلك وَ هَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا تِلْكَ الرَّحْمَةَ الْخَاصَّةَ بِالْمَخْلِصِينَ وَ الْمَخْلِصِينَ،و الرجال المجاهدين فى سبيل الله.و أخيرا وَ جَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا .

إنّ هذا فى الحقيقة إجابته لطلب و دعاء إبراهيم الذى جاء فى الآية(٨٤)من سوره الشعراء: وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ فَإِنَّ أَوْلَئِكَ كَانُوا يَريُدُونَ طَرْدَ وَ إِبْعَادَ إِبْرَاهِيمَ وَ أُسْرَتِهِ مِنَ الْمَجْتَمَعِ الْإِنْسَانِي،بحيث لا يبقى لهم أى أثر أو خبر،و ينسون إلى الأبد.إلا أن الذى حدث بالعكس،فإنّ الله سبحانه قد رفع ذكرهم نتيجة إيثارهم و تضحياتهم و استقامتهم فى أداء الرساله التى كانت ملقاه على عاتقهم،و جعل أسماءهم تجرى على ألسنه شعوب العالم،و يعرفون كأسوه و نموذج فى معرفه الله و الجهاد و الطهاره و التقوى و المقارعه للباطل.

إنّ«اللسان»فى مثل هذه الموارد يعنى الذكر الذى يذكر به الإنسان بين الناس،و عند ما نضيف إليه كلمه صدق،و نقول:«اللسان صدق»فإنّه يعنى الذكر الحسن و الذكري الطيبه بين الناس،و إذا ما ضمنا إليها«عليّا»التي تعنى العالى و البارز،فإنّها ستعنى الذكري الجميله جدًا التي تبقى بين الناس عن شخص ما.

و من المعلوم أن إبراهيم لا- يريد بهذا الطلب أن يحقق أمنيّه فى قلبه،بل كان هدفه أن لا-يستطيع الأعداء أن يجعلوا تاريخ حياته،الذى كان تربويا خارقا للعاده،فى بوتقه النسيان،و أن يمحووا ذكره من الأذهان إلى الأبد،و هو الأنموذج و الأسوه الدائمه للبشريه.

و نقرأ

فى روايه عن أمير المؤمنين على عليه السلام: «لسان الصدق للمرء يجعله الله

فى الناس، خىر من المال يأكله و يورثه» (١) و بغض النظر عن الجوانب المعنوية، فإن حسن السمعه و الذكر الحسن بين الناس يمكن أن يكون أحيانا رأس مال عظيم للإنسان و لأولاده، و أمامنا شواهد حيه على ذلك.

و هنا يمكن أن يبرز سؤال، و هو: كيف لم تذكر هنا موهبه وجود إسماعيل، مع أن اسم يعقوب، حفيد إبراهيم، قد ذكر صراحة؟ و فى مكان آخر من القرآن ذكر وجود إسماعيل ضمن مواهب إبراهيم، هناك حيث تقول الآية على لسان إبراهيم: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ (٢).

الجواب أنه بالإضافة إلى أن اسم إسماعيل قد ورد مستقلا بعد آيتين أو ثلاث، و قد ذكر فيها بعض صفاته البارزه، إلا أن المقصود هذه الآية هو بيان استمرار النبوه فى أسره إبراهيم، و توضح كيف أن حسن سمعته و ذكره الحسن و تاريخه الحافل قد تحقق بواسطه الأنبياء من أسرته، و الذين جاؤوا الواحد تلو الآخرين، و من المعلوم أن كثيرا من الأنبياء هم من أسره إسحاق و يعقوب على مر الأعصار و القرون، و إن كان قد ولد من ذريه إسماعيل أعظم الأنبياء، أى نبي الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم، إلا أن استمرار النبوه كان فى أولاد يعقوب، و لذلك نقرأ فى الآية (٢٧) من سوره العنكبوت، وَ هَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ .

ص: ٤٤٤

١-١) - أصول الكافي، حسب نقل تفسير نور الثقلين، الجزء ٣، ص ٣٣٩.

٢-٢) - إبراهيم، ٣٩.

## إشاره

وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١) وَ نَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣)

## التفسير

## إشاره

### موسى النبي المخلص:

فى هذه الآيات الثلاث إشاره قصيره إلى موسى عليه السلام—و هو من ذريه إبراهيم عليه السلام و موهبه من مواهب ذلك الرجل العظيم—حيث سار على خطاه.

و توجه الآيه الخطاب إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و تقول: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ثُمَّ تذكر خمس مواهب و صفات من المواهب التى أعطيت لهذا النبى الكبير:

١-إنه وصل فى طاعته و عبوديته لله إلى حدٍ إنَّه كَانَ مُخْلَصًا و لا ريب أن الذى يصل إلى هذه المرتبه سيكون مصنوعا من خطر الانحراف و التلوث، لأنَّ الشيطان رغم كل إصراره على إضلال عباد الله، يعترف هو نفسه بعدم قدرته على إضلال المخلصين: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ

٢- وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا فَحَقِيقَهُ الرِّسَالَهُ أَنْ تَلْقَى مَهْمَهُ عَلَى عَاتِقِ شَخْصٍ، وَ هُوَ مُسْتَوَلٌّ عَنْ أَدَائِهَا وَ إِبْلَاغِهَا، وَ هَذَا الْمَقَامُ كَانَ لِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَأْمُورِينَ بِالِدَعْوَةِ.

إن ذكر كونه «نبيًا» هنا إشارة إلى علو مقام و رفعة شأن هذا النبي العظيم، لأن هذه اللفظة في الأصل مأخوذة من (النبيه) على وزن (نغمه) و تعنى رفعة المقام و علوه. و لها-طبعًا- أصل آخر من (نبا) بمعنى الخبر، لأن النبي يتلقى الخبر الإلهي، و يخبر به الآخرين، إلا أن المعنى الأول هو الأنسب هنا.

٣- وَ أَشَارَتْ الْآيَةُ التَّالِيَةُ إِلَى بَدَايَةِ رِسَالَةِ مُوسَى، فَقَالَتْ: وَ نَادَيْتَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ فَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمَظْلَمَةِ الْمَوْحِشَةِ، حَيْثُ قَطَعَ مُوسَى صَحَارَى مَدِينٍ مُتَوَجِّهًا إِلَى مِصْرَ، أَخَذَ زَوْجَتَهُ الطَّلُقَ وَ أَلْمَ الْوَالِدَةَ، وَ كَانَ الْبَرْدُ شَدِيدًا، فَكَانَ يَبْحَثُ عَنْ شَعْلَةٍ نَارٍ، وَ فَجَأَهُ سَطْحُ نُورٍ مِنْ بَعِيدٍ، وَ سَمِعَ نِدَاءً يَبْلُغُهُ رِسَالَةُ اللَّهِ، وَ كَانَ هَذَا أَعْظَمَ وَ سَامَ وَ أَلَذَّ لِحْظِهِ فِي حَيَاتِهِ.

٤- إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ وَ قَرَّبَتْهُ نَجِيًّا (٢) فَإِنَّ النِّدَاءَ كَانَ مُوَهِّبًا، وَ التَّكْلِمَ مُوَهِّبًا أُخْرَى.

٥- وَ أُخِيرَ وَ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا لِيَكُونَ مَعِينَهُ وَ نَصِيرَهُ.

ص: ٤٦٦

(١-١) - سورة ص، ٨٢-٨٣.

(٢-٢) - «النجي» بمعنى المناجى، أى الشخص الذى يهمس فى أذن الآخر، و هنا ينادى الله موسى من بعيد، و لما اقترب ناجاه. و من المعلوم أن الله سبحانه ليس له لسان و لا مكان، بل يوجد الأمواج الصوتية فى الفضاء، و يتكلم مع عبد كموسى.

## ١- من هو المخلص؟

قرأنا فى الآيات السابقه أنّ الله سبحانه جعل موسى من العباد المخلصين - بفتح اللام - وهذا المقام عظيم جدًا كما أشرنا إلى ذلك، مقام مقترن بالضمان الإلهى عن الانحراف، مقام محكم لا يستطيع الشيطان اختراقه، ولا يمكن تحصيله إلا بالجهد الدائم للنفس، والطاعة المستمره المتلاحقه لأوامر الله سبحانه.

إنّ كبار علماء الأخلاق يعتبرون هذا المقام مقامًا ساميًا جدًا، ويستفاد من آيات القرآن أنّ للمخلصين امتيازات وخصائص خاصه، سنتطرق إليها إن شاء الله تعالى.

## ٢- الفرق بين الرسول و النبي

الرسول هو الشخص الذى ألقى على عاتقه مهمه أو رساله ليبلغها، و النبي -بناء على أحد التفاسير- هو الشخص المطلع على الوحي الإلهى و الذى يخبر بما يوحى إليه، و بناء على تفسير آخر هو الشخص العالى المقام و السامى المرتبه، و قد بينا اشتقاق كلا الكلمتين ما ماديتهما. هذا من جهه اللغه.

أمّا من جهه التعبيرات القرآنيه و لسان الروايات، فالبعض يرى أن «الرسول» صاحب شريعه و مأمور بإبلاغها، أى يتلقى الوحي الإلهى ثم يبلغه للناس، أمّا «النبي» فإنه يتلقى الوحي، إلا أنه ليس مكلفًا بإبلاغه، بل مكلف بأداء واجبه فقط، أو الإجابة على أسئله من سأله.

و بتعبير آخر فإنّ النبي مثله كالطبيب الواعى الذى جلس فى محله مستعدًا لاستقبال المرضى، فهو لا يذهب إلى المرضى، أمّا إذا راجعه مريض فإنه لا يمتنع عن معالجته و أداء النصيح إليه. أمّا الرسول فإنه كالطبيب السيار، و بتعبير

الإمام

على عليه السّلام فى نهج البلاغه عن رسول الإسلام صلّى الله عليه وآله وسلم: «طيب دوّار بطبه» (١)، فهو يدور فى كل مكان، يذهب إلى المدن والقري، الجبال والصحارى ليجد المرضى ويشرع بعلاجهم، فهو عين تنبع بالماء العذب وتجرى نحو العطاشى، وليس عينا يبحث عنها العطاشى.

و يستفاد من الروايات التى وصلت إلينا فى هذا الباب، وأوردها العلامة الكلينى فى كتاب (أصول الكافى) فى باب (طبقات الأنبياء والرسل) و باب (الفرق بين النبى و الرسول) أنّ «النبى» هو الشخص الذى يرى حقائق الوحي فى حال النوم فقط، كرؤيا إبراهيم، أو أنّه إضافة إلى النوم، فإنّه يسمع فى اليقظه أيضا صوت ملك الوحي. أمّا الرسول فإنّه علاوه على تلقى الوحي فى المنام، و سماع صوت الملك، فإنّه يراه أيضا (٢).

و لا تنافى بين ما ورد فى هذه الروايات و التفسير الذى قلناه، لأن من الممكن أن يكون للمهمات و المسؤوليات المتفاوتة للنبى و الرسول تأثير فى طريقه تلقى الوحي، و بتعبير آخر فإنّ كل مرحلة من المهمّة تساير مرحلة خاصّه من الوحي. (دققوا جيدا).

ص: ٤٦٨

---

١-١) - نهج البلاغه، الخطبه ١٠٨.

٢-٢) - أصول الكافى، ج ١، ص ١٣٣-١٣٤، طبعه دار الكتب الإسلاميه.

اشاره

وَ اذْڪُرْ فِى الْڪِتَابِ اِسْمَاعِيْلَ اِنَّهٗ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَ كَانَ رَسُوْلًا نَبِيًّا (٥٤) وَ كَانَ يَأْمُرُ اَهْلَهٗ بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهٖ مَرْضِيًّا (٥٥)

التفسير

اشاره

إسماعيل نبى صادق الوعد:

بعد ذكر إبراهيم عليه السلام و تضحيته، و بعد الإشارة القصيره إلى حياه موسى عليه السلام المتساميه، يأتي الحديث عن إسماعيل، أكبر ولد إبراهيم، و يكمل ذكر إبراهيم بذكر ولده إسماعيل، و برامجه ببرامج ولده، و يبين القرآن الكريم خمس صفات من صفاته البارزه التى يمكن أن تكون قدوه للجميع.

و يبدأ الكلام بخطاب الآيه الشريفه للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، فتقول: وَ اذْڪُرْ فِى الْڪِتَابِ اِسْمَاعِيْلَ اِنَّهٗ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَ كَانَ رَسُوْلًا نَبِيًّا وَ كَانَ يَأْمُرُ اَهْلَهٗ بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهٖ مَرْضِيًّا .

لقد عدت هاتان الآيتان كونه صادق الوعد، نبيا عالى المرتبه، أمره بالصلاه و الارتباط بالخالق، و أمره بالزكاه و تحكيم الروابط و العلاقات بخلق الله، و أخيرا



القيام بالأعمال التي تجلب رضى الله سبحانه من صفات هذا النبي العظيم.

و تؤكد الآيتان على الوفاء بالعهد، والاهتمام بتربيته العائله، وتشيران إلى الأهميه الخاصه لهذين التكليفين، اللذين ذكر أحدهما قبل النبوه و الآخر بعدها مباشرة.

إنّ الإنسان-فى الواقع-ما لم يكن صادقاً، فمن المستحيل أن يصل إلى مقام الرساله السامى، لأنّ أوّل شرط لهذه الرتبه أن يبلغ الوحي الإلهى إلى العباد بدون زياده أو نقصان، و لذلك فحتى الأفراد المعدودون الذين ينكرون عصمه الأنبياء فى بعض الأحوال، فإنهم اعترفوا و أقروا بأنّ مسأله صدق النبي شرط أساسى، الصدق فى الأخبار، و فى الوعود، و فى كل شىء.

و نقرأ

فى روايه عن الإمام الصادق عليه السّلام: «إنّما سمى إسماعيل صادق الوعد، لأنّه وعد رجلا فى مكان فانتظره فى ذلك المكان سنه، فسّماه الله عزّ و جل صادق الوعد. ثمّ قال: إنّ الرجل أتاه بعد ذلك فقال له إسماعيل: ما زلت منتظرا لك» (١).

من البديهى أنّه ليس المراد أنّ إسماعيل قد ترك عمله و أمور حياته، بل المراد أنّه فى الوقت الذى كان يمارس أعماله كان يراقب مجيء الشخص المذكور. و قد بحثنا فى مجال الوفاء بالعهد بصوره مفصله فى ذيل أوّل آيه من سوره المائده.

و من جهه أخرى فإنّ المرحله الأولى لتبليغ الرساله هى الشروع من عائله المبلغ الذين هم أقرب الناس إليه، و لهذا فإنّ نبي الإسلام صلّى الله عليه و آله و سلّم بدأ دعوته أيضا بزوجه الغاليه خديجه عليها السّلام، و ابن عمّه على عليه السّلام، ثمّ و حسب أمر و أنّذر عشيرتك الأقربين (٢) توجه إلى أقربائه.

و فى الآيه (١٣٢) من سوره طه نقرأ أيضا: وَ أُمِرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَ اضْطَبِرْ عَلَيْهَا

ص: ٤٧٠

١-١) -أصول الكافي، ج ٢، ص ٨٦.

٢-٢) -سوره الشعراء، ٢١٤.

النقطه الأخرى التى تستحق الذكر هنا، أن وصف إسماعيل بكونه مرضيا، إشاره فى الواقع إلى هذه الحقيقه، وهى أنه قد حاز رضى الله فى كل أعماله، ولا توجد نعمه أجلّ من أن يرضى المعبود و المولى و الخالق عنه، و لهذا تقول الآيه (١١٩) من سوره المائده بعد أن بينت نعمه الجنه الخالده لعباد الله المخلصين:

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

(١)

ص: ٤٧١

---

١-١) - كان لنا بحث أكثر تفصيلا حول هذا الموضوع ذيل الآيه (١١٩) من سوره المائده من هذا التفسير.

اشاره

وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ اِدْرِيسَ اِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَ رَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) اُولَئِكَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ اٰدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّةِ اِبْرٰهِيْمَ وَ اِسْرٰئِيْلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنَا وَ اجْتَبَيْنَا اِذَا تَتَلٰوٰى عَلَيْهِمْ اٰيٰتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَ بُكْيًا (٥٨) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ اَضَاعُوا الصَّلٰةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهْوٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا (٥٩) اِلَّا مَنْ تَابَ وَ اٰمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَاُولٰٓئِكَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ وَ لَا يُظْلَمُوْنَ شَيْئًا (٦٠)

التفسير

اشاره

هؤلاء أنبياء الله، ولكن..

في آخر قسم من تذكيرات هذه السوره، جاء الحديث عن «إدريس» النبي، فقالت الآية أولاً: وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ اِدْرِيسَ اِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا و«الصديق»- كما قلنا سابقا- هو الشخص الصادق جداً، و المصدق بآيات الله سبحانه، و المدعن للحق و الحقيقه.

ثم تشير الآية إلى مقامه العالى و تقول: وَرَفَعْنَا لَهُ مَكَانًا عَلِيًّا. و هناك بحث بين المفسرين فى أن المراد هل هو عظمه مقام إدريس المعنويه، أم الارتفاع المكاني بين المفسرين فى أن المراد هل هو عظمه مقام إدريس المعنويه، أم الارتفاع المكاني الحسى؟ فالبعض اعتبر ذلك- كما ذهبنا إليه- إشاره إلى المقامات المعنويه و الدرجات الروحيه لهذا النبى الكبير، و البعض الآخر يعتقد أن الله سبحانه قد رفع إدريس كالمسيح إلى السماء، و اعتبروا التعبير ب(مكان على) إشاره إلى هذا.

إلا أن إطلاق كلمه المكان على المقامات المعنويه أمر متداول و طبيعى، فنحن نرى فى الآية (٧٧) من سوره يوسف أن يوسف قد قال لإخوته العاصين:

أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا .

و على كل حال، فإن إدريس واحد من أنبياء الله المكرمين، و سيأتى شرح حاله فى البحوث القادمه إن شاء الله تعالى.

ثم تبين الآية التاليه بصوره جماعيه عن كل الامتيازات و الخصائص التى مرت فى الآيات السابقه حول الأنبياء العظام و صفاتهم و حالاتهم و المواهب التى أعطاهم الله إياها، فتقول: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْرَائِيلَ .

و مع أن كل هؤلاء الأنبياء كانوا من ذريه آدم، غير أنهم لقربهم من أحد الأنبياء الكبار فقد سموا بذريه إبراهيم و إسرائيل، و على هذا فإن المراد من ذريه آدم فى هذه الآية هو إدريس، حيث كان- حسب المشهور- جد النبى نوح، و المراد من الذريه هم الذين ركبوا مع نوح فى السفينه، لأن إبراهيم كان من أولاد سام بن نوح.

و المراد من ذريه إبراهيم إسحاق و إسماعيل و يعقوب، و المراد من ذريه إسرائيل: موسى و هارون و زكريا و يحيى و عيسى، و الذين أشير فى الآيات

السابقه إلى حالاتهم و كثير من صفاتهم البارزه المعروفه.

ثم تكمل الآيه هذا البحث بذكر الأتباع الحقيقيين لهؤلاء الأنبياء، فتقول:

وَمِمَّنْ هَدَيْتَنَا وَاجْتَبَيْتَنَا إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا

(١)

لقد اعتبر بعض المفسرين جمله و مِمَّنْ هَدَيْتَنَا وَاجْتَبَيْتَنَا.. بيانا آخر لنفس هؤلاء الأنبياء الذين أشير إليهم في بدايه هذه الآيه. إلا أن ما قلنا أعلاه يبدو أنه أقرب للصواب (٢). و الشاهد على هذا الكلام

الحديث المروى عن الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام، إذ قال أثناء تلاوه هذه الآيه: «نحن عيننا بها» (٣).

و ليس المراد من هذه الجملة هو الحصر مطلقا، بل هي مصداق واضح لمتبعي و أولياء الأنبياء الواقعيين، و قد مرت بنا نماذج من مصاديق هذا البحث في التفسير الأمثل هذا. إلا أن عدم الالتفات إلى هذه الحقيقه سبب أن يقع بعض المفسرين - كالألوسى فى روح المعانى فى خطأ حيث طعن فى هذا الحديث، و عدّه دليلا على كون أحاديث الشيعة غير معتبره! و هذه هى نتيجة عدم الإحاطه بالمفهوم الواقعي للروايات الوارده فى تفسير الآيات.

و ممّا يستحق الانتباه أن الحديث فى الآيات السابقه كان عن مريم، فى حين أنها لم تكن من الأنبياء، بل كانت داخله فى جمله مِمَّنْ هَدَيْتَنَا وَاجْتَبَيْتَنَا و تعتبر من مصاديقها، و لها فى كل زمان و مكان مصداق أو مصاديق، و من هنا نرى أن الآيه (٦٩) من سوره النساء لم تحصر المشمولين بنعم الله بالأنبياء، بل أضافت إليهم الصديقين و الشهداء: فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصُّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ و كذلك عبرت الآيه (٧٥) من سوره المائده عن مريم أم عيسى بالصديقه، فقالت: وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ .

ص: ٤٧٤

١-١) -سجد جمع ساجد، و بكى جمع باك.

٢-٢) -لأنها إذا كانت إشاره للأنبياء السابقين، فإنها لا تناسب الفعل المضارع (تتلى) الذى يتعلق بالمستقبل، إلا أن نقدر جمله (كانوا) و أمثالها، و هى خلاف الظاهر أيضا.

٣-٣) -مجمع البيان، ذيل الآيه مورد البحث.

ثم تتحدث الآيات عن جماعه انفصلوا عن دين الأنبياء المرابي للإنسان، و كانوا خلفا سيئا لم ينفذوا ما أريد منهم، و تعدد الآيه قسما من أعمالهم القبيحه، فتقول: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا .

(خلف)بمعنى الأولاد الطالحين،و(خلف)بمعنى الأولاد الصالحين.

و هذه الجملة قد تكون إشاره إلى جماعه من بنى إسرائيل ساروا فى طريق الضلال،فنسوا الله،و رجحوا اتباع الشهوات على ذكر الله،و ملؤوا الدنيا فسادا، و أخيرا ذاقوا و بال أعمالهم السيئه فى الدنيا،و سيدوقونه فى الآخره أيضا.

و احتمل المفسرون احتمالات عديده فى أنّ المراد من (إضاعه الصلاه)هنا هل هو ترك الصلاه،أم تأخيرها عن وقتها،أم القيام بأعمال تضيع الصلاه فى المجتمع؟إن المعنى الأخير-كما يبدو-هو الأصح.

لماذا كان التأكيد على الصلاه-هنا-من بين كل العبادات؟ قد يكون السبب أن الصلاه-كما نعلم-سدّ يحول بين الإنسان و المعاصى، فإذا كسر هذا السد فإن الغرق فى الشهوات هو النتيجة القطعيه لذلك،و بتعبير آخر،فكما أن الأنبياء يبدؤون فى ارتقاء مراتبهم و مقاماتهم من ذكر الله،و عند ما كانت تتلى عليهم آيات الله كانوا يخرون سجدا و يبكون،فإن هذا الخلف الطالح بدأ انحرافهم و سقوطهم من نسيانهم ذكر الله.

و لما كان منهج القرآن فى كل موضع هو فتح أبواب الرجوع إلى الإيمان و الحق دائما،فإنه يقول هنا أيضا بعد ذكر مصير الأجيال المنحرفه: إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لَا يُظَلَّمُونَ شَيْئًا،و على هذا فلا يعنى أن الإنسان إذا غاص يوما فى الشهوات فسيكتب على جبينه اليأس من رحمه الله،بل إن طريق التوبه و الرجوع مفتوح ما بقى نفس يتردد فى صدر الإنسان،و ما دام الإنسان على قيد الحياه.

## ١- من هو إدريس؟

طبقاً لنقل كثير من المفسرين، فإن إدريس جد سيدنا نوح عليه السلام و اسمه فى التوراه (أخنوخ) و فى العربيه (إدريس)، و ذهب البعض أنه من ماده (درس) لأنه أول من كتب بالقلم، فقد كان إضافه إلى النبوه عالماً بالنجوم و الحساب و الهيئه، و كان أول من علم البشر خياطه الملابس.

لقد تحدث القرآن عن هذا النبى الكبير مرتين فقط، و بإشاره خاطفه:

إحدهما هنا فى هذه الآيات، و الأخرى فى سوره الأنبياء الآيه ٨٥-٨٦، و قد ذكرت حياته بصوره مفصله فى روايات مختلفه نشك فى صحه أكثرها، و لهذا السبب اكتفينا بالإشاره أعلاه.

## ٢- من هم الذين أضاعوا الصلاة

نقرأ

فى حديث ورد فى كثير من كتب علماء أهل السنه، أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم عند ما تلا هذه الآيه قال: «يكون خلف من بعد ستين سنه أضاعوا الصلاه و اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم، و يقرأ القرآن ثلاثه: مؤمن، منافق، و فاجر» (١).

ينبغى الالتفات إلى أننا إذا اعتبرنا هجره النبى صلى الله عليه و آله و سلم مبدأ الستين سنه، فإنه ينطبق تماماً على الزمن الذى تربح فيه يزيد على كرسى الحكم، و استشهد فيه سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام و أصحابه، و يشير الحديث بعد ذلك إلى بقية فتره بنى أميه و فتره بنى العباس الذين كانوا قد اقتنعوا من الإسلام بالاسم، و من القرآن باللفظ، و نعوذ بالله أن نكون من هذا الخلف المنحرف.

ص: ٤٧٦

اشاره

جَنَّاتٍ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣)

التفسير

اشاره

بعض صفات الجنه:

وصفت الجنه و نعمها في هذه الآيات حيث جاء ذكرها في الآيات السابقه، فهي تصف الجنه الموعوده بأنها جَنَّاتٍ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا .

مما يستحق الاهتمام و يسترعى الانتباه أن الآيات السابقه التي تحدثت عن التوبه و الإيمان و العمل الصالح، جاء الوعد فيها بالجنه بصيغه المفرد(جنه)، أما هنا فقد ورد بصيغه الجمع(جنت)لأن الجنه في الحقيقه متكونه من حدائق متعدده و غنيه بالنعم جدًا، و ستكون تحت تصرف المؤمنين الصالحين.

إن وصف الجنه ب(عدن)التي تعنى الدوام و الخلود، دليل على أن الجنه



ليست كحدايق و بساتين هذه الدنيا و نعمها الزائله، لأنّ الشىء الذى يقلق الإنسان فيما يتعلق بنعم هذه الدنيا الكثيره هو زوالها فى النهايه، إلا أن مثل هذا القلق بالنسبه لنعم الجنّه لا معنى له (١).

كلمه (عباده) تعنى عباد الله المؤمنين، لا جميع العباد، و التعبير (بالغيب) الذى جاء بعدها يعنى غيبته و اختفائه عن نظرهم إلا أنّهم يؤمنون به. و فى الآيه (٣٠) من سوره الفجر نقراً أيضاً: فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي .

و يحتمل أيضاً فى معنى الغيب أنّ نعم الجنّه على هيئه لم ترها عين، و لم تسمع بها أذن، و لم تخطر على فكر و قلب بشر، و بكلمه واحده: إنّها غائبه عن حسنا و إدراكنا، عالم أسمى و أوسع من هذا العالم، و نحن لا نرى منها إلا شبحاً من بعيد بعين الروح و القلب.

ثمّ تشير بعد ذلك إلى نعمه أخرى من أكبر نعم الجنّه فنقول: لا- يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً- كذب، و لا- عداً، لا تهمه و لا جرح لسان، لا سخرية و لا حتى كلام لا فائده فيه، بل الشىء الوحيد الذى يسمعونه هو السلام إلاّ سلاماً .

«السلام» بالمعنى الواسع للكلمه، و الذى يدل على سلامه الروح و الفكر و اللسان و السلوك و العمل.

السلام الذى جعل ذلك الجو و تلك البيئه جنه، و اقتلع كل نوع من الأذى منها.

السلام الذى هو علامه على المحيط الآمن، المحيط الملى بالصفاء و العلاقه الحميمه و الطهاره و التقوى الصلح و الهدوء و الاطمئنان.

و فى آيات أخرى من القرآن جاءت هذه الحقيقه أيضاً بتعبيرات مختلفه، فى الآيه (٧٣) من سوره الزمر نقراً: وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ . و فى الآيه (٣٤) من سوره ق: ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ

ص: ٤٧٨

١-١) - (عدن) فى اللغه بمعنى الإقامه، و هنا تعطى هذا المعنى، بأن ساكنى تلك الجنان سيكونون مقيمين فيها دائماً.

و ليست الملائكة وحدها التي تحييهم، و ليسوا لوحدهم يحيى بعضهم بعضا، بل إنّ الله سبحانه يحييهم أيضا، كما حياتهم فى الآيه (٥٧) من سوره يس: سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ. فهل يوجد محيط أصفى و أجمل من هذا الجوّ الملىء بالسلام و السلامه؟ و بعد هذه النعمه تشير الآيه إلى نعمه أخرى فتقول: وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا .

إنّ هذه الجملة تشير سؤالين:

أحدهما: هل يوجد فى الجنّه صباح و ليل؟ و قد جاء جواب هذا السؤال فى الروايات هكذا: إنّ الجنّه و إن كانت دائما منيره مضيئه، إلا أنّ أهلها يميزون الليل و النهار من قله النور و زيادته.

و السؤال الآخر هو: إنّه يستفاد من آيات القرآن بوضوح أنّ كل ما يريداه أهل الجنه من الهبات و الأرزاق موجود تحت تصرفهم دائما و فى أى ساعه، فأى رزق هذا الذى يأتيهم فى الصبح و المساء فقط؟ و يمكن استخلاص جواب هذا السؤال من

حديث جميل روى عن النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم حيث يقول: «و تعطيهم طرف الهدايا من الله لمواقيت الصلاه التى كانوا يصلون فيها فى الدنيا» (١). و يستفاد من هذا الحديث أنّ هذه الهدايا الممتازه التى لا يمكن بيان ماهيتها حتى بالحدس و التخمين، نعم قيمه جدا، تهدى إلى هؤلاء بكره و عشيا مضافا إلى سائر نعم الجنّه.

ألا- يدل تعبير الآيه، و الحديث الذى ذكر، على أنّ حياه أهل الجنّه ليست على وتيره واحده، بل إنّ لهم فى كل صباح و مساء موهبه جديده و لطف جديد يعمهم و يشملهم!؟

ص: ٤٧٩

أليس معنى هذا الكلام أنّ السير التكاملي للإنسان سيستمر هناك، بالرغم من أنه لا يعمل عملاً، غير أنه سيديم سيره التكاملي بواسطة معتقداته و أعماله في هذه الدنيا؟! و بعد الوصف الإجمالي للجَنَّة و نعمها المادية و المعنوية، تعرّف الآيه أهل الجَنَّة في جملة قصيره، فتقول: تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا و على هذا فإن مفتاح باب الجَنَّة مع كل تلك النعم التي مرت ليس إلا «التقوى».

و بالرغم من أنّ التعبير ب«عبادنا» فيه إشاره إجماليه إلى الإيمان و التقوى، غير أنّ المحل هنا لا يكتفى فيه بالإشاره الإجماليه، بل لا بدّ من بيان هذه الحقيقه بصراحه، بأن الجنه محل المتقين فقط.

و نواجه هنا مرّه أخرى كلمه الإرث، و التي تطلق عادة على الأموال التي تنتقل من شخص إلى آخر بعد موته، في حين أنّ الجَنَّة ليست مملوكه لأحد حتى يمكن توريثها للآخرين.

و يمكن الإجابة على هذا السؤال عن طريقين:

١- إنّ الإرث من الناحية اللغويه جاء بمعنى التملك، و لا ينحصر بالانتقال المالي من الميت إلى الورثه.

٢- إنّنا نقرأ

في حديث عن النبي الأ-كرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: «ما من أحد إلا و له منزل في الجنة و منزل في النار، فأما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار، و المؤمن يرث الكافر منزله من الجنة» (١).

و يلزم هنا أيضا ذكر هذه النكته، و هي أن الوارثه التي وردت بذلك المعنى في الحديث ليست على أساس العلاقه النسبيه، بل على أساس التقوى الدينيه و العمليه.

و يستفاد هذا المعنى أيضا من سبب النزول الذي ذكره بعض المفسرين

ص: ٤٨٠

---

١- ١) - نور الثقلين، الجزء ٢، ص ٣١. و قد بحثنا في هذا الباب ذيل الآيه (٤٢) من سوره الأعراف من هذا التفسير.

للآيه، بأن أحد المشركين- واسمه العاص بن وائل- قد منع أجيره أجره- و الظاهر أنه كان مسلما-و قال متهكما: إن كان ما يقوله محمّد حقا فنحن أولى من غيرنا بنعم الجنّه، و سندفع أجر هذا العامل بالكامل هناك! فنزلت هذه الآيه و قالت: إنّ الجنّه مختصه بمن كان تقيا.

ص: ٤٨١

## اشاره

وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)

## سبب النزول

ذكر جماعه من المفسرين في سبب نزول هاتين الآيتين، أن الوحي انقطع أياما، ولم يأت جبرئيل رسول الوحي الإلهي إلى النبي، فلما انقضت هذه المدّة قال له: قال عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما منعك أن تزورنا أكثر ممّا تزورنا»، فنزلت الآية: وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ (١).

## التفسير

## اشاره

## الطاعه التامه:

بالرغم من أن لهذه الآية سبب نزول ذكر أعلاه، إلا أن هذا لا يكون مانعا من

ص: ٤٨٢

---

١ - ١) - تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٥٢، عن مجمع البيان، و تفسير القرطبي، الجزء ١١، ص ٤١٦، و ذيل الآيه مورد البحث باختلاف يسير.

أن يكون لها ارتباطا منطقيا بالآيات السابقة، لأنها تأكيد على أن كل ما أتى به جبرئيل من الآيات السابقة قد بلغه عن الله بدون زياده أو نقصان، ولا شيء من عنده، فتحدث الآيه الأولى على لسان رسول الوحي فتقول: وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ فَكُلْ شَيْءٍ مِنْهُ، ونحن عباد وضعنا أرواحنا وقلوبنا على الأكف له مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ والخلاصه: فَإِنَّ الْمَاضِي وَالْحَاضِرَ وَالْمُسْتَقْبَلِ، وهنا وهناك وكل مكان، والدنيا والآخرة والبرزخ، كل ذلك متعلق بذات الله المقدسه.

وقد ذكر بعض المفسرين لجملة له مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ آراء عديده بلغت أحيانا أحد عشر قولاً ما ذكرنا أعلاه هو أنسبها جميعاً كما يبدو..

ثم تصيف الآيه: إن كل ذلك بأمر ربك رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فإذا كان الأمر كذلك، وكل الخطوط تنتهي إليه فَأَعْبُدْهُ عِبَادَهُ مَقْتَرَنَهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ. ولما كان هذا الطريق-طريق العبوديه والطاعه وعباده الله الخالصه-ملىء بالمشاكل والمصاعب، فقد أضافت وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ، وتقول في آخر جملة: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا .

وهذه الجملة في الواقع، دليل على ما جاء في الجملة السابقه، يعنى: هل لذاته المقدسه شريك ومثيل حتى تمتد يدك اليه وتعبده؟ إن كلمه (سمى) وإن كانت تعنى «المشترك فى الاسم»، إلا- أن من الواضح أن المراد هنا ليس الاسم فقط، بل محتوى الاسم، أى: هل تعلم أحدا غير الله خالقاً رازقاً، محيياً مميتاً، قادراً على كل شيء، وظاهراً على كل شيء؟

اشاره

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسِيوفَ أخرج حياً (٦٦) أَوْ لَا- يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً (٦٧) فَو رَبِّكَ  
لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ  
أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠)

سبب النزول

الآيات الأولى-على رأى جماعه من المفسرين-نزلت فى شأن«أبى بن خلف»،أو «الوليد بن المغيره»،حيث أخذوا قطعه من عظم  
منخور،ففتوه بأيديهم و نثروه فى الهواء حتى تطايرت كل ذره منه إلى جهه،وقالوا انظروا إلى محمّد الذى يظن أن الله يحيينا  
بعد موتنا و تلاشى عظامنا مثل هذا العظم!إن هذا شىء غير ممكن أبدا.فنزلت هذه الآيات و أجابتهم،جوابا قاطعا،جوابا مفيدا و  
معلما لكل البشر،و فى جميع القرون و الأعصار.

## حال أهل النار:

مرّت في الآيات السابقة بحوث عديده حول القيامة و الجّنه و الجحيم، و تتحدث هذه الآيات التي نبحتها حول نفس الموضوع، فتعيد الآيه الأولى أقوال منكرى المعاد، فتقول: وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا .

هذا الاستفهام استفهام إنكارى طبعاً، أى إنّ هذا الشىء غير ممكن. أمّا التعبير بالإنسان (و خاصّه مع ألف و لام الجنس)، مع أنّه كان من المناسب أن يذكر الكافر محله -فربّما كان من جهه أن هذا السؤال مخفى فى طبع كل إنسان فى البدايه بزياده و نقيصه، و بسماع مسأله الحياه بعد الموت سترتسم فى ذهنه علامه الاستفهام فوراً.

ثمّ يجيبهم مباشرة بنفس التعبير أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئًا . و يمكن أن يكون التعبير ب«الإنسان» هنا أيضاً إشاره إلى أن الإنسان مع ذلك الاستعداد و الذكاء الذى منحه الله إيّاه، يجب أن لا يجلس ساكتاً أمام هذا السؤال، بل يجب أن يجيب عليه بتذكر الخلق الأوّل، و إلاّ فإنّه لم يستعمل حقيقه إنسانيته.

إنّ هذه الآيات -ككثير من الآيات المرتبطه بالمعاد- تؤكّد على المعنى الجسمانى، و إلاّ فإذا كان القرار أن تبقى الروح فقط، و لا وجود لرجوع الجسم إلى الحياه، فلا مكان و لا معنى لذلك السؤال، و لا لهذا الجواب.

على كل حال، فقد استعمل القرآن هذا المنطق لإثبات المعاد هنا، و قد جاء فى مواضع أخرى من القرآن أيضاً، و من جملتها فى أواخر سوره يس، حيث طرح الأمر بنفس تعبير الإنسان: أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ. وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ. قُلْ



(١)

(٢)

بعض المفسرين طرح هنا سؤالاً، وهو أن هذا الدليل إذا كان صحيحاً، بأن كل شخص إذا ما عمل عملاً فإنه قادر على إعادته، فلما ذا نقوم بأعمال ثم نعجز عن تكرارها أحياناً؟ فمثلاً قد ننشد قطعه شعريه رائعه جداً، أو نكتب بخط جميل جداً، غير أننا بعد ذلك نجتهد في الإتيان بمثله و لكن دون جدوى.

الجواب هو: صحيح أننا نقوم بأعمالنا بإرادته و اختيار، إلا- أن هناك سلسله من الأمور غير الإراديه تؤثر في أفعالنا الخاصيه أحياناً، فإن حركه و اهتزاز يدنا غير المحسوس يؤثر أحياناً في دقه شكل الحروف. إضافة إلى أن قدرتنا و استعدادنا ليسا متساويين دائماً، فقد تعرض أحياناً عوامل تعبئ كل قوانا الداخليه، و نستطيع أن نبدع في الأعمال و نأتي بأعلاها، إلا أن هذه الدوافع تكون ضعيفه أحياناً، فلا تستجمع كل الطاقات، و لذلك فإن العمل الثاني لا ينفذ بدقه وجوده العمل الأول.

إلا- أن الله الذي لا- تنتهى قدرته، لا- تثار حوله هذه المسائل، و لا تقاس قدرته على أعمالنا و قدراتنا، فإنه إذا عمل عملاً فإنه يستطيع إعادته بعينه بدون زياده أو نقصان.

ثم تهدد الآيه التاليه منكرى المعاد، و المجرمين الكافرين: فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا .

إن هذه الآيه توحى بأن محكمه الأفراد الكافرين و المجرمين قريبه من جهنم! و التعبير ب«جثيا»-مع العلم أن جثى جمع جاشى، و هو الذى يجثو على ركبتيه-ربما كان إشاره إلى ضعف و عجز و ذله هؤلاء، حتى أنهم لا قدره لهم على الوقوف أحياناً.

ص: ٤٨٦

١-١) -يس، ٧٧-٧٩.

٢-٢) -لقد بحثنا حول هذا الدليل فى ذيل الآيه (٢٩) من الأعراف تحت عنوان (أقصر دليل لإثبات المعاد).

و لهذه الكلمه معانى اخرى ايضا، فمن جملتها أنهم فسروا «جثيا» بمعنى جماعه جماعه، و بعضهم فسرها بمعنى الكثره و ازدحام بعضهم على بعض كترام التراب و الحجاره، إلا أن التفسير الأول هو الأنسب و الأشهر.

و لما كانت الأولويات تلاحظ فى تلك المحكمه العادله، فإن الآيه التاليه تقول: **ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (١)** و نبدأ بحسابهم أولا، فإنهم عتوا عتوا نسوا معه كل مواهب الله الرحمان، و جنحوا إلى التمرد و العصيان و إظهار الوقاحه أمام ولى نعمتهم! أجل، إن هؤلاء أحق من الجميع بالجحيم.

ثم تؤكد على هذا المعنى مره اخرى فتقول: **ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا** فسختار هؤلاء بدقه، و سوف لا يقع أى اشتباه فى هذا الإختيار.

(صلى) مصدر يعطى معنى إشعال النار و إيقادها، كما يعنى حرق الشئ بالنار.

ص: ٤٨٧

---

١ - ١) - «الشيعة» فى الأصل بمعنى الجماعه التى يتعاون أفرادها للقيام بعمل ما، و انتخاب هذا التعبير فى الآيه يمكن أن يكون إشاره إلى أن العتاه المرده و الضالين الكافرين كانوا يتعاونون فى طريق الطغيان، و نحن سنحاسب هؤلاء أولا، لأنهم أكثر تمردا و عصيانا من الجميع.

اشاره

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)

التفسير

اشاره

الجميع يردون جهنم!

تستمر الآيات في بحث خصائص القيامة و الثواب و العقاب، و أشارت في البدايه إلى مسأله يثير سماعها الحيره و العجب لدى أغلب الناس، فتقول: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا فجميع الناس سيدخلون جهنم بدون استثناء لأنه أمر حتمي.

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا

فتتركهم فيها جالسين على الركب من الضعف و الذل.

و هناك بحث مفصل بين المفسرين في تفسير هاتين الآيتين حول المراد من «الورود» في جملة وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا .

فيرى بعض المفسرين أن «الورود» هنا بمعنى الاقتراب و الإشراف، أى إن جميع الناس بدون استثناء-المحسن منهم و المسيء- يأتون إلى جانب جهنم للحساب، أو لمشاهده مصير المسيئين النهائي، ثم ينجى الله المتقين، و يدع

الظالمين فيها. وقد استدل هؤلاء لدعم هذا التفسير بالآية (٢٣) من سورة القصص: **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَدِينًا..** حيث أن للورود هنا نفس المعنى.

والتفسير الثاني الذي اختاره أكثر المفسرين، هو أن الورود هنا بمعنى الدخول، وعلى هذا الأساس فإن كل الناس بدون استثناء- محسنهم و مسيئهم- يدخلون جهنم، إلا أنها ستكون بردا و سلاما على المحسنين، كحال نار نمرود على إبراهيم **يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**، لأن النار ليست من سنخ هؤلاء الصالحين، فقد تفر منهم و تباعد عنهم، إلا- أنها تناسب الجهنميين فهم بالنسبة للجحيم كالمادة القابلة للاشتعال، فما أن تمسهم النار حتى يشتعلوا.

و بغض النظر عن فلسفه هذا العمل، و التي سنشرحها فيما بعد- إن شاء الله تعالى- فإن مما لا شك في أن ظاهر الآية يلائم و ينسجم مع التفسير الثاني، لأن المعنى الأصلي للورود هو الدخول، و غيره يحتاج إلى قرينه. إضافة إلى أن جملة **ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا** و كذلك جملة **وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا** كلتاهما شاهدتان على هذا المعنى. علاوة على الروايات المتعدده الواصلة إلينا في تفسير الآية التي تؤيد هذا المعنى، و من جملتها:

روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن رجلا سأله عن هذه الآية، فأشار جابر بإصبعه إلى أذنيه و قال: صمنا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول:

«الورود الدخول، لا يبقى بر و لا فاجر إلا يدخلها، فتكون على المؤمنين بردا و سلاما كما كانت على إبراهيم، حتى أن للنار- أو قال لجهنم- ضجيجا من بردها، ثم ينجي الله الذين اتقوا و يذر الظالمين فيها جثيا» (١).

و

في حديث آخر عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي» (٢)!

ص: ٤٨٩

١- ١) -نور الثقلين، الجزء ٣، ص ٣٥٣.

٢- ٢) -المصدر السابق.

و يستفاد هذا المعنى أيضا من بعض الروايات الأخرى. وكذلك التعبير العميق المعنى للصراط، و الذى ورد فى روايات متعددة بأنه جسر على جهنم، و أنه أدق من الشعره و أحد من السيف، هذا التعبير شاهد آخر على هذا التفسير (١).

أمّا ما يقوله البعض من أن الآية (١٠١) من سورة الأنبياء: **أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** دليل على التفسير الأوّل، فلا يبدو صحيحا، لأن هذه الآية مرتبطة بمحل إقامه و مقر المؤمنين الدائمى، حتى أننا نقرأ فى الآية التالیه لهذه الآية:

لَا يَشْمَعُونَ حَسِيْسَهَا **فَإِذَا كَانَ الْوَرُودُ فِي آيَةِ الْبَحْثِ بِمَعْنَى الْاِقْتِرَابِ، فَهِيَ غَيْرُ مَنَاسِبَةٍ لِكَلِمَةِ مُبْعَدُونَ** و لا لجملة **لَا يَشْمَعُونَ حَسِيْسَهَا**.

### جواب عن سؤال:

السؤال الوحيد الذى يبقى هنا، هو: ما هى الحكمة هذا العمل؟ و هل أن المؤمنين لا يرون أذى و لا عذابا من هذا العمل؟ إن الإجابة على هذا السؤال-التي وردت فى الروايات حول كلا الشقين- ستوضح بقليل من الدقه.

إنّ مشاهدته جهنم و عذابها فى الحقيقه، ستكون مقدمه لكى يلتذ المؤمنون بنعم الجنه بأعلى مراتب اللذه، لأن أحدا لا يعرف قدر العافيه حتى يبتلى بمصيبه (و بضدها تتمايز الأشياء) فهناك لا يبتلى المؤمنون بمصيبه، بل يشاهدون المصيبه على المسرح فقط، و كما قرأنا فى الروايات السابقه، فإنّ النار تصبح بردا و سلاما على هؤلاء، و يطغى نورهم على نورها و يخمده.

إضافه إلى أنّ هؤلاء يمرون على النار بكل سرعه بحيث لا يرى عليهم أذى، كما

روى النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال فى حديث: «يرد الناس ثم يصدون بأعمالهم،

ص: ٤٩٠

١-١) -تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٥٧٢ ذيل آيه **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ الْفَجْرِ**، ١٤.

فأولهم كلمع البرق، ثم كمر الريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه» (١).

و إذا تجاوزنا ذلك، فإنّ أهل النَّار أيضا سيلقون عذابا أشد من رؤيه هذا المشهد، و أن أهل الجَنَّة يمرون بتلك السرعة و هم يبقون في النَّار، و بهذا سيُضح جواب كلا السؤالين.

ص: ٤٩١

---

١-١) -نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٥٣.

اشاره

وَ إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣) وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَ رِيًّا (٧٤) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مِدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَ إِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أضعفُ جُنْدًا (٧٥) وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَ الْبَاطِلَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ مَرَدًّا (٧٦)

التفسير

هذه الآيات تتابع ما مر في الآيات السابقة في الحديث عن الظالمين الذين لا إيمان لهم، و تتعرض لجانب آخر من منطق هؤلاء الظالمين و مصيرهم.

و من المعلوم أنّ أول جماعه آمنت بالرّسول الأعظم صلّى الله عليه و آله و سلّم كانوا من المستضعفين الطاهري القلوب، و الذين خلت أيديهم من مال الدنيا و مغرياتها..

هؤلاء المحرومون هم الذين جاءت الأديان الإلهيه من أجل إنقاذهم من قبضه

الظالمين الجائرين بلال و سلمان، و عمار، و خباب، و سميه، و أمثالهم مصاديق بارزه لهؤلاء المؤمنين المظلومين.

و لما كان المعيار فى المجتمع الجاهلى فى ذلك الزمان- و كذا فى كل مجتمع جاهلى آخر- هو الذهب و الزينه و المال و المقام و المنصب و الهيئه الظاهريه، فكان الأثرياء الظالمون، كالنضر بن الحارث و أمثاله يفتخرون على المؤمنين الفقراء بذلك و يقولون: إن علامه شخصيتنا معنا، و علامه عدم شخصيتكم فقركم و محروميتكم، و هذا بنفسه دليل على أحقيتنا و باطلكم! كما يقول القرآن الكريم فى أول آيه من الآيات مورد البحث: وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا .

خاصه و أننا نقرأ فى الروايات الإسلاميه أن هؤلاء الأشراف المترفين كانوا يلبسون أجمل ملابسهم، و يتزينون بأبهى زينه، و يتبخرون أمام أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و كانوا ينظرون إليهم نظره تحقير و استهزاء.. نعم، هذه طريقه هذه الطبقة فى كل عصر و زمان.

«الندى» أخذت فى الأصل من (الندى) أى الرطوبه، ثم جاءت بمعنى الأفراد الفصحاء و الخطباء، لأن أحد شروط القدره على التكلم امتلاك القدر الكافى من اللعاب، و لذلك فإن (ندى) تعنى المجالسه و التحدث، بل يقال للمجلس الذى يجتمعون فيه للأنس و السمر، أو يجلسون فيه للتشاور: نادى، و من هذا أخذت (دار الندوه) و هى المحل الذى كان فى مكه، و كان يجتمع فيه زعماءؤها للتشاور.

و قد يعبر عن السخاء و البذل و العطاء ب(الندى) (1) و هذه الآيه يمكن أن تكون إشاره إلى كل هذه المعانى، أى: إن مجلس أنسنا أجمل من مجلسكم، و إن مالنا و ثروتنا و زينتنا و لباسنا أبهى و أروع، و إن كلامنا و أشعارنا الفصيحه و البليغه

ص: ٤٩٣



أبلغ و أحسن! إلا- أن القرآن الكريم يجيب هؤلاء بجواب منطقي و مستدل تماما،و في الوقت نفسه قاطع و مفحم،فيقول: كأن هؤلاء قد نسوا تاريخ البشر،و لم ينظروا كم دمرنا من الأقسام السابقين عند تمردهم و عصيانهم: وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَ رِغْيًا (١) فهل استطاعت أموالهم و ثروتهم،و مجالسهم الفاسقه،و ملابسهم الفاخره،و صورهم الجميله أن تمنع العذاب الإلهي و تقف أمامه؟و إذا كانت هذه الأمور دليلا- على شخصيتهم و منزلتهم عند الله،فلما ذا ابتلوا بهذا المصير المشؤوم؟ إن زخارف الدنيا و بهارجها مترزله إلى حد أنها تتلاشى و تزول بمجرد أن يهب عليها أدنى نسيم هادئ.

«القرن»- كما قلنا سابقا في ما مرّ في ذيل الآية(٦) من سورة الأنعام- تعنى عادة الزمان الطويل،لكن لما كانت قد أخذت من ماده الاقتران،أى الاقتراب، فإنها تقال أيضا للقوم و الأناس المجتمعين في زمان واحد.

ثم تحذره تحذيرا آخر، بأن لا- تظنوا أيها الظالمون الكافرون أن مالكم و ثروتكم هذه رحمه،بل كثيرا ما تكون دليلا على العذاب الإلهي: قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا. حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ إِي إِمَّا الْعَذَابَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا،وَ إِمَّا عَذَابَ الْآخِرَةِ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أضعفُ جُنْدًا .

في الحقيقه،إن مثل هؤلاء الأفراد الذين لا- يمكن هدايتهم(و الملاحظ أن القرآن يقول: مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ وَ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الاستمرار في الضلال)من

ص: ٤٩٤

أجل أن يروا العقاب الإلهي الشديد، فإنَّ الله سبحانه يجعلهم أحيانا يغوصون و يغرقون في النعم لتصبح سببا لغرورهم، كما تكون سببا لنزول العذاب عليهم، فإنَّ سلب النعم عنهم حينئذ سيجعل لوعه العذاب أشد. وهذا هو ما ذكر في بعض آيات القرآن بعنوان عقاب «الاستدراج» (١).

جملة فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا و إن كانت بصيغه الأمر، إلاَّ أنَّها بمعنى الخبر، فمعناها: إنَّ الله يمهل هؤلاء و يديهم عليهم النعم.

و قد فسرها بعض المفسرين بنفس معنى الأمر أيضا، و أنه يعنى هنا اللعنه، أو وجوب مثل هذا العمل و المعامله على الله. إلاَّ أنَّ التفسير الأوَّل يبدو هو الأقرب.

و كلمه (العذاب) بقرينه وقوعها في مقابل (الساعه) فإنَّها إشاره إلى العقوبات الإلهيه في عالم الدنيا، عقوبات كطوفان نوح، و الزلزله، و الحجاره السماويه التي نزلت على قوم لوط. أو العقوبات التي أصيبوا بها على يد المؤمنين و المقاتلين في جهات الحق، كما نقرأ في الآية (١٤) من سوره التوبه: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ .

«الساعه» هنا إما بمعنى نهايه الدنيا، أو العذاب الإلهي في القيامة. و يبدو لنا أن المعنى الثاني هو الأنسب.

هذه عاقبه و مصير الظالمين المخدوعين بزخرف الدنيا و زبرجها، أما أولئك الذين آمنوا و اهتدوا، فإنَّ الله يزيدهم هدى و إيمانا وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى .

من البديهي أن للهدايه درجات، فإذا طوى الإنسان درجاتها الأولى فإنَّ الله يأخذه بيده و يرفعه إلى درجات أعلى، و كما أنَّ الشجره المثمره تقطع كل يوم

ص: ٤٩٥

مرحله جديده إلى التكامل و الإيناع،فكذلك المهتدون يرتقون كل يوم مراق أعلى فى ظل الإيمان و الأعمال الصالحه التى يعملونها.

و فى النهايه تجيب الآيه هؤلاء الذين اعتمدوا على زينه الدنيا السريعه الزوال،و جعلوها وسيله للتفاخر على الآخرين،فتقول: وَ الْبَالِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ مَرَدًّا (١).

ص: ٤٩٦

---

١-١) -«مردّ»-على وزن نمّد بتشديد الدال-إمّا مصدر بمعنى الرّد و الإرجاع،أو اسم مكان بمعنى محل الرجوع، و المراد منه هنا الجنّه،إلّا أنّ الاحتمال الأول أوفق لمعنى الآيه.

اشاره

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَزَّهَتْهُ مَّا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)

التفسير

اشاره

تفكير خرافي و منحرف:

يعتقد بعض الناس أنّ الإيمان و الطهاره و التقوى لا- تناسبهم، و أنّها السبب في أن تدبر الدنيا عنهم، أمّا إذا خرجوا من دائره الإيمان و التقوى فإنّ الدنيا ستقبل عليهم، و تزيد ثروتهم و أموالهم! إنّ هذا النوع من التفكير، سواء كان نابعا من البساطه و اتباع الخرافات، أو أنّه غطاء و تستر للفرار من تحمل المسؤوليات و التعهدات الإلهيه، فهو تفكير خاطئ و خطير.

لقد رأينا عبده الأوهام هؤلاء يجعلون أحيانا من كثره أموال و ثروات

الأفراد غير المؤمنين، و فقر و حرمان جماعه من المؤمنين، دليلا لإثبات هذه الخرفه، فى حين أنه لا الأموال التى تصل إلى الإنسان عن طريق الظلم و الكفر و ترك أسس التقوى تبعث على الفخر، و لا- الإيمان و التقوى يكونان سدا و مانعا فى طريق النشاطات المشروعه و المباحه مطلقا.

على كل حال، فقد كان فى عصر النبى- و كذلك فى عصرنا- أفراد جاهلون يظنون هذه الظنون و الأوهام، أو كانوا يتظاهرون بها على الأقل، فيتحدث القرآن- كمواصله للبحث الذى بينه سابقا حول مصير الكفار و الظالمين- فى الآيات مورد البحث عن طريقه التفكير هذه و عاقبتها، فيقول فى أول آيه من هذه الآيات:

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا

(١)

ثم يجيبهم القرآن الكريم: أَطَّلَعَ الْغَيْبِ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا فَإِنَّ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَكَهَّنَ بِمِثْلِ هَذَا التَّكْهَنِ، و يقول بوجود علاقته بين الكفر و الغنى و امتلاك الأموال و الأولاد، مطلع على الغيب، لأننا لا نرى أى علاقته بين هاتين المسألتين، أو يكون قد أخذ عهدا من الله سبحانه، و هذا الكلام أيضا لا معنى له.

ثم يضيف بلهجه حاده: إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ، و لا يمكن أن يكون الكفر أساسا لزيادة مال و ولد أحد مطلقا: كَلَّا سَيَنْكُتُبُ مَا يَقُولُ .

أجل، فإن هذا الكلام الذى لا أساس له قد يكون سببا فى انحراف بعض البسطاء، و سيثبت كل ذلك فى صحيفه أعمال هؤلاء وَ نُمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا .

هذه الجملة قد تكون إشارة إلى العذاب المستمر الخالد، كما يحتمل أيضا أن

ص: ٤٩٨

١- ١) -نقل بعض المفسرين سببا لنزول الآيه و هو: إن أحد المؤمنين- و اسمه خباب- كان يطلب أحد المشركين- و اسمه العاص بن وائل، فقال المدين مستهزئا: إذا وجدت مالا و ولدا فى عالم الآخرة فسأؤدى دينك. إلا أن سبب النزول هذا لا يناسب الآيه التى نبحتها ظاهرا، خاصه و أن الكلام عن الولد هنا، و نحن نعلم أن الولد فى عالم الآخرة غير مطروح للبحث. إضافة إلى أن الآيات التالية تقول بصراحه: نَرِثُهُ مَا يَقُولُ و يتضح من هذا التعبير أن المقصود أموال الدنيا لا الأموال فى الآخرة. و على كل حال، فإن جماعه من المفسرين اعتبروا هذه الآيه- بناء على سبب النزول هذا- إشارة إلى الآخرة، إلا أن الحق ما قيل.

تكون إشاره إلى العقوبات التي تحيط بهم في هذه الدنيا نتيجة للكفر و عدم الإيمان. و يحتمل أيضا أن هذه الأموال و الأولاد التي هي أساس الغرور و الضلال هي بنفسها عذاب مستمر لهؤلاء! وَ نَرْتُهُ مَا يَقُولُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَ يَأْتِينَا فَرْدًا .

نعم،إنه سياترك في النهايه كل هذه الإمكانيات و الأملاك الماديه و يرحل، و يحضر في محكمه العدل الإلهيه بأيد خاليه،و في الوقت الذي اسودت فيه صحيفه أعماله من الذنوب و المعاصي،و خلت من الحسنات..هناك،حيث يرى نتيجة أقواله الجوفاء في دار الدنيا.

و تشير الآيه التاليه إلى علّه أخرى في عباده هؤلاء الأفراد للأصنام،فتقول:

وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا

و ليشفعوا لهم عند الله،و يعينوهم في حل مشاكلهم،لكن،أى ظن خاطئ و خيال ساذج هذا؟! ليس الأمر كما يظن هؤلاء، أبدا،فليست الأصنام سوف لا تكون لهم عزّا و حسب،بل ستكون منبعا لذلتهم و عذابهم، و لهذا فإنهم سوف ينكرون عبادتهم لها في يوم القيامة: كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا .

إن هذه الجملة إشاره إلى نفس ذلك المطلب الذي نقرؤه في الآيه(١٤) من سوره فاطر: وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ... وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ .و كذلك ما نلاحظه في الآيه(٦) من سوره الأحقاف: وَ إِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً .

و قد احتمل بعض كبار المفسرين أن المراد من الآيه:إن عبده الأصنام عند ما ترفع الحجب في القيامة،و تتضح كل الحقائق،و يرون أنفسهم قد فضحوا و خزوا، فإنهم ينكرون عباده الأصنام،و سيقفون ضدها،كما نقرأ ذلك في الآيه(٢٣) من سوره الأنعام: وَ اللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ .

إلا أن التفسير الأول أنسب مع ظاهر الآيه،لأن عباد الأصنام كانوا يريدون

أن تكون آلهتهم و معبوداتهم عزاً لهم، إلا أنهم يصبحون ضدها فى النهايه.

و من الطبيعى أن تكلم المعبودات التى لها عقل و إدراك كالملائكه و الشياطين و الجن واضح و معلوم، إلا أن الآلهه الميته التى لا روح لها، من الممكن أن تتكلم بإذن الله و تعلن تنفرها و اشمئزازها من عبادتها و من الممكن أن يستفاد هذا التفسير من

حديث مروي عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال فى تفسير هذه الآيه: يكون هؤلاء الذين اتخدوهم آلهه من دون الله ضدا يوم القيامة و يتبرءون منهم و من عبادتهم إلى يوم القيامة.

و الجميل فى الأمر أننا نقرأ فى ذيل الحديث جمله قصيره عميقه المحتوى حول العباده: ليس العباده هى السجود و لا الركوع، و إنما هى طاعه الرجال، من أطاع مخلوقا فى معصيه الخالق فقد عبده» (1).

ص: ٥٠٠

---

١-١) - نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٥٧.

اشاره

أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا (٨٦) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧)

التفسير

اشاره

من هم الذين لهم أهليه الشفاعه؟

بملاحظه البحث فى الآيات السابقه الذى كان حول المشركين، فإنّ البحث فى هذه الآيات، إشاره إلى بعض علل انحراف هؤلاء، ثمّ تبين الآيات فى النهايه عاقبتهم المشؤومه، و تثبت هذه الحقيقه، و هى أنّ هذه الآلهه لم تكن سبب عزتهم بل أصبحت سبب ذلهم و شقائهم، فتقول أولاً: أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا .

«الأزّ» فى الأصل - كما يقول الراغب فى المفردات - يعنى غليان القدر، و تقلب محتواه عند شده غليانه، و هو هنا كناية عن مدى تسلط الشياطين على هؤلاء، بحيث أنّهم يوجهونهم بالصوره التى يريدونها، و فى المسير الذى



يشاءون، و يقلبونهم كيف يشتهون! و من البديهي - كما قلنا ذلك مرارا - أن تسلط الشياطين على بنى آدم ليس تسلطا إجباريا، بل إن الإنسان الذى يسمح للشياطين بالنفوذ إلى قلبه و روحه، هو الذى يطوق رقبتة بقيد العبودية لهم، و يقبل بطاعتهم، كما يقول القرآن فى الآية (١٠٠) من سورة النحل: **إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ**.

ثم يوجه القرآن المجيد الخطاب إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم فيقول: **فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا و سنسجل كل شىء لذلك اليوم الذى تشكل فيه محكمه العدل الإلهي**.

و هناك احتمال آخر فى تفسير الآية، و هو أن المراد من عدد أيام عمر - بل أنفاس - هؤلاء، أن مدته بقائهم قصيره و داخله تحت إمكان الحساب و العد، لأن حساب الشىء و عدّه كناية عاده عن قلته و قصره.

و نقرأ

فى روايه عن الإمام الصادق عليه السلام فى تفسير **إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا** أنه سأل أحد أصحابه، قال: «ما هو عندك؟» قال: عدد الأيام، قال: «إن الآباء و الأمهات يحصون ذلك، و لكنه عدد الأنفاس» (١).

إن تعبير الإمام هذا يمكن أن يكون إشاره إلى التفسير الأول، أو إلى التفسير الثانى، أو إلى كلا التفسيرين.

و على كل حال، فإن دقه محتوى هذه الآية يهز الإنسان، لأنها تثبت أن كل شىء - حتى أنفاسنا - خاضعه للحساب و العد، و يجب أن نجيب يوما على كل هذه الأشياء و الأعمال.

ثم تبين المسير النهائى للمتقين و المجرمين فى عبارات موجزه، فتقول: **إِنَّ كُلَّ هَذِهِ الْأَعْمَالِ جَمَعْنَاهَا و ادخَرْنَاهَا لَهُ: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا**.

ص: ٥٠٢

«الوفد»-على وزن وعد-فى الأصل بمعنى الجماعه الذين يذهبون إلى الكبار لحل مشاكلهم،و يكونون مورد احترام و تقدير،و على هذا فإنّ الكلمه تتضمن معنى الاحترام و التكریم،و ربّما كان ما نقرؤه فى بعض الروايات من أن المتقين يركبون مراكب سريعه السير،و يدخلون الجنه باحترام بالغ،لهذا السبب.

يقول الإمام الصادق عليه السّلام: «سأل على عليه السّلام رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عن تفسير قوله عزّ و جلّ: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا فَقَالَ: يا على،الوفد لا يكون إلا ركباناً،أولئك رجال اتقوا الله عزّ و جلّ،فأحبّهم و اختصهم و رضى أعمالهم فسّمّاهم المتقين» (١).

الملفت للنظر أنّنا نقرأ فى الآيه: أنّ المتقين يحشرون إلى الرحمن،فى حين أنّ الكلام فى الآيه التاليه عن سوق المجرمين إلى جهنم،و على هذا ألم يكن من المناسب أن يقال:(الجنه)هنا بدل(الرحمن)؟ إلاّ- أنّ هذا التعبير-فى الحقيقه-يشير إلى نكته مهمه،و هى أن المتقين يحصلون هناك على ما هو أسمى من الجنّه،فهم يقتربون من الله و تجلياته الخالصه،و يدركون رضاه الذى هو أسمى و أعلى من الجنّه.و تعبيرات الحديث الذى قرأناه من قبل عن النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم تشير إلى هذا المعنى أيضا.

ثمّ تقول فى المقابل: وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا كَمَا تَسَاقُ الْإِبِلُ الْعَطَشَىٰ إِلَىٰ مَحَلِّ الْمَاءِ،إلاّ أنّه لا ماء هناك،بل نار جهنم.

ينبغى الالتفات إلى أن كلمه(ورد)تعنى مجموعه من البشر أو الحيوانات التى ترد المياه،و لما كان هؤلاء الجماعه عطاشى حتما،فإنّ المفسرين فسروا هذا التعبير هنا بأنهم يردونها عطاشى.

كم هو الفرق بين أولئك الذين يذهبون بهم إلى الرحمن بكل عزه و احترام، تهب الملائكه لاستقبالهم،و يحيوهم بالسلام، و بين أولئك الذين يساقون

ص: ٥٠٣

كالحوانات العطشى إلى نار جهنم، وهم مطأطئو الرؤوس، خجلون، مفتضحون و لا أهميه و لا قيمه لهم.

و إذا كانوا يتصورون أنهم يستطيعون الخلاص عن طريق الشفاعه، فإنهم يجب أن يعلموا أن هؤلاء الذين يرجونهم لا يملكون الشفاعه فلا أحد يشفع لهؤلاء، فمن طريق أولى أن لا يقدرُوا على الشفاعه لأحد إلا من اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا فهؤلاء هم الوحيدون الذين تنفعهم و تشملهم شفاعه الشافعين، أو أن مقامهم أعلى من هذه الرتبه أيضا، ولهم القدره و الصلاحيه لأن يشفعوا للعاصين الذين يستحقون الشفاعه.

### ما معنى العهد؟

لقد بحث المفسِّرون بحوثا كثيره فى المراد من العهد فى الآيه الشريفه التى تقول: لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا.

فقال بعضهم: إنَّ العهد هو الإيمان بالله، و الإقرار بوحدانيته، و تصديق أنبياء الله.

و قال البعض الآخر: إنَّ العهد هنا يعنى الشهاده بوحدانيه الحق تعالى، و البراءه ممن يعتقد بقدره غير الله، و كذلك لا يرجو الا الله تعالى.

و

عن الإمام الصادق عليه السَّلام أنه قال فى جواب سؤال أحد أصحابه عن تفسير هذه الآيه: «من دان بولايه أمير المؤمنين و الأئمه من بعده فهو العهد عند الله» (١).

و

فى روايه أخرى عن النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أنه قال: «من أدخل على مؤمن سرورا فقد سرنى، و من سرنى فقد اتَّخَذَ عِنْدَ اللهِ عهدا» (٢).

و

فى حديث آخر عن النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أنَّ المحافظه على العهد هى المحافظه

ص: ٥٠٤

١- ١) -نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٦٢.

٢- ٢) -الدر المنثور(حسب نقل الميزان فى ذيل الآيه مورد البحث).

و من تحقيق الروايات أعلاه، و التي وردت في المصادر الإسلامية المختلفه، و كذلك كلمات كبار المفسرين المسلمين، نحصل على هذه النتيجة، و هي أن للعهد عند الله- كما يستفاد ذلك من معناه اللغوي- معنى واسعاً جمع فيه كل نوع من أنواع الارتباط بالله و معرفته و طاعته، و كذلك الارتباط بمذهب أولياء الحق، و كل عمل صالح، و إن كان كل روايه قد أشارت إلى جانب من ذلك، أو إلى مصداق معين.

و لذلك نقرأ في حديث آخر ورد عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في بيان كيفية الوصيه، و قد جمعت فيه كل المسائل الاعتقاديه تقريباً، حيث

قال صلى الله عليه و آله و سلم:

«إذا حضرته- أي المسلم- الوفاه و اجتمع الناس إليه قال: اللهم فاطر السماوات و الأرض، عالم الغيب و الشهاده، الرحمن الرحيم، إني أعهد إليك في دار الدنيا، إني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، و أن محمداً عبدك و رسولك، و أن الجنة حق، و أن النار حق، و أن البعث حق، و الحساب حق، و القدر و الميزان حق، و أن الدين كما وصفت، و الإسلام كما شرعت، و أن القول كما حدثت، و أن القرآن كما أنزلت، و أنك أنت الله الحق المبين. جزى الله محمداً عنا خير الجزاء، و حيا الله محمداً و آله بالسلام.

اللهم يا عدتي عند كربتي، و يا صاحبي عند شدتي، و يا ولي نعمتي، إلهي و إله آبائي، لا تكلني إلى نفسي طرفه عين، فإنك إن تكلني إلى نفسي أقرب من الشر، و أبعد من الخير. و آنس في القبر و حشتي، و اجعل لي عهداً يوم ألقاك منشوراً. ثم يوصي بحاجته. و تصديق هذه الوصيه في سوره مريم في قوله:

ص: ٥٠٥

لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا

،فهذا عهد الميت و الوصيه حق...» (١).

و من البديهي أنّ المراد ليس هو قراءه أو كتابه هذه المطالب المذكوره أعلاه بالعرييه أو بغيرها من اللغات، بل المراد الإيمان بها من صميم القلب لتبدو آثاره واضحه في كل نشاطات حياه الإنسان.

ص: ٥٠٦

---

١- (١) -مجمع البيان، ذيل الآيه مورد البحث.

## اشاره

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَيْدًا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)

## التفسير

لما كان الكلام فى الآيات السابقه عن الشرك، و عاقبه عمل المشركين، فقد أشارت هذه الآيات فى نهايه البحث إلى فرع من فروع الشرك، أى الاعتقاد بوجود ولد لله سبحانه، و تبين مره أخرى قبح هذا الكلام بأشد و أحد بيان، فتقول:

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا

فليس المسيحيون لوحدهم كانوا يعتقدون بأن «المسيح» هو الابن الحقيقه لله سبحانه، بل إن اليهود كانوا يعتقدون أيضا مثل هذا الإعتقاد فى (عزير)، و كذلك عبده الأصنام فى (الملائكه) فكانوا يظنون أنها

عند ذلك قالت الآية بلهجه شديده: لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا و الإِدّ-على وزن ضد-معناه فى الأصل الصوت القبيح المضطرب الذى يصل الأذن نتيجة الاضطراب الشديد للأمواج الصوتيه فى حنجره البعير، ثم أطلق على الأعمال القبيحه و الموحشه جدا.

و لما كانت مثل هذه النسبه غير الصحيحه مخالفه لأصل التوحيد-لأنّ الله سبحانه لا شبيه له و لا مثيل، و لا حاجه له إلى الولد، و لا هو جسم و لا تعرض عليه العوارض الجسميه-فكأنّ كل عالم الوجود، الذى بنى على أساس التوحيد، قد اضطرب و تصدع إثر هذه النسبه الكاذبه، و لذلك تضيف الآية التاليه:

تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا

! و من أجل تأكيد و بيان أهميه الموضوع فإنها تقول: إن كل ذلك من أجل أن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا .

إنّ هؤلاء فى الحقيقه-لم يعرفوا الله قط، لأنه: وَ مَا يَتَّبِعِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَطْلُبُ الْوَلَدَ لَوَاحِدٍ مِنْ عَدَّةِ أَشْيَاءَ:

إمّا لأنّ عمره ينتهى فيحتاج لولد مثله يحمل صفاته لىبقى نسله و ذكره.

أو لأنه يطلب الصديق و الرفيق لأنّ قوته محدوده.

أو لأنه يستوحش من الوحده، فيبحث عن مؤنس لوحده.

أو لأنه يحتاج عند كبره و عجزه إلى مساعد و معين شاب.

لكن أيا من هذه المعانى لا ينطبق على الله سبحانه، و لا يصح، فلا قدرته محدوده، و لا حياته تنتهى، و لا يعتريه الضعف و الوهن، و لا يحس بالوحده و الحاجه، إضافة إلى أن امتلاك الولد دليل على الجسميه، و وجود الزوجه، و كل

هذه المعانى بعيدة عن ذاته المقدسه. و لذلك قالت الآيه الأخرى: **إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَذَابًا**، فمع أن كل العباد مطيعون له، وقد وضعوا أرواحهم و قلوبهم على الأ-كف طاعه لأمره، فهو غير محتاج لطاعتهم، بل هم المحتاجون.

ثم تقول الآيه التاليه: **لَقَدْ أَخْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا** أى لا تتصور بأن محاسبه كل هؤلاء العباد غير ممكن، و عسير عليه سبحانه، فإن علمه واسع إلى الحد الذى ليس يحصى عدد هؤلاء و حسب، بل إنه عالم و مطلع على كل خصوصياتهم، فلا هم يستطيعون الفرار من حكومته، و لا يخفى عليه شىء من أعمالهم.

**وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**

و بناء على هذا فإن المسيح و عزير و الملائكه و كل البشر يشملهم حكمه و لا يستثنى منه أحد، و مع هذه الحال فما أقبح أن نعتقد و نقول بوجود ولد له، و كم ننقص من قدر ذاته المقدسه و نزلها من أوج العظمه و قمتها، و ننكر صفاته الجلاليه و الجماليه حينما ندعى أن له ولدا (1)

## ملاحظات

### إشارة

#### ١- إلى الآن يظنون أنه ابن الله!

إن ما قرأناه فى الآيات السابقه ينفى الولد عن الله بكل جزم و قطع، و إن هذه الآيات مرتبطه بزمان مرّ عليه أربعة عشر قرنا، فى حين أننا لا نزال نرى اليوم كثيرا من المسيحيين- و نحن فى عصر العلم- يعتقدون أن المسيح ابن الله، لا نبوه مجازيه، بل هو الابن الحقيقى! و إذا ما ذكر فى بعض الكتابات التى لها صفة التبشير، و كتبت بصوره خاصّه للأوساط الإسلاميه، إن هذا الابن ابن مجازى،

ص: ٥٠٩

---

(١- ١) - بحثنا حول نفي الولد عن الله فى الجزء الأول ذيل الآيه (١١٦) من سوره البقره، ذيل الآيه (٦٨) من سوره يونس.



فإنه لا يناسب و لا يوافق المتون الأصليه لكتبهم الاعتقاديه بأى وجه من الوجوه.

و لا ينحصر هذا الأمر فى كون المسيح عليه السلام أبنا، فإنهم فيما يتعلق بمسأله التثليث التى تعنى الأرباب الثلاثة(هى جزء من الإعتقادات الأساسيه لهم) و لما كان المسلمون يتنفرون من هذا الكلام الممتزج بالشرك، غيرّوا نبرتهم فى الأوساط الإسلاميه، و جهوا كلامهم بأنه نوع من التشبيه و المجاز. و من أجل زياده التوضيح راجع قاموس الكتاب المقدس فى شأن المسيح و الأقانيم الثلاثة.

## ٢- كيف تفنى السماوات و تتلاشى؟

ما قرأناه فى الآيه: **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَيْدًا إِمْيَا** أن يكون إشاره إلى أن مجموعه عالم الوجود-على أساس مفاهيم القرآن المجيد-تمتلك نوعا من الحياه و الإدراك و الشعور، و الآيات، كآيه (٧٤) من سوره البقره: **وَ إِنْ مِنْهَا لَمَّا يَغْبِطُ مِنْ خَشِيَةِ اللَّهِ، وَ الْآيَةِ (٢١) من سوره الحشر: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** شاهده على ذلك، فيكون المراد أن هذه النسبه غير الصحيحه إلى الساحة الإلهيه المقدسه، قد أرعبت و أقلقت كل العالم.

أو أن يكون كناية عن شده قبح هذا القول، و نظائر هذه الكنايه ليست قليله فى لسان العرب، و سنبحث-إن شاء الله تعالى-عن ذلك فى ذيل الآيات المناسبه.

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) فَإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧)  
وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا (٩٨)

التفسير

اشاره

الإيمان و المحبويه:

هذه الآيات الثلاث نهايه سوره مريم، و الكلام فيها أيضا عن المؤمنين، و الظالمين الكافرين، و عن القرآن و بشاراته و انذاراته، و هي -في الحقيقه- عصاره البحوث السابقه بملاحظات و نكات جديده.

تقول أولاً: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا .

لقد اعتبر بعض المفسرين هذه الآيه خاصه بأمر المؤمنين عليه السلام، و البعض اعتبرها شامله لكل المؤمنين.

و قال آخرون: إِنَّ المراد أَنَّ الله سبحانه يلقى محبه هؤلاء في قلوب أعدائهم، و تصبح هذه المحبه رباطا و لجاما في رقابهم تجرهم إلى الإيمان.

و ذهب البعض بأنها تعنى محبه المؤمنين بعضهم لبعض، و التي تكون سببا

فى قوتهم و زياده قدرتهم، و وحده كلمتهم.

و اعتبرها بعضهم إشاره إلى محبة المؤمنين و إختوتهم لبعضهم فى الآخرة، و قالوا: بأنّ هؤلاء سيعيشون نوعا من العلاقة فيما بينهم بحيث يكونون فى أعلى درجات السعادة و السرور.

غير أننا إذا فكرنا و تدبرنا بسعه نظر فى المفاهيم الواسعه للآيه، فسرى أن جميع هذه التفاسير قد جمعت فى معنى الآيه بدون أن تتضاد مع بعضها.

و النقطه الرئيسيه للآيه، هى أنّ للإيمان و العمل الصالح جاذبيه خارقه، فإنّ الإعتقاد بوحدانيه الله، و الإيمان بدعوه الأنبياء، و الذى يتجلى نوره فى روح الإنسان و فكره، و قوله و عمله، بصوره أخلاق إنسانيه عاليه، و كذلك يتجلى فى التقوى و الطهاره، و الصدق و الأمانه، و الشجاعه و الإيثار، فيها قوه مغناطيسيه عظيمه جاذبه و خاطفه.

و حتى الأفراد الملوثون، فإنّهم يرتاحون للطاهرين الصالحين، و يتنفرون من القذرين أمثالهم، و لذلك فإننا نراهم-مثلا- إذا أقدموا على الزواج فإنّهم يؤكّدون على توفر جانب العفه و الطاهره و الأمانه و الصدق فى الزوجه.

و هذا أمر طبيعى، و هو فى الحقيقه أوّل مكافأه يعطيها الله للمؤمنين و الصالحين فى هذه الدنيا و تصحبهم إلى عالم الآخره أيضا.

لقد رأينا بأم أعيننا كثيرا من هؤلاء الأتقياء عند ما يحين أجلهم و يرتحلون عن هذه الدنيا، فإنّ الناس يبكونهم، بالرغم من أنّهم لم يكن لهم منصب و لا مركز اجتماعى، و لكن الناس يشعرون يفقدتهم، و يعتبرون أنفسهم شركاء فى مصاب هؤلاء و عزائهم.

أمّا ما اعتقده البعض من أنّ ذلك فى شأن أمير المؤمنين عليه السّلام، و قد أشير إلى ذلك فى روايات عديده، فإنّ الدرجه العاليه و المرحله الساميه منه مختصه بإمام المتقين- و سنبحث بعض هذه الروايات مفصلا فى الملاحظات الآتيه- إلا أنّ هذا

لا- يكون مانعا من أن يذوق و يتمتع كل المؤمنون و الصالحون في المراتب الأخرى بطعم المحبّه هذا،و يحظون به لدى عامّة الناس،و أن يفوزوا بسهم من هذه المودّه الإلهيه.و سوف لا- يكون مانعا من أن يضمم الأعداء-أيضا-في داخلهم المحبّه و الاحترام تجاه هؤلاء.

و هناك نكته لطيفه نقرؤها

في حديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيْلَ، فَقَالَ: يَا جِبْرِيْلُ، إِنِّي أَحَبُّ فَلَانَا فَأَحْبِبْهُ، قَالَ: فَيَحْبِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ.»

و إن الله إذا أبغض عبدا دعا جبرئيل، فقال: يا جبرئيل، إنني أبغض فلانا فأبغضه، قال: فيبغضه جبرئيل، ثم ينادى في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال:

فيبغضه أهل السماء، ثم يوضع له البغضاء في الأرض» (١).

إنّ هذا الحديث العميق المحتوى يبيّن أن للإيمان و العمل الصالح نورا و ضياء بسعه عالم الوجود،و يعم نور المحبه الحاصل منهما كل أرجاء عالم الخلقه،و إن الذات الإلهيه المقدسه تحب أمثال هذا الفرد،فهم محبوبون عن كل أهل السماء،و تقذف هذه المحبّه في قلوب أهل الأرض.

حقا،أى لذه أكبر من أن يحس الإنسان بأنّه محبوب من قبل كل الطاهرين و الصالحين في عالم الوجود؟و أى عذاب أشد من أن يشعر الإنسان بأن الأرض و السماء و الملائكه و المؤمنين جميعا متنفرون و مشمئزون منه؟! ثم تشير الآيه التاليه إلى القرآن الذى هو منبع و مصدر تنميه الإيمان و العمل الصالح،فتقول: فَإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا .

«اللّد»-بضم اللام و تشديد الدال-جمع اللدّ-على وزن معدّ-بمعنى العدو

ص: ٥١٣

١- ١) -لقد ورد هذا الحديث في كثير من المصادر الحديثيه المعروفه،و كذلك في كثير من كتب التفسير،إلا أنّنا اخترنا المتن الذى نقل في تفسير(في ظلال القرآن)،ج ٥،ص ٢٥٤ عن أحمد و مسلم و البخارى.

الشديد العداوه، وتطلق على المتعصب العنود في عداوته، ولا منطق له.

وتقول الآيه الأخيره كتهديه لخاطر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، وتسليه لهم، خاصه مع ملاحظه أن هذه السوره نزلت في مكه، وكان المسلمون يومذاك تحت ضغط شديد جدا. وكذلك تقول بنبره التهديد والتحذير لكل الأعداء اللجوجين العنودين: وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا.

«الركز» بمعنى الصوت الهاديء، ويقال للأشياء التي يخفونها تحت الأرض:

«ركاز»، أى إن هؤلاء الأقوام الظالمين، وأعداء الحق والحقيقه المتعصبين، قد تم تدميرهم وسيحقهم الى حد لا يسمع صوت خفى منهم.

## بحثان

## أشاره

### ١- محبه على عليه السلام فى قلوب المؤمنين

لقد صدرت روايات عديده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى سبب نزول قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا فى كثير من كتب الحديث و تفسير السنه و الشيعه، وهى تبين أن هذه الآيه نزلت لأول مره فى حق على عليه السلام، و من جمله من يمكن ذكرهم: العلامة الزمخشري فى الكشاف، و سبط ابن الجوزى فى التذكرة، و الكنجى الشافعى، و القرطبى فى تفسيره المشهور، و محب الدين الطبرى فى ذخائر العقبى، و النيسابورى فى تفسيره المعروف، و ابن الصباغ المالكى فى الفصول المهمه، و السيوطى فى الدر المنثور، و الهيثمى فى الصواعق المحرقة، و الآلوسى فى روح المعانى. و من جمله الأحاديث:

-١

يروى الثعلبى فى تفسيره عن البراء بن عازب: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى عليه السلام: «قل: اللهم اجعل لى عندك عهدا، و اجعل لى فى قلوب المؤمنين موده»،

ص: ٥١٤

فأنزل الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (١).

وقد وردت نفس هذه العبارة باختلاف يسير في كثير من الكتب الأخرى.

٢- وقد نقل عن ابن عباس-في كثير من المصادر الإسلامية-أنه قال:

نزلت في علي بن أبي طالب: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا قال: محبه في قلوب المؤمنين (٢).

٣- روى في كتاب «الصواعق» عن محمد بن الحنفية في تفسير هذه الآية:

لا يبقى مؤمن إلا و في قلبه ودّ لعلی و لأهل بيته (٣).

٤- و ربما روى لهذا السبب

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام نفسه في روايه صحيحه معتبره أنه قال: «لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا علي أن يبغضني ما أبغضني، و لو صببت الدنيا بجمااتها على المنافق علي أن يحبني ما أحبني، و ذلك أنه قضى فانقضى علي لسان النبي الأُمى أنه قال: لا يبغضك مؤمن، و لا يحبك منافق» (٤).

٥- و نقراً

في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «و دعا رسول الله لأمير المؤمنين في آخر صلاته، رافعا بها صوته لسمع الناس: «اللهم هب لعلی الموده في صدور المؤمنين، و الهييه و العظمه في صدور المنافقين، فأنزل الله: إن الذين آمنوا...» الآية (٥).

علي كل حال- و كما قلنا في تفسير الآيات أعلاه- فإن نزول هذه الآية في

ص: ٥١٥

١- ١) -نقلا عن إحقاق الحق، الجزء ٣، ص ٨٣-٨٦.

٢- ٢) -المصدر السابق.

٣- ٣) -المصدر السابق.

٤- ٤) -روح المعاني الجزء ١٦، ص ١٣٠، و مجمع البيان الجزء ٦، ص ٥٣٣، و كذلك نهج البلاغه، الكلمات القصار، الكلمه ٤٥.

٥- ٥) -نور الثقلين، الجزء ٣، ص ٣٦٣.

على عليه السلام لأنه المصدق الأتم والأكمل، ولا يمنع من تعميمها في شأن كل المؤمنين على اختلاف المراتب.

## ٢- تفسير جملة: يَسْرِنَاهُ بِلسَانِكَ .

«يَسْرِنَاهُ» من ماده التيسير، أى التسهيل، والله سبحانه يقول: فَإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا، فيمكن أن يكون هذا التسهيل من جوانب مختلفه:

١- من جهة أن القرآن عربى فصيح، عذب سلس العبارة، وله نغمه تفرح القلب، وتلاوته سهله على اللسان.

٢- من جهة أن سبحانه قد سلط نبئه و مكنه من آيات القرآن، بحيث كان يستفيد منها بكل بساطه فى كل مكان، و لحل أية مشكله، و كان يتلوها دائما على المؤمنين، و بلا انقطاع.

٣- من جهة المحتوى، برغم عمق معانيه و كثره ما يستنبط منه، فإن إدراكه سهل و بسيط فى الوقت نفسه، و لا ريب أن كل هذه الحقائق الكبيره و المهمه التى صبت فى قالب هذه الألفاظ المحدوده، سهله الإدراك، و هى بذاتها دليل على إعجاز القرآن. و قد تكررت هذه الجملة فى عدة آيات من سوره القمر: وَ لَقَدْ يَسْرِنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ .

إلهنا، نور قلوبنا بنور الإيمان، و وجودنا بنور العمل الصالح، و اجعلنا من محبى المؤمنين و الصالحين، و خاصه إمام المتقين، و أمير المؤمنين على عليه السلام، و ألق محبتنا فى قلوب كل المؤمنين.

اللهم، اجمع شمل مجتمعنا الإسلامى الكبير الذى وقع فى قبضه «الأعداء» مع كل ماله من كثره العدد وسعه الإمكانيات الماديه و المعنويه- و الضعف و العجز

الذى اعتراه نتيجة تبعثر و تفرقه الصفوف...اللهم ألف شمله و اجمعه حول مشعل الإيمان و العمل الصالح.

ربّنا، كما أهلكت الجبارين المتمردين السابقين حتى لا يسمع لهم حس و لا صوت، فامح جباره زماننا أيضا، و ادفع شرهم عن المستضعفين، و منّ بالنصر النهائى على المؤمنين فى ثورتهم ضد المستكبرين.

آمين يا رب العالمين

ص: ٥١٧





سوره طه مکيه و عدد آياتها مائه و خمس و ثلاثون آيه

ص: ۵۱۹



وردت روايات عديده حول عظمه و أهميه هذه السوره فى المصادر الإسلاميه.

فعلن النبى الأكرم الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى قرأ طه و يس قبل أن يخلق آدم بألفى عام، فلما سمعت الملائكه القرآن قالوا: طوبى لأمة ينزل هذا عليها، و طوبى لأجواف تحمل هذا، و طوبى لألسن تكلم بهذا» (١).

و

فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تدعوا قراءه سوره طه، فإن الله يحبها، و يحب من قرأها، و من أدمن قراءتها أعطاه الله يوم القيامة كتابه بيمينه، و لم يحاسبه بما عمل فى الإسلام، و أعطى فى الآخرة من الأجر حتى يرضى» (٢).

و

فى حديث آخر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأها أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين و الأنصار» (٣).

و نرى من اللازم أن نكرر هذه الحقيقه، و هى أن كل هذه المكافئات و الهبات العظيمه التى وصلت إلينا عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم و الأئمه عليهم السلام مقابل تلاوه سور القرآن، لا تعنى و لا تريد أن كل هذه النتائج تعود على الإنسان بالتلاوه فقط، بل المراد أن

ص: ٥٢١

١-١ - مجمع البيان، الجزء ٧، ص ١.

٢-٢ - تفسير النور الثقلين، الجزء ٣، ص ٣٦٧.

٣-٣ - مجمع البيان، ج ٧، ص ١.

تكون التلاوه مقدمه للتفكر و التدبر،التفكر الذى تتجلى آثاره فى كل أعمال و أقوال الإنسان،و إذا أخذنا المحتوى الإجمالى لهذه السوره بنظر الإعتبار،فإننا سنرى أنّ للزوايات تناسباً كاملاً مع محتوى هذه السوره.

## محتوى السوره

إنّ سوره (طه) برأى جميع المفسّرين نزلت فى مكّه،و أكثر ما يتحدث محتواها عن المبدأ و المعاد كسائر السور المكيه،و يذكر نتائج التوحيد و تعاسات الشرك.

فى القسم الأوّل،تشير هذه السوره إشاره قصيره إلى عظمه القرآن،و بعض صفات الله الجليله و الجماليه.

أمّا قسم الثانى الذى يتضمّن أكثر من ثمانين آيه-فيتحدث عن قصه موسى عليه السّلام،من حين بعثته،إلى نهوضه لمقارعه فرعون الجبار و أعوانه،إلى مواجهه السحره و إيمانهم.ثمّ إغراق الله فرعون و أتباعه بصوره إعجازيه،و نجاه موسى و الذين آمنوا به.

ثمّ تبين حادثه عباده بنى إسرائيل للعجل،و المواجهه بين هارون و موسى و بين بنى إسرائيل.

و فى القسم الثالث جاءت بعض المسائل حول المعاد،و جانب من خصوصيات القيامة.

و فى القسم الرّابع الحديث عن القرآن و عظمته.

و فى القسم الخامس تصف الآيات قصّه آدم و حواء فى الجنّه،ثمّ حادثه وسوسه إبليس،و أخيراً هبوطهما إلى الأرض.

و فى القسم الأخير،تبين السوره المواعظ و النصائح،لكل المؤمنين،مع توجيه الخطاب فى كثير من الآيات إلى نبي الإسلام صلّى الله عليه و آله و سلّم.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى (٣) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨)

سبب النزول

وردت روايات كثيره فى سبب نزول الآيات الأولى من هذه السوره، يستفاد من مجموعها أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول الوحي و القرآن كان يعبد الله كثيرا، و خاصه أنه كان يكثر القيام و الوقوف فى العباده حتى تورمت قدماه، و كان من شدّه التعب أحيانا يستند فى وقوفه على إحدى قدميه، ثم يستند على الأخرى حيناً آخر، و حيناً على كعب قدمه، و آخر على أصابع رجله (١)، فنزلت الآيات المذكوره و أمرت النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يحمل نفسه كل هذا التعب و المشقه.

ص: ٥٢٣

١- ١) - لمزيد الاطلاع على هذه الروايات، راجع: تفسير نور الثقلين، و الدر المنثور، بدايه سوره طه.

## لا تجهد نفسك إلى هذا الحد:

مرّه أخرى نواجه الحروف المقطعه في بدايه هذه السوره، و التي تثير حبّ الاستطاع لدى الإنسان:

لقد بحثنا في تفسير الحروف المقطعه في القرآن في بدايه ثلاث سور بحثا كافيا (١)، غير أننا نرى أن من اللازم أن نضيف هنا هذا المبحث، و هو أن من الممكن أن يكون لكل هذه الحروف المقطعه -أو على الأقل لقسم منها- معان و مفاهيم خاصه، تماما كالكلمه الواحده التي تتضمن محتوى معيناً.

إننا نلاقى في كثير من الروايات و كلمات المفسرين في بدايه هذه السوره و سورته «يس» هذا البحث، و هو أن «طه» تعنى: يا رجل، و نرى كلمه «طه» في بعض شعر العرب أيضاً، و لها معنى شبيه ب(يا رجل) أو قريب منه، و يمكن أن تعود هذه الأشعار إلى بدايه ظهور الإسلام، أو إلى ما قبل الإسلام (٢).

و قد نقل لنا أحد المطلعين أن بعض علماء الغرب الملمين بالدراسات الإسلاميه، يعممون هذه النظرية على كل الحروف المقطعه في القرآن، و يعتقدون أن الحروف المقطعه في بدايه كل سورته هي كلمه لها معنى خاص، أصبح بعضها متروكاً مع مرور الزمن، و وصل إلينا البعض، و إلا فإنّ من المستبعد أن مشركى العرب يسمعون الحروف المقطعه و لا يفهمون منها شيئاً، و لا يدركون لها معنى، ثمّ لا نراهم يسخرون و لا يستهزئون منها، في حين أنه لا يرى و لا يلاحظ في أى من التواريخ أنّ هؤلاء الحمقى المتتبعين للعيوب و الهفوات قد اتخذوا الحروف المقطعه و سيله للقيام بردود فعل ضدها و ضد الإسلام.

و طبعا من الصعب قبول هذا الرأى بصوره عامه، و بالنسبه إلى كل حروف

ص: ٥٢٤

١-١) -بدايه سورته البقره و آل عمران و الأعراف من التفسير الأمثل.

٢-٢) -تفسير مجمع البيان، ذيل الآيه مورد البحث.

القرآن المقطعه، إلا أنه يمكن قبوله في البعض منها، وقد بحث هذا الموضوع أيضا في الكتب الإسلامية.

و مما يلفت النظر، و هو أننا نقرأ

في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن طه من أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومعناه: يا طالب الحق الهادي إليه» و يظهر من هذا الحديث أن طه مركب من حرفين رمزيين، فالطاء إشاره إلى طالب الحق، و الهاء إلى الهادي إليه، و نحن نعلم أن استعمال الحروف الرمزيه و علامات الاختصار فيما مضى و في يومنا هذا أمر طبيعي و كثير الاستعمال، خاصه في عصرنا الحاضر فإنه كثير التداول و الاستعمال جدا.

و آخر كلام في هذا الباب هو أن (طه) كك (يس) قد أصبحت تدريجيا و بمرور الزمان اسما خاصا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتى أنهم يسمون آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم آل طه أيضا، و عبر عن الإمام المهدي عجل الله فرجه في دعاء الندبه ب (يا بن طه).

ثم تقول الآيه: ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ فصحيح أن العباده و التقرب إلى الله عن طريق مناجاته من أفضل العبادات، إلا أن لكل عمل حسابا و مقدارا، و للعباده أيضا مقدارها، فلا يجب أن تجهد نفسك بالعباده حتى تتورم قدماك، و بالتالي ستضعف قوتك و تعجز عن التبليغ و الجهاد.

و ينبغي الالتفات إلى أن «تشقى» مأخوذه من ماده الشقاء ضد السعاده، إلا أن هذه الماده، و كما يقول الراغب في المفردات، تأتي أحيانا بمعنى المشقه و التعب، و المراد في الآيه هذا المعنى، كما يحكون ذلك أيضا في أسباب النزول.

﴿ ۞ ﴾  
ثم تبين الآيه الأخرى الهدف من نزول القرآن فتقول: ﴿ إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَىٰ ﴾ .

إن التعبير ب «تذكره» من جهه، و ب «من يخشى» من جهه أخرى يشير إلى واقع لا يمكن إنكاره، و هو: إن التذكرة توحى بأن أسس و مقومات كل التعليمات الإلهيه موجوده في أعماق روح الإنسان و طبيعته، و تعليمات الأنبياء تجعلها مثمره، و توصلها إلى حد النضج، كما نذكر أحيانا بمطلب و أمر ما.



لا- نقول: إنَّ الإنسان كان يعلم كل العلوم من قبل و زالت من ذاكرته، و إن أثر التعليم فى هذا العالم هو التذكير فحسب- كما ينقلون ذلك عن أفلاطون- بل نقول: إنَّ مادتها الأصلية قد أخفيت فى طينه الآدمى (دققوا ذلك).

إنَّ تعبير «من يخشى» يبيّن أن نوعا من الإحساس بالمسؤولية، و الذى سمّاه القرآن بالخشية، إذا لم يكن موجودا فى الإنسان، فسوف لا- يقبل الحقائق، لأنَّ قابليه القابل شرط فى حمل و نمو كل بذره و حبه. و هذا التعبير فى الحقيقة شبيه بما نقرؤه فى أوّل سورة البقره: هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ .

ثمَّ تتطرق الآيات إلى التعريف بالله تعالى المنزل للقرآن، لتتضح عظمه القرآن من خلال معرفته، فتقول: تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّمَاءَاتِ الْعُلَى (١) .

إنَّ هذا التعبير فى الحقيقة إشاره إلى ابتداء و انتهاء نزول القرآن، انتهاؤه إلى الأرض و ابتدائه من السماوات، و إذا لم تصف هنا كلمه «و ما بينهما»- كما فى بعض الآيات الأخرى من القرآن- فربّما كان لهذا السبب، و هو أنّ الهدف كان بيان الابتداء و الانتهاء.

على كل حال، فإنَّ من المعلوم أنّ الله الذى عمت قدرته و تدبيره و حكمته كل أرجاء الأرض السماء، إذا أنزل كتابا، فكم سيكون غنى المحتوى، و جنى الثمر؟! ثمَّ تستمر فى تعريف الله المنزل للقرآن فتقول: أَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى □ و كما قلنا سابقا فى تفسير الآية: تُعَمُّ اسْتَوَى □ عَلَى الْعَرْشِ (٢)، فإنَّ كلمه عرش تقال للشىء الذى له سقف، و أحيانا تطلق على نفس السقف، أو على الأسره المرتفعه القوائم كأسره و كراسى السلاطين، و فى قصه سليمان نقرأ:

ص: ٥٢٤

١- ١) - هناك بحث بين المفسرين فى محل (تنزيلا) من الإعراب، غير أن الأصح أنّها مفعول مطلق لفعل مجهول محذوف، و كان التقدير: نزل تنزيلا ممن خلق الأرض.

٢- ٢) - الأعراف، ٥٤.

من البديهي أنّ الله سبحانه ليس له عرش، ولا محكومته كحكام البشر، بل المراد من عرش الله كل عالم الوجود الذي يعتبر عرشه، وبناء على هذا فإنّ قوله تعالى: **إِسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** كناية عن تسلط الله، وإحاطته الكاملة بعالم الوجود، ونفوذ أمره و تدبيره في جميع أنحاء العالم.

و أساساً فإنّ كلمه «عرش» في لغة العرب، كناية عن القدره غالباً، فنقول مثلاً: إن فلاناً قد أنزلوه من العرش، أو أزاحوه عنه، فهذا يعنى أنّهم قد أنهوا حكمه و قدرته، أو نقول: ثل عرشه.

و على كل حال، فإنّ من السخف أن يتوهم الإنسان من هذا التعبير جسميه الله سبحانه.

ثمّ تتحدث عن مالكيه الله بعد حاكميته فتقول: **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**.

«الثرى» في الأصل بمعنى التراب الرطب، و لما كانت قشره الأرض فقط - هي التي تجف نتيجة لأشعة الشمس و هبوب الرياح، و تبقى الطبقة السفلى - غالباً - رطبه، فإنّه يقال لهذه الطبقة: ثرى، و على هذا فإنّ **وَمَا تَحْتَ الثَّرَى** تعنى أعماق الأرض و جوفها، و كلها مملوكة لمالك الملك و خالق عالم الوجود.

إلى هنا بينت ثلاثه أركان من أركان صفات الله: الركن الأول: «خالقيته»، و الثاني: «حاكميته»، و الثالث: «مالكيته».

و أشارت الآيه التاليه إلى الركن الرابع، أى: «العالميه»، فقالت: **وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**. و هناك نقاش و بحث بين المفسرين في المراد من «أخفى» هنا:

فذهب بعضهم إلى أنّ السر هو أن يتحدث إنسان مع آخر بصورة خفيه،

و أخفى: هو أن يحتفظ الإنسان بذلك القول و الأمر في قلبه و لا يحدث به أحدا.

و ذهب آخرون: إن «السر» هو ما أضمره الإنسان في قلبه، و «أخفى» هو الذى لم يخطر على باله، إلا أنّ الله سبحانه مطلع عليه و عالم به.

و قال ثالث: إن «السر» هو ما يقوم به الإنسان من عمل في الخفاء، و أخفى:

هى النية التى في قلبه.

و قال رابع: إن «السر» يعنى أسرار الناس، و (أخفى) هى الأسرار التى فى ذات الله المقدسه.

فى حديث عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام: «السر ما أخفيت فى نفسك، و أخفى ما خطر ببالك ثم أنسيته» (١). إن هذه الحديث يمكن أن يكون إشاره إلى أن ما يتعلمه الإنسان يودع فى مخزن الحافظه، غايه الأمر أن ارتباط الإنسان قد ينقطع أحيانا مع زاويه من هذا المخزن، فتنتج حاله النسيان، و لذلك فإنه إذا ما تذكر ذلك المنسى بطريقه ما، فسيرى هذا المطلب واضحا و معروفا لديه، و بناء على هذا فإن ما ينساه الإنسان هو أخفى أسرارته التى أخفيت فى زوايا الحافظه، و قطع ارتباطه بها بصوره مؤقتة، أو دائمه.

و لكن لا مانع على كل حال من أن تجمع كل هذه التفاسير التى ذكرت أعلاه فى مفهوم الكلمه و معناها الواسع. و على هذا فقد رسمت صورته واضحه عن علم الله اللامتناهى، و عرف منزل القرآن من مجموع الآيات أعلاه معرفه إجماليه فى الأبعاد الأربعة: الخلقه، و الحكومه، و المالكيه، و العلم.

و الآيه التاليه ربّما تشير إلى ما ذكرنا: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى .

و كما قلنا فى تفسير الآيه (٨٠) من سوره الأعراف، فإنّ التعبير بالأسماء الحسنى قد ورد مرارا و تكرارا فى الآيات القرآنيه، و فى كتب الحديث و من البديهي أن كل أسماء الله حسنه، و لكن لما كانت لبعض أسماء الله و صفاته أهميه أكبر، فقد

ص: ٥٢٨

سمّيت بالأسماء الحسنی.

و نقرأ فی كثير من الروایات التي وصلتنا عن النبی صلی الله علیه و آله و سلم و الأئمة علیهم السلام أن لله (٩٩) اسما، و كل من دعاه بهذه الأسماء یتستجاب دعاؤه، و كل من أحصاها فهو من أهل الجنة. و یلاحظ هذا المضمون أيضا فی مراجع الحدیث المعروفه عند أهل السنه أيضا.

و یبدو أن المراد من إحصاء هذه الأسماء هو التخلق بصفاتھا، لا مجرد ذكر ألفاظھا، و لا شك أن من تخلق بصفه العالم و القادر، أو الرحیم و الغفور و أمثالھا، و سطعت فی وجوده أشعه و قبسات من هذه الصفات الإلهیه العظیمه، فإنه من أهل الجنة، و ممن یتستجاب دعاؤه.

و لمزید الإیضاح راجع الآیه (١٨٠) من سوره الأعراف من هذا التفسیر.

ص: ٥٢٩

اشاره

وَ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتَذَكَّرَ (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦)

التفسير

اشاره

نار في الجانب الآخر من الصحراء!

من هنا تبدأ قصه نبي الله الكبير موسى عليه السلام، و تفصيل الجوانب المهمه من هذه القصة المليئه بالأحداث سيأتي في أكثر من ثمانين آيه، لتكون تهدئه و مواساة و تسليه لخاطر النبي صلى الله عليه و آله و سلم و المؤمنين الذين كانوا يعانون خلال تلك الفترة في

مكّه ضغوطا شديده من الأعداء، ليعلموا أن هذه القوى الشيطانيه لا- طاقه لها فى مقاومه قدره الله، وأن كل هذه الخطط و المؤامرات رسم على الماء.

و كذلك ليعتبروا بهذه الواقعه المليئه بالعبر و المواعظ، و يستمروا فى طريقهم فى توحيد الله و عبادته، و محاربه فراعنه و سحره كل عصر و زمان، و كذلك مجاهده الانحرافات الداخليه و الرغبات المنحرفه.. تلك العبر التى تستطيع أن يكون دليلا و مرشدا لهم فى مسيرتهم الجهاديه.

و يمكن تقسيم مجموع الآيات التى تحدثت عن موسى و بنى إسرائيل و الفراعنه فى هذه السوره إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: يتحدث عن بدايه نبوه موسى و بعثته، و أول و مضات الوحي، و بتعبير آخر: فإنّ البحث يدور حول مرحله قصيره المده غنيه المحتوى و قضاها موسى فى الوادى المقدس فى تلك الصحراء المظلمه المقفره.

القسم الثانى: يتحدث عن دعوه موسى و أخيه هارون لفرعون- و ملئه- إلى دين التوحيد، ثم اشتباكهما بالأعداء.

القسم الثالث: يبحث عن خروج موسى و بنى إسرائيل من مصر، و كيفيه نجاتهم من قبضه فرعون و أتباعه، و غرق هؤلاء و هلاكهم.

القسم الرابع: و يتحدث حول الاتجاهات الانحرافيه الشديده لبنى إسرائيل عن دين التوحيد إلى الشرك، و قبول وساوس السامرى، و مواجهه موسى الحازمه لهذا الانحراف.

و نعود الآن إلى الآيات مورد البحث، و التى ترتبط بالقسم الأول. فهذه الآيات تقول بتعبير رقيق و جذاب: وَ هَلْ أَتَاكَ خَبْرٌ مُّوسَىٰ؟ و من البديهي أن هذا الاستفهام ليس هدفه تحصيل الخبر، فهو سبحانه مطلع على جميع الأسرار، بل هو «استفهام تقريرى»، و بتعبير آخر فإنّ هذا الاستفهام، مقدمه لبيان خبر مهم، كما نقول فى مكالماتنا اليوميه حينما نريد أن نبدأ بذكر خبر مهم: أسمعت هذا

الخبر الذى...؟ ثم تقول: إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى فَبِمَلَا حِظْهُ أَنْ «القبس» يعنى الشعلة القليلة التى تؤخذ من النار، وبملاحظته أن مشاهدته النار فى الصحارى تدل عاده على أن جماعه قد اجتمعوا حولها، أو أنهم وضعوها على مرتفع حتى لا تضل القوافل الطريق فى الليل، و أيضا بملاحظته أن «مكثوا»-من ماده مكث- تعنى التوقف القصير، فمن مجموع هذه التعابير يستفاد أن موسى و زوجته و ابنه كانوا يقطعون الصحراء فى ليله ظلماء.. ليله كانت مظلمه و بارده كان موسى قد ضل الطريق فيها، فجلبت انتباهه شعله نار من بعيد، و بمجرد رؤيتها قال لأهله: قفوا هنا قليلا فقد رأيت نارا سأذهب إليها حتى آتيكم منها بقبس، أو أجد الطريق بواسطه النار أو من اجتمع حولها.

و نقرأ فى التواريخ أن موسى عليه السلام عند ما انتهت مدّه عقده مع «شعيب» فى «مدين»، حمل زوجته و ابنه و أغنامه و سار من مدين إلى مصر، فضلّ الطريق، و كانت ليله مظلمه، ففترقت أغنامه فى الصحراء، فأراد أن يشعل نارا فى ذلك الليل البارد ليتدفأ هو و أهله، و حاول إشعال النار فلم يفلح، و فى هذه الأثناء عصفت بزوجه آلام الوضع! لقد حاصره سيل من الحوادث الصعبة.. و فى هذه الأثناء لاح لعينه ضياء من بعيد، إلا أنه لم يكن نارا، بل كان نورا إلهيا، و ظن موسى أنه نار، فسعى نحوها علّه يجد من يهديه فى تلك الصحراء إلى الطريق، أو يأخذ لأهله جذوه منها (١).

و الآن لنسمع بقيه الحادته من القرآن الكريم:

فَلَمَّا آتَاهَا نُودَىٰ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى

و يستفاد من الآية (٣٠) من سوره القصص، أن موسى قد سمع هذا النداء

ص: ٥٣٢

(١-١) -مجمع البيان، ذيل الآية مورد البحث.

من جهة شجره كانت هناك: نُودَى مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يستفاد من مجموع هذين التعبيرين أن موسى لما اقترب شاهد النار في داخل الشجره-و يقول المفسِّرون أنها كانت شجره العناب-و هذا بنفسه كان قرينه واضحه على أن هذه النار ليست نارا عاديه، بل إن هذا النور الإلهي الذي ليس لم يحترق الشجره وحسب، بل إنه منسجم معها و معروف، ألا و هو نور الحياه! و قد هام موسى لدى سماعه هذا النداء المحيى للروح: إِنِّي أَنَا رَبُّكَ و أحاطت بكل وجوده لذه لا يمكن وصفها، فمن هذا الذي يتحدث معي؟ إنه ربِّي الذي جللني بالفخر الكلمه رَبُّكَ ليعلمني بأنِّي قد تربيت و ترعرعت منذ نعومه أظفاري و إلى الآن في ظل رحمته و عنايته، و أصبحت مهيبًا لرحمه عظيمه.

لقد أمر أن يخلع نعليه، لأنه قد وضع قدمه في أرض مقدسه.. الأرض التي تجلى فيها النور الإلهي، و يسمع فيها نداء الله، و يتحمل مسئوليته الرساله، فيجب أن يخطو في الأرض بمنتهى الخضوع و التواضع، و هذا هو سبب خلع النعل عن رجله.

بناء على هذا، فإنَّ البحث المفصل الذي بحثه بعض المفسِّرين حول خلع النعل-و نقلوا أقوالا عن المفسِّرين- يبدو زائدا. طبعا لقد نقلت روايات في باب تأويل هذه الآيه سنبحثها في مقطع البحوث.

إنَّ التعبير ب(طوى) إمَّا لأنَّ اسم تلك الأرض كان أرض طوى، كما قال ذلك أغلب المفسِّرين، و لأنَّ «طوى» في الأصل بمعنى الإحاطه، و هنا كناية عن أن البركات المعنويه التي أحاطت هذه الأرض من كل جانب، و لهذا عبر عنها في الآيه (٣٠) من سوره القصص بأنَّها «البقعه المباركه».

ثمَّ سمع هذا الكلام من نفس المتكلم: وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ و من بعدها تلقى موسى أوَّل جمله من الوحي على شكل ثلاثه أمور: إِنِّي أَنَا



اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي

شرعت هذه الآيه فى بيان أهم أصل لدعوه الأنبياء فى هذه الآيه، ألا و هو مسأله التوحيد، و بعدها ذكرت موضوع عباده الله الواحد كثره لشجره الإيمان و التوحيد، ثم أصدرت له أمر الصلاة بعد ذلك، و هى تعنى أكبر عباده و أهم ارتباط بين الخلق و الخالق، و أكثر الطرق تأثيرا فى عدم الغفله عن الذات المقدسه.

إن هذه الأوامر الثلاثه، مع أمر الرساله الذى ورد فى الآيه السابقه، و مسأله المعاد التى تأتى فى الآيه التاليه، تشكل مجموعه كامله و مضغوطه من أصول الدين و فروعها، و تكملها بالأمر بالاستقامه الذى سيأتى فى آخر الآيات مورد البحث.

و لما كان المعاد هو الأصل و الأساس الثانى، فبعد ذكر التوحيد و أغصانه و فروعها، أضافت الآيه التاليه: **إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ .**

فى هذه الجملة نقطتان يجب الالتفات إليهما:

الأولى: إن معنى جملة **أَكَادُ أَخْفِيهَا**: يقرب أن أخفى تاريخ قيام القيامة، و لانزم هذا التعبير أنى لم أخفه من قبل، و نحن نعلم بصريح كثير من آيات القرآن، أن أحدا لم يطلع على تاريخ القيامة، كما فى الآيه (١٨٧) من سوره الأعراف حيث نقرأ: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي .**

لقد بحث المفسرون هذا الموضوع، فالكثير منهم يعتقد أن هذا التعبير نوع من المبالغه و معناه: إن وقت بدء و قيام القيامة مخفى و مجهول إلى الحد الذى أكاد أخفيه حتى عن نفسى. و قد وردت فى هذا الباب روايه أيضا، و يحتمل أن هذه الفئه من المفسرين قد اقتبسوا رأيهم من تلك الروايه.

و التفسير الآخر هو أن مشتقات (كاد) لا- تعنى دائما الاقتراب، بل تأتى أحيانا بمعنى التأكيد، و لذلك فإن بعض المفسرين فسر (أكاد) ب(أريد) و قد جاء

هذا المعنى صريحا فى بعض متون اللغة (١).

و النقطه الأخرى: إنَّ عله إخفاء تاريخ القيامه حسب الآيه،هى: لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى و بتعبير آخر: فإنَّ كون الساعه مخفيه سيوجد نوعا من حريه العمل للجميع. و من جهه أخرى فإن وقتها لما لم يكن معلوما بدقه،و يحتمل أن يكون فى أى وقت و ساعه، فإنَّ نتيجه هذا الخفاء هى حاله الاستعداد الدائم و التقبل السريع للبرامج التربويه، كما قالوا فى فلسفه إخفاء ليله القدر: إن المراد أن يحيى الناس كل ليالى السنه، أو كل ليالى شهر رمضان المبارك، و يتوجهوا إلى الله سبحانه.

و أشارت الآيه الأخيره إلى أصل أساس يضمن تنفيذ كل البرامج العقائديه و التربويه، فتقول: فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ و الآ- فسوف ثم لك فَتَزِدْ فَأَصْمَدٌ فى مقابل الكافرين و وساوسهم و عراقيلهم، و لا- تدع للخوف من كثرتهم و مؤامرتهم و خططهم الخبيثه إلى قلبك سيلا، و لا تشك مطلقا فى أحقيه دعوتك و أصاله دينك نتيجه هذه الضوضاء.

الملفت للنظر أنَّ جملة «لا- يؤمن» و ردت هنا بصيغه المضارع، و جملة «و اتبع هواه» بصيغه الماضى، و هى فى الحقيقه أشارت إلى هذه النكته، و هى أن عدم إيمان منكرى القيامه ينبع من أتباع هوى النفس، فهم يريدون أن يكونوا أحرارا و يفعلون ما تشتهى أنفسهم، فأى شىء أحسن من أن ينكروا القيامه حتى لا تخدش حريه ميولهم و أهوائهم!

ص: ٥٣٥

١- ١) - نقرأ فى قاموس اللغة، ماده كاد: و تكون بمعنى أراد، أكاد أخفيها: أريد.

### ١- المراد من قوله تعالى: فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ

و كما قلنا، فإن ظاهر الآية أن موسى عليه السّلام قد أمر بخلع نعليه احتراماً لتلك الأرض المقدسه، وأن يسير بكل خضوع و تواضع فى ذلك الوادى لىسمع كلام الحق، و أمر الرساله.

إلا أن بعض المفسرين قالوا تبعا لبعض الروايات: إن سبب ذلك هو أن جلد ذلك النعل كان من جلد حيوان ميت.

إن هذا الكلام إضافه إلى أنه يبدو بعيدا بحد ذاته، لأنه لا دليل على أن موسى عليه السّلام كان يستعمل مثل هذه الجلود و النعال الملوثة، فإن الروايه التى رويت عن الناحيه المقدسه، صاحب الزمان-أرواحنا له الفداء-تنفى هذا التفسير نفيا شديدا (١). و يلاحظ فى التوراه الحالیه أيضا، سفر الخروج، الفصل الثالث، نفس التعبير الذى يوجد فى القرآن.

البعض الآخر من الروايات يشير إلى تأويل الآية و بطونها: «فأخلع نعليك:

أى خوفيك: خوفك من ضياع أهلك، و خوفك من فرعون» (٢).

و

فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام فيما يتعلق بهذا الجانب و الزمن من حياه موسى عليه السّلام حيث يقول: «كن لما لا ترجوا أرجى منك لما ترجو، فإن موسى بن عمران خرج ليقبس لأهله نارا فرجع إليهم و هو رسول نبى» (٣)! و هى إشارة إلى أن الإنسان كثيرا ما يأمل أن يصل إلى شىء لكنه لا يصل إليه، إلا أن أشياء أهم لا أمل له فى نيلها تنهياً له بفضل الله.

و قد نقل هذا المعنى أيضا عن أمير المؤمنين على عليه السّلام (٤).

ص: ٥٣٦

١-١) - تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٧٣.

٢-٢) - المصدر السابق، ص ٣٧٤.

٣-٣) - المصدر السابق.

٤-٤) - سفينة البحار، الجزء الأول، ص ٥١٣.

## ٢- جواب عن سؤال،

يطرح بعض المفسرين هنا سؤالاً، وهو: كيف و من أين علم موسى أنّ الصوت الذى يسمعه صادر من الله سبحانه و تعالى؟ و من أين تيقن أن الله كلفه بهذه المهمّة؟ و هذا السؤال يمكن طرحه فى شأن سائر الأنبياء أيضاً، و يمكن الإجابة عنه بطريقتين:

الأول: إنّّه يحصل للأنبياء فى تلك الحاله نوع من المكاشفه الباطنيه و الإحساس الداخلى تبلغهم و توصلهم إلى القطع و اليقين الكامل، و تزيل عنهم كل أنواع الشك و الشبهه.

و الثانى: إنّ من الممكن أن تكون بدايه الوحي مقترنه بأمر خارقه للعاده، لا يمكن أن تقع و تتمّ إلا بقوه الله، كما أن موسى عليه السلام شاهد النار فى الشجره الخضراء، و من هذا فهم أن المسأله إلهيه و إعجازيه.

و ينبغى أن نذكر بهذا الموضوع أيضاً، و هو أن سماع كلام الله سبحانه و بلا واسطه، لا يعنى أن لله حنجره و صوتاً، بل إنّه يخلق بقدرته الكامله أمواج الصوت فى الفضاء، و يتكلم مع أنبيائه عن هذا الطريق، و لما كانت نبوه موسى عليه السلام قد بدأت بهذه الكيفيه، فقد لقب ب(كليم الله).

## ٣- الصلاه أفضل وسيله لذكر الله

أشير فى الآيات-محل البحث- إلى واحده من أهم أسرار الصلاه، و هى أن الإنسان يحتاج فى حياته فى هذا العالم-و بسبب العوامل المؤديه إلى الغفله- إلى عمل يذكره بالله و القيامه و دعوه الأنبياء و هدف الخلق فى فترات زمنيّه مختلفه، كى يحفظه من الغرق فى دوامه الغفله و الجهل، و تقوم الصلاه بهذه الوظيفه المهمّه.

إنّ الإنسان يستيقظ فى الصباح من النوم...ذلك النوم الذى عزله عن كل

موجودات العالم، و يريد أن يبدأ نشاطه الحياتي، فقبل كل شيء يتوجه إلى الصلاة، و يصفى قلبه و روحه بذكر الله، و يستمد منه القوه و المدد، و يستعد للجد و السعي الممتزج بالصدق و الموده.

و عند ما يغرق في زحمه الأعمال اليوميه، و تمضى عده ساعات و قد نسى ذكر الله، و فجأه يحين الظهر، و يسمع صوت المؤذن: الله أكبر! حتى على الصلاة! فيتوجه إلى الصلاة و يقف بين يدي ربّه و يناجيه، و إذا كان غبار الغفله قد استقر على قلبه فإنه يغسله بهذه الصلاة، و من هنا يقول الله سبحانه لموسى في أول الأوامر في بدايه الوحي: **وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** .

و ممّا يجلب الانتباه أنّ هذه الآيه تقول: **وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** أما الآيه (٢٨) من سوره الرعد فتقول: **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** و الآيات (٢٧-٣٠) من سوره الفجر تقول: **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي** و إذا جعلنا هذه الآيات الثلاثه جنبا إلى جنب فسنفهم جيدا أن الصلاة تذكّر الإنسان بالله، و ذكر الله يجعل نفسه مطمئنه، و نفسه المطمئنه ستوصله إلى مقام العباد المخلصين و الجنّه الخالده.

اشاره

وَ مَا تَلَّكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَ أَهْسُبُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي وَ لِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَ لَا تَحْفَ سِ نَعِيدُهَا سَبَرْتَهَا أَلْوَلَى (٢١) وَ أُضْمَمُ يَدَكَ إِلَيَّ جَنَاحَكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى (٢٢) لِنُرْيِكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣)

التفسير

اشاره

عصا موسى و اليد البيضاء:

لا شك أنّ الأنبياء يحتاجون إلى المعجزه لإثبات ارتباطهم بالله، و إلا فإنّ أي واحد يستطيع أن يدعى النبوه، و بناء على هذا فإن معرفه الأنبياء الحقيقيين من المزيفين لا يتيسر إلا عن طريق المعجزه. و هذه المعجزه يمكن أن تكون بذاتها دعوه و كتابا سماويا للنبي، و يمكن أن تكون أمورا أخرى من قبيل المعجزات الحسيه و الجسميه، إضافة إلى أن المعجزه مؤثره في نفس النبي، فهي تزيد من عزمته و إيمانه و ثباته.

على كل حال، فإن موسى عليه السلام بعد تلقيه أمر النبوه، يجب أن يتلقى دليلها

و سندها أيضا، و هكذا تلقى موسى عليه السلام فى تلك الليلة المليئه بالذكريات و الحوادث معجزتين كبيرتين من الله، و يبين القرآن الكريم هذه الحادته فيقول:

وَ مَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى

؟ إن هذا السؤال البسيط المقترن باللطف و المحبه، إضافة إلى أنه بثّ الطمانينه فى نفس موسى عليه السلام الذى كان غارقا حينئذ فى دوامه من الاضطراب و الهيجان فإنه كان مقدمه لحادته مهمه.

فأجاب موسى: قَالَ هِيَ عَصَايَ و لما كان راغبا فى أن يستمر فى حديثه مع محبوبه الذى فتح الباب بوجهه لأول مره، و ربما كان يظن أيضا أن قوله: هِيَ عَصَايَ غير كاف، فأراد أن يبين آثارها و فوائدها فأضاف: أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَ أَهْشُ (١) بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي أَى أَضْرَبُ بِهَا عَلَى أَغْصَانِ الشَّجَرِ فَتَسَاقُطُ أَوْرَاقُهَا لِتَأْكُلَهَا الْأَغْنَامُ وَ لِي فِيهَا مَآرِبٌ (٢) أُخْرَى .

من المعلوم ما للعصا لأصحابها من فوائد، فهم يستعملونها أحيانا كسلاح للدفاع عن أنفسهم أمام الحيوانات المؤذيه و الأعداء، و أحيانا يصنعون منها مظله فى الصحراء تقيهم حرّ الشمس، و أحيانا أخرى يربطون بها وعاء أو دلو و يسحبون الماء من البئر العميق.

عل كل حال، فإنّ موسى غط فى تفكير عميق: أى سؤال هذا فى هذا المجلس العظيم، و أى جواب أعطيه؟ و ماذا كانت تلك الأوامر؟ و لماذا هذا السؤال؟ و فجأه قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْبَعِي . «تسعى» من ماده السعى أى المشى السريع الذى لا يصل إلى الركض.

ص : ٥٤٠

١-١) -«أهش» من ماده هش -بفتح الهاء- أى ضرب أوراق الشجر و تساقطها.

٢-٢) -«مآرب» جمع مأربه، أى الحاجه و المقصد.

و هنا صدر الأمر لموسى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (١).

و فى الآيه (٣١) من سوره القصص نقراً: وَلَى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ .

و بالرغم من أن خوف موسى هنا قد أثار التساؤل لدى بعض المفسرين بأن هذه الحاله كيف تناسب موسى مع الشجاعه التى عهدنا لدى موسى، و أثبتتها عمليا طوال عمره عند محاربه الفراعنه؟ إضافة إلى صفات و شروط الأنبياء بصوره عامه.

إلا- أن الجواب عن هذا السؤال يتضح بملاحظه نكته واحده، و هى أن من الطبيعى أن كل إنسان، مهما كان شجاعا و غير هياب، إذا رأى فجأه قطعه خشب تتحول إلى حيه عظيمه و تتحرك بسرعه، فلا بد أن يرتبك و يخاف و لو لمدّه قصيره و يسحب نفسه جانبا توقيا، إلا أن يكون هذا المشهد قد تكرر أمامه مرارا، وورد الفعل الطبيعى هذا لا يكون نقطه ضعف ضد موسى أبدا. و لا تنافى الآيه (٣٩) من سوره الأحزاب حيث تقول: الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ فَإِنَّ هَذَا الْخَوْفَ طَبِيعِيٌّ وَ مُؤَقَّتٌ وَ سَرِيعُ الزَّوَالِ أَمَامَ حَادِثِهِ لَمْ تَحْدِثْ مِنْ قَبْلُ قَطُّ، و خارق للعاده.

ثم أشارت الآيه التالیه إلى المعجزه المهمه الثانيه لموسى، فأمرته: وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢) .

و بالرغم من أن للمفسرين فى تفسير جملة وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ...

أقوالا مختلفه، إلا أنه بملاحظه الآيه (٣٢) من سوره القصص، و التى تقول:

أَسْلُكُ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ وَ الْآيَةَ (١٢) من سوره النمل، و التى تقول:

ص: ٥٤١

١ - ١) - «السيره»- كما يقول الراغب فى المفردات- بمعنى الحاله الباطنيه، سواء غريزيه أو اكتسابيه و البعض فسرها هنا بمعنى الهيئه و الصوره.

٢ - ٢) - آيه منصوبه على أنها اسم حال محل الحال، و الحال لضمير مستتر فى (تخرج).



وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ سِيستفاد أن موسى كان مأمورا أن يدخل يده في جيبه و يوصلها إلى تحت إبطه، لأنَّ الجناح في الأصل جناح الطير، و يمكن أن تكون هنا إشاره إلى تحت الإبط.

كلمه (بيضاء) من البياض، و جملة مِنْ غَيْرِ سُوءٍ إشاره إلى أن بياض يدك ليس نتيجة مرض البرص و أمثاله، بدليل أن لها لمعانا و بريقا خاصا يظهر في لحظه و يختفى في لحظه أخرى.

إلاَّ أنه يستفاد من بعض الروايات أن يد موسى قد صارت في تلك الحاله نورانيه بشكل عجيب، و إذا كان كذلك فيجب أن نقبل أن لجملة مِنْ غَيْرِ سُوءٍ معنى آخر غير الذي قلناه، أي إن لها نورانيه لا عيب فيها، فلا تؤذى عينا، و لا يرى فيها بقعه سوداء، و لا غير ذلك.

و تقول الآيه الأخيره، و كنتيجة لما مر بيانه في الآيات السابقه: لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبرى و من المعلوم أن المراد من الآيات الكبرى هو تلك المعجزتان المهمتان اللتان وردتا أعلاه، و ما احتمله بعض المفسرين من أنها إشاره إلى المعجزات التي سيضعها الله سبحانه تحت تصرف موسى فيما بعد يبدو بعيدا جدا.

## بحوث

## إشاره

### ١- معجزتان كبيرتان

لا شك أن ما ذكر أعلاه من تبدل عصا موسى إلى حيه عظيمه تسعى، و قد عبرت الآيه (١٠٧) من سوره الأعراف عنها ب (ثعبان) و كذلك البريق الخاص لليد في لحظه قصيره ثم رجوعها إلى الحاله الأولى، ليس أمرا طبيعيا، أو نادرا، أو قليل الوقوع، بل إن كلا الأمرين يعتبر خارقا للعاده لا يمكن أن يقع بدون

الاستناد إلى قوة فوق قوة البشر، أى قوة الله عزّ وجلّ.

إنّ من يؤمن بالله، ويعتقد أن علمه وقدرته غير محدود، لا يقدر على إنكار هذه الأمور، أو ينسبها إلى الخرافة كالماديين.

المهم فى المعجزه هو عدم استحالتها عقلا، وهذا الأمر يصدق هنا كاملا، فلا يوجد أى دليل عقلى على نفي تبدل العصا إلى ثعبان عظيم.

أليس العصا و الحيه العظيمه كانتا ترابا فى الماضى السحيق؟ من الطبيعى أن المده قد استغرقت ملايين أو مئات الملايين من السنين حتى ظهرت على شكل هذه الموجودات. لا- تفاوت فى هذه المسأله سواء قلنا بتكامل الأنواع أو ثبوتها، لأن أخشاب الأشجار و الحيوانات قد خلقت جميعا من التراب على كل حال.

غايه ما فى الأمر أن العمل الإعجازى هنا اختصر كل تلك المراحل التى كان يجب أن تطوى خلال سنين طويله فى لحظه واحده، و فى مده قصيره جدا، فهل يبدو مثل هذا الأمر محالا؟ من الممكن أن أكتب باليد كتابا ضخما فى سنه، فإذا وجد شخص يستند و يعتمد على الإعجاز و يؤدى هذا العمل فى ساعه أو أقل، فإنّ هذا ليس محالا عقليا، بل هو خارق للعادة. (دققوا ذلك).

على كل حال، فإنّ القضاء العجول حول المعجزات، و نسبتها- لا سمح الله- إلى الخرافات أمر بعيد عن المنطق و العقل. الشىء الوحيد الذى يحفز و يثير هذه الأفكار أحيانا، هو أننا قد اعتدنا على العلل و المعلولات الطبيعى، إلى الحد الذى اعتقدنا أنّها من الضروريات، و كل ما يخالفها فهو مخالف للضروره، فى حين أن هذه العلاقه بين العله و المعلول أمر طبيعى، و ليس له صفه الضروريه، و لا مانع من أن يظهرها عامل أقوى من الطبيعه بشكل آخر (1).

ص: ٥٤٣

(١-١) - تحدثنا أيضا حول هذا الموضوع ذيل الآيه (١٠٧) من سوره الأعراف.

## ٢- قابليات الأشياء الخارقة

من المسلم أن موسى الذى اختار لنفسه عصا الرعى تلك، لم يكن يصدق أن هذا الموجود البسيط يستطيع القيام بمثل هذا العمل العظيم بأمر الله، و يحطم قوه الفراعنه، إلا أن الله سبحانه قد أراه أن نفس هذه الآله البسيطة تستطيع أن توجد مثل تلك القوه الخارقة.

إن هذا فى الواقع -درس لكل البشر بأن لا- يستصغروا أى شىء، فإن كثيرا من الموجودات التى ننظر إليها باحتقار تحتوى فى باطنها على قدرات عظيمه نحن غافلون عنها و غير مطلعين عليها.

## ٣- ماذا تقول التوراه حول هذا الموضوع؟

فى الآيات أعلاه قرأنا أن موسى عليه السلام عند ما أخرج يده من جيبه كانت بيضاء مضيئه لا عيب فيها، و يمكن أن تكون هذه الجملة من أجل نفى التعبير الذى يلاحظ فى التوراه المحرفه، فقد ورد فى التوراه: (وقال الله له أيضا: الآن ضع يدك إلى جنبك، فوضع يد إلى جنبه، و أخرجها فإذا يده مبروصه كالثلج) (١).

إن كلمه «المبروص» مأخوذه من البرص، و هو نوع من الأمراض، و من المسلم أن استعمال هذا التعبير هنا خطأ و غير مناسب.

ص: ٥٤٤

اشاره

إِذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَ أُحْلِلْ عُقْمَهُ مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَ اجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) أُشْدِّدْ بِهِ أَرْزِي (٣١) وَ أَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا (٣٣) وَ نَذْكُرَكَ كَثِيْرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ (٣٦)

التفسير

اشاره

موسى و طلباته القيمه:

إلى هنا وصل موسى إلى مقام النبوه، و تلقى معاجز مهمه تسترعى الانتباه، إلا أنه من الآن فصاعدا صدر له أمر الرساله.. رساله عظيمه و ثقيله جدا..

الرساله التى تبدأ بإبلاغ أعتى و أخطر شخص فى ذلك المحيط، فتقول الآيه:

إِذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ

أجل.. فمن أجل إصلاح بيئه فاسده، و إيجاد ثوره شامله يجب البدء برؤوس الفساد و أئمه الكفر.. أولئك الذين لهم تأثير فى جميع أركان المجتمع، و لهم حضور فى كل مكان، بأنفسهم أو أفكارهم أو أنصارهم.. أولئك الذين

تركزت كل الوسائل و المنظمات الإعلاميه و الاقتصاديه و السياسيه فى قبضتهم، فإذا ما أصلح هؤلاء، أو قلعت جذورهم عند عدم التمكن من إصلاحهم، فيمكن أن يؤمن خلاص و نجاه المجتمع، و إلا فإن أى إصلاح يحدث فإنه سطحى و مؤقت و زائل.

و الملفت للنظر أن دليل و جوب الابتداء بفرعون ذكر فى جمله قصيره: إِنَّهُ طَغَى حيث جمع فى كلمه (طغيان) كل شىء.. الطغيان و تجاوز الحدود فى كل أبعاد الحياه، و لذلك يقال هؤلاء الأفراد: طاغوت.

و مضافا إلى أن موسى عليه السلام لم يستوحش و لم يخف من هذه المهمه الثقيله الصعبه، و لم يطلب من الله أى تخفيف فى هذه المهمه، فإنه قد قبلها بصدر رحب، غايه ما فى الأمر أنه طلب من الله أسباب النصر فى هذه المهمه. و لما كان أهم و أول أسباب النصر الروح الكبيره، و الفكر الوقاد، و العقل المقتدر، و بعبارة أخرى: رحابه الصدر، فقد قال رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي .

نعم إن أول رأسمال لقائد ثورى هو رحابه الصدر، و الصبر الطويل، و الصمود و الثبات، و الشهامه و تحمل المشاكل و المصاعب، و لذلك فإننا نقرأ

فى حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «آله الرياسه سعه الصدر» (١). و قد بحثنا الصدر و معناه فى ذيل الآيه (١٢٥) من سوره الأنعام.

و لما كان هذا الطريق مليئا بالمشاكل و المصاعب التى لا يمكن تجاوزها إلا بلطف الله، فقد طلب موسى من الله فى المرحله الثانيه أن تيسر له أموره و أعماله، و أن تذلل هذه العقبات التى تعترضه، فقال: وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي .

ثم طلب موسى أن تكون له قدره على البيان بأعلى المراتب فقال: وَ أَحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي فصحيح أن امتلاك الصدر الرحب أهم الأمور و الأسس، إلا أن بلوره هذا الأساس تتم إذا وجدت القدره على إراءته و إظهاره بصورة كامله،

ص: ٥٤٦

و لذلك فإنّ موسى بعد طلب انشرح الصدر، و رفع الموانع و العقبات، طلب من الله حل العقده من لسانه.

خاصّه و أنّه بيّن على هذا الطلب فقال: يَفْقَهُوا قَوْلِي فهذه الجملة في الحقيقه تفسير للآيه التي قبلها، و منها يتّضح أنّ المراد من حلّ عقده اللسان لم يكن هو التلكؤ و بعض العسر في النطق الذي أصاب لسان موسى عليه السّلام نتيجة احتراقه في مرحله الطفوله- كما نقل ذلك بعض المفسّرين عن ابن عباس- بل المراد عقد اللسان المانعه من إدراك و فهم السامع، أى أريد أتكلم بدرجه من الفصاحه و البلاغه و التعبير بحيث يدرك أى سامع مرادى من الكلام جيدا.

و الشاهد الآخر على هذا التعبير هي الآيه (٣٤) من سوره القصص: وَ أَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا. و اللطيف في الأمر أنّ «أفصح» من ماده فصيح، و هي في الأصل كون الشىء خالصا من الشوائب، ثمّ أطلقت على الكلام البليغ المعبر الخالى من الحشو و الزيادات.

و على كل حال، فإنّ القائد و القدوه و الموفق و المنتصر هو الذى يمتلك إضافه إلى سعه الفكر و قدره الروح، بيانا أخاذا بليغا خاليا من كل أنواع الإبهام و القصور.

و لما كان إيصال هذا الحمل الثقيل-حمل رساله الله، و قياده البشر و هدايتهم، و محاربه الطواغيت و الجابره- إلى المحل المقصود يحتاج إلى معين و مساعد، و لا يمكن أن يقوم به إنسان بمفرده، فقد كان الطلب الرابع لموسى من الله هو:

وَ اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي

«الوزير» من ماده الوزر، و هي في الأصل تعنى الحمل الثقيل، و لما كان الوزراء يتحملون كثيرا من الأحمال الثقيله على عاتقهم، فقد أطلق عليهم هذا الاسم، و كذلك تطلق كلمه الوزير على المعاون و المساعد.

أمّا لماذا طلب موسى أن يكون هذا الوزير من أهله؟ فسببه واضح، لأنّه

يعرفه جيدا، و من جهة أخرى فإنه أحرص من غيره، فكم هو جيد و جميل أن يستطيع الإنسان أن يتعاون مع شخص تربطه به علائق روحية و جسميه؟! ثم يشير إلى أخيه، فيقول: هَارُونَ أَخِي و هَارُونَ - حسب نقل بعض المفسرين - كان الأخ الأكبر لموسى، و كان يكبره بثلاث سنين، و كان طويل القامة، جميلا بليغا، عالى الإدراك و الفهم، و قد رحل عن الدنيا قبل وفاه موسى بثلاث سنين (١).

و قد كان نبيا مرسلا كما يظهر من الآية (٤٥) من سورة المؤمنون: ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ. و كذلك كانت له بصيره بالأمر و ميزانا باطنيا لتمييز الحق من الباطل، كما ورد في الآية (٤٨) من سورة الأنبياء:

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَ هَارُونَ الْفُرْقَانَ وَ ضِيَاءً. و أخيرا فقد كان نبيا و هبه الله لموسى من رحمته: وَ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٢)، فقد كان يسعى جنبا إلى جنب مع أخيه في أداء هذه الرسالة الثقيلة.

صحيح أن موسى عليه السلام عند ما طلب ذلك من الله في تلك الليلة المظلمة في الوادى المقدس حيث حمل الرسالة، كان قد مضى عليه أكثر من عشر سنين بعيدا عن وطنه، إلا أن ارتباطه -عاده- بأخيه لم يقطع بصوره كامله، بحيث أنه يتحدث بهذه الصراحة عنه، و يطلب من الله أن يشاركه في هذا البرنامج الكبير.

ثم يبين موسى عليه السلام هدفه من تعيين هارون للوزاره و المعونه فيقول: أَسْتَدُّ بِهِ أَزْرِي و «الأزر» أخذت في الأصل من ماده الإزار، أى اللباس، و تطلق خاصه على اللباس الذى يشد و يعقد وسطه، و لذلك قد تطلق هذه الكلمه على الظهر أو القوه و القدره لهذا السبب و يطلب، من أجل تكميل هذا المقصد و المطلب: وَ أَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي

ص: ٥٤٨

١-١) -مجمع البيان ذيل الآية.

٢-٢) -مريم، ٥٣.

فيكون شريكاً في مقام الرساله، و في إجراء و تنفيذ هذا البرنامج الكبير، إلا أنه يتبع موسى على كل حال، فموسى إمامه و مقتداه.

و في النهايه يبين نتيجة هذه المطالب فيقول: كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَ نَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً و تعلم حاجاتنا جيداً، و مطلع على مصاعب هذا الطريق أكثر من الجميع، فنحن نطلب منك أن تعيننا على طاعتك، و أن توفقنا و تؤيدنا في أداء واجباتنا و مسؤولياتنا الملقيه على عاتقنا.

و لما كان موسى لم يهدف من طلباته المخلصه هذه إلا الخدمه الأكثر و الأكمل، فإنّ الله سبحانه قد لبي طلباته في نفس الوقت  
قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى .

إنّ موسى في الواقع طلب كل ما كان يلزمه في هذه اللحظات الحساسه الحاسمه التي يجلس فيها لأول مره على مائده الضيافه الإلهيه و يطأ بساطها، و الله سبحانه كان يحب ضيفه أيضاً، حيث لبي كل طلباته و أجابه فيها في جمله قصيره تبعث الحياه، و بدون قيد و شرط ثم و بتكرار اسم موسى أكمل له الاستجابه و حلّوتها و أنزال كل إبهام عن قلبه، و أى تشويق و افتخار أن يكرر المولى اسم العبد؟

## بحوث

## إشاره

### ١- شروط قياده الثوره

لا شك أنّ تبديل البنيه في نظام المجتمعات البشريه، و تغيير القيم الماديه و الملحمه إلى القيم المعنويه و الإنسانيه، و خاصّه إذا كان الطريق يقع في طريق الفراعنه العنودين، ليس بالعمل الهين، بل يحتاج إلى استعداد روجي و جسمي، و قدره على التفكير، و قوه في البيان، و استمرار الإمدادات الإلهيه، و وجود



الصاحب الذي يطمأن إليه. وهذه هي الأمور التي طلبها موسى عليه السلام في بدايه الرساله من ربه.

إن هذه المطالب تبين بنفسها أنّ موسى عليه السلام كان يمتلك روح الوعي و الاستعداد حتى قبل النبوه، و تبين أيضا هذه الحقيقه، و هي أنّه كان واقفا على أبعاد مسئوليته جيدا، و كان يعلم بأنّه ماذا يجب أن يستعمل في الساحه في تلك الظروف، و أى سلاح هو الأمضى، ليمتلك القدره على مقارعه الاجهزه الفرعونيّه، و هذا نموذج و قدوه لكل القاده الربانيين في كل عصر و زمان، و لكل السائرين في هذا الطريق.

## ٢-مقارعه الطغاه

لا شك أنّ لفرعون نقاطا و صفات منحرفه كثيره، فقد كان كافرا، عابدا للأصنام، ظالما، مستبدا و...إلا أنّ القرآن طرح من بين كل هذه الانحرافات مسأله الطغيان إنّهُ طَغَى لأن روح الطغيان و التمرد في مقابل أمر الحق عصاره و خلاصه كل هذه الانحرافات و جامع لها.

و يتّضح بصوره ضمنيه أنّ هدف الأنبياء في الدرجه الأولى هو مقارعه الطواغيت و المستكبرين، و هذا في الواقع عكس التحليل الذي يذكره الماركسيون حول الدين تماما، حيث زعموا أنّ الدين في خدمه الطغاه و المستعمرين الماضين.

إنّ كلام هؤلاء قد يصح في شأنه المذاهب المصطنعه التخديريه، إلا أنّ تاريخ الأنبياء الحقيقيين ينفى بصراحه تامه ظنون هؤلاء الواهيه في شأن الأديان و المذاهب، خاصّه و إن ثوره موسى بن عمران شاهد ناطق في هذا المجال.

### ٣- كل عمل يحتاج إلى تخطيط و وسائل

الدرس الآخر الذى نستفيد من حياه موسى و جهاده العظيم، هو أنه حتى الأنبياء، و مع امتلاكهم للمعجزات، كانوا يستعينون بالوسائل العاديه الطبيعيه، من البيان البليغ و المؤثر، و من طاقات المؤمنين بهم الفكرية و الجسميه، فى سبيل تقدم عملهم و تطوره، فليس صحيحا أن نتظر المعاجز فى حياتنا دائما، بل يجب تهيئه البرامج و أدوات العمل، و الاستمرار فى التقدم بالطرق و الوسائل الطبيعيه، فإذا ما واجهتنا عقده و معضله، فيجب أن نتظر اللطف الإلهي هناك.

### ٤- التسييح و الذكر

لقد جعل موسى الهدف النهائى من طلباته- كما فى الآيات محل البحث- هو: كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَ نَذُكِّرَكَ كَثِيرًا و معلوم أن التسييح يعنى تنزيه الله عن تهمه الشرك و النواقص الإمكانيه، و معلوم أيضا أن مراد موسى عليه السلام لم يكن تكرار جملة «سبحان الله» مرارا، بل كان الهدف إيجاد حقيقه التسييح فى ذلك المجتمع الملوث فى ذلك الزمان، فيقتلعوا الأصنام، و يهدموا معابد الأوثان، و تغسل الأدمغه من أفكار الشرك، و ترفع النواقص الماديه و المعنويه.

و بعد تنزيه المجتمع عن هذه المفاسد، عليهم أن يحيوا فى القلوب ذكره تعالى و ذكر صفاته، و يجعلون الصفات الإلهيه تشع فى أرجاء المجتمع، و التأكيد على كلمه «كثيرا» توحى بأنه كان يريد أن يجعل هذا الأمر عامًا، و أن يخرج من الإختصاص بدائره محدوده.

### ٥- الرسول الأعظم يكرر مطالب موسى

يستفاد من الزوايات الوارده فى كتب أهل السنه و الشيعه أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قد طلب من الله نفس تلك المطالب التى طلبها موسى عليه السلام من الله من أجل تقدم عمله،

مع فارق، هو أنه وضع اسم على عليه السّلام مكان اسم هارون، وقال: «اللهم إنّي أسألك بما سألك أخى موسى أن تشرح لى صدرى، وأن تيسر لى أمرى، وأن تحل عقده من لسانى، يفقهوا قولى، واجعل لى وزيراً من أهلى، علياً أخى، أشد به أزرى، و أشركه فى أمرى، كى نسبحك كثيراً، و نذكرك كثيراً».

و قد نقل هذا الحديث السيوطى فى تفسير «الدر المنثور»، و العلامه الطبرسى فى «مجمع البيان»، و كثيرون و غيرهم من كبار علماء الفريقين باختلاف فى العبارات.

و هذا الحديث يشبه حديث المنزله، حيث

قال صلّى الله عليه و آله و سلّم لعلى عليه السّلام: «ألا ترضى أن تكون منّى بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبى بعدى».

و هذا الحديث قد ورد فى كتب العامه المعتمده، و كما قال المحدث البحرانى فى كتابه «غايه المرام»: إنّ هذا الحديث قد ورد بمائه طريق عن أهل السنه، و بسبعين طريق من طرق الشيعه، فهو معتبر إلى الحدّ الذى لا يدع أى مجال للشك فيه، أو لإنكاره.

و قد بحثنا حول حديث المنزله بحثاً ضافياً فى ذيل الآيه (١٤٢) من سوره الأعراف، و الذى نعتبر ذكره ضرورياً هنا، هو أن بعض المفسّرين - كالألوسى فى «روح المعانى» - مع قبوله أصل الرّوايه، إلاّ أنّه أشكل فى دلالتها، و قالوا: إن جملة أشركه فى أمرى لا تثبت غير الاشتراك فى أمر إرشاد و دعوه الناس إلى الحق! إلاّ - أنّ من الواضح أن مسأله الاشتراك فى الإرشاد، و بتعبير آخر: الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و نشر الدين، واجب على كل فرد من المسلمين، و هذا لم يكن شيئاً يطلبه النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم لعلى عليه السّلام.. إن هذا توضيح للواضحات، و لا يمكن تفسير دعاء النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم بذلك مطلقاً.

و من جهه أخرى، فإننا نعلم أن الأمر لم يكن الاشتراك فى التّبوه، و بناء على

هذا نخلص إلى هذه النتيجة، و هي أن المطلوب مقام خاص غير النبوه، و هل يمكن أن يكون إلا الولاية الخاصه؟! أليس ذلك هو الخلافه بالمفهوم الخاص الذى تقول به الشيعه؟ و جمله «وزيرا» أيضا تؤيد و تقوى ذلك.

و بتعبير آخر، فإنّ هناك واجبات لا- يقوم بها كل الأفراد، و هي حفظ دين النبي صلى الله عليه و آله و سلم من كل أنواع التحريف و الانحراف، و تفسير أى إبهام يبيده البعض فى محتوى الدين، و قياده الأُمَّه فى غيبه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و بعده، و المساعده المؤثره جدا فى تحقيق أهدافه.

إن هذا هو الشىء الذى طلبه النبي صلى الله عليه و آله و سلم

بقوله: «أشركه فى أمرى» لعلى عليه السلام من الله سبحانه.

و من هنا يتضح أن وفاه هارون قبل موسى لا توجد إشكالا فى هذا البحث، لأنّ الخلافه و النيابة تكون أحيانا فى زمان غيبه القائد كما تولاه هارون عند غياب موسى، و تكون أحيانا بعد وفاته كما كان على عليه السلام بعد وفاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و كلاهما لهما نفس القدر المشترك و الجامع الواحد، و إن كانت المصاديق متفاوته.

(دققوا ذلك).

ص: ٥٥٣

اشاره

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيفِيهِ فِي الْأَيْمِ فَانْفِقْهِ الْيَمِّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَ لَتُضَيِّعَ عَلَيَّ عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَيَّ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ قَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَ فَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِتِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدْرًا يَا مُوسَىٰ (٤٠) وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١)

التفسير

اشاره

الرب الرحيم:

يشير الله سبحانه في هذه الآيات إلى فصل آخر من فصول حياة موسى عليه السلام، و الذي يرتبط بمرحلة الطفولة و نجاته من قبضة الفراعنة. و هذا الفصل و إن كان من ناحيه التسلسل التاريخي قبل فصل الرساله و النبوه، إلا أنه ذكر كشاهد على شمول عناية الله عزّ و جل لموسى عليه السلام من بدايه عمره، و هي في الدرجه الثانيه من

الأهميه بالنسبه إلى الرساله، فيقول أولًا: **وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (١)**.

و بعد ذكر هذا الإجمال تتطرق الآيات إلى الشرح و التفصيل، فتقول: **إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ** و هو إشاره إلى أننا قد علمنا أمه كل الطرق التي تنتهي إلى نجاه موسى عليه السلام من قبضه الفراعنه، لأنه يستفاد من سائر آيات القرآن أن فرعون شدّد ارهابه على بنى إسرائيل للتصدّي لقوتهم و عصيانهم المحتمل، أو أنه -على رأى بعض المفسّرين و المؤرخين- كان قد أمر بقتل أبنائهم و إبقاء البنات للخدمه، لكي يمنع ولاده ولد من بنى إسرائيل كان قد أخبره المنجمون أنه يثور عليه و يزيل ملكه.

من الطبيعي أن جواسيس و عيون فرعون كانوا يراقبون بشده محلات بنى إسرائيل و بيوتهم، و كانوا لا يدعون ذكرا يولد إلا و قتلوه.

و ذهب بعض المفسّرين إلى أن فرعون كان يريد تحطيم قوه بنى إسرائيل من جهه، و كان من جهه أخرى غير راغب في انقراض نسلهم تماما، لأنه كان يعتبرهم عبيدا يصلحون للخدمه، و لذلك كان قد أمر بأن يتركوا الأولاد سنه و يذبحونهم سنه أخرى، فكان أن ولد موسى في العام الذي يقتل فيه الأولاد! على كل حال، فإن هذه الأم أحست بأن حياه وليدها في خطر، و إخفاؤه مؤقتا سوف لا يحل المشكله.. في هذه الأثناء ألهمها الله -الذي رشح هذا الطفل لثوره كبيره- أن أودعيه عندنا، و انظري كيف سنحافظ عليه، و كيف سنرده إليك؟ فألقى في قلب الأم: **أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ**.

«اليم» هنا يعنى نهر النيل العظيم الذي يطلق عليه أحيانا اسم البحر لسعته و كثره مياهه.

ص: ٥٥٥

١ - ١) - كما قلنا سابقا أيضا فإن «المنه» في الأصل من المن، و هو يعنى الأحجار الكبيره التي كانوا يزنون بها، و لذلك فإن كل نعمه كبيره و نفيسه يقال عنها: إنَّها منه. و المراد في الآية هو هذا المعنى، و هذا المعنى مفهوم جميل و ايجابي للمنه، إلا أن الإنسان إذا عظّم عمله الصغير بكلامه، و ذكر الطرف الآخر به، فإنّه مصداق حى للمنه السلبيه المذمومه.

والتعبير ب إقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ربما كان إشارة إليها أن ارفعى ولدك بكل شجاعه و بدون أى خوف أو ارتياب، و ضعيه فى الصندوق، و ألقيه فى نهر النيل، و لا تدعى للخوف سيلا إلى نفسك.

كلمه «التابوت» تعنى الصندوق الخشبي، و لا- يعنى دائما الصندوق الذى توضع فيه الأموات كما يظن البعض، بل إنه له معنى واسع، حيث تطلق أحيانا على الصناديق الأخرى أيضا، كما قرأنا ذلك فى قصه طالوت و جالوت فى ذيل الآية (٢٤٨) من سوره البقره (١).

ثُمَّ تَضِيفُ: فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عِدْوٌ لِي وَ عَدُوٌّ لَهُ وَ الملفت أن كلمه «عدو» قد تكررت هنا، و هذا فى الحقيقة تأكيد على عداة فرعون لله، و لموسى و بنى إسرائيل، و أشارت إلى أن الشخص الذى انغمس إلى هذا الحد فى العداة هو الذى سيتولى فى النهايه تربيته موسى ليعلم البشر الضعيف أنه ليس عاجزا عن التمرد على أمر الله و حسب، بل إن الله سيربيه على يد عدوه و فى أحضانها! و عند ما يريد أن يفنى المتمردىن الظالمىن فسيفنيهم و يبىدهم بأيديهم، و يحرقهم بالنار التى يوقدونها بأنفسهم، فأى قدره عجيبه قدرته تعالى؟! و لما كان موسى عليه السلام يجب أن يحفظ فى حصن أمين فى هذا الطريق الملىء بالمخاطر، فقد ألقى الله قبسا من محبته عليه، إلى الحد الذى لم ينظر إليه أحد إلا و يعشقه، فلا يكف عن قتله و حسب، بل لا يرضى أن تنقص شعره من رأسه، كما يقول القرآن فى بقيه هذه الآيات: وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي فَأى درع عجب هذا الحب! إنه لا يرى بالعين، و لكنه أقوى من الحديد و الفولاذ!! يقولون: إن قابله موسى كانت من الفراعنه، و كانت مصممه على رفع خبر ولائته إلى فرعون، إلا- أنه لما وقعت عينها على عين المولود الجديد، فكأن ومضه برقت من عينه و أضاءت أعماق قلبها، و طوّقت محبته رقبته، و ابتعدت

ص: ٥٥٦

(١-١) - راجع المجلد الثانى من التفسير الأمثل ذيل الآية (٢٤٨) من سوره البقره.

فى حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام فى هذا الباب: «فلما وضعت أم موسى موسى نظرت إليه و حزنت عليه و اغتمت و بكت و قالت: تذبح الساعه، فعطف الله الموكله بها عليه، فقالت لأم موسى: مالك قد اصفر لونك؟ فقالت: أخاف أن يذبح ولدى، فقالت: لا تخافى و كان موسى لا يراه أحد إلا أحبه» (١)، و كان درع المحبه هذا هو الذى حفظه تماما فى بلاط فرعون.

و تقول الآيه فى النهايه: وَ لَتُضَيِّعَ عَلَيَّ عَيْنِي فلا شك فى أنه لا تخفى ذره عن علم الله فى السماء و لا فى الأرض، و كل شىء حاضر بين يديه، إلا أن هذا التعبير إشاره إلى العناية الخاصه التى أولاها الله سبحانه لموسى و تربيته.

و بالرغم من أن بعض المفسرين اعتقد أن جملة وَ لَتُضَيِّعَ عَلَيَّ عَيْنِي مقصوره على مرحله رضاعه موسى و أمثالها، إلا أن من المعلوم أن لهذه الجملة معنى واسعاً، تدخل فيه كل أنواع التربيه و العناية، و صنع موسى عليه السّلام من أجل حمل رايه الرساله مع عناية الله الخاصه.

و يستفاد بوضوح من القرائن الموجوده فى هذه الآيات، و الآيات المشابهه لها فى القرآن، و مما جاء فى الروايات و التواريخ، أن أم موسى عليه السّلام قد ألفت الصندوق الذى كان فيه موسى و هى فى حاله من الخوف و القلق، و حملته أمواج النيل، و أخذ قلب أم موسى يخفق من مشاهدته هذا المنظر، إلا أن الله قد ألهم قلبها أن لا يدع اللهم و الحزن إليه طريقاً، فهو سبحانه سعيده إليها فى النهايه سالماً.

و كان قصر فرعون قد بنى على جانب شط النيل، و يحتمل أن فرعا من هذا النهر العظيم كان يمر داخل قصره، فحملت أمواج المياه الصندوق إلى ذلك الفرع الصغير، و بينما كان فرعون و زوجته على حافه الماء ينظرون إلى الأمواج، و إذا بهذا الصندوق الغريب يلفت انتباههما، فأمر جنوده أن يخرجوا الصندوق من



الماء، فلما فتحوا الصندوق شاهدوا بكامل العجب مولودا جميلا فيه، وهو شيء لم يكن بالحسبان.

و هنا تنبه فرعون إلى أن هذا الوليد ينبغي أن يكون من بنى إسرائيل، وإنما لاقى هذا المصير خوفا من جلاوزته، فأمر بقتله، إلا أن زوجته-التي كانت عقيما-تعلقت جدا بالطفل، فقد نفذ النور الذي كان ينبعث من عيني الطفل إلى زوايا قلبها، وجذبها إليه، فضربت على يد فرعون و طلبت منه أن يصرف النظر عن قتله، و عبرت عن هذا الطفل بأنه قُرْتُ عَيْنٍ، بل و تمادت في طلبها، فطلبت منه أن يتخذه ولدا ليكون مبعث أمل لهما، و يكبر في أحضانهما، و أصرت على طلبها حتى أصابت سهامها، و حققت ما تصبو إليه.

غير أن الطفل جاع، و أراد لبنا، فأخذ يبكي و يذرف الدموع، فرق قلب امرأه فرعون لهذه الدموع و البكاء و اهتز، و لا محيص من أن يبحث الخدم عن مرضعه له، إلا أنهم كلما جاؤوه بمرضعه لم يقبل ثديها، لأن الله سبحانه كان قد قدر أن يعيده إلى أمه، فهب المأمورون للبحث من جديد، و كانوا يطرقون الأبواب بحثا عن مرضع جديد.

و الآن نقرأ بقيه القصة على ضوء الآيات الشريفة:

نعم يا موسى، فإننا كنا قدرنا أن تتربى بأعيننا و علمنا إذ تَمْشِي أُخْتُكَ بأمر أمك لتراقب مصيرك، فرأت جنود فرعون: فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ و ربّما أضافت بأن هذه المرأة لها لبن نظيف، و أنا مطمئنه بأن هذا الرضيع سيقبلها.

فاستبشر الجنود على أمل أن يجدوا ضالتهم عن هذا الطريق، فذهبوا معها، فأطلعت أخت موسى-و التي كانت تظهر نفسها بمظهر الشخص الغريب و المجهول-أمها على الأمر، فجاءت أمه إلى بلاط فرعون، من دون أن تفقد سيطرتها على أعصابها، بالرغم من أن أمواج الحب و الأمل كانت قد أحاطت بكل قلبها، و احتضنت الطفل، فلما شم الطفل رائحه أمه، و كانت رائحه

مألوفه لديه،التقم ثديها كأنه تضمن لذه الروح و حلاوتها،و اشتغل الطفل بشرب اللبن بلهفه و عشق شديدين،فانطلقت صرخات الفرع من الحاضرين،و بدت آثار الفرع و السرور على زوجه فرعون.

يقول البعض:إنّ فرعون تعجب من هذه الحادثه،و قال:من أنت إذ قبل هذا الطفل لبنك في حين أنّه ردّ جميع الأخريات؟فقالت الأم:إنّى امرأه طيبه الريح و اللبن،و لا- يرفض لبنى أى طفل! عل كل حال فقد أمرها فرعون بالاهتمام بالطفل،و أكدت زوجته كثيرا على حفظه و حراسته،و أمرت أن يعرض عليها الطفل بين فتره و أخرى.

هنا تحقق ما قاله القرآن: **فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ** و لتستطيع تربيته بدون خوف من جلاوزه فرعون.و يستفاد من هذه العبارة أن فرعون أودع الطفل أمه لتذهب به إلى بيتها،إلا أنّ من الطبيعي أن ابن عائله فرعون!الذى تعلقت به امرأته و أحبته حبا شديدا،يجب أن يعرض عليها بين فتره و أخرى.

و مرّت السنون و الأعوام،و تربى موسى عليه السلام وسط هاله من لطف الله و محبته، و فى محيط آمن،و شيئا فشيئا أصبح شابا.و كان ذات يوم يمر من طريق فرأى رجلين يتشاجران،أحدهما من بنى إسرائيل و الآخر من الأقباط-(و هم المصريون قوم فرعون)-و لما كان بنو إسرائيل يعيشون دائما تحت ضغط الأقباط الظالمين و أذاهم،هبّ موسى لمعونه المظلوم الذى كان من بنى إسرائيل، و من أجل الدفاع عنه وجه ضربه قاتله إلى ذلك القبطى، فقضت عليه.

فتأثر موسى مما حدث و قلق،لأن حراس فرعون علموا فى النهايه من الذى قام بعملية القتل هذه،فنشطوا للبحث عنه و مطاردته.إلا أنّ موسى،و حسب إشاره بعض أصدقائه عليه،خرج متخفيا من مصر،و توجه إلى مدين،فوجد محيطا و جوا آمنا فى ظل النّبى «شعيب»،و الذى سيأتى شرح حاله فى تفسير

سوره القصص إن شاء الله تعالى هنا حيث يقول القرآن الكريم: وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فبعد حادثه القتل اختبرناك كثيرا و القينا بك في اتون الحوادث و الشدائد فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ و بعد اجتياز هذا الطريق الطويل، و الاستعداد الروحي و الجسمي، و الخروج من دوامه الأحداث بشموخ و انتصار فقد جئتَ عَلَيَّ قَدْرًا يَا مُوسَى . أى حيث لاستلام مهمه الرساله في زمان مقدر إلى هذا المكان.

إن كلمه «قدر» -برأى كثير من المفسرين- تعنى الزمان الذى قدر فيه أن ينتخب موسى للرساله. إلا- أن البعض اعتبرها بمعنى المقدار، كما جاء هذا المعنى فى بعض الآيات القرآنيه، الآيه (٢١) من سوره الحجر، و طبقا لهذا التفسير سيكون معنى الآيه: يا موسى إنك قد نشأت و أصبحت- بعد تحمل هذه المصاعب و الامتحانات و عشت سنين فى بيت نبي كبير كشعيب- ذا قدر و مقام و شخصيه، و حصلت على استعداد لتلقى الوحي.

ثم يضيف: وَ اضْطَرَّكَ لِنَفْسِكَ فَمِنْ أَجْلِ مَهْمَةِ تَلْقَى الْوَحْيَ الصَّعْبِ، و من أجل قبول الرساله، و من أجل هدايه العباد و إرشادهم رببتك و اختبرتك فى الحوادث الصعبه و مشاقها، و منحتك القوه و القدره، و الآن حيث أقيت هذه المهمه الكبرى على عاتقك، فإنك مؤهل من جميع الجوانب.

«اصطناع» من ماده «صنع» بمعنى الإصرار و الاقدام الأکید على إصلاح شىء (كما يراه الراغب فى مفرداته). و يعنى إننى قد اصلحتك من كل الجهات و كأننى أريدك لى و هذا الكلام هو أكثر ما يمكن أن يقال فى تصوير محبه الله لهذا النبى العظيم، و ذهب البعض أنه يشبه ما قاله الحكماء من: إنَّ الله إذا أحبَّ عبدا تفقده كما يتفقد الصديق صديقه.

نهايه المجلد التاسع

ص : ٥٦٠





































بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩